

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالة



الكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: التاريخ

مختبر التوطين: مختبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان: علوم إنسانية الشعبة: التاريخ

الاختصاص: الأوضاع الاقتصادية في المشرق الإسلامي خلال القرن 1-7هـ

من إعداد:

شوانة خولة

عنوان

الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وآثارها الاقتصادية على الدولة العباسية من خلافة المأمون إلى خلافة

الطائع لله 198هـ-381هـ/ 991م-814م

بتاريخ 13-10-2025م

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
السيدة عطايي سنا	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالة	رئيسا
السيد خالدي مسعود	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالة	مشرفا مقرر
السيد بن مارس كمال	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالة	متحثنا
السيد بولعراس خميسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة ملين دياغين سطيف 2	متحثنا
السيد بکای عبد المالک	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد ملين دياغين سطيف	متحثنا
السيدة يوسف أحلام	أستاذ حاضر -أ-	جامعة 8 ماي 1945 قالة	متحثنا

السنة الجامعية: 2025-2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي بحمده تتم الصالحات، والصلوة والسلام على من
بعث هاديا ومعلما سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..... وبعد

يسعدني في البداية أن أقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور "خالدي مسعود"
الذي تفضل بقبول الإشراف على أطروحتي، ولم يدخل جهدا في شحذ همي
ونصحي وإرشادي، فله كل الشكر والاحترام، وجازاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك
في ميزان حسناته.

أتوجه بفائق الشكر والتقدير إلى الأساتذة المناقشين على تفضلاهم بقبول مناقشة
هذه الأطروحة.

وكل الشكر المقرن بالحب والعرفان لأساتذة التاريخ بجامعة 08 ماي
1945 ب قالمة ، وأخص بالذكر أستاذة التاريخ الوسيط.

وفي الأخير أقدم بعظيم الشكر والامتنان لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب
أو من بعيد لإنجاز هذه الأطروحة.

الباحثة: شوانة خولة

الإهداء

إلى أصحاب الكلمات التي سارت بي نحو النجاح ... أبي وأمي
حفظهما الله وأطالت عمرهما بكل خير ، فقد كانوا على الدوام ملهميَّ ،
وها أنا على دربهما أسير وبعلمهما أقتدي .

إلى من ساند خطاي وكان خيرا لأهله..... زوجي العزيز حفظه
الله وأدام وجوده .

إلى من غرسوا في نفسي الأمل والطموح ... أخي محمد الشريفي
وأختاي جهينة وشرونق حفظهم الله .

إلى روحي وفُرَّة عيني ابنتي "ليان" حفظها الله ورزقني ببرها .

إلى أفراد أسرتي وأساتذتي وأصدقائي و كل من دعا لي بالخير .

المقدمة:

الحمد لله الذي بِنِعْمَتِهِ تَمَ الصَّالَحَاتِ وَبِشَكْرِهِ تَدُومُ النَّعْمَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِتَوْفِيقِهِ وَتِيسِيرِهِ تَصْلَحُ الْأَمْرَ وَتَمَ كُبُّرِ النَّعْمَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَسْتَقِيمُ بِاسْمِهِ الْأَمْرُ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يُنْبَغِي لِجَلَالِ وِجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ.

التعريف بالموضوع وأهميته وأهدافه:

يعد الاقتصاد أحد الأعمدة الرئيسية التي ترتكز عليها الدول والحضارات الإنسانية التي شهدتها العالم منذ أقدم العصور، إذ الأمر نفسه ينطبق على من تزامنت مع التاريخ الوسيط الذي شهد تحولات بنوية كبرى في أنماط الانتاج وتنظيم المجتمع والعلاقات الدولية، من هذا المنطلق تأتي أهمية الدراسات الحضارية التي تتناول اقتصاد الدول في تلك المرحلة، حيث أنها تُمْكِن الباحث من فهم طبيعة المجتمع باعتبار الاقتصاد محركاً مركزياً للسلوك الاجتماعي والسياسي، كما أنها تتيح المجال لدراسة تطور الأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ومالية مما يساهم في فهم وتفسير أسباب الازدهار والانحطاط في الحضارات المختلفة، وتكشف عن آليات توزيع الثروة ومسارات الانتاج والاستهلاك، كما تساهم هذه الدراسات في تحليل دور الدولة في تنظيم الموارد ومواجهة الأزمات الاقتصادية.

في إطار الحديث عن أهمية الدراسات التاريخية التي تعنى بالتاريخ الاقتصادي للدول في العصر الوسيط يكتسب النظر في الوضع الاقتصادي للدولة العباسية أهمية بالغة، خاصة وأنها تمثل نموذجاً بارزاً لتفاعل النشاط الاقتصادي، وذلك بفضل تنظيماتها الاقتصادية والإدارية المتباينة وتشابك قطاعاتها الإنتاجية الرئيسية كالزراعة والصناعة والتجارة والمعاملات المالية التي جعلتها تحتل مكانة اقتصادية إقليمياً ودولياً؛ رغم ما قد واجهته الخلافة من تحديات بشرية جعلت مؤشرات الاضطراب السياسي تظهر جلية من خلال الأحداث والسلوكيات التي كانت تصدر عن أفراد طبقات المجتمع العثماني دون

استثناء، كما أنها تعرضت لتحديات طبيعية تمثلت في الكوارث الطبيعية التي اتسمت بطابعها الفجائي والشمولي.

تكتسب دراسة التحديات البشرية والطبيعية التي واجهت الخلافة العباسية أهمية كبيرة في فهم المسار الاقتصادي لهذه الدولة وقوة تأثيرها في المجتمعات الإسلامية آنذاك، فقد عرفت الدولة العباسية سلسلة من الكوارث الطبيعية كالفيضانات والجفاف والأوبئة التي كانت تتعكس مباشرة على الوضع الاقتصادي العام للدولة، كما واجهت في المقابل تحديات بشرية متنوعة تمثلت في الاضطرابات السياسية التي سببها ضعف السلطة وتدخل العناصر الأجنبية في الحكم وتتمامي نفوذ القوى الإقليمية، إن تحليل هذه التحديات يكشف كيف أسهمت في إضعاف المركزية العباسية تدريجاً وتشكيل ملامح الاقتصاد والمجتمع خلال مختلف مراحل العصر العباسي، كما يتتيح هذا النوع من الدراسات فهماً أشمل للعلاقات بين العوامل البيئية والظروف السياسية وتأثيرهما معاً في استمرارية واستقرار الدولة اقتصادياً، بناءً على ما سبق جاء موضوع دراستي بعنوان: **الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وأثارها الاقتصادية على الدولة العباسية من خلافة المأمون إلى خلافة الطائع الله**

198-381هـ / 991م

حظي الجانب الاقتصادي للدولة العباسية باهتمام ملحوظ من قبل الباحثين، حيث قدمت فيه دراسات عديدة تناولت جوانبه المختلفة بالتحليل والمقارنة فكشفت عن مكامن القوة والضعف فيه، إلا أن هذا الرسم البحثي وعلى أهميته لم يُحْطَ بعد بجميع الاشكالات المرتبطة به، مما يجعل المجال ما يزال مفتوحاً أمام المزيد من الدراسات التي يمكن أن تسد ثغرات بحثية خاصة وأن العصر العباسي شكل مرحلة ازدهار اقتصادي واسع النطاق امتد تأثيره ليطال البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للعالم الإسلامي، كما أن ما شهده من أزمات اقتصادية وتقلبات مالية وزراعية في الفترات اللاحقة أسمى في تراجع قوة الدولة وضعف مركزيتها، ولذلك يستمر المؤرخون في تحليل النظم الاقتصادية العباسية وتتبع

مظاهرها ومؤسساتها وتأثيرها على الحياة اليومية بهدف تقديم رؤية أكثر عمقاً لمجريات التاريخ، وربط الأحداث السياسية والكوارث الطبيعية بتأثيراتها الاقتصادية التي غالباً ما تكون العامل الحاسم في تقدم الدول أو انهيارها.

يعد عبد العزيز الدوري¹ -على سبيل المثال لا الحصر- من أبرز المؤرخين الذي اهتموا بالتاريخ الاقتصادي للدولة العباسية، حيث أنه من أوائل من أبرز أهمية العوامل الاقتصادية في فهم تطور الحضارة الإسلامية، اعتمد الدوري على تحليل بنية الاقتصاد العباسي من خلال دراسة مؤسسات الدولة المالية كالخراج والضرائب، وتتبع النشاط التجاري والزراعي والصناعي كما ركز على علاقة الاقتصاد بالبنية الاجتماعية، مبيناً كيف ساهم الازدهار الاقتصادي للدولة العباسية في ترسيخ نفوذ الدولة، في حين أوضح مساهمة التدهور الاقتصادي في العصور اللاحقة في ضعف السلطة المركزية.

قدم آ. آشتور² مراجع علمياً مهماً تناول البنية الاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي بتحليل عميق وشمولية تبرز أهمية هذا الكتاب كونه لا يكتفي بعرض الأحداث السياسية بل تجاوزها إلى دراسة أنماط الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع العباسي، كما يبرز آشتور دور العوامل الاقتصادية في توجيه مسار الدولة وتأثير التحولات الاجتماعية على بنية السلطة والاقتصاد، يتميز الكتاب ببنائه على مصادر عربية وأجنبية متعددة مع اعتماد منهج تحليلي مقارن ما جعله

¹ - عبد العزيز الدوري : العصر العباسى الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1، لبنان، (د.ت)- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1995.

² - آ.آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، تر: جاسم صكبان، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق، ط1، 2016.

مرجعا لا غنى عنه للباحثين في التاريخ الاقتصادي والحضاري الاسلامي وللمهتمين بفهم أسس ازدهار الدولة العباسية وتراجعها عبر الزمن.

ركزت عدد من الدراسات على تحليل عناصر محددة ضمن المنظومة الاقتصادية للدولة العباسية³، وأنجزت العديد من الرسائل الجامعية التي تناولت قضايا اقتصادية مختلفة شهدتها الخلافة العباسية⁴ إلا أنها لم تستوف بعد جميع الاشكالات المطروحة في هذا المجال، إذ تكشف القراءة التحليلية للعديد من الدراسات عن مساحة واسعة غير مطروقة تتعلق مثلا بالتحديات الطبيعية والبشرية وانعكاساتها على البنية الاقتصادية، وهذا ما أتاح لي فرصة اختيار هذه التحديات كدراسة تكون أكثر تخصصا تُسهم في استكمال الصورة الشاملة للاقتصاد العباسي.

³ - حسين المصري: تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982. حمدان عبد المجيد الكبيسي: أسواق بغداد حتى بداية العصر البوبي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، (د.ت).

⁴ - إلهام هاني نعمة: الأسواق في المشرق الإسلامي والنشاط الاقتصادي والتجاري من العصر العباسي إلى الغزو المغولي (132هـ- 656هـ/ 749م- 1258م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2011. صفاء حسن أحمد عوض الله: دور التجارة في إثراء الحركة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني المقومات والاسهامات(232هـ- 656هـ/ 847م- 1258م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان، السودان، 2012. فهد مطر المطيري: التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247هـ- 334هـ، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد والمصارف، جامعة اليرموك، 2015/2016. فؤاد طوهارة: السياسة المالية في الدولة العباسية 132هـ- 232هـ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 1945 قالمة، الجزائر، 2016-2017. روند خالد : الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي 132هـ- 334هـ/ 749م- 946م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2018.

تجدر الاشارة إلى أن أغلب الدراسات التي تناولت التاريخ السياسي للدولة العباسية كانت في أغلبها منفصلة عن الدراسات الاقتصادية⁵، إذ ركزت على صراعات السلطة وأليات الحكم وتطورات بنية الدولة دون التوقف طويلاً عند انعكاسات هذه المتغيرات على الواقع الاقتصادي، وهذا الفصل المنهجي بين الجانبين السياسي والاقتصادي جعل الحاجة ملحة اليوم إلى مقاربة أكثر شمولاً تربط بين الاحداث السياسية وتأثيرها المباشر وغير المباشر على النشاط الاقتصادي بما يسهم في بناء رؤية أكثر تكاملاً لمسار الحضارة العباسية.

حظيت الكوارث الطبيعية من جهة أخرى بنصيب من الاهتمام البحثي من خلال دراسات تخصصت في تتبع الأوبئة والفيضانات والجفاف والجراد وغيرها من الظواهر البيئية، جاءت أغلبها في شكل مقالات⁶، حيث جاءت هذه الدراسات بمعزل عن دراسة تأثير تلك الكوارث على الحركة الاقتصادية وتوازن المجتمع، فاقتصر البحث على الجانب الوصفي لتلك الأزمات دون ربطها بالبنية الاقتصادية والسياسات المالية للدولة ترك فجوى معرفية تحتاج إلى دراسات أكثر عمقاً في تناول تفاعل العوامل الطبيعية مع التطورات الاقتصادية في العصر العباسى.

⁵ - مساعد بن مساعد محمد الصوفي: العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ-334هـ)، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، 2008.

⁶ - مهى سعيد حميد: الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسى" مجلة دراسات موصلية، المؤلف، العدد 22 ، 2011. رائد محمد حامد: تأثير الفيضانات على السجون بغداد في العصر العباسى، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد 13 ، 2013، محمد سعد اسماعيل: الأوبئة والظواهر الفلكية وأثرها في العراق في ضوء كتاب المنتظم لابن الجوزي 334هـ-945م / 1178-574هـ، مجلة وقائع تاريخية، 2020، خالد بن خضير بن عليان الحربي: فيضانات نهرى دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسى (132هـ - 656هـ)، مجلة المعهد العالى للدراسات النوعية، المجلد 4 ،

حدود الدراسة:

تمتد الفترة الزمنية للدراسة من سنة (1991هـ/ 814م - 1998هـ/ 1381هـ) أي من خلافة المأمون إلى نهاية خلافة الطائع لله، وسبب البدء بخلافة المأمون هو أن الحرب الأهلية التي نشبت قبل توليه الخلافة بينه وبين أخيه الأمين؛ والتي دامت خمسة سنوات مثلت بداية الانقسام في الخلافة العباسية، وكانت تمهدًا لما عانته فيما بعد من اضطرابات سياسية، وتنتهي بخلافة الطائع وهو ثاني الخلفاء العباسيين الذي تزامنت خلافته مع الهيمنة البويمية، فهذه الفترة شهدت تحولات سياسية كبيرة داخل الدولة العباسية، من توطيد السلطة في بغداد وظهور أزمات داخلية وصراعات على الحكم، إضافة إلى وقوع عدد من الكوارث الطبيعية التي تركت تأثيراً ملمساً على النشاط الاقتصادي، وهذه الفترة تعد مرحلة مفصلية لفهم العلاقة بين الأحداث السياسية والظواهر الطبيعية والاقتصادي العباسي.

أما عن الحدود المكانية للدراسة يركز البحث على الأراضي الخاضعة لسيطرة الدولة العباسية، وخصوصاً المناطق التي كانت مركز النشاط الاقتصادي والسياسي مثل بغداد والكوفة والبصرة، إذ كانت هذه المدن الأكثر تأثراً بالاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية.

دافع اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب والدوافع الذاتية والموضوعية والتي تمثلت فيما يلي:

تمثل دافعي الذاتية في ميولي ورغبتي الشديدة في دراسة المواضيع والجوانب الاقتصادية للدولة الإسلامية، والتي نمت وتعززت خاصة خلال فترة التكوين في الماستر، إضافة إلى الرغبة في تقديم إضافة في حقل التاريخ الاقتصادي، خاصة ما يتعلق بالدولة العباسية

أما بالنسبة للدافع الموضوعية فتمثلت في:

ندرة الدراسات التكاملية ، فأغلب الدراسات تناولت التاريخ السياسي أو الكوارث الطبيعية أو الاقتصاد العباسي كل على حدة، ما يترك فجوة في فهم العلاقة بين هذه العوامل وتأثيرها المشترك.

أهمية فهم العلاقة المتشابكة بين السياسة والبيئة والاقتصاد في التاريخ العباسي، إذ أن الأحداث السياسية والصراعات الداخلية والكوارث الطبيعية لم تؤثر فقط على استقرار الدولة بل كان لها انعكاس مباشر على النشاط الاقتصادي والحياة اليومية للمجتمع.

كما أن الدراسات السابقة غالباً ما تناولت هذه الجوانب بشكا منفصل، فكان من الضروري تقديم دراسات شاملة تربط بين الأضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية لتسليط الضوء على أبعاد جديدة وغير مستكشفة، وهو ما يسهم في إثراء المعرفة التاريخية وتحليل تطورات الدولة العباسية بشكل متكامل.

الدراسات السابقة وإشكالية الموضوع:

تعتبر الدراسات السابقة قاعدة الانطلاق لأي دراسة علمية في مختلف التخصصات، فهي تساعد على معرفة الفراغات أو الجوانب التي لم يسبق تناولها أو مناقشتها من طرف الباحثين أو ما يسمى "بالفجوة البحثية"، كما أنها تعتبر نقطة انطلاق للعديد من الأبحاث بما قد تزود الباحث من نتائج وأفكار ومقاربات جديدة، من هذه الدراسات:

الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي الثاني "عصر نفوذ الأتراك" (232هـ-334هـ/ 847م- 946م) للباحثة أسماء محمد السيد علي هذه الدراسة رغم أهميتها إلا أنها تقتصر في بعض جوانبها على معالجة الأحداث الكبرى بشكل عام دون الغوص في التفاصيل الدقيقة للآثار الاقتصادية على

القطاعات المختلفة مثل الزراعة والتجارة والأسواق المحلية، كذلك تفتقر الدراسة إلى ربط عميق بين الكوارث الطبيعية والاضطرابات الاقتصادية.⁷

المحن والأزمات الاقتصادية في العراق خلال العصرين البوبي والسلجوقي (334هـ- 946هـ/ 1193م) للباحث هيثم محمد السادس رغم القيمة العلمية الكبيرة لهذه الرسالة إلا أنه ارتكزت بشكل أساسي على الجانب الاقتصادي والإداري للأزمات دون ربطها بشكل كاف بالعوامل السياسية والاجتماعية التي سهمت في تفاقم الأزمات، كما أن الدراسة لم تمنح اهتماماً موسعاً لتأثير الكوارث الطبيعية والآوبئة وهو جانب يمكن أن يعزز فهم طبيعة الأزمات المركبة في تلك الفترة.⁸

الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس إبان العصر البوبي والسلجوقي (334هـ- 946هـ/ 1193م) للباحث طه حسين عبد العال حسين ركزت هذه الدراسة على الوصف التفصيلي للكوارث الطبيعية دون الربط الكافي بين هذه الأحداث وتأثيراتها الاقتصادية على الدولة والمجتمع بشكل عميق، إضافةً أنها لم تعطي أهمية كافية للتفاعلات بين العوامل الطبيعية والسياسية التي تزيد من حدة الأزمات وهو جزء مهم لفهم الديناميكية الكاملة لهذه المرحلة.⁹

تتبع إشكالية البحث حول مدى تأثير العوامل السياسية والكوارث الطبيعية على التراجع الاقتصادي للخلافة العباسية والتي يمكن طرحها بالشكل التالي: هل اجتمعت المظاهر السياسية والطبيعية لرسم الخريطة الاقتصادية للدولة العباسية من القرن 2-4هـ؟ أو لأي من المظهرين يمكن نسب ما آل إليه الاقتصاد أكثر؟

⁷ دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الاسكندرية، 2019، (رسالة غير منشورة).

⁸ دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الاسكندرية، 2018، (رسالة غير منشورة).

⁹ دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة عين شمس، 2009، (رسالة غير منشورة).

بمعنى آخر هل ثقل التراجع الاقتصادي تتحمله الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية على حد سواء؟ أم أن الأمر متعلق بأحد هما؟ هل يمكن دراسة ظاهرة الاقتصادية في الدولة العباسية بمعزل عن المؤثرات السياسية والطبيعية؟

لإجابة على الأشكالية استوجب طرح تساؤلات التالية:

- ماهي أسباب الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة العباسية باستمرارية لامتناهية باستثناء فترات قليلة؟
- كيف أثرت الصراعات الداخلية والانقلابات على استقرار الدولة ومواردها الاقتصادية؟
- ماهي الكوارث الطبيعية التي شهدتها الدولة العباسية؟ وكيف انعكست على الوضع الاقتصادي؟
- هل كان هناك تداخل بين آثار الكوارث الطبيعية والاضطرابات السياسية، بحيث يزيد أحدهما من حدة الآخر؟
- كيف تعاملت الدولة العباسية مع التحديات الاقتصادية الناتجة عن هذه العوامل؟

مناهج الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث المتعلقة بالأحداث السياسية وحوادث الكوارث الطبيعية وأثارها الاقتصادية خلال الفترة (1991هـ/ 381هـ - 1998هـ/ 814هـ)، اتباع المنهج التاريخي بأدواته المختلفة من وصف وتحليل وإحصاء كما يلي:

- المنهج التاريخي الوصفي: الذي يعتبر من المناهج المناسبة للموضوعات التي تدور حول الظواهر الطبيعية والمشكلات التي تتعلق بالأفراد، ووصفها كميا بهدف الوصول إلى أرقام تتعلق بالمشكلة أو الظاهرة، اعتمدت في: دراسة الأحداث والظواهر كما وقعت في سياقها الزمني، مع تحليل الأسباب والنتائج والارتباطات بين العوامل المختلفة، تقديم الواقع السياسية والطبيعية كما وثقتها المصادر التاريخية مع التركيز على الأحداث المهمة التي ساهمت في تراجع الاقتصاد العباسي، وصف حوادث الكوارث وما خلفته من آثار اقتصادية،

وصف معطيات الأعمدة البيانية والدوائر التي أوردتها في العديد من المباحث وذلك لاستقراء المعطيات حتى يسهل الاستنتاج.

- **المنهج التحليلي:** اعتمدت عليه في تحليل أسباب الفساد الإداري ومناقشتها وتفسيرها، وتحليل كل ما يتعلق بالحركات الاجتماعية بمختلف أبعادها، تحليل العلاقة بين كل من الاضطرابات السياسية وال Kovart الطبيعية وما لحق الجانب الاقتصادي من أضرار جرائهما.
- **المنهج الإحصائي:** الذي يعتمد على لغة الأرقام بهدف الحصول على نتائج أكثر دقة، ومن أجل السهولة في التعامل والقدرة على الفهم، ومن ثم وضع تفسيرات مناسبة لفهم الظواهر حيث اعتمدت عليه في: إحصاء أعداد تكرار حوادث الكارثة الواحدة، والوقوف على العدد الإجمالي للكوارث التي تعرضت لها الخلافة خلال فترة الدراسة، وذلك للوصول إلى أكثر الكوارث تأثيراً على الوضع الاقتصادي.

عرض ونقد لأهم مصادر ومراجع الموضوع:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على عدد من المصادر والمراجع العربية والمغربية التي اعتبرت كمادة أولية لها، والتي سنوردها فيما يلي تبعاً لدرجة الاستفادة منها:

1- المصادر التاريخية: التي اعتمد أغلبها على المنهج الحولي، فأعطتنا تسلسلاً للأحداث والواقع التاريخية واستطاعت بفضلها رسم هيكل للدراسة، حيث اعتبرت مادتها نقطة انطلاق في بحثي؛ لاشراكها في ايراد بعض التفاصيل مما يؤكد صحتها، وانفراد بعضها الآخر ببعض الأحداث، مما أفادني في سد بعض فجوات البحث، وعلى رأس المصادر التي تزودنا بمعلومات وافية عن تاريخ الدولة العباسية وخاصة فترة الدراسة.

- **تاریخ الرسل والملوک للطبری محمد بن جریر (ت 310ھ / 922م)**، حيث يعتبر الطبری في هذه الفترة التاريخية معاصرًا للأحداث وشاهد عيان لها، إذ كتب أحداثها حتى سنة 302ھ / 914م معتمدًا على وثائق الدولة الرسمية، وقد أفادنا بمعلومات تتعلق بتولية

وعزل ولـي العهد والأطراف المتدخلة في ذلك، وسير الحملات العباسية البيزنطية، كما أورد الطبرـي أحـدـاثـ الـكـوارـثـ الطـبـيـعـيـةـ بشـيـءـ منـ التـفـصـيـلـ، لـذـاـ اـعـتـمـدـتـ عـلـيـهـ فـيـ أـغـلـبـ فـصـولـ الـدـرـاسـةـ.

- **أخبار الراضي والمتنقي للصولي أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله** (ت 335هـ / 947م)، تحدث هذا الكتاب عن تاريخ الدولة العباسية من سنة 322هـ وحتى سنة 333هـ، هذه الفترة شملت خلافة الراضي بالله والمتنقي بالله وهي من أبرز فترات الضعف في تاريخ العصر العباسي الثاني، لـذـاـ اـسـتـفـدـتـ مـنـ هـذـاـ الـكـاتـبـ كـثـيـراـ فـيـ مـعـرـفـةـ أحـدـاثـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ الـتـيـ تـزـامـنـتـ مـعـ اـسـتـحـدـاثـ مـنـصـبـ أمـيـرـ الـأـمـرـاءـ وـتـأـثـيرـ ذـلـكـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـاـقـتـصـادـيـ.

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي علي بن الحسن (ت 345هـ / 958م)، تميز المسعودي أنه كتب مادته التاريخية بدقة وعمق وحرية تامة، حتى أنه لم يجد حرجاً في انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرـينـ لهـ وـوـصـفـهـمـ بـالـضـعـفـ وـسـيـطـرـةـ الـأـتـرـاكـ عـلـيـهـمـ، فـذـكـرـ أـنـهـ أـصـبـحـواـ "ـمـقـهـورـينـ خـائـفـينـ"ـ قدـ قـنـعواـ بـاسـمـ الـخـلـافـةـ وـرـضـواـ بـالـسـلـامـةـ، وـقـدـ أـفـادـ هـذـاـ الـكـاتـبـ دراستـيـ فيـ الـكـثـيـرـ مـنـ الـحـوـادـثـ الـتـارـيـخـيـةـ الـتـيـ تـهـمـ الـخـلـافـاءـ وـأـحـوالـهـمـ وـكـيـفـيـةـ تـعـيـنـهـمـ وـعـلـاقـتـهـمـ بـمـرـاـكـزـ الـقـوـىـ بـالـدـوـلـةـ، كـمـ تـاـوـلـ حـرـكـةـ الزـنـجـ وـالـقـرـامـطـةـ.

- **تجارب الأمم وتعاقب الهم لمسكويه أبي على** **أحمد بن محمد بن يعقوب** (ت 421هـ / 1030م)، يعد هذا الكتاب من أفضل الكتب التي تحدث عن فترة السيطرة البوهيمية، وقد أفادني بـمـعـلـومـاتـ قـيـمـةـ فـيـ النـوـاحـيـ السـيـاسـيـةـ مـنـ حـرـوبـ وـفـتـنـ وـاضـطـرـابـاتـ دـاخـلـيـةـ وـخـارـجـيـةـ، كـمـ عـرـضـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـكـوارـثـ الطـبـيـعـيـةـ الـتـيـ أـلـمـتـ بـتـلـكـ الـفـتـرـةـ، تـحـدـثـ عـنـ سـيـاسـةـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ عـادـةـ مـتـبـعـةـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ الـأـمـوـالـ، كـمـ أـفـادـنـيـ فـيـ جـزـئـيـةـ الـإـقـطـاعـ الـعـسـكـريـ.

الأنباء بتاريخ الخلفاء لابن العمراني (ت580هـ) ، تناول العمراني تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين حيث يورد نسب الخلفاء ثم الأحداث التي جرت في عهدهم حيث أفاد البحث بالأحداث السياسية الخاصة بالخلفاء.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (597هـ/1200م)، ألف ابن الجوزي العديد من المؤلفات ومن أهمها المنتظم وهو كتاب يحتوي على حوادث مكتوبة بالسنين، وكذلك تراجم ويضم معلومات قيمة عن التاريخ الإسلامي، حيث يذكر حوادث كل سنة ويختتمها بوفيات تلك السنة، فقد تميز هذا الكتاب عما سبقه من كتب في كونه يسرد الأحداث التاريخية على مدار السنوات، تحدث عن جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أفاد دراستي في جمع معلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية وفي السرد الحولي لموجات الغلاء، الأمراض والأوبئة، وغيرها من الكوارث.

الكامل في التاريخ لابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزي الملق بعزع الدين (ت630هـ)، الذي شمل 11 مجلداً منذ بدأ الخليقة وابتداء الزمان حتى عصره حيث انتهى سنة 628هـ، التزم ابن الأثير في كتابه بالمنهج الحولي في تسجيل أحداث المشرق والمغرب، وهذا ما أعطى كتابه طابع التاريخ العام في الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل إقليم، احتوى كتابه على أحداث وأخبار هامة تتعلق بفترة الدراسة منها سلط القادة الأتراك على شؤون الحكم، كما تناول سنوات وقوع الكوارث الطبيعية، فعلى الرغم من أن مؤلفه بعيد عن فترة الدراسة بما يقارب القرنين من الزمن، فإنه تميز بذكر عدة تفاصيل دقيقة ملأت بعض الثغرات في الدراسة.

وكذلك استفدت من كتاب البداية والنهاية لابن الكثير (ت774هـ) والذي اعتمد على من سبقه من المؤرخين كالطبرى ومسكويه لكنه أفادني في التأكيد من بعض المعلومات، وكان لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت808هـ) فضل في وصفه أحداث

تلك الفترة كما أمندي بنظريات تخص ارتقاء الحضارات وانحطاطها والتي اسقطتها على واقع الدولة العباسية في كثير من الأحيان.

2- كتب الرحلة والجغرافيا ومعاجم البلدان:

البلدان لليعقوبي (ت284هـ) الذي جمع في كتابه الخبرة التاريخية والجغرافية جنبا إلى جنب، فقد كان عالماً بالأسفار وأخبار الأمم السابقة، ساعدني هذا الكتاب في معرفة مناخ العراق وتحديد موقع كثير من المناطق والمدن خاصة الأسواق.

صورة الأرض لابن حوقل (ت367هـ/ 977م) هو كاتب وجغرافي ورحلة مسلم من القرن الرابع هجري، يعتبر كمصدر جغرافي تحدث عن أقاليم البلدان الإسلامية من بينها العراق، وما انتجته من ثروات زراعية، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (380هـ/ 990م)** حيث قدم وصفاً تفصيلياً للأقاليم الإسلامية ومن بينها العراق، استفدت من هذين المصادرين في توضيح مناخ المنطقة ومن ثم الوقوف على التغيرات الحاصلة والتي كانت حدتها تؤدي لکوارث مناخية ومن ثم معرفة آثارها على الاقتصاد، كما أفادني المصادرين بوصف دقيق للموارد المائية خاصة الأنهر وأنواع التجارة ، وأعطى صورة واضحة عن ما آلت إليه أوضاع العراق خلال القرن الرابع هجري.

معجم البلدان للحموي (ت626هـ) يعد هذا الكتاب موسوعة عظيمة في أسماء البلدان والجبال والأودية والبحار... لذا فقد أفادني كثيراً في تحديد بعض من خصائص المناخ في المنطقة معرفة لأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع بها المنطقة، واستعنت بالعديد من أجزائه للتعریف والتوضیح بالأماكن الجغرافية.

3- كتب الأحكام السلطانية:

كتابه **الأحكام السلطانية للماوردي** (ت 450هـ)، كان من الفقهاء البارزين وصاحب كثير من التصانيف النافعة المتميزة، تولى القضاء في بلدان كثيرة، ثم تولى منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، وكان له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والأمراء، عايش مرحلة حرجية من المراحل التي مرت بها الخلافة في مركز الخلافة بغداد تمثل في سيطرة البوهيميين على زمام الأمور في بغداد، ولم يكن للخليفة في ظل وجودهم أي تأثير وإن أبقوا على وجود الخليفة كغطاء على وجودهم الشرعي أمام العامة، أفادني في تحديد أحكام الاقطاع ، وجميع أنواع الضرائب الشرعية والمستحدثة.

4- كتب الخراج والأموال: بحكم طبيعة الموضوع الاقتصادية؛ استوجب الاعتماد على مجموعة من مصادر التراث الاقتصادي المالي، التي تناولت مالية الدولة العباسية خلال القرنين الثاني والثالث هجري، منها: **كتاب الخراج لأبي يوسف** (ت 183هـ) الذي أفادني في الأحكام المتعلقة بتقسيم الأراضي وإقطاعها، الضرائب المتعلقة بالأرض والطرق التعسفية المطبقة في جمع الخراج خاصة، **كتاب الخراج لقدامة بن جعفر** (ت 337هـ) والذي أفادني في تحديد مقدار الخراج مما سهل لي مقارنتها بما ذكر في غيره من المصادر.

5- المعاجم اللغوية والقواميس:

قدمت هذه المؤلفات توضيحات مهمة لكثير من المصطلحات التي وردت في الدراسة ومن أهمها **مفاتيح العلوم للخوارزمي** (385هـ) وكذلك **لسان العرب لابن منظور** (ت 711هـ) بأجزائه المختلفة.

تاریخ العراق الاقتصادي خلال القرن الرابع هجري لعبد العزیز الدوري الذي استطاع في مؤلفاته التاريخية أن يقدم صورة جديدة للتاریخ العربي الإسلامي، عن طريق دمجه لأصالة

البحث التاريخي في مؤلفات المؤرخين العرب القدماء، مع أدوات التحليل والبحث، وفي كتابه هذا أفادني في معرفة الواقع الاقتصادي للخلافة العباسية.

الرأي العام في القرن الثالث هجري (198هـ - 907م / 813هـ - 295هـ)، لمؤلفه الألوسي عادل محي الدين، تناول المؤرخ دراسة طبيعة المجتمع العثماني، إضافة لما شهده المجتمع خلال هذه الفترة من انقسامات سياسية واجتماعية، وضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخليفة، كما تحدث الألوسي عن تردي الأحوال الاقتصادية وأسباب تدمير الرأي العام الإسلامي في هذه الفترة، وكتاب *الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية* لمحمد نجيب أبو طالب الذي أمنني بمعلومات تخص أسباب الحركات الاجتماعية في الدولة العباسية، وكتاب *العامة في بغداد دراسة في القرنين الثالث والرابع هجري* دراسة في التاريخ الاجتماعي لفهمي سعد والذي أمنني بمعلومات تتعلق بأفراد المجتمع العثماني والأسواق، وأفادتني المقالات الأجنبية في معرفة موقف المستشرقين في معرفة أسباب الانقطاع العسكري

خطة الدراسة: للإجابة على الإشكالية وما صاحبها من تساؤلات؛ اعتمدت خطة تضمنت أربع فصول إلى جانب المقدمة والخاتمة وملحق لها صلة بالموضوع، أوردت في المقدمة العناصر التي توضح مسار البحث من خلال التعريف بالدراسة وأسباب اختيار الموضوع وكذلك أهميته وذكر الحدود الزمانية والمكانية ، بالإضافة إلى طرح الإشكالية التي سعى من خلال هذا البحث الإجابة عنها، كما تطرق فيها إلى شرح خطة العمل وتوضيح الخطوط الرئيسية لها، والمنهج المعتمد والدراسات السابقة التي تناولت بالبحث والدراسة جوانب هذا الموضوع، وكذلك أهم المصادر الرئيسية والمراجع التفسيرية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة بالإضافة لما واجهني من صعوبات.

اندرج الفصل الأول تحت عنوان: «: أسباب غياب الاستقرار السياسي في الدولة العباسية» والذي تمت معالجته في المباحث التالية:

جاء المبحث الأول تحت عنوان "الصراع حول السلطة وسيطرة العناصر الأجنبية على مؤسسة الخلافة" ، انطلقت في هذه الجزئية من مشكلة ولاية العهد وغياب نظام موحد لتعيين الخليفة وتدخل الحاشية في ذلك، وصولا إلى مرحلة السيطرة العسكرية وظهور منصب أمير الأمراء، ثم التسلط البويعي على مقاليد الخلافة، وإلظهار درجة خضوع الخليفة ومدى تعرض حياته للخطر أوردت جدولاً يوضح نهاية كل خليفة، بناءً على ما ورد في المصادر من معلومات بخصوص بداية ونهاية حكم كل خليفة، وإثبات خضوع ذلك للأوضاع السياسية السائدة أجزت أعمد بيانيه توضح سنوات حكم كل خليفة عباسي.

وكان عنوان المبحث الثاني "ظهور حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية وسياسية ودينية" ، ركزت في هذا المبحث على الصراع في حال هيجانة بالطرق لأهم الحركات التي برزت في قمة الأحداث أنداك، دون الخوض في جزئياتها، عالجت في المبحث الثالث "الفساد الإداري والنزاع حول المناصب السياسية" ، مبرزة الأسباب التي أدت لإحداث الاختلال في هذا الجهاز؛ مما أثر سلباً على الأوضاع السياسية، والتي تمثل في الرشوة، تعيين غير الأكفاء، توريث المناصب الإدارية وغيرها من الممارسات التي أضفت السير الحسن لمؤسسات الدولة.

نظراً لأهمية أمن الحدود في الاستقرار السياسي للدولة؛ جاء المبحث الرابع تحت عنوان "الصراع على المناطق الحدودية" ، أبرزت فيه الجذور التاريخية للصراع العباسي البيزنطي ، والأسباب المتعلقة بكل الطرفين، ولرسم صورة تقريبية وواضحة عن هذا الصراع أجزت منحي بياني يوضح منحي الحملات بين الطرفين، وإبراز اختلاف سياسة كل خليفة عباسي اتجاه منطقة التغور؛ أجزت دائرة نسبية تمثل حملات كل خليفة عباسي اتجاه الأرضي البيزنطي.

اندرج الفصل الثاني تحت عنوان «النتائج الاقتصادية للأضطرابات السياسية» والذي تضمن المباحث التالية:

عالجت في هذا الفصل ما لحق الاقتصاد العباسي من آثار جراء من تعرضت له الدولة من فوضى سياسية، فكان المبحث الأول تحت عنوان " تراجع النشاط الزراعي نتيجة الفتن والحروب" عالجت فيه مساهمة العوامل البشرية في تراجع مقومات النشاط الاروائي، وكذا الأنظمة الزراعية التعسفية التي طبقت وأضرت بالأرض والفلاح.

تطرقت في المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان " تراجع العديد من الصناعات " تطرقت فيه لمقوما

ت النشاط الصناعي التي ساهمت في تطورها حتى بلغت الصناعات العباسية الريادة في الأسواق المحلية والعالمية ، وثم تناولت ما آل إليه هذا النشاط جراء الفوضى والأضطرابات السياسية التي استهدفت الأسواق وال محلات بصورة مباشرة.

جاء المبحث الثالث تحت عنوان: " احتلال التوازن المالي" تحدثت عن حالات ارتفاع الأسعار خاصة أسعار المواد الغذائية، لارتباط الأسعار بالنقود انتقلت في هذا المبحث للحديث عن ما مسها من زيف ورداة في العيار وانعكاس ذلك على سعر الصرف، وبناء على إحدى الدراسات الميدانية التي أوردت أوزان الدينار العباسى، وضفت جدولًا يوضح أوزانه وأقطاره؛ وذلك نظراً لما لوزن العملة من دلالات اقتصادية وسياسية، وللوقوف على إذا ما الزيف مس وزن العملة أم لا؟، ثم تحدثت عن أسباب تراجع الجباية وركزت خاصة على الخارج، باعتبار أن المصادر كانت تعبّر عن مجموع الجباية بمصطلح الخارج، وتطرقت لعسف العمال وسوء جبایته وما طبقوه من أنظمة وسياسات في جمعه أضرت بالفلاحين والأرض، ثم انتقلت للحديث عن ما نقلته لنا المصادر من مقادير للخارج وربط تراجعها

وزيادتها بالاستقرار والاضطراب في الخلافة، أما في العنصر الثاني من هذا المبحث تطرقت فيه لسوء الإدارة المالية والعجز المالي الذي تعرضت له خزينة الخلافة.

خصصت المبحث الرابع لما اعترض التجارة والتجار من مخاطر جراء انعدام الأمن والكوارث الطبيعية فاندرج تحت عنوان «اضطراب حركة التجارة والأسواق» بعد عرض أهم الأسواق وما يمارس بها من أنشطة اقتصادية، لما تعرضت له الأسواق من نهب وحرق باعتبارها مركز للتجارة والصناعة؛ فقد استغلت في كثير من الأحيان في الصراعات فكانت عرضة للحرائق، ثم تطرقت لمسألة قطع الطرق التجارية البرية والبحرية وقوافل الحج فبدأت بالحديث عن واقع التجارة البرية والبحرية وأهم الطرق البرية والموانئ في ضوء الاستقرار السياسي، ثم انتقلت للحديث عما ارتكبه قطاع الطرق والقراصنة من جرائم وتجاوزات أضرت بالتجار والحركة التجارية وطرق الحج.

اندرج الفصل الثالث تحت عنوان «رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية» والذي تضمن المباحث التالية:

خصصت المبحث الأول لدراسة "الكوارث المناخية"، ولارتباط هذا النوع من الكوارث بعناصر المناخ أوردت بإيجاز مميزات المناخ في العراق، اعتماداً على المصادر ومجموعة من المراجع المعاصرة التي تأكّد عدم اختلاف بعض الخصائص في مناخ المنطقة، وذلك بناءً على المعطيات الواردة في المصادر والمثبتة بأدلة علمية، ثم أوردت الكوارث المتعلقة بالتساقط كالأمطار والسيول، سقوط البرد والثلج، انحباس الأمطار وحدوث الجفاف، ثم تطرقت لحوادث هبوب الرياح، وربطت كل كارثة بآثارها الاقتصادية.

أما المبحث الثاني فقد استعرضت فيه الآفات الزراعية والوبائية وأثرهما الاقتصادي، حيث حاولت أولاً التعريف بمعنى الآفة ودرجت حوادث هجوم الجراد والقوارض، ثم وضحت

أسباب حدوث الأوبئة حسب ما أوردته المصادر الفقهية والطبية، وانتقلت لسرد سنوات ظهور وانتشار الأوبئة التي اعترضت الدولة العباسية مع تقديم تعريفات لبعض أنواع الأوبئة.

عالجت في المبحث الثالث **الكوارث الجيولوجية والكونية** وما خلفته من آثار اقتصادية، تعلق هذا النوع من الكوارث بما يصدر عن باطن الأرض والسماء من كوارث، واستهليت الفصل بحوادث الزلازل مع تقديم تفسيرات لحوادثها، والتي امترجت بين التفسيرات الخرافية والعلمية والدينية، ثم تطرقت لبعض الظواهر قليلة الحدوث كالمد والجزر، وظاهرة انقضاض الكواكب التي تسبب في إحداث الرعب، إضافة لحدوث الصواعق واشتعال الحرائق التي اختلفت أسبابها بين الطبيعية وما هو مفتعل، واختتمت الفصل بأعمدة بيانية تمثل تكرار وقوع كل كارثة ل الوقوف على أكثر الكوارث حدوثا.

أدرج الفصل الرابع تحت عنوان « النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعة » والذي شمل مبحثين: عالج المبحث الأول التأثير المزدوج للأزمات السياسية والطبيعية على المجتمع والاقتصاد العباسي، ومن ثم مساهمة السلطة العباسية في إدارة الأزمات الاقتصادية حيث عملت السلطة على إصلاح منشآت الري وتطوير المجال الزراعي، محاولة تحقيق الاستقرار المالي من خلال ضبط الأسعار والحد من غش العملة، كما حرصت السلطة على إدارة الأزمات المالية، بذل الخلفاء جهود لحماية السوق وتوفير سبل الأمن والأمان في الطرق التجارية البرية والبحرية وطرق الحج.

صعوبات الدراسة:

اتساع الموضوع وتشعبه بين مختلف الجوانب الاقتصادية مما صعب عملية حصره زمنياً ومكانياً.

صعوبة ضبط وانتقاء المادة العلمية التي تخدم الموضوع، نظراً للعلاقة المترابطة والتدخل بين مختلف الجوانب الاقتصادية.

لم تصرح المصادر في أغلب الأحيان بالآثار الاقتصادية للأضطرابات والكوارث الطبيعية، فكان واجباً علينا استنتاجها.

الفصل الأول:

أسباب الأضطرابات السياسية

أسباب الاضطرابات السياسية

اختلفت العوامل التي ساهمت في حدوث الاضطرابات السياسية باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، وذلك لما تتميز به الأوضاع السياسية من حركية وتطور وتعقيد وتغير مستمر، يمكن أن تظهر هذه الاضطرابات في أشكال مختلفة كالانتفاضات، الحركات، انتشار الفساد... مما يخلق جوا من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي.

ارتبط الاستقرار السياسي لدى ابن سينا: بوجود القائد العادل، إلى جانب الصفات الأخرى التي يتمتع بها كالشجاعة والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية،¹ كما ربطه الإمام الغزالى بقوة الحاكم وأهليته وشرعيته الدينية كإمام، وليس في امتلاك أدوات القدرة والاعتماد عليها في حفظ أمن واستقرار المجتمع، ومن ثم فإنه يرى أن الطاعة يجب أن تتبع من اقتطاع المحكومين أو الرعية بقدرة الحاكم على تسيير شؤون البلاد بما يكفل ويفعل المصلحة العامة، وليس لأنه يملك القوة و النفوذ اللذين يفرضان طاعته على المحكومين.²

بينما اطلق ابن خلدون في تحديده لمفهوم الاستقرار السياسي من العصبية ومساهمتها في اختيار الحاكم للسلطة السياسية، لأنها عبارة عن مجموعة من الناس تربط بينهم روابط الدم والقرابة، تختار من بينها القائد القوي وترشحه لتولي الحكم وتمنحه رضاها وتأييدها، لكن رغم أهميتها إلا أنها قد تسبب في حدوث صراعات داخل المجتمع نتيجة تناقض العصبيات فيما بينها للوصول إلى السلطة التي تمثل لهم القوة والنفوذ.³

¹- ابن سينا أبي علي الحسين بن علي (ت 468هـ): الشفاء الإلهيات، مر: ابراهيم مذكور، تح: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطبوعات والأمريكية، 1960، ج 2، ص 451.

²- محمد صالح بوعافية: الاستقرار السياسي، قراءة في المفهوم والغايات، مجلة دفاتر السياسة والقانون، الع 15، 2016، ص 314.

³- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي (ت 808هـ): العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، (د.ت)، ص 73.

ومما نقدم نلاحظ أن الاستقرار السياسي ربط بصورة مباشرة بشخصية الخليفة، ومدى كفاءته باعتباره صاحب السلطة العليا في البلاد، فقوة شخصيته وحذكته ستمكنه قدرة عالية على تحقيق العدالة والقبول لدى مختلف الفئات والطوائف في الدولة، وتمكنه من ضبط الأجهزة الإدارية والاقتصادية وتعيين الأكفاء لتسيرها ومراقبتها، كما أنها تجعله ذا مقدرة على التعامل مع مختلف الصراعات داخل وخارج الدولة، وغياب هيبة وقوة الخليفة ستخلق حتماً جواً مناسباً لبروز مظاهر الاضطرابات السياسية، ومن هذا المنطلق تدرجت في مباحث هذا الفصل.

المبحث الأول: الصراع حول السلطة و السيطرة على مؤسسة الخلافة.

1. نظام ولادة العهد و استئثار العناصر الأجنبية بالسلطة:

واجهت الخلافة العباسية كثيراً من المشاكل حول ولادة العهد؛ وذلك لغياب نظام موحد لها، فقد كان الغالب على أخذ البيعة هو الإكراه خاصةً خلال الفترة الأولى من الحكم نظراً لقوة الخلفاء العباسيين ، أما الفترات التالية من الخلافة فكان الغالب على أخذ البيعة للخلفاء هو تدخل العناصر غير عربية في المبايعات كالأتراك والبوهيميين؛ مما انعكس سلباً على مؤسسة الخلافة فنتج عن ذلك انعدام الاستقرار السياسي في العديد من الفترات، فكان من الخلفاء منْ أخذ البيعة لواحد أو أكثر من أبنائه، ومنهم من عهد لإخوته، والبعض الآخر عهد لأقربائه، ومنهم من لم يعهد لأحد.

يعتبر هارون الرشيد (170هـ-193هـ / 786م-809م) أول خلفاء بني العباس الذين أخذوا البيعة لأكثر من واحد من أبنائه ، فرغم ما حقق من إنجازات في عهده إلا أنه أحدث الفتنة بين أبنائه بعد أن عهد بالخلافة لابنه محمد ولقبه بـ "الأمين" سنة 175هـ/791م، ثم بايع من بعده لابنه عبد الله ولقبه "المأمون" وولاه ممالك خراسان بأسرها، ثم بايع لابنه

القاسم من بعد الأخوين سنة 186هـ/803م، ولقبه "المؤمن" وولاه الجزيرة والشغور وهو

¹ صبي.

ساهمت الأطراف الخارجية في التأثير على الرشيد وأخذه للبيعة، فقد اختار ابنه الأمين ولية للعهد رغم أنه كان يرغب في تعيين المأمون لحسن سيرته، ولما تميز به من تقوى واستقامة ومن صفات جعلت منه رجل جماعة وقائد أمة²، فرأى الرشيد أن خير أمر أن يستكتبهما العهد فيقطع الخلاف بين الأخوين، ويحول دون دسِّ الدسائس وسعاية الساعين³ فباجع للولد بعد الآخر،⁴ إلا أنه آثر الأمين حيث كانت للزبيدة أم الأمين دور في ذلك القرار لما لها من مكانة عند الرشيد، كما أيده بنو هاشم في قراره هذا باعتباره هاشمي الأبوين، وذلك لم يجتمع لغيره من الخلفاء من بنى العباس.⁵

اعتبرت المصادر ما قام به الرشيد أول وهن جرى في دولة الاسلام من حيث الامامة بقولهم " فهو بذلك ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة الرعية".⁶

¹- الطبرى ابى جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحرير: محمد أبوا الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط 2، (د.ت)، ج 8، ص 186؛ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحرير: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1990، ج 10، ص 11.

²- أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، مؤسسة هنداوى، 2013، ص 216.

³- المرجع نفسه، ص 217.

⁴- جميل نخلة المدور: تاريخ العراق في عصر العباسين المسمى حضارة الاسلام في دار الاسلام، دار الآفاق العربية، ط 1، 2003، ص 103.

⁵- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (849هـ - 911هـ): تاريخ الخلفاء، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط 3، 2013، ص 235.

⁶- الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 275؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 10، ص 11؛ السيوطي، المصدر السابق، ص 464.

تولى الأمين الخلافة (193هـ-198هـ / 808م-813م) بعد موت الرشيد، ولم تمضي سنة على خلافته حتى أمر بالدعاء على المنابر لابنه موسى بالإمرة،¹ فقد أفسد قوم قلب الأمين على المأمون وأوقعوا الشر بينهما، وزينوا له أن يبأي لابنه بولادة العهد ومن بعد يخلع المأمون، ففعل ذلك وجمع العهود التي كتبها الرشيد وأحرقها وجرت الوحشة بينهما.²

بدأ خلاف الحال بين الأمين والمأمون سنة 195هـ / 810م وعزم كل منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما أخذ عليهما العمل به في الكتاب،³ وهنا يظهر دور الحاشية المحيطة بالأمين والمأمون في الحرب الأهلية بينهما وأهم من يمثل تلك الحاشية: "الفضل بن الربيع" و"علي بن عيسى بن مهان" إلى جانب الأمين، و"الفضل بن سهل" و"طاهر بن الحسين" إلى جانب المأمون،⁴ انتهت الحرب بين الأخوين بقطع رأس الأمين، وتسليم المأمون المأمون الخلافة وكان ذلك سنة 198هـ / 786م.⁵

يلاحظ -بعد تتبع أحداث الفتنة- أن الأخوين لم يكونا يحملان لبعضهما كل هذه الكراهية والبغض، وإنما الزعامة كانت للطرفين المناصرين؛ وهما رجلان قويان كان كلاهما يسعى إلى النفوذ والاستئثار بالسلطة وإلى القضاء على خصمه، فمن جهة كان "الفضل بن سهل" الفارسي الموالي للمأمون والطامح إلى الاستئثار بوزارته، ومن جهة أخرى كان "الفضل

¹ - ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم (213هـ - 276هـ): المعرف ، تج: ثروت عكاشه، دار المعرف، القاهرة، ط4، (د.ت)، ص385؛ السيوطي، المصدر السابق، ص474.

² - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت284هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط1995، 6، مج2، ص436.

³ - الطبرى، المصدر السابق، ج8، ص365.

⁴ - أحلام بنت حمود بن مبارك: نظام ولادة العهد في العصر العباسي الأول (132هـ - 247هـ / 750م - 861م)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، عمان، ص145.

⁵ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص387.

بن ربيع" العدو التقليدي للنفوذ الفارسي أراد هو الآخر الفوز بوزارة الأمين، وأن يقف حجرة عثرة أمام طموح العناصر الفارسية التي كان يحس بأنها حرمته من حقوقه.¹

وبغض النظر عن سير أحداث الفتنة؛ فالواضح أنها أذكت روح الحقد بين الأشقاء وورطت الدولة العباسية في حرب عصبية، ولم تكلفها تبذير ميزانيتها وفقدان إمكانياتها البشرية فحسب، بل أوقعت المسلمين في رذيلة التاجر الفوضوي حتى صارت تجسد الصراع العربي الفارسي في أعلى مراحله،² كما يعد هذا الصراع أحد أهم مظاهر فساد مبدأ العباسيين في تحقيق الوفاق والتلاحم بين القوميات التي حكمتها دولتهم، والذي كان أحد أهم مبادئ ثورتهم ضد الأمويين وأحد شعاراتهم التي كانوا ينادون بها في كل المناسبات.³

بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الأخيرين عمل المأمون على عزل أخيه القاسم عن ولاية العهد، وكتب منشوراً بذلك في ربيع الأول سنة 198هـ / 786م،⁴ وأمر بجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه "نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنه فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا"⁵ فباع له بولاية العهد سنة 201هـ /

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 364.

² - بشار قويدر: قضية ولاية العهد في الخلافة العباسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة الجزائر، الع 5، ج 1، 1993، ص 47.

³ - المرجع نفسه، ص 48.

⁴ - بن خياط أبي عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفوري (ت 240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط 2، 1985، ص 468.

⁵ - علي بن موسى الرضا: هو الإمام الثامن من الأئمة الاثني عشر عند الشيعة؛ صابر عبده ابا زيد: مناهج أهل السنة في الرد على الشيعة القدرية، عرض تحليل نصي، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 114.

788م ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر بطرح السواد ولبس الأخضر وكتب بذلك للأمسار،¹ فهو بذلك حاول نقل الخلافة من العباسين إلى العلوين.²

لما بلغ أهل بغداد قرار المأمون استنفروا لخروج الخلافة من بني العباس، واتفقوا على خلع المأمون وأخذ البيعة "لإبراهيم بن المهدى" وبايعوه في المحرم سنة 202هـ / 789م ولقبوه "بالمبارك"، وأوشكت الخلافة على التبدل بسبب هذا القرار حيث تعرض المأمون للعزل وإعادته سنة (204هـ / 791م) بعد موت العلی.³

¹ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص387؛ المسعودي أبي الحسن بن علي (ت346هـ)؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، (د.ت)، ج4، ص24.

² - العلوين: ينتمي هذا الفرع من بني هاشم القرشيين المكيين إلى ابن عم النبي صلی الله عليه وسلم وهو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب القرشي رضي الله عنه، وصارت كلمة "علوي" تطلق على كل من وافق على علي بن أبي طالب وسار في نهجه، ثم صار يطلق على ذريته فقط، ثم تحول العلويون - كقادة وأنصار - بعد عقود من الزمن إلى طائفة دينية شيعية يقدسون الامام علي بن أبي طالب الذي يعتبر بنظرهم أول امام للمدرسة الاثني عشرية، إلى جانب القسم الآخر من الشيعة وهم الاسماعيلية؛ هدى محمد سعيد سندى: الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسين خلال العصر العابسي الأول 232هـ- 847م / 749هـ- 2022، الع 30، المجلد 1، ص215.

اعتبر العلوين أن النبي صلی الله عليه وسلم نص على امام علي وأن علي نص على امامة أبنائه من بعده، وكل خلافة غير علوية تكون غير شرعية في نظرهم لأن الامامة لا تخرج منهم الا بظلم من غيرهم أو بتقية منهم. ومن هذا المنطلق لم يعترف عامة الشيعة خلافة الراشدين والأمويين والعباسين غير شرعية؛ الشهريستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت548هـ)؛ الملل والنحل، تح: عبد الأمير على منها، وعلى حسن فاعود، دار المعرفة، لبنان، (د.ت)، ص198.

³ - ابن كثير ابو الفدا الحافظ (ت774هـ)؛ البداية والنهاية، مكتبة المعرفة، لبنان، 1991، ج11، ص50.

لم يعالج المأمون مشكلة ولادة العهد طيلة مدة حكمه، فقد ولى العهد لأخيه المعتصم بالله¹، وبغض النظر عن السبب الحقيقي الذي دفع المأمون لخلع أخيه القاسم فإن الرشيد أعطاه حرية التصرف في ذلك، فإذا أفضت الخلافة إليه كان أمره إليه إن شاء أن يقره أقره وإن شاء أن يخلعه خلعه.²

لم تذكر المصادر كيف عهد المعتصم بالله (218هـ - 833م) لابنه الواقع بالخلافة من بعده، ولكن ترد إشارة نلمس من خلالها رغبة المعتصم بالعهد لابنه، حيث بقي مدة في الخلافة ولم يعهد لأحد من أولاده؛ وكان "اسحاق بن ابراهيم الموصلي" المغني توعد أنه لا يغني إلا ل الخليفة أو ولوي عهد، فاستدعاه يوما هارون بن المعتصم - الواقع - ليغnyi له فامتنع، فشكاه لأبيه، فأحضره المعتصم قائلا: "ويلك يا أبا اسحاق بلغني أمرك أنك تتكبر على هارون، فردا: انني حلت يا أمير المؤمنين لا أغني إلا ل الخليفة أو ولوي عهد، فقال: "امضي وغnyi له فلا شيء عليك" فعلم الناس أنه قد ولاه العهد،³ وكانت بيعة الواقع (227هـ - 842م) في اليوم الذي توفي فيه المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة بقية من شهر ربيع الأول.⁴

¹ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص391؛ التميمي أبي حاتم محمد بن حيان ابن احمد (ت354هـ): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تتح: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، (د.ت)، ص339.

² - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص293؛ الطبرى، ج8، ص499؛ مجهول: العيون والحدائق وأخبار الحقائق، تتح: عمر السعیدي، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، (د.ت)، ج3، ص417.

³ - ابن العمرياني محمد بن علي بن محمد (ت580هـ): الأنباء في تاريخ الخلفاء، تتح: قاسم السامرائي، الأفاق العربية، مصر، 1999، ط1، ص104-105.

⁴ - ابن قتيبة، مصدر سابق، ص393؛ ابن الأثير محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تتح: أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ج7، ص73؛ السيوطي، المصدر السابق، ص354.

توفي الواشق ولم يعهد بولاية العهد من بعده لأحد، فضرب بذلك التقليد الذي سار عليه من سبقه من الخلفاء،¹ وقع المأمور(232هـ-247هـ/847م-861م) في نفس الخطأ الذي وقع به جده هارون الرشيد(170هـ-193هـ/786م-809م)، حيث قسم سنة 235هـ/850م الأرض بين أبناءه الثلاثة: المنصور والمعتز والمؤيد، وعقد لكل منهما لواءين أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل حيث كتب بينهم كتاباً،² فقد أراد بذلك تقوية النفوذ العباسي والسيطرة على جميع أجزاء الدولة، والتقليل من مركبة الأتراك والحد من تطلعاتهم.³

كان من المفروض أن تسير الأمور سيرها الطبيعي بين الإخوة لولا تدخل المأمور(232هـ-247هـ/847م-861م) في الأمر، وذلك لما أراد تقديم المعتر وتأخير المنصور، مما أثار الحقد بين الأخوة ووقع الخلاف بين المأمور والمنصور، فعندما لم يتنازل محمد المنصور عن حقه في ولاية العهد "تال ابنه محمد بأنواع الذلة والهوان"،⁴ فقد عزم على خلع ابنه المنصور من العهد وتقديم المعتر عليه لفريط محبته لأمه⁵ "قبيبة".⁶

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 145.

² - المصدر نفسه، ج 9، ص 162.

³ - محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، مطبعة الاستقامة، ط 4، 1934، ص 267.

⁴ - المسعودي الحسن علي بن الحسين (ت 345هـ): التبيه والاشراف، تص: عبد الله اسماعيل الصادق، مكتبة المثنى، بغداد، 1938، ص 313.

⁵ - اليافعي أبي السعادات عبد الله بن سعد (ت 768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ج 2، ص 114.

⁶ - قبيحة: من جواري المأمور المشهورات بالجمال وهي رومية الأصل، سميت بقبيحة من باب المضادة على التسمية خوفاً عليها من الإصابة بالعين، ولدت للمأمور ولدان هما المعنزع بالله وأخوه اسماعيل، توفيت قبيحة بسامراء سنة 264هـ/877م؛ ابن الساعي تاج الدين أبي طالب على بن أنجب

كان يُحضره مجلس العامة ويحط منزلته، ويتهده ويُشتمه ويتوعده، وهذا ما يدل على سوء العلاقة بين المتكفل وابنه المنتصر فأصبح لكل منهما حزب مؤيد له، واشتد الصراع بين الفريقين وراح المتكفل ضحية هذا الصراع، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه لأنَّه كان يسعى للقضاء عليهم، فقتل في شوال من سنة 247هـ / 861م¹، اعتبر تدخل قبيحة استمراً لنفوذ من سبقها من الحرير.

تولى بها المنتصر الخلافة بالطريقة كانت بمثابة إنذار للبيت العباسي كله، فمن أراد أن يتولى الخلافة فعليه الخضوع التام لرغبة الأتراك وإن لا سيكون مصيره القتل، ومن الطبيعي أن يصبح المنتصر أسيراً لنفوذ الأتراك بعد أن شارك في قتل والده معهم بل قتل سلطان الخلافة وكل خليفة بعده، فبلغ الأتراك درجة لم يكن أحد يستطيع الوقوف على معارضتهم.²

استقرت الأمور للمنتصر تفوض بعد أن "بُغا التركي"³ في شأن المعتز والمؤيد، وقرروا عزلهم وأجبروا المنتصر على ذلك لماً أحسوا بخطر هاذين الحدفين، فما كان للمنتصر إلا السمع والطاعة لضعفه أمام قوة الأتراك وجبروتهم، فاستسلم لأمرهم وعزل أخيه من ولاية

(ت674هـ): نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والأمام، تحرير: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص93.

¹ - السيوطي، المصدر السابق، ص544؛ اليافعي، المصدر السابق، ج2، ص115.

² - أحمد ابراهيم الشريف وحسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، ص335.

³ - **بُغا التركي**: هو بُغا الكبير أبو موسى التركي قائد عسكري تركي الأصل، كان في بداية حياته مملوكاً للحسن بن سهل الوزير، وهو مشهود له بالشجاعة والإقدام، كان جندياً في عهد المعتض، وأصبح قائداً عسكرياً في عهد الواثق بالله، ثم أصبح معاوناً في عهد المتكفل على الله سنة (343هـ / 954م)، ثم ولاد المستعين بالله ديوان البريد لما تقدم في السن، كان له دور كبير في التآمر على الخليفة المتكفل وهو أول من بادر بقتله لأنَّه كان يقف فوق رأسه، وزاد أمره في آخر أيام المستعين إلى أن وثب بُغا ووصيف عليه وقتلوه؛ الصفدي صلاح الدين خليل (ت764هـ): الوفي بالوفيات، دار صادر، بيروت، ط2، (د.ت)، ج10، ص71.

العهد مدعى خوفه عليهم،¹ فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وهددوه بالقتل حتى أجاب وخلع نفسه، وكتب المؤيد والمعتز ذلك بخطهما،² وبذلك خالف المنتصر هو الآخر ونكت بالعهد.

برر المنتصر فعلته بقوله: "أترياني خلعتكم طمعا في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبaidu له، والله ما طمعت في ذلك ساعة قط، وإن لم يكن في ذلك طمع، فوالله لأن يليها بنو أبي أحب إلي من أن يليها بنو عمي، ولكن هؤلاء وإنما إلى سائر الأموال من هو قائم وقاعد أحواله عليا في خلعتكم، فخفت إن لم أفعل أن يعرضكم بعضهم بحدبده فيأتي عليكم، فما ترياني صانعا".³

لم يستطع الخليفة المنتصر بالله (247هـ - 861م) أن يحتفظ بالخلافة أكثر من ستة أشهر، فكما كان وصوله للخلافة سهلاً كان خلعه سهلاً؛ ولم يكتفي الأتراك بإجبار الخليفة على التنازل فحسب بل وصلوا به إلى أعلى من ذلك، وهو السهولة في القتل كما فعلوا بوالده المتوكل من قبل، فلم يبق للخليفة عندهم حرمة وهيبة وقاموا بتجريده من كل شيء فأخذ يعلن سخطه وتبرمه ويسب الأتراك ويهددهم بالقتل، وينكر الطبرى أن المنتصر لما آلت إليه الخلافة كان يقول في الأتراك "هؤلاء قتلة الخلفاء".⁴

قرر الأتراك قتل الخليفة المنتصر بالله فأعطوا طبيبه ابن طيفور ثلثين ألف دينار ليقوم بقتله، فوضع له السم في كمثري لأن المنتصر كان يحب الكمثري ويكثر من أكلها،

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 244.

² - المصدر نفسه، ج 9، ص 237.

³ - الذهبي ، المصدر السابق، ج 18، ص 20.

⁴ - المسعودى، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 4، ص 109؛ الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 252؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامى - الدولة العباسية ، المكتب الإسلامي ، ط 6، 2000، ج 6، ص 50.

وعندما اشتدت حرارته فصده بريشة مسمومة فمات، وتوفي المنصر وهو ابن ستة وعشرين سنة بسامراء سنة 248هـ/862م.¹

بدأت فترة من الفوضى السياسية (247هـ-256هـ/861م-870م) في الخلافة العباسية كان الأتراك خاللها اليد العليا، فكان "ال الخليفة في يدهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه"² حيث أنهم نجحوا في التلاعب بسياسة الخلافة والتدخل في أعلى سلطة فيها، فكانت ل فعلتهم أثر واضح على منصب ولاية العهد لما يشكل هذه المنصب من أهمية في الدولة، فاختاروا الخليفة حسب مصالحهم الذاتية غير معتبرين المصلحة العامة.³

بعد مقتل الخليفة المنصر بالله سنة 248هـ/862م، انفق أرباب الدولة من الأتراك بغا الكبير، وبغا الصغير⁴، وأتمش التركي⁵ على ألا يولوا الخلافة لأحد من أولاد المتوكل،

¹- الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 253؛ المسعودى، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 4، ص 109؛ مسکویه أبي عليّ احمد بن محمد بن یعقوب (ت 461هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ترجمة سيد كصوی حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج 4، 145.

²- ابن الطقطقى محمد بن علي بن طباطبا (709هـ): الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 243.

³- مساعد بن مساعد محمد الصوفى: العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ-334هـ)، رسالة ماجيستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، 2008، ص 81.

⁴- بغا الصغير (ت 254هـ/868م): المعروف بالشرابي، كان من كبار قادة المتوكل، ثم انقلب عليه وقتل مع بعض القادة الأتراك الآخرين؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 194.

⁵- أتمش التركي (ت 249هـ/863م): اتخذه الخليفة المستعين بالله وزيرا، وولاه على مصر والمغرب سنة 248هـ/862م، وكان الخليفة المستعين بالله قد فوض أمر الخلافة والتصريف في أموال بيت المال إليه، وكان أخص من عند الخليفة وهو بمنزلة الوزير، أسرف أتمش فيأخذ الأموال حتى لم يبق في بيت المال شيء، فغضب الأتراك من ذلك وغاروا منه فاجتمعوا وركبوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم، ولا دفعهم عنه، فأخذوه وقتلوه وأخذوا أمواله وداره وذلك سنة 249هـ/863م؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 154.

لكونهم قتلا أبوهم وخوفهم أن يغتالهم من تولى الخلافة من أولاده، فأجمعوا على اختيار أحمد بن محمد بن المعتصم كردي لجميل الخليفة المعتصم،¹ ولقبوه بالمستعين بالله (248هـ - 862م) وبابيعوه،² كان مستضعفا في رأيه وعقله وتدبره ولم يكن فيه من الخصال المحمودة إلا أنه كان كريما، مما انعكس على أوضاع الخلافة حتى قيل "فكان في أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب"،³ فغایتهم من ذلك الاستئثار بالسلطة.

اقسم كبار الترك المناصب السيادية فعين ابن الخصيب كاتباً للخليفة واحتفظ "بغا ووصيف"⁴ بمكانهما كمستشارين مقربين للخليفة بشكل رسمي حاجزين عليه بشكل فعلي،⁵ فلم يكن للمستعين أمر مع وصيف وبغا حتى قيل في ذلك:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 256؛ ابن الطقطقى، المصدر السابق، ص 240؛ السيوطي المصدر السابق، ص 284.

² - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 257. مسکویه، المصدر، ج 4، ص 147؛ التویری شهاب الدین احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)؛ نهاية الارب في فنون الأدب، تحرير: عبد المجيد ترحبى، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ج 22، ص 224.

³ - السيوطي، المصدر السابق، ص 284.

⁴ - وصيف التركى (ت 253هـ)؛ من كبار القادة العسكريين الأتراك، كان غلام الخليفة العباسى المتوكى على الله، لما مات الخليفة الواقى بالله كان لوصيف دور كبير في تولية العهد للمتوكى الخليفة، لما علا شأن الترك في الخلافة وأصبح بيدهم العقد والحل وجمعوا الكثير من الأموال، أراد الخليفة المتوكى أن يصادر أملاك وأموال وصيف التركى، لكثرة أمواله وخزائنه، فتعصب له باغر التركى، وانحرف الأتراك فدخل باغر ومعه عشرة أتراك وقتلوا المتوكى، وقتل وصيف على يد مجموعة من الجنود سنة 253هـ / 867م في عهد الخليفة المعتز بالله، المكي عبد الملك بن حسن بن عبد الملك الشافعى العاصمى (ت 1111هـ)؛ سبط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى، تحرير: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ط 1، ج 3، ص 466.

⁵ - فكري وليد: دم الخلفاء النهايات الدامية لخلفاء المسلمين، الرواق للنشر والتوزيع، 2017، ص 178.

يقول ما قال له كما تقول البغاء¹

عزم المستعين(248هـ-252هـ/866م-866م) على أخذ البيعة لابنه العباس سنة 249هـ/863م،² إلا أنه تم خلعه بسبب الفتنة التي جرت بين الأتراك سنة 251هـ/864م،³ وكان عزله بعد تعرضه للضرب والإهانة والتعذيب من الأتراك لاجباره على خلع نفسه.⁴

عمل الأتراك على سد الفراغ الذي خلقه المستعين بالله في الخلافة ، فوجدوا ضالتهم في محمد بن المتوكل ولقبوه بالمعتز (252هـ-255هـ/866م - 869م)، ورضوا به رغم صغر سنه، حيث كان عمره ثمان عشر سنة فكان أسهل لهم في فرض سيطرتهم على الخلافة واستولوا على المملكة فكان بيدهم كالأسير،⁵ كما عملوا على شن الدسائس بين الخليفة المعتز بالله وأخيه فقام المعتز بخلع أخيه وسجنه، وذهب به الأمر إلى أن أمر بقتله بعد أن علم أن الأتراك يريدون أن يخرجوه من السجن ويبايعوه بالخلافة،⁶ ثم بايع ابن عميه المهتدي بالخلافة في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة 255هـ/869م،⁷ لكن لم يقبل بيته أحد فأتى بالمعتز فخلع نفسه وأقر بالعجز عما أسنده إليه والرغبة في التنازل عن

¹- السيوطي، المصدر السابق، ص285.

²- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص133.

³- المصدر نفسه، ج4، ص134؛ التميمي أبي حاتم محمد بن حيان ابن أحمد (ت354هـ): السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تتح سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د.ت) ، ص341.

⁴- ابن قتيبة، المصدر السابق، ص393. المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص133. ابن الكريوش عبد الملك بن محمد (ت575هـ): الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تتح صالح عبد الله العامدي، اصدارات عمادة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2008، ص1545.

⁵- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص134.

⁶- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص142.

⁷- ابن قتيبة، المصدر السابق، ج394؛ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص147؛ أبي الفدا عماد الدين اسماعيل (ت730هـ): المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ط1، (د.ت)، ج2، ص46.

الخلافة فبایعه،¹ يذكر الأزدي انه "ليس من نسل المعتز خليفة"،² وبهذه الأفعال يكون المعتز قد أبطل منصب ولایة العهد واتفق مع الأتراك على ما يريدون؛ فلم يكن له من الخلافة إلا الاسم.³

وقف الخليفة المهتمي (255هـ - 870م، 256هـ - 870م) متصدياً للأتراك، حيث لم يطب له البقاء وذهب ضحية للمؤامرات وقتل سنة 256هـ،⁴ فقد عبر جلياً عن موقفه المعادي لهم بقوله "أريد قلع هؤلاء الأتراك وتطهير الدنيا منهم"؛⁵ إلا أنه أهمل أمر ولایة العهد حيث لم يلي هذا الأمر لأحد ليتقوى به على أعدائه وأعداء دولته، فقد كان له خمسة عشر ولداً ذكوراً،⁶ لم يحمل على أحد منهم الخلافة ويُقْعِدَه تحت طغيان الأتراك وغدرهم كما حل بغيرهم من الخلفاء العباسيين؛ فكان يقول "وما أريد إلا القوت لنفسي ولولدي وما أريد فضلاً إلا لإخوتي فإن الضيق قد مستهم".⁷

عاشت الخلافة العباسية خلال الفترة (256هـ - 908م / 870م - 295هـ / 892م) انتعاشاً مؤقتاً، فبتوبي المعتمد على الله الخلافة (256هـ - 279هـ / 870م - 892م) بدأ عهد جديد عرف بالاستقرار والهدوء النسبي، وقد وصف صاحب الفخرى خلافته قائلاً: "كانت دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه الموفق طحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة والسلكة

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 201.

² الأزدي جمال الدين أبو الحسن على بن منصور (ت 361هـ): أخبار الدول المنقطعة، تحرير: عصام مصطفى هزامية وآخرون، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط 1، 1999، ج 2، ص 46.

³ مساعد بن مساعد، المرجع السابق، ص 84.

⁴ الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 456.

⁵ ابن العمري، المصدر السابق، ج 1، ص 136.

⁶ الكتبي محمد بن شاكر (764هـ): فوات الوفيات، تحرير: احسان عباس، دار صادر، بيروت، مجلد 4، (د.ت)، ص 51.

⁷ الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 396.

والتسمى بإمرة المؤمنين، ولأخيه طحة الأمر والنهي وقيادة العساكر ومحاربة الأعداء ومراقبة التغور وترتيب الوزراء والأمراء¹، حيث ساس طحة الدولة وأصلاحها بعدها فسدت².

Sad بين صفوف القواد الأتراك انقسام مما أدى لتزعزع قوتهم، فانتفقوا على أن يولوا إمرة الجيش لشخص ليس منهم، فاجتمعت كلمتهم على تولية أخو المعتمد وهو أحمد أبو طحة الذي لقب "الموفق" لأنه كان يتصف بالمقدرة العسكرية الممتازة والحزم؛ عرف باسم "السفاح الثاني" حيث اجتمعت فيه من الصفات ما لم يجتمع في إخوته وأعمامه، فلولا الموفق لذهب ملك بني العباس، فقد تمكن من السيطرة على السلطة وأصبح سيد الخلافة العباسية وهابه الجند والقادة من الأتراك، ولم تعد لهم سيطرة على سياسة الخليفة وتسمى "الناصر لدين الله" بالإضافة إلى الموفق وخطب له على المنابر.³

تولى المعتصم بالله الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد (279هـ-892م)، وسار على نهج والده الموفق في إقرار هيبة الخلافة والقضاء على سطوة الأتراك، فلم يجرأ أحد من الأتراك أن يخرج من طاعة الخليفة؛ والجدير بالذكر أن المعتصم قام بنقل الخلافة من سامراء إلى بغداد وذلك ليحد من هيمنة الأتراك وسيطرتهم على الخلافة التي أصبحت أسيرة في أيديهم⁴، وصف السيوطي أيامه أنها "أيام طيبة، كثيرة الأمن والرخاء"¹ فكان يسمى المنصور الثاني لشجاعته ودهائه وخبرته بالأمور.²

¹- ابن الطقطقي ، المصدر السابق، ص 250.

²- ابن العمراني، المصدر السابق، ج 1، ص 137.

³- المصدر نفسه، ج 1، ص 137. البلخي أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت 366هـ): البدء والتاريخ، تع: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 303.

⁴- الأربيلي عبد الرحمن سنباط قنيلو (ت 717هـ): خلاصة الذهب المسبوك، مكتبة المثلث، بغداد، (د.ت)، ص 235.

كما بُويع للمكتفي بالله (289هـ-902م / 295هـ-908م) بالخلافة بعد وفاة والده المعتصم بعده منه في جمادى الأولى سنة 289هـ/901م³، حيث أنه سار على نهج المعتصم في إحكام السيطرة وفرض السلطان في بغداد، إلا أنه ارتكب خطئاً كبيراً في مسألة ولادة العهد فلم يتخد أي إجراء رسمي فيها مما أفسح المجال للقادة والوزراء للتدخل في هذا الأمر، فانتهز الأتراك الفرصة لوقف استمرار تعاقب الخلفاء الأقوية أمثال المعتصم والمعتصم وعادوا إلى سيرتهم الأولى في اختيار الخلفاء الضعفاء، ويعتبر المكتفي بالله آخر خلفاء الاستقرار المؤقت، فكانت وفاته ضربة قوية للخلافة العباسية وعودة لغلب الأتراك على السلطة.⁴

بُويع المقدّر بالله (295هـ-908م / 334هـ-946م) بالخلافة وهو ابن ثلث عشر سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه⁵، خضع تعينه لعدة اعتبارات حيث اشترط القادة أن "لا يولي من عرف نعمة هذا، وستان هذا، وضيعة هذا وفرس هذا، ومن قد لقى الناس لقوه، وعاملهم وعاملوه ويتخيل ويحسب بحسب حساب نعم الناس، وعرف وجوه دخلهم وخرجهم".⁶

اعتبر عصره عصر شغب وتسليط وانقسام بين القواد والوزراء والقضاة فانقسموا بين مؤيد ومعارض لخلافته⁷، وكانت أمه قائمة على أمره وأمر دولته من تولية وعزل حيث أصبحت أهم شخصية في البلاط وصارت الأمور تسير بمقتضى تدبيرها، فمن الواضح أن

¹ - السيوطي، المصدر السابق، ص 293.

² - ابن العمري، المصدر السابق، ص 140.

³ - المصدر نفسه، ج 2، ص 304؛ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 4، ص 218.

⁴ - فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية -السقوط والانهيار- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2003، ج 2، ص 55-56.

⁵ - السيوطي، المصدر السابق، ص 300.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 438.

⁷ - الطبرى، المصدر السابق، ج 10، ص 139؛ مسکویه ، المصدر السابق، ج 5، ص 3.

تأثيرها بصورة عامة كان ممراً؛ إذ أنها أفسدت ابنها بتشجيعه على الانهماك في الملاذ والتبذير.¹

بعد مضي سنة أو أقل أي سنة 296هـ/908م اجتمع القواد والكتاب والقضاة – الذين كان بيدهم تدبير أمور الدولة – على خلع المقترن بالله، واجتمع رأيهم على تولية الخلافة لعبد الله بن المعتز، ويرجع السبب في اجتماعهم على خلعه إلى صغر سنه وقصوره عن تدبير الأمور واستلاء أمه على الخلافة.²

تمت البيعة لعبد الله ابن المعتز ولقب بالمرتضى بالله سنة 296هـ/908م، ولم يدم ابن المعتز في خلافته سوى يومين حتى وثب عليه عدد من غلمان المقترن، فحاربوا أتباع ابن المعتز فشتبهوا وقتلوا منهم عدد كبير وقبض على ابن المعتز وأعيد المقترن بالله في خلافته.³

بعد انقضاء خلافة المقترن عمل الأتراك على اختيار خليفة وفق شروط، وذلك لما عانوه من اضطرابات بسبب ضعف شخصية المقترن، رافعين شعار نريد اختيار من "قد استرخنا من خليفة له أم وخالة، وخدم يديرونه فنعود إلى تلك الحال، والله لا نرضى إلا برجل كامل، يدبر نفسه ويدبرنا".⁴

وذلك ما توفر حقاً في القاهر بالله (320هـ-322هـ/934م-932م) حيث يصفه صاحب الفخرى "مهيباً مقداماً على سفك الدماء أهوج محبأ لجمع الأموال ردي السياسية، صادر جماعة من أمراء أولاد المقترن وصادر أم المقترن فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس

¹ - حمدان عبد المجيد الكبيسي: عصر الخليفة المقترن بالله، مطبعة النعمان، النجف، 1974، ص 102.

² - الطبرى، المصدر السابق، ج 10، ص 140.

³ - المسعودي، التبيه والإشراف، المصدر السابق، ص 327؛ مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 5.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 75.

وعذبها بصنوف عظيمة من الضرب والتعذيب¹، لم يختلف الخليفة كثيراً عن المقتدر حيث خلع بعد سنة من توليته، وكان سبب ذلك أن وزيره ابن مقلة أفسد قلوب الجندي عليه ويخذلهم منه.²

بعد خلع القاهر بالله أصبح القادة الأتراك قلقين في شأن منصب الخليفة، فوقع اختيارهم على ما أشار به قائدتهم مؤنس حيث قال: "الرأي أن ننصب ولده أبا العباس أحمد في الخلافة فإنه تربיתי وهو صبي عاقل وفيه ديم كريم ووفاء بما يقول"،³ فبُويعوا بالخلافة للراضي بالله بعد خلع عمه القاهر بالله، في اليوم السادس من شهر جمادى الأولى سنة 934هـ/322م،⁴ في أيامه ضعف أمر الخلافة.⁵

كان مصير الخليفة الراضي بالله (322هـ-329هـ/934م-940م) لا يختلف عن سابقيه، وقد عبر ابن طباطبا عن استيائه من وضعه بقوله: "والله قد جاءني هذا الأمر وما شرعت فيه ولا أحببته ولا علم الله ذاك مني في سر ولا علانية، ولا جهلاً مني ما فيه من الشرق والجلالة لكنني لتغيير الأحوال وقلة الأموال وكلب الجندي وخاتم الدنيا وإنه يستحبني من الغم والأسف والغيب والاهتمام أكثر مما يؤمل من السرور واللذة وأرجوا أن يعيني الله بجميل نيتين فقد ضقت ذرعاً بما دفعت إليه".⁶

¹- ابن طباطبا، المصدر السابق، ص276.

²- المصدر نفسه، ص276.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص75.

⁴- الصولي محمد بن يحيى: أخبار الراضي بالله والمتقي لله، دار المسيرة، بيروت، ص1.

⁵-السيوطى، المصدر السابق، ص613

⁶- الصولي، المصدر السابق، ص16.

فعندما وجد الراضي نفسه عاجزا عن القيام بأعباء دولته أنسدتها لغيره، فذهب يبحث عن قوة تتولى إدارة الدولة بأكملها لذلك استحدث منصب "أمير الأمراء"¹ واستدعى ابن الرائق وقلده الإمارة ورياسة الجيش ولقبه "أمير الأمراء"، أصبح صاحب هذا المنصب منافسا لل الخليفة حيث علت مرتبته على مرتبة الوزير، فبطل في ذلك الوقت منصب الوزارة ولم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي والدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط،² أخطأ الخليفة الراضي بالله بأن سلم دولته في يد أحد الطامعين من الأتراك بإعلان صريح يسمح له بتصرف في شؤون الدولة دون الرجوع إلى سلطة الخليفة؛ وهذا بمثابة خلية على المؤمنين.³

فال الخليفة لم يتخيل له أن الأمور سوف تتخذ طابع التسلط وإلغاء السلطة في الخلافة العباسية، وأصبحت الدولة حلبة لصراع الأقوياء وظهور المنافسين العسكريين للوصول إلى منصب الأمير في الدولة متصرفين فيها كما يريدون، وفي هذه الظروف استفاد أصحاب الأطراف من أحداث الصراع والانشقاق بين القادة الأتراك معلنين عدم تبعيتهم للدولة العباسية، فقد تمكن البرidiون من السيطرة على خوزستان وسيطر البوهيميين على فارس،

¹- أمير الأمراء: هو نظام ومنصب سياسي جديد استحدثه الخليفة الراضي بالله في الخلافة العباسية عام (324هـ / 939م) ويعني نقل السلطات الدينية لل الخليفة إلى كبير الأمراء ويسمى أمير الأمراء، تتتوفر فيه صفات الريادة العسكرية والاختصاصات المدنية حيث يرمز للاختصاص الحربي بالسيف، ويرمز للاختصاص المدني بالقلم، ومن مهامه إمارة الجيش، إدارة المناصب المالية، الخطبة لأمير الأمراء على المنابر إلى جانب الخليفة ونقش اسمه على السكة بالإضافة إلى مظاهر الحفاوة والتجليل الأخرى؛ محمد قويسن: إمرة الأمراء العباسية (324هـ - 334هـ / 935م - 945م) وأول محاولة تجديد داخلية، مجلة التراث، الع20، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2015، ص207.

²- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسى الثانى، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996، ص33.

³- مساعد بن مساعد، المرجع السابق، ص 99.

والموصل بيد الحمدانيين والقراطسة في البحرين واليمامنة، ولم يبق للخليفة غير بغداد والحكم فيها لابن الرائق.¹

فهؤلاء الذين سلما المنصب لم يتمكنوا من التغلب على السبب الأساس في الأزمة المالية وهو تصاعد أطماع الجنود الأتراك الدليم، وانقسامهم على أنفسهم ونزاعاتهم المتكررة وفساد أحوالهم، وبذلك يمكن القول أن أحوال الدولة في عهد الخليفة الرازي اتصف بالضعف والتمزق وسيطرة المنفصلين على جسم الدولة، فكانت فارس تابعة لعلي بن بويه وأصفهان والري والجبل لأخيه الحسن بن بويه والموصى وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي الحمدانيين، ومصر والشام في أيدي محمد بن طفج ثم أعقبه الفاطميون.²

بعد وفاة الرازي اجتمع أمير الأمراء بحكم بالوزراء والقضاة واصحاب الدواوين للاتفاق فيما يلونه خليفة المسلمين وتم الاتفاق على تولية ابراهيم ابن المقتدر ولقب بـ **المتقي** بالله (940م-329هـ-333هـ).³

بaidu أمير الأمراء توزون عبد الله بن المكتفي ولقبه **بالمستكفي** بالله سنة (333هـ-334هـ/944م-946م)، بعد خلع ابن عمه المتقي بالله، وصار الخليفة الجديد تحت سيطرة توزون والقهرمانة⁴ "علم"¹، فقد ظل الخليفة يحكم عن طريق أمير الأمراء حيث يعتبر هو الحاكم الفعلي.²

¹- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 114-115.

²- ناجي عبد الجبار: الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مركز اسكندرية للكتب، مصر، 2003، ص 284.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 152.

⁴- القهرمانة: هي نوع من أنواع الجواري في المجتمع العباسي مع أنها أرفع منزلة و شأنها في شريحة الجواري التي تتنمي إليها، لأن هذه التسمية كانت تستعمل للإشارة إلى الوظيفة التي تخص الأمور المالية

أسباب الاضطرابات السياسية

بaidu أمير الامراء توزون عبد الله بن المكتفي ولقبه بالمستكفي بالله (333هـ).-
334هـ/ 944م) وصار الخليفة الجديد تحت سيطرة توزون والقهرمانة علم، ولم يختلف المستكفي عن سابقه حيث ظل أمير الامراء هو الحاكم الفعلي، وظل الخليفة يحكم عن طريق أمير الامراء فلم يكن له سلطة في الدولة ولا جهود في تسيير دفة الحكم، فقد وقع بين مسلط ومتغلب حتى انقضت أيامه وسقطة في عهده همجية الأتراك واسقاطهم من سجل الخلافة العباسية التي نجحت عقدا من الزمن في تسلطها على الخليفة وخلافته، وعجزت أمام صد خطر البوهيين واحتلالهم بغداد، حيث سقطت الحركات التركية، التي لم يستطع الخلفاء بني العباس من التخلص من نفوذهم في الدولة.³

كانت عاصمة الدولة العباسية بغداد مضطربة أشد الاضطراب في الوقت الذي اخذت فيه الهجرة البوهية تتجه نحو الجنوب، وكانت الأمور المالية مختلة أشد الاختلال وخزائن الخلافة خالية والخلفاء يقعون في ضائقات كبيرة نتيجة لتحكم الاتراك وجشعهم، كما كان الترك يلتقطون حول قواهم الذين يحققون لهم المصالح المادية، وليس للخلافة في واقع الأمر سلطة على هؤلاء الأجناد،⁴ يصف صاحب الفخرى أوضاع الخلافة عند دخول بني بوه

من الداخل والخرج في البلاط العباسى؛ سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (132هـ-656هـ/ 749م-1258هـ)، المنهل، (د.ت)، ص34.

¹-علم: من أهل شيراز كانت تسمى بحسن الشيرازية، كان لهذه المرأة دور كبير في تولية المستكفي بالله، حيث اشارت بتوليتها منصب الخلافة فعندما تولى الخلافة الخلاف صارت قهرمانة المستكفي وسمت نفسها علم وغلبت على امره كله، وبعد عزل المستكفي والقبض عليه قام معز الدولة بقطع لسانها؛ مسكوني، المصدر السابق، ج5، ص270، ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص188، 187.

²-مسكوني، المصدر السابق، ج5، ص270؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص187.

³- مساعد بن مساعد محمد الصوفي، المرجع السابق، ص 102.

⁴- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 496.

بقوله "اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة وتملك البويعيون وصارت الوزارة في جهتهم والأعمال إليهم وقرر للخلفاء الشيء طفيف برسم اخراجاتهم".¹

ونتيجة لسوء الأحوال دخل البويعيون² بغداد سنة 334هـ / 945م بقيادة أحمد بن بويع للقضاء على الفوضى التي عمّت البلاد واستولوا عليها، وبإيع الخليفة المستكفي بالله 333هـ - 944م / 334هـ - 946م) أحمد بن بويع وخلع عليه ولقبه "معز الدولة" ولقب أخاه أبا الحسن على بن بويع "عماد الدولة"، ولقب أخاه أبا علي الحسن بن بويع "ركن الدولة"، وأمر أن تضرب على الدنانير أسمائهم وكناهم.³

شهدت الخلافة العباسية مع دخول البويعيين⁴ بغداد بدء عصر جديد سيطرت خلاله أسرة شيعية على الخلافة العباسية السنوية وكانت إمارة وراثية، تتحكم في العراق دون الخلفاء العباسيين الذين أقصاهم البويعيون من الحياة السياسية، حتى أصبح وجودهم أمراً شكلياً.¹

¹ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 288.

² - تتنمي الأسرة البويعية إلى بويع بن فنا خسرو الديلمي، وكان بويعاً صياداً فقيراً انجب ثلاثة أبناء هم علي والحسن وأحمد، وقد سلك الأخوة الثلاثة الجنديّة، وخدموا الحاكم الساماني نصر بن احمد، ثم بعد ذلك أمير جيلان مakan بن كاكي الذي أصبح حاكم جرجان من قبل السامانيين، ثم انتقلوا بعد ذلك للعمل في خدمة مرداويج مؤسسة الدولة الزيارية؛ محمد نصر عبد الرحمن: إشكالية الهوية لدى البويعيين، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، الع 44، ج 1، 2006، ص 61.

³ - مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 275.

⁴ - ظهر بنى بويع الديلم في الشرق من العراق في مقاطعة فارس التي كانت تعاني كغيرها من الاضطراب الأمني والسياسي، بدأ دخول بنى بويع العراق عندما استجدى أبو عبد الله البريدي المتحكم بالبصرة بأحمد بنى بويع ضد أمير الامراء ابن الرائق، حيث كان عام 325هـ / 936م العام الذي شهد الوحشة بين البريدي وابن الرائق، وقد استغل أحمد هذا الصراع، واستولت قواته على بعض المناطق العراقية، لكنه تراجع عنها واسترد البردين تلك الأرضي لصالحهم. ومع الحالة المتردية والصراعات بين أمير الامراء وتوزون التركي وبين الحمدانيين استغل بنى بويع الفرصة فدخلت القوات البويعية إلى مدينة واسط، لكن بعد عقد الصلح بين الأطراف المتخاصمة اضطر بنى بويع للخروج مرة ثانية. استغل أحمد

بعد دخولهم بغداد استكملوا سياسة الانفراد بالسلطة فسلبوا الخليفة كل ما تبقى له من نفوذ منذ كان يحكم في الخلافة القادة الأتراك، ازداد أمر الخلافة إدبارا في خلافة المطیع الله (334-946هـ) فلم يبق له من الأمر شيئاً بتة؛ حيث استأثر معز الدولة بالسلطة من دون الخليفة الذي لم يبق له من الأمر شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة، ونقشه على السكة وحددت له اقطاعات يعيش فيها، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد،² ولم يكن للمطیع في ولايته من الحكم ما يستدل به على حاله.³

عزف بنی بويه عن فكرة تحويل الخلافة لأسرة علوية بما يناسب خلفيّهم الشيعيّة، لأن ذلك كان من شأنه إضعاف نفوذهم أمام الخليفة العلوی سیصبح في نظر الجند والرعيّة أحق بالطاعة، وسيصبح من السهل التخلص منهم إذا أراد الخليفة العلوی ذلك، بالإضافة إلى أن مثل هذه الخطوة كانت ستثير عامة السنة ذات الأکثريّة البویهیّة، وستثير أيضاً قوات الأتراك السنة، والبویهیّین كانوا في حاجة إلى هؤلاء الفرسان من الأتراك إلى جانب قوات المشاة من الدیلم.⁴

لم يتغير الخلفاء خلال هذه الفترة بسرعة كما كانوا يغيرون ويخلعون، حيث نلاحظ شيئاً من الاستقرار فالخلفاء يحكمون عشرات السنين دون أن يتعرض لهم أحد من ذوي

الأوضاع التي آلت إليها الخلافة وتحرك بقواته إلى بغداد سنة 334هـ / 945م، وخف المستكفي وأمير الامراء ابن شيراز واستقروا خوفاً من البویهیّین، فعندما دخلت القوات البویهیّة اتفق أحمد مع ابن شيراز على تولیته الخارج وجباية الاموال حتى يکسبه في صفة. محمد نصر عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 64.

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 208.

² المصدر نفسه، ج 7، ص 208.

³ القلقشندی الشيخ أبي العباس أحمد (ت 821هـ): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج 1، (د.ت)، ص 312.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 208؛ وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد التسلط البویهیّ، المکتب الجامعی للحدیث، الاسکندریّة، 1991، ص 41.

السلطان، بقي المطيع لله (334هـ/946م-362هـ/974م) بالخلافة إلى أن خلع نفسه في ذي القعدة سنة 363هـ/974م ، فكانت خلافته إلى أن خلع تسعًا وعشرين سنة وخمسة أشهر ،¹ وبقي الطائع لله في الخلافة إلى أن خلع نفسه سنة 381هـ.²

ومرد ذلك إلى أن إمرة الأمراء في العصر البويهي كانت تتحمل كل المسؤولية، على حين بقي الخليفة رمزا لا يتحمل في حقيقة السلطان شيئاً قابلاً لأن يناظره أحد عليه، فال الخليفة لم يكن مسؤولاً قط على الخزينة ولا على الإدارة المالية ولا الجند ولا عن السياسة، وإنما هو من يستطيع أن يعطي كل تصرفات البويهين المالية والعسكرية والسياسية صفتها الشرعية، فمسؤولية هذا الوضع الجديد لا تقع إطلاقاً على ملوك بني بويع، فهم لا يستحدثون شيئاً من النظم؛ وإنما ساروا على سنة أنشئت من قبلهم وحلوا محل أمراء الأمراء مثل ابن الرائق، بحكم، توزون... وغيرهم. وكل الذي استجد انصب على التلقيب فقد أصبح أمراء بني بويع يلقبون بالملك.³

جرت معاملة بني بويع للخلافاء على نسق السنن السابقة، بل لعلهم كانوا أكثر مجاملة من غيرهم لأنهم كانوا أكثر قوة، وعلى الرغم من ذلك فإن تغيير طفيف هو جعل إمرة الأمراء وراثية في بيت معين، فأصبحت المناصب تورث فإذا جاء أمير قوي واستطاع أن يجعل هذا المنصب وراثياً كان مداعاة للاستقرار، ومن ثم كانت الأسرة التي تتولى هذا المنصب لابد أن تحس بما يلقى عليها من المسؤولية، ولابد أن تحس بأن سلطانها مستقر متواتد.⁴

¹-القلقشندى، المصدر السابق، ج 1، ص 303.

²-المصدر نفسه، ج 1، ص 311.

³- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 516.

⁴- المرجع نفسه، ص 517.

لم يكتف البوهيمون بالاستبداد بالسلطة دون الخلفاء، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فشاركواهم في شارات الخلافة التي كانت تمثل السلطة السياسية، فذكرت أسمائهم في الخطب مع اسم الخليفة ولم تجر بذلك العادة الأمراء الذين سبقوهم وكذلك ضربت الطبل على أبوابهم.¹

بناءً على ما سبق من معلومات وضعت الجدول التالي لتوضيح صلة ولـي العهد بال الخليفة:

صلة ولـي العهد بال الخليفة					
لم يعهد لأحد	أقارب	أحد الخليفة	أخ الخليفة	ابنه	
		X			المأمون (218-198هـ/833-813م)
			X		المعتصم بالله (-218هـ/842-833م)
X					الواثق بالله (-227هـ/847-842م)
			X		المتوكل على الله (-232هـ/861-847م)
X					المنتصر بالله (-247هـ/862-861م)
			X		المستعين بالله (-248هـ/866-862م)
	X				المعتر بالله (-252هـ/869-866م)

¹-صبيح نوري خلف: خلع الخلفاء العباسيين السلطانية للأمراء البوهيميين (334هـ - 447هـ)، مجلة دراسات ايرانية، الع 8، (د.ت)، ص 137.

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

X				-255 المهدي بالله (869-870هـ/902-903م)
			X	-256 المعتمد على الله (892-892هـ/902-903م)
			X	-279 المعتصم بالله (892-892هـ/902-903م)
X				-289 المكتفي بالله (908-902هـ/902-903م)
			X	-295 المقتدر بالله (932-908هـ/932-908م)
	X			-320 الظاهر بالله (934-932هـ/932-933م)
X				-322 الراضي بالله (940-934هـ/934-935م)
X				-329 المتقى لله (944-940هـ/933-934م)
X				-333 المستكفي بالله (946-944هـ/934-935م)
			X	-334 المطيع لله (974-946هـ/936-937م)
X				-362 الطائع لله (991-974هـ/938-939م)

الجدول رقم (01): يوضع صلة ولی العهد بالخليفة العباسی خلال الفترة (198هـ-199هـ)

- إعداد الباحثة- 391هـ / 813م - 991م

من خلال ما سبق نلاحظ أن:

- الخلفاء العباسيين لم يضعوا نظاماً موحداً لنقل السلطة، حيث كان ذلك يتم دون نظام مسبق أو قاعدة يُستند إليها، لكن سعى جميعهم للحفاظ على وراثة العرش القائم على أساس أسرى سواء بتولية العهد للأبناء أو الإخوة أو الأقارب، كما عمل القادة الأتراك في بعض الأحيان لتولية أخ الخليفة لكن بأمر منهم، في حين لم يتمكن بعضهم من تعيين ولد العهد بسبب موته.
- بدأ الصراع واضحًا بين أفراد البيت العباسى حول ولادة العهد، حيث تكرر وقوع الحرب الأهلية بين الإخوة عدة مرات، خاصة عندما كان الخليفة يولي العهد لأكثر من أحد من أبناءه وكان هارون الرشيد أول من قام بذلك، فرغم ما حققه من إنجازات جعلت عصره يُعرف "بالعصر الذهبي"، إلا أنه بهذا الإجراء سبب صدًّا في الخلافة العباسية صعب تدارك نتائجه بعد وفاته، كما قسم الخليفة المتوكِّل على الله البلاد بين أبنائه وكان ذلك بداية فترة الاضطراب السياسي خاصة وأن ذلك تزامن مع حقبة الفوضى العسكرية.
- ساهم القادة الأتراك والأمراء البويعين من بعدهم في عملية صنع القرار، فشملت تدخلاتهم الشأن العام للخلافة العباسية وخاصة أمر التولية والعزل، حيث زاد نفوذهم على الخلفاء أنفسهم وأصبحوا هم من يديرون الخلافة فعلياً وال الخليفة مجرد رمز ديني، ورغم محاولات بعض الخلفاء لوضع حدٍ لذلك، إلا أن غياب الجهود المكثفة والأهداف الموحدة حال دون ذلك.

2. نهاية الخلفاء:

اختلفت نهايات الخلفاء العباسيين بين القتل والموت الناتج عن المرض، وذلك راجع لمدى سلطته وخضوعه للمتحكمين في زمام الأمور، فخلفاء العصر الثاني لم يكونوا ضعاف الشخصية أو ليسوا أهلاً لهذا المنصب بقدر ما كانت الأوضاع العامة وقوة القادة واتحادهم

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

وراء سلب سلطتهم وتعذيبهم أو سجن بعضهم قبل قتلهم، وهذا ما سنوضح في الجدول التالي بناءً على ما ورد في المصادر.

المصدر	فترة الخلافة	الموت/ المرض	القتل	ال الخليفة
ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 220.	سنة 20	×		المأمون (198-813 هـ/ 218-833 م)
الدينوري أبي حنيفة حمد بن داود (282هـ): الأخبار الطوال، تج: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د.ت)، ص 406؛ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 231؛ الأربيلي، المصدر السابق، ص 222.	9 سنوات.	×		المعتصم بالله (218-833هـ/ 227-842 م)
ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 236	5 سنوات.	×		الوافق بالله (227-842هـ/ 232-847 م)
المصدر نفسه، ص 237؛ ابن العمراني، المصدر السابق، ص 281؛ الأزدي، المصدر السابق، ج 2، ص 360.	سنة 15		×	المتوكل على الله (232-847هـ/ 247-861 م)
الأربيلي، المصدر السابق. ص 228	سنة.		×	المنتصر بالله (247-861هـ/ 248-862 م)
الأزدي، المصدر السابق، ج 2، ص 364			×	المستعين بالله (248-862هـ/ 252-866 م)
السيوطى، المصدر السابق، ص 286. ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 243	4 سنوات.		×	المعتز بالله (252-866 م)

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

				-866هـ/255 (869م)
الكتبي، المصدر السابق، ج 4، ص 51؛ السيوطي، المصدر السابق، ص 288؛ الأزدي، المصدر السابق، ص 367؛ الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 469.	سنة.		×	المهتدى بالله -255) -869هـ/256 (870)
السيوطى، المصدر السابق، ص 292.	23 سنة.		×	المعتمد على الله -256) -870هـ/279 (892)
المصدر نفسه، ص 257.	10 سنوات.	×		المعتضد بالله -279) -892هـ/289 (902)
المصدر نفسه، ص 258.	6 سنوات.	×		المكتفى بالله -289) -902هـ/295 (908)
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 72؛ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 365.	25 سنة.		×	المقتدر بالله -295) -908هـ/320 (932)
السيوطى، المصدر السابق ص 308؛ الأزدي، المصدر السابق، ج 2، ص 401.	سنتين.		×	القاهر بالله -320) -932هـ/322 (934)
السيوطى، المصدر السابق، ص 311؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 152.	7 سنوات.	×		الراضى بالله -322) -934هـ/329

				(940)
الأزدي، المصدر السابق، ص409.	4 سنوات.		×	المنقي لله (-329) -940هـ/333 (944)
السيوطى، المصدر السابق، ص314؛ الأزدي، المصدر السابق، ص411.	سنة.		×	المستكفي بالله -333) -944هـ/334 (946)
مسكويه، المصدر السابق، ج 5، ص405	29 سنة.	×		المطيع لله (-334) -946هـ/362 (974)
الأزدي، المصدر السابق، ج 2، ص416؛ القلقشندى، المصدر السابق، ج 1، ص311	18 سنة.	×		الطائع لله (-362) -974هـ/381 (991)

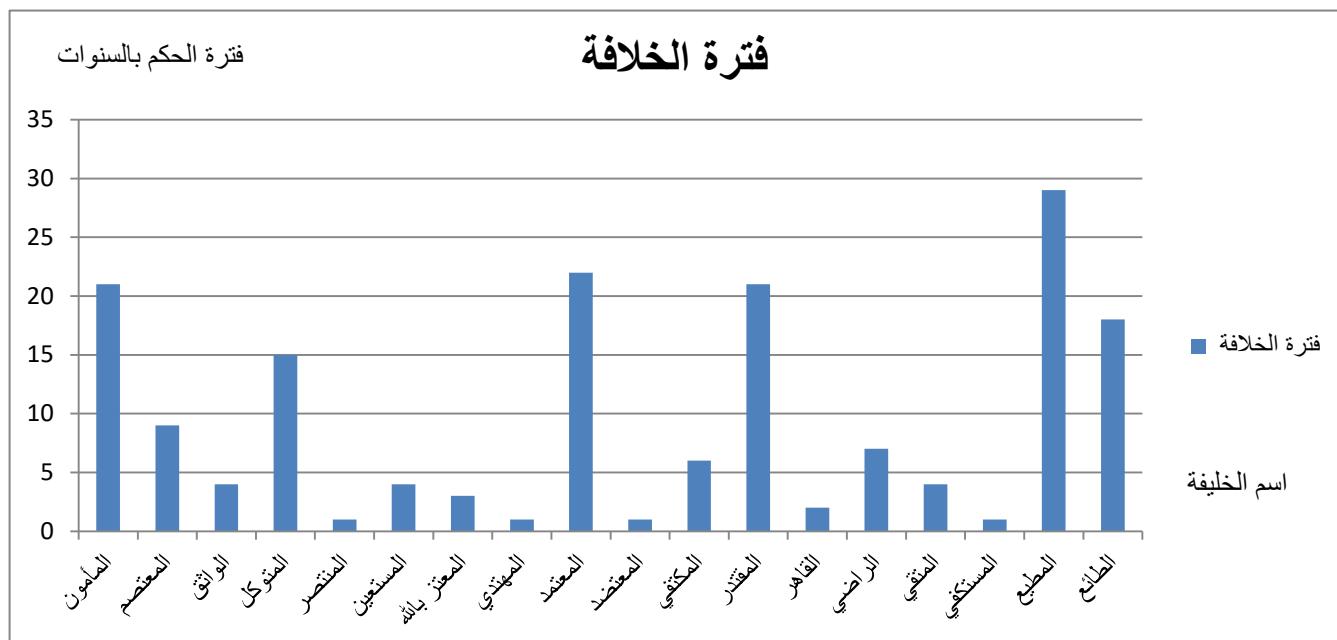
الجدول رقم 02: يوضح أسباب موت الخلفاء العباسين وفترة خلافتهم خلال الفترة
198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - اعداد الباحثة - .

من خلال الجدول يتضح أن:

- الخليفة "الأمين" أول الخلفاء العباسين الذي تعرض للقتل من قبل أخيه بسبب قضية ولادة العهد؛ التي اعتبرت من أكثر القضايا التي أحدثت الشقاق بين أفراد البيت العباسى، وأدت في كثير من الأحيان لحرب أهلية بين الأخوة.
- شهدت الفترة الممتدة ما بين 232هـ و334هـ تصعيدا في حالات قتل الخلفاء العباسين؛ إذ يمكن القول أن أغلب خلفاء هذه الفترة كان مصيرهم القتل بمختلف الأساليب، وهي فترة سيطرة الأتراك على الخلافة وتحكمهم المباشر في تعيين الخلفاء ومساهمتهم في وضع حد لحياتهم ناسين أفضالهم عليهم، فقد وجدوا أن قتل الخلفاء العباسين أنجح وسيلة

للقضاء على كل من يحدهم نفوذهم، وأول الخلفاء الذين تعرضوا للقتل هو الخليفة "المتوكل" ابن المعتصم الذي استكثر الأتراك وولاهم أهم المناصب ووسع من صلاحياتهم وأنعم عليهم بالقصور والإقطاعات، فلم يمنعهم كل ذلك من وضع حد لحياته والإيقاص من قيمته وبقية الخلفاء فبمجرد ما كان الخليفة يبدي معارضته أو يحاول استرجاع مكانة الخلافة أي أن يحدهم نفوذهم يُجمع القادة الأتراك على قتل الخليفة.

- بداية من سنة 334هـ أي بداية من العصر البويهي نلاحظ طول فترة خلافة كل من الخليفة المطیع والطائع وتحیهم عن کرسی الخلافة بمحض إرادتهما وذلك راجع لطبيعة العلاقة القائمة بين الخليفة وبني بویه، فقد سيطر أمیر الأمراء البویهي على جميع الجوانب وبقى للخليفة الوجود الاسمي فقط، فهو بذلك لا يتحمل شيئاً ينazuع أحد عليه.
 - اختلفت فترة خلافة كل خليفة تبعاً للأوضاع السياسية السائدة إذ أن القتل كثيراً ما وضع حدًا لحياة ومدة حكم الخليفة، الأعمدة البيانية أسفله توضح اختلاف فترات حكم الخلفاء العباسيين.



الشكل رقم 01: أعمدة بيانية توضح فترة خلافة الخلفاء العباسيين خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال المعطيات السابقة نجد أن:

- أثر النزاع على السلطة وتغير الخلفاء السريع وقصر مدة خلافتهم على الاستقرار السياسي للخلافة العباسية، وذلك لما خلفه هذا الوضع من اضطرابات وفوضى حالت دون قيام السلطة بدورها المطلوب في التسيير والإصلاح، إذ أن إحداث الاستقرار السياسي يتطلب مدة من الزمن وحاشية ومساعدين يعملون من أجل هدف واحد بعيداً عن المصالح الشخصية، وهذا ما غاب في كثير من الأحيان، فدب الفساد في مختلف المؤسسات الحكومية.
- أثر الصراع على السلطة وضعف الخلفاء على مركزية الخلافة فتراجعút مناطق نفوذ الخليفة، حيث تميز العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ / 847م - 749م) بقوة الخلافة وتمرّكز السلطة في يد الخلفاء العظام أصحاب الشخصيات القوية وتمكنت الدولة لذلك من الاحتفاظ بوحدتها تحت الحكم المركزي في بغداد، لكن ما لبث أن تغير الحال في العصر العباسي الثاني الذي اتصف بانتقال الدولة الإسلامية من المركزية إلى الامركلية في نظام الحكم، حيث قامت دول وإمارات مستقلة استقلالاً كاملاً أو جزئياً مع الاعتراف بسلطان الخلافة فانقسمت الدولة العباسية إلى عدة دول¹.
- عندما شعرت الدولة في نهاية العصر العباسي الأول بخطر الحركات الانفصالية لجأت إلى سياسة تركيزية مضادة فقسمت الدولة (الخلافة العباسية) إلى قسمين، القسم الأول هو المغرب يشمل الشام ومصر والشمال الإفريقي، والقسم الثاني وهو المشرق ويشمل الأقاليم الواقعة شرقي العراق، وكانت قد جرت العادة أن يعهد الخليفة بولاية العهد من بعده إلى اثنين لي أحدهما الخلافة بعد الآخر وكانت إدارة المشرق توكل إلى ولی العهد الأول وإدارة المغرب لولي العهد الثاني، فالعالم الإسلامي خلال العصر العباسي الثاني كان عبارة عن دولة لامركلية تتالف من مجموعة من الأمم الإسلامية لكل أمة طابعها الخاص².

¹- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص 30-29.

²- سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان، 2009، ص 157.

• أما بالنسبة للعصر العباسي الثاني فكانت العراق تمثل مركز الخلافة في عصرها الثاني حيث ارتبط مصيرها مباشرة بالخلافة، وكانت العراق هي الجزء الذي بقيت عليه سيطرة الخلفاء وظلت الخلافة تحكمه حكماً مباشراً، فقد ضعفت سلطة الخلفاء السياسية على العالم الإسلامي ولم يبقى من سلطان الخليفة إلا مظهره فقط، ولم يعد في يده غير العراق حتى العراق نفسه اقطع أجزاء كبيرة منه خضعت لحكم المغلبين من حكام الأقاليم فلم يعد للخلافة في بعض الأحيان إلا بغداد وضواحيها.¹

المبحث الثاني: ظهور حركات اجتماعية ذات الأبعاد الاقتصادية والسياسية و الدينية.

1. طبقات المجتمع العباسي:

إن دراستنا للحركات الاجتماعية باختلاف أسبابها قد يغرقنا في كم هائل من التفاصيل والأحداث الجزئية دون الوصول لما نريد أن نثبته من كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ذات الأبعاد الاقتصادية والسياسية... في هذا العهد ، لذلك استوجب علينا دراسة الصراع في حال هيجانة مركzin على أهم الحركات التي برزت في قمة الأحداث أنداك ، دون الخوض في جزئياتها ، كما أن ترتيب الحركات المدروسة موضوع لدينا حسب أهميتها الاجتماعية والتاريخية.

اختلف تصنيف طبقات المجتمع العباسي من فترة إلى أخرى تبعاً لمجموعة من الأسس والمعايير ، فقد كان المجتمع مجتمعاً طبقياً يتكون من الطبقة الخاصة والطبقة العامة ، والطبقة الوسطى التي كان أفرادها يندمجون في إحدى الطبقات في بعض الفترات.

ضعف معيار النسب في تحديد المنزلة الاجتماعية ، بسبب التطور الاقتصادي والتباين في توزيع الثروات بين الأفراد ، لذلك صعب ايجاد حدود وشروط لتقسيم أفراد المجتمع في

¹- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 301.

الدولة العباسية بين الفئة العامة والخاصة، خاصة لبعض الفئات التي صنفت في فئة وسطى أي بين العامة والخاصة.¹

انقسم المجتمع العباسي استناداً إلى الأسس الاقتصادية وحيازة الثروة إلى طبقتين أساسيتين هما: طبقة الخاصة والتي تضم أفراد الطبقة الحاكمة من خلفاء وأمراء ووزراء... والطبقة العامة: وهي الطبقة الكادحة التي شملت الفلاحين، والحرفيين، والعاملين في المهن المختلفة، والرقيق والعاطلين عن العمل² حيث أطلقت عليهم عدة تسميات كالسفلة، الغوغاء، السقاط، الجماهير، الدهماء، والأوباش، ومن ذلك قسمت الطبقة العامة إلى نوعين، النوع الأول؛ يضم السوقية والجمهور وهم أدنى المراتب، والنوع الثاني يضم التجار وأهل المراتب وهم يحصلون العيش من أحسن وجوههم، ويتميزون بالاكتساب الدائم المعتمد، وبإظهار العدل في المعاملات وإظهار السيرة الحسنة.³

و الطبقة الوسطى التي ضمت كل المنتفعين والمرتبطين بالسلطة من يحتمل أن يكونوا أصحاب السلطة أو ثراء مثل: العلماء، كبار التجار، الاقطاعيين، الشعراة والأدباء ورؤساء الحرف⁴ حيث كان أفراد هذه الطبقة يتمتعون بمستوى معيشي مقبول فمنهم من يوشك أن يحسب على قائمة الأثرياء، لكنه لا يرقى لذريتهم الفاحش وترفههم المفرط، ومنهم

¹- سوزان حسين ياغي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى 334هـ/946م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001، ص 19.

²- بدري محمد فهد: العامة في بغداد في القرن الخامس هجري، مطبعة الارشاد، بغداد، 1967، ص 11، 12.

³- أحلم يوسف: الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق (132هـ- 447هـ / 749م- 1055م)، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، 2017-2018، ص 114-115.

⁴- عبد اللطيف عبد الراوي: المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت)، ص 29.

من انحدر مستوى المادي والمعاشي إلى مستوى مادي ضعيف،¹ وذلك لأن الفرد منهم مضطرب إلى الارتباط بإحدى هاتين الطبقتين، فإما أن يتعامل مع الطبقة الحاكمة وبذلك يصبح جزءا منها أو يرتبط بالطبقة المستغلة.²

والجدير بالذكر أن الخطوط التي كانت تفصل بين هذه الطبقات لم تكن جامدة، حيث يمكن لأفراد تلك الطبقة الانتقال من طبقة لأخرى حسب التغيرات الاقتصادية التي تطرأ عليها،³ وبالتالي لم يكن لكل طبقة خصائصها المستقلة.

أصاب المجتمع العراقي بعض التطورات خلال العصر البوبيحي حيث عادت الطبقة الوسطى للظهور بشكل واضح،⁴ فقد ارتبط ظهور هذه الطبقة جليا بأفول الطبقة الاقطاعية عن طريق محاولة ضعضة النظام الاقطاعي والسيطرة عليه خاصة أوائل العصر البوبيحي، إلا أن عودة رسوخ الإقطاع العسكري بعد انتهاء العصر البوبيحي وما سببه من كساد اقتصادي أعاد صياغة البناء الظبقي بانتكاسة الطبقة الوسطى وانضمامها إلى الطبقة العامة بعد تردي أحوالها وإفلاسها.⁵

¹- عادل محي الدين الألوسي: الرأي العام في القرن الثالث هجري، (198هـ - 295هـ / 813م - 907م)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1987، ص72.

²- عبد اللطيف عبد الروبي، المرجع السابق، ص34.

³- سوزان حسين ياغي، المرجع السابق، ص 19.

⁴- محمود اسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص21.

⁵- محمود اسماعيل: سيميولوجيا الفكر الإسلامي طور التكوين، سينا للنشر، ط4، 2000، ج1، ص76.

2. حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية:

طبقياً واقتصادياً ابتعد العامة عن الخاصة، حيث كان المال يتدفق على أفراد الطبقة الخاصة وينفقونه بإسراف هم ونسائهم وأتباعهم،¹ وطبعي أن يظهر أثر هذا التراء العريض في أسلوب العيش ووسائله في الأوساط الغنية، التي يغشاها الترف والنعيم ويسودها البذخ ما جعلهم يتأنقون في المأكل والمشرب واللباس والسكن،² حيث الولائم الكبيرة التي تحتوي على ألوان هائلة من مفاحر الطعام ومجالس المنادمة والشراب، ولم يكتفوا بإغراق الأموال بلا حساب على مجالس الغناء والطرب، بل حتى على حفلات الزواج.³

وفي المقابل أتقلت الضرائب الفادحة كاهم الطبقة العامة وأنهكتها ويلات الحروب المستمرة بين الأمراء والفتن الدامية بين الطوائف، وأقلتها أهل العيت والفساد من لصوص وقطاع طرق،⁴ كما استاء العامة من العنف في جباية الخارج، وخيانة العمال وارتشائهم، وانفاق الأموال لمصالحهم الشخصية،⁵ ضف لذلك سوء الأحوال السياسية وضعف الخلفاء وسيطرة الجندي الأتراك ومن ثم البوبيهين على مقاليد الحكم وتراجع مكانة الخليفة وصلاحياته ما جعل أوضاع العامة تزداد سوءاً باعتبارهم الطبقة الهشة من المجتمع.

فحدث اختلالاً هائلاً في التوازن الاقتصادي بين الطبقات، حيث كانت الحدود بينها واضحة كل الوضوح فامعنان في الترف يقابله فقدان القوت، وجدير بهذا الاختلاف الشديد في

¹-أحمد أمين: ظهر الاسلام، هنداوي، 2012، القاهرة، ص273.

²- محمود غنوي الزهيري: الأدب في ظل بنى بويه، مطبعة الأمانة، مصر، 1949، ص43.

³- على منصور نصر: العيارون والشطار في العصر العباسي، مجلة المؤرخ العربي، الع 6، المجلد 1، 1998، ص 260.

⁴- محمود غنوي الزهيري، مرجع سابق، ص46

⁵- حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، 1997، ص12. ص12.

أساليب العيش أن ينبع احتجاج شديد في الوعي والشعور، مما أنتج مظاهر اجتماعية متباعدة ومذاهب فكرية متناقضة في صعيد واحد.¹

ووجدت الحركات المناوئة للسلطة العباسية في ذلك مناخاً مواتياً لازدهار حركة التمرد والثورة على الدولة بقيادة الطبقة العامة²، ولعل أحسن ما امتازت به هذه الثورات اشتراكها في الرغبة في تغيير وضعهم الاقتصادي، أي تغيير توزيع الثروة بين الناس،³ ارتبطت درجة الاستجابة بدرجة تطور الوعي الاجتماعي لدى أفراد العامة ومدى إحساسها بالمسألة الاجتماعية، فكانت درجة المساهمة متفاوتة.⁴

فبرزت لذلك فئات لم تقبل ظروفها التعيسة، بل حاولت أن تثبت كيانها وتحسن أحوالها بكل وسيلة سلمية أو ثورية، حيث نلاحظ أن بعضهم أرادوا الوصول إلى نتائج سريعة بصرف النظر عن الكلفة فانظمو إلى الحركات الاجتماعية خاصة العبيد والفلاحين، بينما عبر أهل الصنائع والحرف عن ذلك بطريقة سلمية تعاونية فتكللوا وكونوا الجمعيات والنقابات،⁵ في حين هناك فريق عز عليهم أن ينالوا ما يطلبون فقللوا مطالبهم وتصوفوا وعلموا أنفسهم الزهد والورع والكبت، فكثر التصوف من هذا الباب جرياً على قولهم "إن لم يكن ما تريده فأرد ما يكون"،⁶ فقد تنوّعت إذن وسائل التعبير عن الرفض بين طرق سلمية أو التمرد والثورة أو المحايدة. ومن هذه الثورات:

¹ - محمد غناوي الزهيري، مرجع سابق، ص 41.

² - الألوسي، مرجع سابق، ص 151.

³ - طه حسين: مع المتبني، هنداوي، 2001، ص 26.

⁴ - محمد نجيب أبو طالب: الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تقديم: الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، (د.ت)، ص 68.

⁵ - عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995، ص 105.

⁶ - أحمد أمين، مرجع سابق، ص 272.

أ- ثورة الزنج¹: والتي تعرف كذلك بثورة العبيد، فالثوار هم عبيد من زنوج الصومال وزنجبار كانوا يشتغلون للمثرين من أصحاب المصالح في السهول الملحوظة قرب البصرة في كسرى السباخ² لجعل الأرض صالحة للزراعة وللإستفادة من الأملاح المتجمعة، انضمت إليهم جماعة من العبيد الهاربين من القرى والمدن المجاورة تخلصا من وضعهم السيء³.

كان هؤلاء الزنوج يشتغلون دون أجور في سبيل عيش نكدي، فلم يكن أسيادهم يعطونهم إلا قوتا يوميا يتكون من قليل من الطحين والتمر، لذا كان أي وعد بتحسين وضعهم المعاشي مصدر إغراء لهم، وقد فهم صاحب الزنج⁴ حالتهم، بعد أن تحري الوضع ولم يكن

1- الزنج: لفظة الزنج تعني الشخص الذي تقبضت أمعانه من شدة العطش، ولا يستطيع الاكثار من الطعام والشراب وجمع لفظ زنج ، والزنوج جيل من السودان وهم احدى السلالات البشرية الزنجية التي ظهرت في قارة افريقيا يتميزون بصفات جسمية عامة، كالرأس الضيق، الجبهة المستديرة، والفك العلوي البارز..... بطرس البستاني: قاموس محظوظ المحيط، مكتبة لبنان، ص208.

2- يعود السبب سبب قدوم الزنوج إلى البصرة، أن المستثمرين والتجار أرادوا استثمار أموالهم بشراء الأرضي جنوب العراق بثمن قليل جدا واستصلاحها والاستفادة منها، وهي مناطق تغمرها المياه ويمكن استخراج الملح منها كما أنها مغطاة بالأعشاب والآجام، لذلك اتجهوا نحو الصومال وزنجبار لشراء العبيد والزنوج مستغلين رخص أجورهم و حاجتهم لتحسين أوضاعهم وقوه أجسامهم وقدرتهم على تحمل المتاعب وهكذا بدأ قدوم الزنج إلى البصرة لاستصلاح الأرضي وكسرى السباخ لاستخراج الملح والعمل في أعمال زراعية أخرى.. جميل محمد أبو الندى: الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2012، ص14.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص206.

4- صاحب الزنج: هو علي بن محمد بن عبد الرحيم نسبه في عبد القيس من قبيلة ربيعة، وعندما خرج من فرات البصرة في شهر شوال سنة 255هـ / 869م زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم غير نسبه إلى يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بعد أن وفدي عليه جماعة من العلوبيين في البصرة. كذلك عندما نزل بالبحرين أو هم أهلها أنه يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المقتول بالكوفة، فب أيام الخليفة المسعين بالله فضلا عن زعمه أنه من ولد العباس بن أبي طالب، ثم من ولد الحسين بن عبد الله بن العباس. ارجع بعض الباحثين ثورته لأسباب تخص نسبه العلوي في حين نفى فريق آخر

في المثل والمبادئ ما يؤثر في هؤلاء المناكيد خاصة وأن أكثرهم همج لا يفهمون حتى اللغة العربية، لذا أكد صاحب الزنج على النواحي المادية،¹ وهو رجل فارسي اسمه "علي بن عبد بن محمد وكان يزعم أنه ينتمي إلى علي وفاطمة من طريق زيد بن علي، ودعا الزنج إلى الخروج على أصحاب الأراضي، والذي لا شك فيه أنه لم ينادي بشيء من اصلاح الأحوال الاجتماعية، ويكتفي أنه وعد هذا الشهم المظلوم -والعبيد في جملتهم-، وعدًا قاطعاً بتحسين حالهم وضمان الحرية والثروة لهم، وهو لم يصدر في دعوته على أساس من حقوق أسرته بل جاهر بعقيدة الخارج التي ترفض كل تمييز قومي،² ففي سنة 255هـ / 869م ألقى فيهم خطبة "ذكر فيها ما كانوا عليه وأن الله قد يستقذهم به من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملّكم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور".³

يقول علي بن محمد صاحب الزنج:

لهم نفسي على قصور بغداد وما قد حوتة من كل عاص.

وأخمور هناك تشرب جهراً ورجال على المعاشي حراص.

نسبة العلوى من الأساس؛ إيمان محمود عرفة: دينار نادر باسم صاحب الزنج ضرب المدينة المختارة سنة 259هـ، مجلة كلية الآثار، الع 27، 2024، ص582؛ للمزيد عن نشأته وسيرته انظر: فاطمة سعيد خليفة محمد: حركة الزنج وأثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الدولة العباسية (255هـ- 870م- 270هـ/ 883م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2009، ص32-55.

¹ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص94.

² كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس وآخرون، دار العلم للملايين، ط5، د.ت)، ص215.

³ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص94.

لست بابن الفواطم الزهر إن لم ^١أقحم الخيل بين تلك العرacs.

اشتد أمر الزنج وعظم شأنهم؛ ففي سنة 257هـ/871م أرسل المعتمد على الله جيشاً لمواجهتهم، كما نفذ صاحب الزنج جيوشه إلى البطیحة وتنهب وخراب سنة 262هـ/876م،^٢ ودخل الزنج سنة 265هـ/879م الأبلة فقتلوا فيها خلقاً كبيراً وأحرقوها وكان ما أحرقت الناس أكثر مما نهب.^٣

تجدر الإشارة إلى أنه لا يعرف نظير لثورة الزنج في القوة الاستمرار والعنف منذ نشبت وحتى اليوم الذي هزمت فيه، حتى بلغ الصراع بين الثورة وبين الدولة العباسية طوال هذه السنين حداً بالغاً، وظلت جيوش الدولة تُمنى بالهزيمة تلوى الأخرى، حتى اضطر الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م) لتكريس كل موارد الدولة لحرب الزنج، بل وأيضاً الاستعانة بأخيه الموفق بالله الذي تولى قيادة الجيش العباسي لمحاربتهم وضرب حركتهم في العراق الجنوبي، وبعد ثلاث سنوات من الحروب المتواصلة قتل صاحب الزنج سنة 270هـ/884م وأسر من معه، وهكذا طويت صفحة هذه الثورة التي كانت من أكبر الثورات إحداثاً للصراع في العصر العباسي، وكذلك كانت أكثرها قسوة وعنف وإراقة للدماء،^٤

(الملحق رقم 01، ص 381).

^١ - أحمد فتحي سليمان: المskوت عنه في التاريخ، الفكر والثقافة العامة، (د.ت)، ص 90.

^٢ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6 ص 262.

^٣ - المصدر نفسه، ج 6، ص 225.

^٤ - جمیل محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 583.

ب. الشطار والعيارين:

ثاني هذه الحركات هي "حركة الشطاز¹ والعيارين²": عرّفوا أيضاً بالصَّعالِبِك³، انضم إلى هذه الحركة أغلب أفراد الفئة الفقيرة المعدمة من عامة الشعب التي تعيش على هامش المجتمع وعلى سفحه من أجناس مختلفة من الموالي، فيهم الأحباش والسودان والأفارقة والبرابرة والصقالبة والسنود والنبط والترك والأكراد وغيرهم من أصحاب الفتن والخصومات،⁴ كما ضمت مختلف الأوساط المذهبية فكان منهم من هو عباسي وعلوي من السنة والشيعة.⁵

استطاعت هذه الحركة استقطاب عناصر كثيرة ومختلفة وحدت فيما بينها أهدافها التي تنادي بمبادئ سامية تدعوا إلى تحقيق العدالة والمساواة في المجتمع العباسي ونبذ التمايز

¹- **الشاطِر**: الشطر مصف الشيء، وشطره جعله نصفين، وشاطره ماله ناصفه، ويقال هو الذي شطر على أهله وانفصل عنهم وتركهم مرغماً أو مخالفًا وأعيادهم خبثاً ومكرًا؛ ابن منظور أبي الفضل جمال الدين (ت 711هـ): لسان العرب، نشر أدب الحوزة، 1405هـ، ج 4، ص 406؛ يطلق هذا الاسم على الرجل الواسع الحيلة والدهاء الذي ابتعد عن أهله واقترب من الله بالطاعة وابتعد عن المعصية، وهو بهذا المعنى الاصطلاحى دخل أيضاً التاريخ السياسي والاجتماعي والديني في الإسلام، وارتبط لفظ العيار أشد الارتباط بحركة الفتاة الإسلامية؛ أحمد الخطيمي: الفتاة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية 656هـ/1258م، مكتبة عبد الحميد شومان العامة، عمان، 2008، ص 118.

²- **العيَار**: في اللغة هو الرجل كثير المجيء والذهاب في الأرض وقيل هو الذي كثير التطوف والحركة، يقال غلام عيَار نشيط في المعاصي، وغلام عيار نشيط في طاعة الله، وعَارَ الرجل في الأرض يعير بالسيف، وعَارَ الرجل في القوم يضربيهم بالسيف؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج 4، ص 620.

³- **الصَّعالِبِك**: هو الفقير الذي لا مال له، **والصَّعالِكَةُ**: هي الغزو والإغارة للسلب والنهب والواقع؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج 10، ص 456.

⁴- خليل سارة : العيارون والشطار في العصر العباسي (نشأتهم ومبادئهم)، أشغال الملتقى الدولي الخامس حول الحركات الاجتماعية في العالم العربي، 10-12 أفريل 2008، ص 131.

⁵- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 15، ص 33.

والنفرقة،¹ اختلفت الآراء في تحديد طبيعتهم فهناك من وصفهم باللصوصية مستنداً بأحداث السرقة والحرائق والفتن التي سببواها، وأخرين يجدونهم طائفة ظهرت بسبب التباين الاقتصادي وأن حركتهم موجهة ضد التجار وأهل اليسار، والقصد أن الشطار والعيارين صالحين من جهة ودراويس من جهة أخرى.²

إن محاولة بعض الباحثين التفريق بين العيارين والشطار لم تلقى تجاوباً، ومن ذلك قول جرجي زيدان "أن الشطار أكثر انتشاراً في المملكة الإسلامية من العيارين وأطول بقاءً منهم"،³ ويدعُبُ رأي آخر إلى أن الشطار قاموا بحركات تشبه إلى حد كبير العيارين،⁴ في حين يذهب فريق آخر ل يجعل كلمة فتى ، شاطر ، عيار كلها ذات مدلول واحد ظهر منذ ظهور هذه الفئة من العامة.⁵

في الوقت الذي كانت حركة العيارين والشطار مرفوضة من الناحية القانونية من قبل السلطة في العصر العباسي، كانت مقبولة من الناحية الاجتماعية، خاصة أن عناصرها من الطبقة العامة الذين اعتبروا أصحاب تلك الحركة أبطالاً في نظرهم ونظروا لحركتهم على أنها حركة ثورية يقودها الفقراء ضد الأغنياء ولو بالقوة،⁶ إذ لم يكن الشطار والعيارون وغيرهم من أهل الشرور يُعدونَ اللصوصية جريمة، وإنما كانوا يعدونها صناعة يحلونها

¹-علي منصور نصر، المرجع السابق، ص248.

²-قصي طارق: العيارون والشطار في العصر العباسي، مطبعة الواعظ علوم أهل البيت، ط1، 2013، ص9.

³-جرجي زيدان، تاريخ التمدن، مؤسسة هنداوي، مصر ،2012، ج5، ص 52.

⁴-الكريوي ابراهيم سلمان: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ،1989، ص 101.

⁵- سوزان حسين ياغي، المرجع السابق، ص 49.

⁶- علي منصور نصر، المرجع السابق، ص249.

باعتبار أن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة تلك الأموال التي أوصي
¹ بإعطائهما للفقراء.

ومن أجل تأكيد شرعية حركتهم في هذا العصر فقد تم إلحاق عيارتهم وشطارتهم بالفتوة المسندة إلى أصل ديني، الأمر الذي أدى لتفرقهم إلى فرق وطوائف متعددة بل متاحرة فأخذوا يتحزبون ويتعصبون ويفتكون وينهبون ويقتلون ويغتصبون باسم طريقة من الطرق المعروفة إلى الدين؛ فكان لذلك أسوأ الأثر في إجهاض انتفاضتهم الأمر الذي أتاح للدولة أن تصمد أمام ضرباتهم المتلاحقة، وأن توقع بهم الهزيمة مراراً، ولكن من غير أن تتمكن من القضاء عليهم أو على حركتهم بشكل حاسم أو جزئي على الرغم من جدية الدولة وضخامة القوات التي كانت تعدادها لمطارتهم.²

وكان ظهور هذه الكلمة "الفتى" بهذا المعنى في حصار بغداد الأول 197هـ/813م، وقد استعملها أحد الشعراء عندما كان يصف دور العيارين في هذا الحصار حيث قال:

ليس يدرؤن ما الفرار إذا الأب طال عادوا من القنا بالفرار.

واحد منهم يشد على ال
فین عریان ماله من أزار.

ويقول الفتى إذا طعن الطعنة
خذها من الفتى العيار.³

نلتمس بواحد هذه الحركة منذ عهد الخليفة المهدى (169-158هـ/785-775م) في مقاطعة سيسير التي كانت مروج لدواب الخليفة وأغنامه، حيث ذكر البلاذري أنه لما "كثر الصعاليك والذعار وانتشروا بالجبل في خلافة المهدى أمير المؤمنين جعلوا هذه الناحية ملأ

¹ جورجي زيدان، المرجع السابق، ص 53.

² محمد رجب النجار: الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، 1981، ص 148.

³ الذهبي، المصدر السابق، ج 13، ص 51.

لهم وحوزاً فكانوا يقطعون ويؤدون إليها ولا يطلبون لأنها حد همدان والدينور وأذربیجان فكتب سليمان بن قيراط وشريك معه يقال له سلام الطيفوري، نجدهم وشكياً تعرضهم لما في أيديهم من الدواب والأغنام فوجه لهم جيشاً عظيماً وكتب إلى سليمان وسلام يأمرهما ببناء مدينة يأويان إليها وأعوانهما ورعايتهما ويحصنان فيها الدواب والأغنام مما خاف عليه فبنيا مدينة سيسير وحصناها وأسكناها الناس، وولى لها عامل، وكان خراجها يؤدى إليه¹.

ويذكر البلاذري أيضاً أن الصعاليك كثروا في عهد الرشيد (193هـ-786م)، ونهبوا سيسير فأمر ببنائها وتحصينها ورتب فيها ألف رجل من أصحاب خاقان الخادم السعدي، وفي آخر أيام الرشيد وجه إلى سيسير عاصم بن مرة العجلي، ولم يزل مرة يؤدي الخراج عن سيسير في أيام الخليفة الأمين إلى أن وقعت الفتنة، ثم أخذت سيسير من عاصم بن مرة فأخرجت من يده في عهد المأمون ورجعت إلى ضياع الخلافة، فولى عليها المأمون قائداً يدعى همام بن هاني العبدى على أن يتعاون مع أهلها ويحصنها من غارات الصعاليك².

رغم كثرة الصعاليك والشطار في عهد الرشيد (193هـ-786م)، إلا أنهم كانوا لا يشكلون مصدر خطر يهدد سلطة الدولة أو مركز الخلافة رغم التفاوت الطبقي الذي عرفته الخلافة في عصرها الذهبي، حتى قيل عنهم أنهم "كانوا يطلبون الشيء الطفيف أو يصيّبوا ثمرة من أهل السفينة أو القافلة فيصيّبوا ما يمكن اختلاسه"³، فلم تكن غاية هؤلاء

¹ - البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ، ص 307.

² - المصدر نفسه، ص 308.

³ - محمد رجب النجار، المرجع السابق، ص 14.

الصعاليك حتى عهد الرشيد سوى أن يتعرضوا لقافلة أو سفينة فيختلسوا على حين غرة الشيء الطفيف الذي يسد عوزهم.¹

إنما كان يستغل أمرها كلما وجدوا متفسا لهم من ضعف السلطة الحاكمة أو فساد في المجتمع أو انهيار في الحياة الاقتصادية، وقد استمر نشاطهم طويلا في بغداد وذلك لأن الدولة كانت حتى وقتها قوية متماسكة وفي أوج سلطانها السياسي والحضاري، ولا تزال قبضتها قوية حتى على الأطراف إلا أن ذلك النشاط يخف عند سيطرة إدارة قوية.²

لعبت هذه الحركة دورا مهما في التاريخ العباسي بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص، أيام الحروب الطاحنة التي حصلت بين الأخوين، الأمين والمأمون ففي سنة 197هـ/785م، حين أحاطت جيوش المأمون بقيادة الطاهر بن الحسن بمدينة السلام، وشددت تلك الجيوش هجماتها على جند بغداد وأخذ جند الأمين يضعف ويتخاذل، في تلك اللحظات الحاسمة في تاريخ بغداد أخذ أبناؤها العيارون يقاتلون المهاجمين قتالا شديدا وقتل من أصحاب طاهر العدد الكبير.³

استطاع الأمين احتواء الحركة وسيرها لخدمة حربه،⁴ فقد وقف العيارون موقفا نبيلا ودافعوا على بغداد دفاع الأبطال،⁵ فهم بذلك مثلوا التيار الشعبي المتدفع حيوية ونشاط أيام المحن والنكبات فكانوا يدافعون على مدينتهم⁶ وفي ذلك قال أحد العيارين وهو من أهل السجون:

¹ - خليل سارة، المرجع السابق، ص 135.

² - على منصور نصر، المرجع السابق، ص 156.

³ - ابن الأثير، المصدر سابق، ج 5، ص 397.

⁴ - علي منصور نصر، المرجع السابق، ص 248.

⁵ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 2، ص 237.

⁶ - علي منصور، المرجع السابق، ص 153.

لنا من طاهر يوم عظيم الشأن

عليها فيه بالأنجاد عن هرثمة الكلب

رمنا لأبي الطيب يوم صادق الكلب

أتاه كل كرار ولص كان ذا نقب

وعريان على جنبيه آثار من الضرب

إذ حل من شرق أتيناه من الغرب.¹

حاول الأتراك محاربة الخليفة المستعين (248هـ-862م / 252هـ-927م) ومحاصرة بغداد، فكانت محنـة كبيرة على بغداد واستعد المستعين للدفاع عنها، وتلـفت يمينه ويساره فلم يجد أكثر نشاطاً وأوسع حيلة وأعلى همة وأمضى صبراً على الحرب من جماعة العيارين؛ فاعتمـد عليهم في ذلك.² حيث كانت لهم هـيمة وجولة في بغداد سنة 315هـ/927م،³ وتحرك بعض العيارين في أمر السعر سنة 326هـ/937م،⁴ وفي سنة 330هـ/941م استدعي ابن الرائق العيارين واستعملـهم ضد البريدي ففتحـوا السجون.⁵

رغم قساوة السلطة البوـيهـية في تتـبع وإـخـمـاد حركة العـيارـين والـشـطـار إلا أنها لم تستـطـع أن تقـضـي عليهم، وبلغـ من شأنـهم أنـ السـلـطـةـ كانتـ تـبعـثـ لـهـمـ الجـيـوشـ لـلـقـضـاءـ عـلـيـهـمـ فـلـاـ تـتـالـ مـنـهـمـ،⁶ حيثـ كانتـ هـذـهـ الجـمـاعـةـ كـلـماـ تـيـأسـ مـنـ الـوـضـعـ القـائـمـ وـتـشـعـرـ بـفـسـادـهـ تـظـهـرـ

¹- المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج 2، ص 237.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 169.

³- المصدر نفسه، ج 7، ص 33.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص 104.

⁵- الصولي، المصدر السابق، ص 223.

⁶- علي منصور نصر، المرجع السابق، ص 248

على شكل جماعة تفرض سيطرتها ونفوذها وتشارك غيرها من الجماعات في زيادة من العبث والفوضى وتساهم في أي فتنة.¹

وقدت ببغداد فتنة عظيمة سنة 361هـ/1972م وأظهرت العامة العصبية الزائدة وعجز الناس، كما ظهر العيارون وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكان سبب ذلك ما ذكرناه في استثار العامة لغزة (الروم)، فاجتمعوا وكثروا فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور وفي جملة ما احترق "محلة الكرخ".²

هكذا نرى أنه كلما زاد أمر الدولة ضعفاً استفحلاً أمر هذه الجماعة وأظهرت نشاطها بشكل بارز، وهذا لأن سوء الأحوال السياسية في بغداد جعل الوضع الاقتصادي منهاراً والوضع الاجتماعي متراجعاً، وهذا أمر يساعد على ترکيز أمر العيارين ويشجع على إظهار نشاطهم بشكل واضح³، حيث أنهم وضعوا شروطاً خاصة للانتماء إليهم واستطاعوا تنظيم أنفسهم في تلك الفترة؛ فاتسعت تنظيماتهم وأصبحت ذات شكل هرمي يترأسهم الأمير وكان لهم في كل محلة مقدم ولكل عشرة منهم عريف، ولكل عشرة عرفاء نقيب، ولكل عشرة نقباء قائد ولكل عشرة قواد أمير.⁴

ت. ثورة القرامطة: تلتقي حركة القرامطة مع حركة العيارين في عملية الرفض العنيف للتناقض الظبقي الذي يسود مجتمع العراق، لكن رفض القرامطة كان خالياً إلى حد ما من

¹-حسين أمين، العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد، مجلة التراث العربي ، الع 2 السنة 1 ، مطبعة المعارف، بغداد، 1963، ص153.

²-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص330.

³-حسين أمين، المرجع السابق، ص154.

⁴-عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطبع والنشر ، بغداد، 1945، ص284.

الطابع الفوضوي الذي كانت عليه حركة العيارين، فقد انتهج القرامطة منذ اللحظات الأولى لدعوتهم سبلاً سياسية واقتصادية قوية.¹

استطاع القرامطة تنظيم توجه السخط الاجتماعي والديني في البلاد الإسلامية باتخاذهم حق العلوين الشرعي في الحكم وسيلة للدعایة السياسية، وبمزجهم الداخلي لمبادئ من جميع الأديان والفلسفات مع نزعة قوية تحكم العقل في مذهبها الديني، وباستغلال التذمر الاجتماعي والاقتصادي وبنظرياتها الدقيقة كجزء أساسي من فعاليتها،² كما تمكنوا من التأثير في الطبقات العاملة تأثيراً قوياً باتصالاتهم بأصناف أهل الصناعات والحرف³ والفالحين الذين كانوا يئنون من جشع الجباة واستغلال الملاكين.⁴

تسلل القرامطة إلى أهوية الناس بطرق وبرامج مغربية، فقد منّوا الناس بإصلاح أحوالهم الاقتصادية ووعدهم بتوفير الحياة السعيدة والعيش الرغيد، وهذا واضح في زعم داعييهم⁵

¹ - محمد نجيب أبو طالب، المرجع السابق، ص 33.

² - عبد العزيز الدوري، العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص 120.

³ - برنارد لويس: أصول الاسماعلية بحث تأريخي في نشأة الخلافة الفاطمية، ترجمة خليل أحمد جلو وأخرون، تقديم عبد العزيز الدوري، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط 1، 2007، ص 153.

⁴ - التميمي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 1037هـ): الفرق بين الفرق، محمد علي الصبيحي وأولاده، 2005، ص 301.

⁵ - هو حمدان بن الأشعث كان فلاحاً أصله من قرية تعرف "بالدور" على نهر "هـ" بسوان الكوفة، وكان رجلاً قصيراً ذا أرجل قصيرة، و"يقرمط" في مشيته أخطواته متقاربة، لذلك سمي بـ "قرمط" ، وقيل لأنه كان أحمر العينين والبشرة تشبهها له بالقرمط "الطوب الأحمر" ، وقد اخترق بعد انفصاله عن القيادة الاسماعيلية ولم يعرف له مصير، أما عن الدعوة القرامطية تعود في أصولها إلى الاسماعيلية الباطنية، فالقرامطة كفرقة دينية ماهي إلا ثمرة من غرس الإسماعيلية، وهو الأمر الذي جعل بعض الباحثين يعتقد أن القرامطة والاسماعيلية لفظان متزدفان يشيران إلى الشيء نفسه، وإن دل هذا على أمر ما فإنه يدل على وجود صلة بين القرامطة والاسماعيلية، آمال محمد حسن وصفي علي محمد عبد الله: القرامطة والفاتحين بين الحقيقة والتاريخ خلال القرنين الثالث والرابع هجريين/ التاسع والعشر ميلاديين، مجلة البحوث، المجلد 3، العدد 9، 2023، للتفاصيل أكثر انظر: سنا بورغيدة: القرامطة بين المنطقات الاقتصادية

أسباب الاضطرابات السياسية

وهو في الكوفة بقوله "وغربي أن ادعوا أهلها من الجهل إلى العلم ومن الشقاوة إلى السعادة وأن أستنفذهم من ورطات الذل والفقير وأملتهم ما يستغنوون به عن الكد والتعب".¹

كان مركز الحركة مدينة واسط بين الكوفة والبصرة والقرى المجاورة لهما، حيث كان أكثر سكان هذه البلاد خليطاً من العرب والنبط والسودان؛ حيث كان أصحاب الأراضي الواسعة يجلبوا من إفريقيا لإعمالهم بأرضهم واستغلالها وفق شروط، فقد كان أكثر أهالي تلك البلاد مستائين من حالتهم الاجتماعية ومتذمرين إلى كل دعوة من شأنها أن تخفف عنهم حملهم التقيل وتدعوا إلى الرحمة والرأفة بهم، وهذا هو سبب نجاح الدعوة القرمطية في تلك البلاد وتهافت الناس عليها.²

كان مساعداً وضع الخلافة على انتشار هذه الحركة، فهناك ضعف العباسيين السياسي وتقلص سلطتهم إلى جانب خيبة أمل الناس فيهم لأن حكمهم لم يحقق السعادة والسلم الموعودون، إضافة إلى تذمر الطوائف من العناصر غير العربية من حكم العرب ومن سيادة دينهم، وما زاد الأمر تعقيداً التبدل الاقتصادي الجديد الناتج عن الانتقال من طور زراعي إلى تجاري، والذي أدى إلى اتحاد بين مصالح الأغنياء العرب وغيرهم من جهة وبين مصالح الفقراء من موالي وعرب على أساس اقتصادي، فقد أدرك رجال الحركة هذه الظروف فاستغلوها بشكل عجيب،³ إضافة لقلة ثقافة الطبقة العامة وتسرب الخرافات إليهم

والطموحات السياسية، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2019-2020، ص 50.

¹- الغزالى أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): فضائح الباطنية، ترجمة عبد الرحمن بدوى، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، (د.ت)، ص 13.

²- بندي جوزي، الحركات الفكرية في الإسلام، جمعية الصدقة الفلسطينية، ط2، 1981، ص 161.

³- عبد العزيز الدوري، العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص 127.

ما سهل قبول أي مبدأ حيث وصفهم البغدادي بـ"العامة التي قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر".¹

عظم أمر القرامطة وشنع بين الخليقة ذكرها، ودوخوا الممالك والأقطار وأنذلو أعزه أهل البدو وسكان الأمصار،² يعود ظهور حركتهم لزمن المؤمن (198-218 هـ/833-854 م) وانتشرت في زمن المعتصم (218-227 هـ/842-853 م)،³ فكثرت اغاراتهم حيث انتشروا سنة 289 هـ/902 م بسوان الكوفة⁴ وعجز الخليفة المقتدر (295-320 هـ/908-932 م) على تثبيت سلطته أمام ما انفك القرامطة يتهدونها بخطر شديد.⁵

هجم القرامطة على البصرة سنة 311 هـ/923 م وقتلوا خلقاً كثيراً فطرح الناس أنفسهم في الماء فغرق أكثراً، وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها ما يقدر عليه من المال والأمتعة والنساء والصبيان وعاد إلى بلده،⁶ تكرر دخولهم الكوفة سنة 312 هـ/924 م،⁷ وسنة 313 هـ/925 م،⁸ وردت أخبار بمسير أبو طاهر القرمطي نحو الكوفة سنة 315 هـ/927 م ، تمكن في طريقه إليها من الاستلاء على العلوفات ومائة كر من الدقيق وألف كر شعير.⁹

¹ - البغدادي، المصدر السابق، ص 300.

² - سهيل زكار، المرجع السابق، ص 392.

³ - البغدادي، المصدر السابق، ص 284.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 410. مسکویه، المصدر السابق، ج 4، ص 392.

⁵ - بروكلمان، المرجع السابق، ص 239.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 15.

⁷ - المصدر نفسه، ج 7، ص 22.

⁸ - مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 80 .

⁹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 32.

دخل أبو طاهر القرمطي الدالية من طريق الفرات سنة 316هـ / 928م فلم يجد فيها شيئاً وقتل من أهلها جماعة¹، وحج بالناس في سنة 317هـ / 929م منصور الديلمي وسار بهم من بغداد دخل أبو طاهر القرمطي الدالية إلى مكة فسلموا في الطريق، فوافاهم بمكة يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوا حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقع الحجر الأسود.²

ث. ثورة الزط:

قام الزط³ بانتفاضة عاتية في منطقة البطيحة⁴ حيث قوي أمرهم في فترة الصراع بين الأمين والمأمون وسيطروا على طريق البصرة وقطعوا الاتصالات بين البصرة وبغداد، وازدادت سطوتهم في عهد المأمون (833هـ- 198هـ).⁵

¹- المصدر نفسه، ج 7، ص 38. مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 104.

²- ابن الاثیر، المصدر السابق، ج 7، ص 317. مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 114.

³- الزط: لفظ فارسي معناه "غجر" أو "نور" دخل العربية في العصر العباسي، كان يطلق على جماعة من أصل هندي كانوا يقيمون بفارس قبل الاسلام ثم انتقل معظمهم إلى المنطقة الواقعة ما بين واسط والبصرة في العراق. كان لهم دور كبير في اثارة الفتن واشاعة الفساد؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص 222.

⁴- البطيحة: بالفتح ثم الكسر وجمعها البطائح والبطحة والبطحاء واحد، وسميت بطائح واسط لأن المياه تبطرحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قد يما قرى متصلة وارضاً عامرة، فحدث في أيام كسرى ابرویز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة، فعجز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والمعماريات والمزارع فطرد أهلها عنها فلما نفخ الماء توفى كسرى وتولى ابنه شيروية وضعف الحكم ثم جاء الاسلام وانشغل المسلمون بالحرب وبعد استقرار المسلمين في تلك النواحي استفحـل أمر البطائح ودخلها العمال بالسفن فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء إليها فبنوا فيها قرى وسكنها قوم وزرعوا بها الأرز؛ الحموي الامام شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، 1977، ج 1، ص 450.

⁵- محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط 7، 2013، لبنان. ص 130.

اختلفت المصادر في أصلهم حيث ذهب المسعودي بأنهم "خلق كثير من ناحية الهند جاءوا لغلاء وقع هناك فانتقلوا إلى بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز إلى أن وصلوا لهذه المواقع فسكنوها وغلبوا عليها وعظم أمرهم"¹، في حين يذكر البلذري أن "أصلهم هندي وأنهم جاؤوا من منطقة السند وتغالبوا على البطيبة".²

حاول ولاة العراق استغلالهم في الزراعة، حيث أثروا الاضطرابات ولم يتمكن المأمون من قمع حركتهم، كما أنهم أغروا على السفن القادمة إلى بغداد من البصرة، وانضم إليهم العبيد وهاجموا المناطق ونهبوا الغلال حتى انقطع الطريق المائي إلى بغداد وانقطع الطريق بين واسط والبصرة.³

وجه المعتصم (227-833هـ/842م) القائد عجيف بن عنبة لحرب الرطبة سنة 219 هـ / 931م، فرتب لهم الخيل في كل سكك البريد لكي يتعرف على أخبارهم، ثم قام بمحاربتهم فأسر منهم في معركة واحدة 500 رجل وقتل في معركة 300 رجل فضرب أعناق الأسرى وبعث الرؤوس إلى المعتصم وظل عجيف يتبعهم ويقتل كل من يستطيع القبض عليه،⁴ وظل الرطبة شوكة في جنب الدولة العباسية إلى أيام المعتصم الذي قضى على حركتهم وقام بنفيهم إلى عين زربة في منطقة الشغور الإسلامية، ويبدو أنهم كانوا شديدي الحذر يتفرقون في الفيافي إذ داهمهم الخطر.⁵

كثرت انتفاضات العامة المترتبة عن نقص المواد الغذائية وغلاء الأسعار في بغداد، وكان أكثر ما يعاني منه العامة ويدفعهم للانتفاض ارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية،

¹ المسعودي: التبيه والاشراف، المصدر السابق، ص 307

² البلذري، المصدر السابق، ص 522.

³ المصدر نفسه، ص 532.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 16 . البلذري، المصدر نفسه، ص 532.

⁵ سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 130.

والواقع أن هناك أسباب عديدة أدت لارتفاع الأسعار في العراق عامه وبغداد خاصة، حيث لعبت الظروف الطبيعية والمناخية من فيضانات ورياح وعواصف وقلة الأمطار أو زیادتها بشكل مدمر وانتشار الحشرات والآفات دوراً كبيراً في ارتفاع الأسعار بسبب تأثير المحاصيل الزراعية بهذه التقلبات وتعرضها للتلف، ولم يتوقف تأثيرها على المحاصيل فحسب بل وصل للدواجن والحيوانات، يضاف إلى ذلك الظروف السياسية المحيطة بالعراق من حروب طاحنة واحتكار السلع.

انتقض العامة كذلك بسبب زيادة الضرائب واستحداثها خاصة على الصناعات، حيث كانت الدولة تلجئ لذلك إما للاستفادة من ازدهار صناعات بعينها، أو لسد عجز خزينة الدولة أمام تراجع مواردها في الوقت الذي اشتد فيه سلط الجندي ومطالبهم بالأموال بشكل مستمر.

ج- انتفاضات العامة ضد السلطة ورجال الدولة

تعرض أفراد العامة للعديد من التجاوزات والمعاملات التعسفية والتصورات الخاطئة من طرف رجال الدولة والعديد منمن كانت له سلطة، وعبروا عن ذلك بانتفاضتهم وتحركهم.

حدثت فتنة للعامة في بغداد سنة (312هـ/ 922م) بعد أن أوقع القرامطة بقافلة للحج فنـى مـعـظـم أـفـرـادـهـاـ، حيث اـتـهـمـ الـعـوـامـ اـبـنـ الـفـرـاتـ بـأـنـهـ يـوـالـيـ الـقـرـامـطـةـ، وـأـنـ مـاـ تـمـ بـتـدـيـرـ مـنـهـ وـأـنـهـ يـسـعـيـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ، فـوـثـبـ الـعـامـةـ بـالـوـزـيـرـ وـابـنـهـ فـرـجـمـهـماـ وـأـمـتـعـتـ مـنـ الـصـلـاـةـ يوم الجمعة.¹ كما انتقض عامـةـ الـكـرـخـ سـنـةـ (362هـ/ 973م) عـلـىـ الـوـزـيـرـ أـبـيـ الـفـضـلـ الشـيـرـازـيـ وـدـعـواـ عـلـيـهـ جـهـراـ فـيـ الـمـسـاجـدـ وـالـكـنـائـسـ لـعـنـفـهـ الشـدـيدـ مـعـهـمـ بـعـدـ قـتـلـهـمـ صـاحـبـ الشـرـطةـ الـذـيـ قـتـلـ رـجـلـاـ مـنـهـ وـمـصـارـتـهـمـ لـلـعـامـةـ وـالـتـجـارـ لـتـوـفـيرـ الـأـمـوـالـ الـلـازـمـةـ لـإـعـدـادـ جـيـشـ

¹ مـسـكـوـيـهـ، الـمـصـدـرـ السـابـقـ، جـ5ـ، صـ81ـ.

لغزو الروم. وبدأ في ذلك بأهل الذمة ثم المسلمين، فقد أدت هذه الاجراءات لتدمر عامة الكرخ فخربوا وفتحوا السجون وأخرجوا المساجين ولم يحسن الوزير تدبير الأمور.¹

لم يكن رجال الشرطة بمعزل عن انتفاضات عامة العراق خلال العصر البويري بل الواقع أن انتفاضات العامة ضدتهم مالت على العنف والانتقام منهم بالقتل وكان العيارون أكثر فئات العامة مواجهة لأصحاب الشرطة.²

أصاب عمال الولايات نصيبيهم من انتفاضات عامة العراق، ففي عام 360هـ / 971م تدمر عامة البصرة من سياسة عاملها أبي طاهر الحسين بن الحسن، الذي تعسف بال العامة والتجار وصادر منهم أموالاً كثيرة، فنصح الوزير أبو الفضل الشيرازي معز الدولة البويري بإرضاء العامة بعزل هذا الوالي ومصادرته خاصة بعد سوء الأحوال بالبصرة والخراب الذي أصابها جراء سياسته، وبالفعل أمر عز الدولة بالقبض عليه وعلى جميع أهله وأتباعه.³

تميزت علاقة العامة بالجند بالاضطراب نتيجة الأذى والعنف الذي أصابهم من الجند الأتراك ، فكثرت النزاعات بين الطرفين منذ استكثار العنصر التركي في الجيش العباسي في خلافة المعتصم بالله (218هـ- 833م).⁴ إذ تجمع الروايات أن سبب انتقال المعتصم بجنه من بغداد إلى سامراء كان لضيق العامة بالجند، فقد كان هؤلاء يؤدون العام في بغداد بإجراء خيولهم في الأسواق، وما ينال الضعفاء والصبيان والشيخوخ من ذلك، فكان أهل بغداد ثاروا ببعض الجند فقتلوه عند صدمه امرأة أو شيخاً كبيراً أو ضريراً.⁵

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 216.

² - محمد نجيب أبو طالب، المرجع السابق، ص 42.

³ - مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 384.

⁴ - الألوسي، المرجع السابق، ص 179.

⁵ - فهمي سعد: العامة في بغداد دراسة في القرنين الثالث والرابع هجري دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 1993، ص 439.

تظلم العامة من الديلم ونزلهم في دورهم بغير أجرة وتعديهم عليهم في معاملاتهم، فاجتمعوا يوم الجمعة السادس شوال سنة 940هـ/329م ومنعوا الخطيب من الصلاة فاقتتلوا هم والديلم، فقتل من الفريقين جماعة¹، كما انقضوا سنة 367هـ/978م نتيجة الأذى الذي أُلحق بهم بعد أن دخل الجندي الديلم بيوتهم اجبارا.²

عَبَرَ العَامَةُ عَنْ مَعَارِضِهِمْ لَمَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْخَلْفَاءُ مِنْ الْقَتْلِ وَالْتَّكِيلِ، حِيثُ أَثَارَ مَقْتَلَ الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى أَيْدِي الْأَتَرَاكِ مَوْجَةً مِنَ النَّقْمَةِ ضَدَّ تَسْلِطَةِ الْجَيْشِ فَحَدَثَ فِي سَامِرَاءِ سَنَةِ 248هـ/842م حَرْكَةً شَعْبِيَّةً عَبَرَتْ عَنْ اسْتِكَارِ الْعَامَةِ لِعَبْثِ الْأَتَرَاكِ بِالْخَلَافَةِ، وَشَارَكَ فِي هَذِهِ الْانْقَاضَةِ الْغَلْمَانُ الشَّاكِرِيَّةُ وَنَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ "الْغَوَّاغَةِ" وَ"السَّوْقَةِ" مِنْ أَصْحَابِ الْفَقَاعِ وَأَصْحَابِ الْحَمَامَاتِ وَغَلْمَانِ الْبَاقِلَاءِ وَأَصْحَابِ النَّاطِفِ وَالسَّقَاعِيْنِ،³ كَمَا اسْتَعَاءُوا لِتَمَادِيِ الْأَتَرَاكِ وَتَحْكِيمِهِمْ فِي زَمَانِ الْأَمْرِ وَاشْتَدَ الْصَّرَاعُ بَيْنَ الْطَّرَفَيْنِ أَثْنَاءِ الْحَرْبِ بَيْنِ الْمُسْتَعِينِ بِاللهِ وَالْمُعْتَزِ بِاللهِ.⁴

انقضى العَامَةُ لَمَا لَقَوْهُ جَرَاءُ غَارَاتِ الرُّومِ سَنَةِ 931هـ/320م فِي الْمُحْرَمِ انتَهَى دَارُ الْوَزِيرِ وَاصْطَبَلَهُ وَاشْتَدَ الشُّغْبُ، وَفِي جَمَادِيِ الْأُولَى اجْتَمَعَ أَهْلُ التَّغْوِيرِ وَالْجَبَالِ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ وَاسْتَفَرُوا النَّاسَ بِبَغْدَادِ وَذَكَرُوا مَا يَنَالُهُمْ مِنَ الدِّيلِمِ وَالرُّومِ، وَأَنَّ الْخَرَاجَ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ لِيُصَانَ بِهِ عَامَةُ النَّاسِ وَيُدْفَعُ عَدُوَّهُمْ عَنْهُمْ، فَثَارَ النَّاسُ مَعَهُمْ وَسَارُوا إِلَى الْجَامِعِ فَنَهَبُوهُ وَمَنَعُوا الْخُطْبَةَ وَضَرَبُوا الْخَطِيبَ لِأَنَّهُ يَدْعُوا لِرَجُلٍ لَا يَنْظَرُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي جَمَادِيِ الْآخِرَةِ سُودُ الْهَاشَمِيُّونَ وَجُوَهُهُمْ وَانْتَشَرُوا فِي الْطَّرِقِ يَطَّالِبُونَ بِأَرْزَاقِهِمْ وَصَاحِبِهِمْ:

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 156.

² - المصدر نفسه، ج 7، ص 206.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 150.

⁴ - الذهبي، المصدر السابق، ج 3 ص 14.

الجوع الجوع، واشتد هياج العامة فكشف الدعار وأصحاب العصبية رؤوسهم وحملوا أصناف الحديد وتحاربوا في محلاتي القنطرة الجديدة وشاطئ الصراء.¹

استنفر العامة لضعف الدولة وعجزها عن صد هجمات الروم ، فانتقضوا على الخليفة المطيع لله (362-334 هـ / 974-946 م) حين رأوا تخاذله وصمته أمام دخول الروم حلب سنة 352 هـ / 964 م وقتلهم لعدد كبير من المسلمين ونهبهم المدينة وإحراقهم مسجدها الجامع ثم انسحابهم،² كما انتقض عاملاً بغداد ضد الخليفة المطيع (362-334 هـ / 974-946 م) بعد ما قام به الروم بنصيبيين وديار بكر من حرق وسببي واحراق الحمدانيين من التصدي لهم، إذ سار أهل هذه البلاد إلى بغداد واستنفروا أهلها فاجتمع عاملاً بغداد وهاجموا دار الخلافة واتهموا الخليفة بالعجز جهراً.³

د. انتفاضات ذات طابع ديني:

إن الحديث على الصراع الطبقي في المجتمع العربي الإسلامي لا يمكن أن يتم بمعزل عن الصراع في منظومة الأفكار والمعتقدات أو مؤثرات الانتماء (القبيلية، القومية)، فتاك الأفكار والمعتقدات تمثل التعبير الحقيقي عن الواقع الاجتماعي وما يحصل فيه من تفاعلات.⁴

تسببت التجاوزات الدينية ومخالفة صريح الدين والشرع في العصر البويعي في انتفاضة العامة من المسلمين وغيرهم ضد هذه التجاوزات غيره منهم على الدين، ففي عهد معز الدولة فتح ابن الحصاص النفاط بيته في الجانب الشرقي ببغداد لممارسة البغاء ليلاً

¹ - الأصفهاني حمزة بن الحسن (ت 360 هـ): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961، ص 162، 163.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 278.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 329.

⁴ - أميرة طارق مصطفى، المرجع السابق، ص 162.

نهاراً بعدها ضمن هذا النفاط لأحد قادة معز الدولة من الد ilem لممارسة القمار والعبارة والبغاء وبيع الخمور وحماية اللصوص في بيته مقابل ألفي درهم شهرياً، ووصل به الأمر إلى اجبار المارة على ممارسة أنشطته أو دفع أموال ممارستها، فانتفضت العامة ضد ذلك التجاوز الديني وتجمعوا حول بيت النفاط ويبدو أن تفريق حرس بيت النفاط للعامة ضد ذلك التذمر مما دفع معز الدولة إلى كبس البيت خاصة لما امتنع النفاط عن أداء أموال الضمان.¹

3. الفساد الإداري والنزاع حول المناصب الإدارية والسياسية:

اعتمدت الدولة الإسلامية في تنظيم وتسخير مؤسساتها الإدارية على قواعد الشريعة الإسلامية؛ ما جعلها تتمتع بخصوصية وجودة عالية في التنظيم والتسخير، وأعطى لها قدرة على مسيرة متطلبات واحتياجات كل عصر ومواكبة مختلف المتغيرات والمستجدات التي طرأت على الجهاز الإداري، فمنذ عصر الرسالة عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على وضع الأسس الأولى للتنظيم الإداري بهدف تكوين أمة مترابطة، وسار الخلفاء الراشدين على تلك الأسس واجتهدوا في إضافة ما اقتضته الظروف خلال تلك الفترة.

عملت الدولة الأموية على إنشاء جهاز إداري متميز ذو كفاءة عالية ودعمت ذلك بأجهزة رقابية متخصصة لمواجهة مختلف التجاوزات الإدارية، مع استمرار المؤسسات الإدارية والرقابية التي سبقتها في المجال العملي، كما سايرت المؤسسات الإدارية مختلف التطورات الحاصلة في الدولة العباسية، وابتكرت العديد من الأساليب والمؤسسات التي مازالت النظم الإدارية المعاصرة تدين لها.²

¹ - التوخي، المصدر السابق، ج 1، ص 186.

² - خولة عيسى صالح: الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية، بيت الحكم، بغداد، 2001، ص 5.

غالباً ما يرتبط صلاح الدولة بشخصية الخليفة باعتباره المسيطر والمتحكم في الجهاز الإداري، تستقيم الأمور وتصلح إذا كان ذا مقدرة إدارية، وإذا أحسن تدبيره و اختياره للحاشية والأعون،¹ فقد تغير حال الخلافة العباسية من فترة إلى أخرى بتغيير القوى المسيطرة والمتدخلة في أمر التعيين والعزل، مما أدى لتولية خلفاء غير أكفاء يسهل توجيههم ولم تكن لهم مساهمة في إدارة شؤون الدولة.

فبعد أن كان الخلفاء على استعداد تام لإدارة الملك أصبحوا يعتمدون على ولاتهم، فإن كانوا متمكنين وأخيار جرت الأمور على السداد، وإن كانوا جهالاً أشروا زاد البلاء والشقاء وطماع أصحاب الأطراف والنواب وخرجوا عن الطاعة، وقد لا تتنظم الأحوال حتى بوجود الوزراء المحنكين لأن الخليفة مرجع الأعمال وجميع السلطات.²

خضع التعيين والعزل في المناصب العليا للنساء والجواري نتيجة لضعف الخليفة ، والقادة الأتراك الذين كانوا يفتقرن لكثير من الخبرة الإدارية،³ حيث حاولوا تخطي واجباتهم الأساسية في كثير من المواقف؛ وبذلك لم يقتصر عملهم على الجنديه التي احترفوها بل تدخلوا في الشؤون الإدارية فصاروا يُسيرون الأمور الإدارية بأنفسهم ، فلم يكن ذلك يجري على أساس من الكفاءة أو المقدرة الإدارية والنزاهة والإخلاص، وهذه الظاهرة تميز بها العصر العباسي الثاني حيث أنها تعتبر جانباً من جوانب سوء الإدارة.⁴

¹ المرجع نفسه، ص 68

² محمد كرد علي: رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1913، ص 185.

³ حسن بن علي بن عون ذوي علي الحارثي الشريفي: الرقابة الإدارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة 132هـ حتى سنة 247هـ / 749م-861م، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، مج 2، 1993، ص 425.

⁴ المسعودي، موج الذهب، المصدر السابق، ج 2، ص 434-440. الكبيسي، المصدر السابق، ص 109-111.

أصبحت الدولة حلبة لصراع الأقوياء وظهور المنافسين من العسكريين للوصول إلى منصب الأمير في الدولة متصرفين فيها كما يريدون باستحداث منصب "أمير الأمراء" ، فاستفحل نفوذ الأمراء حتى أن القائم بهذا المنصب في عهد الخليفة الراضي 322هـ/934م أمر بذكر اسمه في خطبة الجمعة إلى جانب اسم الخليفة.¹

كان لنجاح البوهين في الاستلاء على السلطة تأثير سلبي على الجهاز الإداري فما إن تملکوا الخلافة اضطربت ولم يبق لها رونق ولا وزارة، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم وقرر للخلفاء شيء طفيف،² حيث يذكر ابن مسکویه أن معز الدولة البوهیي "استغنى سنة 334هـ/946م عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمتها وجمعت الأعمال كلها في دیوان واحد".³

إضافة لما عانته الأقاليم من انقسامات بعد أن سيطر عليها المتمردون وأصحاب الفتن، حيث عملوا على طرد العمال والموظفين التابعين للسلطة المركزية وعينوا آخرين من قبلهم، يعملون على خدمة أمرائهم من دون مراعاة للمصالح العامة فيظلمون الناس ويتغسرون ويضعون الضرائب الثقيلة على أهلها، فكثيراً ما تلاعب عمال الأقاليم بمقادير الجباية، حيث ينفقون ديناراً في بعض مصالحها فيقيدونها عشرة دنانير، مما أدى إلى اختلال الإدارة في تلك المناطق والأقاليم وانقطاع مواردها عن دار الخلافة.⁴

¹ - الطبری، المصدر السابق، ج 7، ص 138

² - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 288.

³ - مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 283 . ابن الجوزی ابی الفرج عبد الرحمن بن علی بن محمد (ت 597هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ترجمة: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت) ، ج 13، ص 366.

⁴ - جرجي زيدان: المرجع السابق، ج 4، ص 206-208.

1. توريث المناصب:

خضعت المناصب الإدارية "النظام التوريث"، فبرزت تكتلات عائلية امتهن أفرادها صناعة الكتابة جيلاً بعد جيل، ولعل أول عائلة احتل أفرادها مسؤوليات إدارية بالغة الأهمية في خلافة الرشيد هي "أسرة البرامكة".¹

حدث تصادم بين سلطة الخليفة والوزير في العصر العباسي الأول إبان الصراع الذي حدث بين الخليفة الرشيد (170هـ/786م) والبرامكة سنة (187هـ/803م)،

¹-**أسرة البرامكة:** هي أسرة فارسية، من أشراف مدينة بلخ بخرسان، أخذت لقب أجدادها الذين عملوا سدنة لمعبد النوبهار في المدينة كان رجلاً عالماً في الطب والتجيم، وقد حضي الكثير من رجالها بمنزلة عالية عند الخفاء العباسيين؛ سالم محمد احمد عبد العزيز: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، دار الكتب العلمية، 2004، ص4؛ أولى الرشيد جعفر البرمكي مكانة حتى صار لا يقدم عليه أحد؛ الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس(ت331هـ): الوزراء والكتاب، تج: محمد السقا وأخرون، مطبعة مصطفى الألباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1،(د.ت)، ص177؛ اليقobi، المصدر السابق، ج2، ص379؛ يصف العربي البرامكة بأنهم " كانوا مستولين على الدولة متغلبين على الدنيا بالكليه؛ ابن العربي، المصدر السابق، ص79؛ حيث تذكر المصادر مدى استبداد وزرائه من بني برمك بالسلطة، وذلك لما منحهم من صلاحيات كبيرة جعلتهم يشرفون على معظم شؤون الدولة ففي سنة 178هـ فوض كل أمره إلى يحيى بن خالد البرمكي ؛الطبرى، المصدر السابق، ج8، ص256؛ ونسب إليه بعض الإصلاحات والأعمال الإدارية التي عادة ما يقوم بها الخليفة حيث خاطبهم قائلاً "احكم بما ترى، استعمل من شئت واعزل من رأيت وافرض من رأيت واسقط من رأيت فاني غير ناظر معك في شيء"؛ الجهشياري، مصدر سابق، ص177؛ لاستبدادهم بالسلطة واحتقارهم أموال الجباية كان الرشيد يطلب أليه من المال فلا يصل إليه فنكب بهم؛ هاني أبو الرب: البرامكة ودورهم في الحياة العامة في الدولة العباسية قبل نكبتهم، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الع30، ج1، 2013، ص132.

وبين المأمون (198هـ-218هـ / 833م-814م) وآل سهل سنة (202هـ/818م)¹ حيث بلغت الوزارة في عهدهم حداً كبيراً من القوة وأضحى الوزير على درجة كبيرة من النفوذ.²

إلا أنه من الواضح أن الخلافة تلقت درساً من البرامكة، فاختفت التكتلات العائلية من الجهاز الإداري مدة من الزمن، ثم عادت لتبرز من جديد قبيل منتصف القرن الثالث للهجرة من بين هذه العائلات: بنو الجراح³، بنو وهب، بنو خاقان، بنو الفرات، فقد أصبحت هذه

¹-يعتبر الفضل بن سهل صنيع البرامكة، حيث كان ملازماً لهم، ورث آل سهل أفكار البرامكة وتقاليدهم كما ورثوا طموحاتهم وبراعتهم في تحريك الأمور عن طريق التأثير على الخليفة، اذ سعوا لإيصال المأمون للخلافة، وتحقيقاً لهذا الهدف كان لهم دور بارز في الأحداث التي أعقبت وفاة هارون الرشيد؛ سرى ممتاز عبد الله: علاقة آل سهل بالخلافة العباسية 198هـ-218هـ / 813م-932م، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، الع 39، 2020، ص 406؛ حيث رغب الفضل بالسلطة ورغب في إحياء الشعائر الفارسية ما جعله يرتكب أخطاء واتخذ إجراءات خلقت له العديد من الأعداء في البلاط العباسى، وبدلاً من أن يعدل في سياساته فإنه أمعن في اجراءاته السياسية فاتبع سياسة غير حكيمة لم يقدر عوقيها، كان من نتائجها المعارضة الشديدة للعراق عامة وأهل بغداد خاصة فوصفوه بشتى النعوت، فقد رغب في إبقاء الخليفة في مرو وهذا ما أكد نزعته الفارسية، لكن المأمون قرر العودة إلى بغداد بعد أن استوثق من حقيقة الوضع المتدحرج هناك، فهو بذلك اراد أن يواجه التحدي السياسي بنفسه، بدلاً من اخفاء رأسه في أكاذيب الفضل بن سهل الذي اراد أن ينسج منها مجد الفرس لا مجد العرب، قتل الفضل من طرف مجموعة من خدم المأمون. فسياسة المأمون الجديدة لا تسمح بوجود الفضل بن سهل على دفة الوزارة، وبمقتله استطاع المأمون ايقاف المد الفارسي في الادارة والبلاط، ورغم أنه استوزر الحسن بن سهل لفترة قصيرة وتزوج بابنته بوران، إلا أن ذلك كان للتمويه، فقد باشر المأمون الأعمال بنفسه واستكتب عملاً كثيرين بدل الوزير، فاروق عمر فوزي: الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخرير الفارسي في السياسة العباسية، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع 32، 1982، ص 222

²- البندري بنت عبد العزيز خضر: نكبات الوزارة في العراق وأثارها على الأوضاع العامة في العراق إبان العصر العباسى الثاني 232هـ-656هـ / 847م-1258، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، 2015 ، ص 5.

³- بنو الجراح: أسرة فارسية اشتهرت بالحكم والسياسة منذ قبل الإسلام، في فارس موطنهم الاصلي سموا بالجراح نسبة إلى أبوهم الذي كان جراحًا، له أربعة من الأبناء هم: داود، إبراهيم، محمد ومخلد، وقد خدم هؤلاء الدولة الإسلامية ككتبة ومستشارين غير أنهم لم يكونوا مشهورين. الصفدي، المصدر السابق،

العائلات تشكل نوعاً من "الارستقراطية الإدارية" وكان المنتمون إليها يتولون مناصب مرموقة كولاية الخارج، الوزارة...¹

اعتبر القرب من الخلافة امتيازاً كبيراً بالنسبة لطبقة الكتاب، لذلك سعوا إليه وحاولوا الحفاظ عليه عن طريق احتكار صناعة الكتابة؛ التي مثلت صناعة للكسب لكنها تحقق امتيازاً، لذلك كان لابد أن يتمسكوا به ويحافظوا عليه فانغلقوا على أنفسهم واحتاروا صناعتهم وذلك عن طريق تجوييد أعمالهم ورفع مستوى التخصصية فيها.²

كانت تلك العائلات تتصل بخدمة الخلافة عن طريق أحد أفرادها الذي نجح في الوصول إلى مركز مرموق، وبالتالي يساهم في تقديم المزيد من أفراد العائلة لخدمة الخلافة والإدارة العباسية، ومن الأمثلة على ذلك "سليمان بن وهب" الذي كان كاتباً للمأمون (198هـ-833م / 813هـ-218هـ) وهو ابن أربع عشر سنة، و تولى فيما بعد الوزارة للمهتدي بالله (255هـ-869م / 256هـ-870م) ثم المعتمد (279هـ-870م / 255هـ-256هـ) ثم المعتضد بالله (247هـ-861م / 334هـ-945م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت، ص48-50.

¹- توفيق سلطان اليوزبيكي: الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (132هـ-447هـ)، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس القاهرة، مطبعة الارشاد، بغداد، 1970، ص112-118. رويدة رفقة، نمو طبقة الكتاب وتطور رسوم الكتابة الديوانية حتى أوائل القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، 1981، ص108. خولة عيسى صالح، المرجع السابق، ص73.

²- عفاف عبد الحفيظ محمد رحمه: الكتاب في العصر العباسى الأول دراسة في النظم والثقافة والمجتمع (132هـ-247هـ / 861م-749م)، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر، السودان، دار آرثيريا للنشر والتوزيع، ط1، 2021، ص185.

(892م) وكان أخوه الحسن يكتب للوزير محمد بن عبد الله الزيات،¹ عاد توريث المناصب الإدارية بالنفع على الإدارة العباسية في حال توفر الكفاءة والأمانة في المتولى، أما في حالات غياب هاته الصفات اعتبر استغلال نفوذ وبالتالي ساهم في الفساد الإداري.

تبلور الصراع في فئة الكتاب ابتداء من منتصف القرن الثالث ولم يعد شأن الأفراد بل شأن تكتلات قائمة في قلب طبقة الكتاب، ويحدث هذا الصراع في أن يلتف بعض الكتاب حول كاتب مرشح للمرتبة الثانية ويلتف آخرون حول مرشح غيره، وقد شهدت طبقة الكتاب انقساماً من هذا النوع في نهاية القرن الثالث هجري بين الكتاب الموالين لابي الحسن بن الفرات وأخرون الموالين لعلي بن عيسى بن داود ابن الجراح، وكانت هذه التكتلات تقيم تحالفاً مرحلياً مع بعض الأطراف العسكرية.²

احتل الكتاب طبقة اجتماعية كان الوزراء نخبتها³، ما أدى لحدوث صراعات لم يكن القادة العسكريين وحدهم متورطين في تأجيجها – ولو بشكل غير مباشر – بل ساهم أيضاً في ذلك عدد من المقيمين في دار الخلافة من الخدمة وأقرباء الخليفة.⁴

2. تعيين الأشخاص غير الأكفاء :

لم تأخذ الكفاءة بعين الاعتبار في تعيين العديد من الإداريين، فقد تولى الوزارة بعض الوزراء من لا تتوفر فيهم شروط توليتها كـ"الكفاية والهيبة التي يطاع بها في التنفيذ، والأمانة التي تمنعه من الخيانة والاستشراء"، وغيرها من الصفات التي يعتبر غيابها سبباً في عدم تقليده هذا المنصب،⁵ وذلك لانشغال الخلفاء وقلة الكفاءة الإدارية لبعضهم، وتدخل الحريم ورجال الجيش في أمور التعيين، مما أدى إلى إضعاف نفوذ الحكومة وأضحت هذه

¹ عفاف عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 186.

² رويدة رفقة، المرجع السابق، ص 63.

³ محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 177.

⁴ رويدة رفقة، المرجع السابق، ص 64.

⁵ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ): قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحرر رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1979، ص 190.

المناصب يتولاها أشخاص يفتقدون الخبرة الإدارية والمقدرة،¹ والأمثلة على ذلك كثيرة من بينها:

عين المعتصم وزراء أعاجم لا يتقنون اللغة العربية، حيث لا يفهُمُ ولا يُفهَمُ وأصبح أنصار الدولة والغيراء عليها يتافقون ممن لا يحسنون العربية؛ حتى وإن كان منطويًا على صفات أخرى صالحة لتدبير أمور الدولة وذلك لكثره من دخل في أعمال الدولة من غير العرب،² كما عين الخليفة المنصور (247هـ-248هـ/ 861م - 862م)، "أحمد ابن الخصيب"، الذي اتصف بتقصيره في صناعته مطعونًا في عقله ومات المنصور وابن الخصيب وزيرا،³ كما عين أبا عمدة أحمد بن سعيد مولىبني هاشم وظيفة المظالم، ولأنه لم يكن كفؤًا ولا أمينا قيل فيه:

يا ضيعة الإسلام لما ولد مظالم الناس أبو عمره

صير مأمونا على أمة وليس مأمونا على بعرا.⁴

تولى الخاقاني الوزارة سنة 299هـ/1191م، حيث كان لا يقرأ الكتب الواردة إليه ولا
الخارجية من عنده، واعتمد في تسيير أموره على ابنه أبي القاسم ولم يقف الأمر عند هذا
الحد، بل تحكم أولاده عليه وكل منهم يسعى لمن يرتشي منه، وكان الخاقاني كثير التولية
حتى أنه كان يولي في الأيام القليلة عدة عمال، فقد ولى خلال عشرين يوماً سبعة عمال⁵
ولسوء سيرته قيل فيه شعر:

¹ - توفيق سلطان اليوزبكي، المردع السابق، ص 203.

²-محمد كرد على: الادارة الاسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1943، ص167-ص168.

³-ابن طباطبا، مصدر سابق، ص 270.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 145.

⁵ - المصدر نفسه، ج6، ص 370؛ الصابي، المصدر السابق، ص 286.

وزير قد تكامل في الرقاعة يولي ثم يعزل بعد ساعة

غداً أهل الرشا اجتمعوا لديه فخير القوم أوفر بضاعة

وليس يلام في هذا حال لأن الشيخ أفلت من مجاهه.¹

تميز "العباس بن الحسن" وزير المكتفي بالله بالدهاء والمكر والأدب الوافر لم تكن سيرته محمودة ، وكان عاكفاً على لذاته والأمور مهملاً وكان يقول لنوابه بالأعمال: "أنا أوقع إليكم وأنتم افعلاوا ما فيه المصلحة" فقد كانت الأمور مضطربة في أيامه²

تضاءلت أهمية الوزارة باستبداد الأتراك بإدارة الدولة، فأصبح منصب الوزير يخضع لتأثيرهم المباشر فحل محل كبار الوزراء ذوي الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاءة في إدارة شؤون الدولة³، كما بطلت الدواوين وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور وإنما كان ابن الرائق وكاتبته ينظران في الأمور جميعها وكذلك كل من تولى إمرة الأماء من بعدهم، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهما فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون لل الخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال وتغلب أصحاب الأطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبقى لل الخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم في جميعها لابن الرائق ليس لل الخليفة حكم.⁴

تولى الإدارة العباسية خلال فترة الدراسة كفاءات استطاعت أن تثبت قدرتها وكفايتها الإدارية رغم معارضة مناوئي الإصلاح من الجيش والحرم والحاشية لها، وذلك لتعارض

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 371.

² - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 259.

³ - البندري بنت عبد العزيز، المصدر السابق، ص 6.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 123.

البرامج الإصلاحية مع منافعهم الشخصية التي ستنزل مع برامج التصحح الإداري والمالي¹، ومن هذه الكفاءات:

محمد بن الفضل الجرجائي: استوزر المأمور على الله سنة 233هـ / 847م، وكان كبير السن ليس لديه معرفة في أمور الوزارة وقليل العلم، سأله المأمور على الله عن الكلاً فلم يعرفه، فقال المأمور على الله "مللت عرض المشايخ فاطلبوا خلي حديثاً من الأولاد الكتاب"²

كانت توقيعات "أبي صالح محمد بن يزداد" وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة بفضل أدبه، ولما تولى الوزارة للمستعين ضبط الأموال فصعب ذلك على أمراء الدولة وكان قد ضيق عليهم، فتهددوا بالقتل فهرب³، وكذلك "أبي جعفر أحمد بن إسرايل الأنباري" كان أحد الكتاب الحاذق الاذكياء يحفظ وجوه المال جميعها دخلاً وخارجها على ذهنه، إلا أن الاتراك وثبوا عليه فأخذوه وضربوه واستصفوا أمواله⁴

نهض علي بن عيسى بأمور الوزارة وضبط الدواوين والأعمال وقرر القواعد وكانت أيامه أحسن أيام وزير⁵ سار على الطريقة المألوفة في تعيين الأقارب والآصدقاء واكتفى بالكفاءات الادارية منهم، إلا أنه اصطدم بالحاشية والحرم، مما أدى إلى عزله.⁶

¹ - محمد فياض العزي: النزاع بين قادة الجيش الأتراك والخلافة العباسية في ظل الفوضى العسكرية 247هـ-334هـ / 861م-945م)، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017، ص 103.

² - الحنفي علي بن محمد الرحباني (ت 499هـ): روضة القضاة وطريق النجاة الناظم للشرع والمقيم للدين، تحرير: أحمد فريد المزیدي، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 756؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 7، ص 58.

³ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 242.

⁴ - المصدر نفسه، ص 244.

⁵ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 268.

⁶ - محمد فياض، المرجع السابق، ص 105.

اعيد استئزاره سنة 314هـ / 927م، حيث اشتغل بأمور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الأمور واستقامت الأحوال¹، إلا أنه اصطدم بشغب الجنديين زيدت أرزاقهم بأمر من الخليفة المقتدر، الأمر الذي تعارض مع برنامج الإصلاح المالي الذي خطط له الوزير فقدم استقالته، ويلاحظ أن الكفاءات الإدارية التي تعمل لصالح الدولة تعزل وتولي وزارات جديدة لا علم لها بالإدارة.²

3. انتشار الرشوة:

اعتبرت الرشوة من أهم أسباب الفساد الإداري، فقد ساهم كل من الخلفاء ووزرائهم وكبار الموظفين في استفحالها، وتطورت هذه الظاهرة إلى درجة حتى أصبح لا يمكن الوصول إلى شيء من هذه الوظائف (الوزارة، القضاء، ولدية الأقاليم وسائر الأعمال...) إلا بالمال الجزيء³، ولم يتزد بعضهم من الاعتراف علينا بأنه قد ارتشى.⁴

والأرجح أن أهم موارد الوزراء والولاة كانت من نهب جباية الدولة أو بيت مالها، ومن الهدايا التي يضطر صغار عمالهم إلى تقديمها في كل فرصة، ومن رشا يتناولونها من يحاولون استخدامها في أعمال الدولة إلى غير ذلك من وجوه انتهاك الأموال و إعانت الناس⁵، وبهذا ازدادت ثروة الوزراء مما دفع غيرهم إلى منافستهم للحصول على المنصب وبذل الرشوة والهدايا للقواد ولنساء الخليفة، وأحياناً إلى الخليفة نفسه عن طريق الضمان

¹- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 28.

²- محمد فياض، المرجع السابق، ص 105.

³-الأبيشيبي شهاب الدين ت 850هـ: المستطرف في كل فن مستطرف، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، لبنان، 1992، ص 145؛ اليوزبيكي، المرجع السابق، ص 217.

⁴-الصابي أبي الحسن الهلال بن المحسن، الوزراء، تج: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (د.ت)، (د.ت)، ص 239.

⁵- محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 167.

فيتعهد الخليفة بدفع مبلغ معين لقاء حصوله على المنصب¹ مثلاً فعل أبو علي بن مقلة، عندما أرسل الخليفة الراسي (329-322هـ/940-934م) يتعهد له في دفع خمسمائة ألف دينار مقابل استئزاره.²

من الوزراء في عهد المكتفي (295-289هـ/908-902م) من فادوا بخمسمائة ألف دينار ليصلوا إلى الوزارة، ومنهم من أعطوا المنجمين مائة ألف دينار ليحتالوا على الخليفة ويغيروا خاطره على أحد وزرائه ثم يصلون إلى منصب الوزارة.³

كان العامل متى تقلد المنصب حاول استرداد ما خسره معتمداً في ذلك على الخيانة لأن لكل شيء ثمن يبذل خاصة لمناصب الدواوين ، فكان العمال مثلاً يعطون أرزاقاً لقوم لا يحضرون للعمل وأرزاقاً بأسماء قوم لم يخلقوا، وكانوا يقيدون برسم الفقهاء والكتاب بأسماء الغلمان والوكلاء في الحاشية، وكانوا يصرفون الورق والقراطيس ثم يبيعونه فيحصل لهم منه المال.⁴

استمرت ظاهرة الرشوة ولم تقطع إلى عهد الخليفة المقتدر (320-295هـ/908-932م)، وربما كان مرد ذلك إلى الخليفة نفسه وحاشيته المقربين، فهم الآخرين قد انساقوا في قبول الرشوة والهدايا من بعض ولاة الأقاليم الذين صاروا يشعرون بأن بقائهم في مناصبهم لفترة أطول منوط بتقديم بعض الهدايا والهبات في المناسبات العامة لل الخليفة وبعض أفراد حاشيته، وهذا ما فعله والي مصر سنة 911هـ/299م حيث أرسل هدايا غريبة وثمينة

¹ - البيزبكي، المرجع السابق، ص 217.

² - ابن طباطبا، المصدر السابق ، ص 280.

³ - محمد كرد علي ، المصدر السابق ، ص 180.

⁴ - آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري عصر النهضة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت)، مج 1، ص 159.

بالإضافة إلى خمسمئة ألف دينار¹ واقتدى به الأمير الساماني أحمد بن اسماعيل الذي بعث هدايا "مذهبة ومرصعة بفاخر الجوهر وتأج مذهب بجوهر له قيمة كبيرة، ومناطق ذهب .. وشمamas مسک وعابر كله مرصع وعشر أفراس بسروجها ولأحده سرج ذهب"، ووردت هدايا ابن أبي الساج أربعمئة دابة، وثمانون ألف دينار، وفرش أرميني لم يرى مثله²

كما تدخلت السيدة أم الخليفة المقتدر مباشرة في شؤون الوزارة، وساهمت في تعيين وزراء يأترون بأمرها ويحققون مصالحها ومصالح ابنها، وتعز الوزراء إن وجدت أنهم مخالفين لتحقيق رغباتها السياسية والمالية، أو معادين لسياسة ابنها المقتدر تقلد الوزارة طيلة عهد ابنها حوالي تسعه وعشرون وزيرا، فقد أمرت السيدة بتعيين ابن الفرات وزيرا لابنها المقتدر (320-932هـ)، وقد تقلد هذا المنصب ثلاثة مرات لكن صودرت أمواله في كل مرة يعزل فيها، وظهر نفوذ السيدة أم المقتدر وغيرها من نساء القصر في وزارة ابن الفرات³

أورد الصابي العديد من الملاحظات الموجهة من قبل ابن الفرات إلى السيدة أم المقتدر وخطابا قائلا "أطال الله بقاء الخالة" والدعاء لها عدة سطور، وأيضا خاطب القياصرات ثمل و زيدان بالقول: "أطال الله بقائك والعنوان ثمل والزيدان من أبي الحسن ثم زاد زيدان خاصة أيا أختي" وهذه المخاطبات تدل على تنفذ النساء وقيامهن بتدبير أمور الخلافة والوزارة.⁴

استدعى الوزير علي بن عيسى أبي القاسم بن بسطام من مصر سنة 307هـ/920م لمحاكمته وذلك لخيانة ظهرت منه عندما استغل منصبه في جمع الأموال، فحضر إلى بغداد

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 124.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 124.

³ - آمنت محمود عودة الذيبات: دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232هـ-334هـ)، مجلة البحوث التاريخية، الع 1، الم 6، 2022، ص 293.

⁴ - الصابي، المصدر السابق، 295.

حاملاً الهدايا الفخمة والأموال الجزيلة إلى الخليفة المقتدر ووالدته، مما حال دون تطبيق

¹ العقوبة عليه.

تسبب التهافت على طلب الوزارة في كثرة نكبات الوزراء فسادت بعضاً من مظاهر الفوضى والشغب بحق بعض الوزراء، فعندما يجلس وزير جديد يلقى نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق، وقد يعود الوزير إلى منصبه أكثر من مرة فيعود معه أعوانه مشبعين بروح الانتقام، وما يتبع ذلك من اضطراب الأمن وأمور الدولة وانتشار الظلم والأحقاد وتدبير المؤامرات والمكائد للإيقاع بخصومهم ومنافسيهم بالتعاون مع قادة الجيش ونساء القصر.²

أوردت المصادر أن "أول ما انحل في نظام سياسة الملك فيما شاهدناه القضاء، فإن ابن الفرات وضع منه وأدخل فيه قوماً بالذممات لا علم لهم"،³ حيث قدمت الرشوة كذلك في سبيل الحصول على منصب القضاء، أو الحسبة، أو المظالم... فالوظائف الدينية هي الأخرى لم تسلم من توليها عن طريق البذل، فقد كان بعض الوزراء ينظرون إلى هذه المناصب نظرة مالية بحثة من دون الاهتمام بكفاءة من يتولاها، ففي سنة 328هـ/940م توفي قاضي القضاة "أبو الحسين أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي" فعين ابنه مكانه وتم ذلك بدفع عشرين ألف دينار،⁴ وعين معرز الدولة البويمي "أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب" قاضي للقضاء رغم معارضته المطیع (334-362هـ/946-974م) له، وذلك مقابل مائة ألف دينار.⁵

¹ الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 73.

² البندري بنت عبد العزيز، المرجع السابق، ص 185.

³ التوخي، المصدر السابق، ج 1، ص 121.

⁴ الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 320.

⁵ المصدر نفسه، ج 11، ص 392.

4. تضمين المناصب:

اعتمد مانحي المناصب على نظام "التضمين"، والذي يعني أن يعين الوزير شخصاً في منصب أو إقليم على أن يتضمن للخزينة المركزية مبلغاً متقدماً عليه من المال¹، أو التعهد بدفع رواتب الجندي أو تقديم مقادير معينة من المواد الغذائية، فمن كانت له قدرة مادية تقدم ليتقلد الوظيفة، استغل الكثير من الطامحين للمناصب الإدارية العليا حالة الدولة والأزمات المالية التي عانت منها مبدئين استعدادهم لسد عجز الخزينة².

كان البعض من الوزراء يدفع مبلغ الضمان للسنة الأولى مقدماً عند إصدار أمر تعيينه ثم يوالي إرسال المبلغ من ولايته وذلك لحاجته للمال، إلا أنه في الغالب ما كان يعجز الوزير عن الایفاء بالمبلغ المطلوب منه فيكون معرضًا للعزل من جانب الخليفة أو السجن أو المصادرات لأمواله³، وعندما كان الوزير يعجز عن ايجاد من يدفع مبلغ الضمان كاملاً مقدماً، كان يضطر تحت إلحاح حاجته إلى الأموال أن يتسلم قسطاً من مبلغ الضمان مقدماً ويؤجل للضمان مع الباقي إلى أن يستلم عمله، فمثلاً كان المهتمي بالله (255-869هـ) يمتحن وزيره سليمان بن وهب" ويلاحظ اعتماده أسلوب الضمان بقوله "نعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل"⁴.

¹ فاروق عمر فوزي، مرجع سابق، ص 120-121.

² حسام الدين السامرائي: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247هـ-334هـ/863-945م)، دار الفكر العربي، ط 2، (د.ت)، ص 167.

³ دارين سليم محي الدين جوهر: المحن والنكسات السياسية لكتاب الوزراء في العصور العباسية الأولى والثانية (132هـ-334هـ/749-945م)، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار الإسلامية، 2007، ص 54.

⁴ السامرائي، المؤسسات الإدارية، المرجع السابق، ص 167

قلدت إدارة الأقاليم أيضاً لمن يدفع مبلغاً أكثر من غيره من الموظفين،¹ فكان تعيين العمال مجالاً للمساومة؛ فمن يدفع أكثر يستحق التعيين بغض النظر عن كفاءته وإخلاصه والطرق التي يتبعها في جمع الأموال في الولاية ومدى تعسفه وظلمه لأهلها دون مراعاة للصالح العام.²

أعطى بعض الخلفاء للعمال صلاحيات واسعة في التسيير والتصرف حيث فوض الأمور كلها لهم، مثلاً عمل الواقف بالله (232-842هـ/847-227م) وولات عهده أبنائه، فأصبح المصير الواحد يحكم برأي عامله وجماعة من يختارهم لمشاورتهم ومعاونتهم، فينظر إلى الأمر بحسب فهمه وما يوحيه إليه محطيه والعادة والعرف، فإذا كان العامل يحسن عمله يعرف مدى المسؤولية الملقاة عليه ولا يرجع في العادة إلى استشارة العاصمة إلا في عويس المسائل التي يمكن تأجيلها، على عكس بعض الخلفاء أمثال الرشيد الذي قدم للولاية العديد من الصلاحيات، إلا أن أمر التنفيذ لا يتم إلا بالرجوع إليه³.

5. إحاكاة المكائد والوشایات:

لعبت المكائد والوشایات دوراً كبيراً في عزل وتعيين الموظفين، والتي غالباً ما كانت للتخلص من شخص بريء أو إزاحته من موقعه لدى السلطة بسبب اتهامات وأكاذيب وشائعات الحاقدون⁴، كما كان الاريقاع ببار رجال الدولة يتم على مبدأ الحيلة، وتتجلى الحيلة

¹ - الصولي، المصدر السابق، ص 276.

² - حسام الدين السامرائي، المؤسسات الادارية، المرجع السابق، ص 166.

³ - على كرد، المرجع السابق، ص 181.

⁴ - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، ط 8، ج 3، ص 265؛ علاء كامل صالح العيساوي: الوشاية بالعلويين وأتباعهم في العصر العباسي (132هـ 746م)، بأقلام باحثينا نصنع الحياة، المؤتمر العلمي الخامس لكلية التربية العلوم الإنسانية، أبحاث التاريخ، 13، 14 أبريل 2012، ص 776.

بالسعاية، والسعاية هي العمل بهدف انتهاص نفوذ شخص ما للحلول محله أو من أجل الحماية الذاتية.¹

حضر الخليفة المأمون (818-198 هـ/833-833م) ابنه من خطر الوشاية قائلاً :
"يا بنى نزهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويله سعaitهم" ، كما بين أهدافهم
بقوله "فلا تعطوا الوشاة أماناتهم فيمن يشون بهم" ، فهو بذلك لم يترك مجالاً للوشاة يخربون
بيوت من يشون بهم.²

حفلت بيئة الكتاب بالصراعات وكان الكاتب شخصاً مهداً باستمرار في المركز والثروة والسلامة، ولعل ابن المقفع كان يستقرئ التاريخ عندما قال "إعلم أن أكثر الناس عدواً مجاهاً حاضراً جريئاً وashiماً، وزير السلطان ذو المكانة عنده لأنّه منفوس عليه بما ينفس على السلطان ومحسود كما يحسد غيره أن يجتازه عليه ولا يجتازه على السلطان، لأنّه من محاسديه أحباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل والمخارج لا ينقطع طمعهم في الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل له".³

كثير في عصر المأمون (861-847هـ/247-232م) انتشار المصادرات بصورة كبيرة بسبب الوشايات التي تعود لعداءات شخصية⁴، حيث تم الالقاء ببعض كبار رجال

¹ - الأبهيسي، المصدر السابق، ص1245. رويدة رفقة ، المرجع السابق، ص66.

² محمد علي كرد، المرجع السابق، ص 160.

³-المقفع عبد الله ابن (106-142هـ/724-759م): آثار ابن المقفع، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص256.

المصدرة: مشتقة لغوية من الفعل: "صدر" أي أخرج الشيء بمحض إرادته، أو من القول "صادر" وهو يعني معنى الإلحاد، والمصدرة جاءت من المطالبة، يقال صادره على كذا، أي طالبه به، ومن هنا فال مصدرة تعني إخراج الشيء بالطلب والإلحاد؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج 4، ص 447؛ اصطلاحاً: تعني حكمولي الأمر بانتقال ملكية أشياء معينة من الشخص إلى بيت المال، أي نزع الملكية الخاصة لصالح الدولة، وأخذ الأموال كعقوبة مالية على جريمة معينة، أو نزع المال جبراً من

الدولة،¹ فقد كانت أهم عقوبة تقع على الظالم من عمال الأقاليم هي المصادر أو التكيل، وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الأموال وهم موقنون بأن مصيرهم بما جمعوه إلى المصادر والقتل.²

كما تعرض الوزراء والكتاب وغيرهم من أصحاب المناصب العليا للمصادر أو التكيل لما قاموا به من تجاوزات إدارية واستغلال للنفوذ، حتى أصبحت المصادرات أمراً مألوفاً في القرنين الثالث والرابع هجري، إضافةً أنها كانت تتم أحياناً في ظل الأزمات المالية، أي في فترة كانت الدولة في أمس الحاجة لإيجاد المال لسد نفقات بيت المال، كان من المعتمد أن يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف والظلم ويطلب من كتابه وأعوانه أن يفتداوا أنفسهم بكميات من المال، وكانت الطريقة المتبعة أن يلقى القبض على الوزير المعزول وأعوانه بصورة مفاجئة ويُسجّنون، ثم يبدأ الوزير الجديد تحرياته لاستخراج الأموال بالإقناع والتهديد.³

كان تقلب الأحوال ونكبة الكتاب والوزراء أو مصادرتهم يؤثر سلباً على فعالية الجهاز الإداري، إذ أصبح هذا الجهاز غير قادر على أن يسير بمعزل عن التحولات السياسية الناتجة عن انتقال العهد أو تبديل الوزير، فيصاحب ذلك في كل مرة تغيير الكتاب الذين

صاحبها لمصلحة عامة. محمد فتحي محمد عبد الجليل: أهم المصادرات في عهد الخليفة المتوكل على الله (232هـ-247هـ / 861م-846م)، مجلة الدراسات الإنسانية والادبية، الع 26، 2022، ص4؛ مجید تحسین حمید: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع هجري، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، 2015، ط1، ص138.

¹- عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص51؛ محمد فتحي محمد عبد الجليل، المرجع السابق، ص992.

²- صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعرف، بغداد، 1955، ص165.

³- فرات حمدان عبد المجيد الكبيسي: الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب تجارب الأمم لمسكويه (295هـ-369هـ / 979م-907م)، أطروحة دكتوراه، مجلس كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، 2002، ص45.

على رأس الدواوين وكان يعمد هؤلاء إلى تعيين كتاب من خواصهم يكتبون لهم وهكذا لم تستطع المسئولية الإدارية أن تتصدّم أمام التقلبات الثانية.¹

كما كان للجواري والقهرمانات مساهمة في إحاكة المكائد والدسائس لكتاب رجال الدولة، فقد طالت يد كل من السيدة شغب وجاريتها المناصب الإدارية العليا وتمكنّت من العزل والتعيين،² كان الوزير "أبي جعفر محمد بن الفضل الجرجاني" شيخاً ظريفاً حسن الأدب عالماً بالغناء مشتّهراً به، فخف على قلب المตوكل (247-847هـ/861م) فاستوزره، مدة قصيرة ثم كثّرت السعایات به فعزله المتوكل،³ كما تميز ابن الفرات بكافأته في تسيير الدواوين وتدبير الأمور والأعمال⁴ ما جعل السعایات والوشایات ضده تكثر إلا أن الخليفة رفض تصديقهم.⁵

كانت تتصل بكل طامح للوزارة عصبة من المؤيدين له تأمل أن تتسلّم الأعمال والدواوين عند استئزاره، حيث يستعين بهم الوزير في إدارة الولايات، وكان هؤلاء يعزلون عند عزل الوزير الذي عينهم، وعند ذلك يصبحون من عناصر الشغب التي تتحين الفرص لإثارة الفتن حتى تعود جماعتهم إلى الحكم.⁶

¹ رويدة رفقة، المرجع السابق، ص 95.

² يوسف كاظم جغيل الشمري وميثاق كاظم هادي الخفاجي: السعاية والوشایة عند القهرمانات في بغداد ابان العصر العباسي (247هـ/861م، 1193م)، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، الع 10، 2020، ص 130.

³ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 137.

⁴ الصولي، المصدر السابق، ص 117.

⁵ قاسم خضير كاظم الطالبي وآخرون: الوزير علي ابن الفرات (ت 312هـ) ودوره السياسي والإداري، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 3، العدد 8، سنة 2023، ص 161.

⁶ حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية، المرجع السابق، ص 167.

فعندما يجلس وزير جديد يلقى نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق، وقد يعود الوزير إلى منصبه أكثر من مرة فيعود معه أعوانه مشبعين بروح الانتقام وما يتبع ذلك من اضطراب الأمن وأمور الدولة وانتشار الظلم والأحقاد وتدمير المؤامرات والمكائد للإيقاع بخصومهم ومنافسيهم بالتعاون مع قادة الجيش ونساء القصر.¹

المبحث الرابع: الصراع على المناطق الحدودية العباسية البيزنطية:

تُأرجح علاقـة الخلاقة العباسية والإمبراطورية البيزنطية بين الحرب والسلم؛ حيث تعود الجذور التاريخية لهذا الصراع منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما بعث "دحـيـة الكلـبـي" إلى "هرقلة" قيـصـرـ الروـمـ يـدـعـوـهـ لـلـإـسـلـامـ بـالـحـسـنـ لـكـنـهـ رـفـضـ "قـائـلاـ" لوـ كانـ فـيـ الـبـلـادـ لـاتـبـعـهـ وـنـصـرـتـهـ"؛³ فأخذـتـ العـلـاقـةـ تـتـضـحـ وـتـتـطـوـرـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ حـيـثـ قـامـتـ العـدـيدـ مـنـ الـمـعـارـكـ وـالـغـزـوـاتـ بـقـيـادـةـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ مـثـلـ "سـرـيـةـ مـؤـتـةـ" الـتـيـ تـعـدـ أـوـلـ مـوـاجـهـةـ مـبـاـشـرـةـ بـيـنـ الـبـيـزـنـطـيـنـ وـالـمـسـلـمـيـنـ فـيـ مـيـدـاـنـ الـقـتـالـ"؛⁴ وـالـتـيـ كـانـتـ نـتـائـجـهـ وـآـثـارـهـ بـعـيـدةـ الـمـدـىـ،⁵ حـيـثـ أـثـبـتـ تـعـاظـمـ قـوـةـ الـمـسـلـمـيـنـ الـعـسـكـرـيـةـ وـالـمـعـنـوـيـةـ الـتـيـ دـفـعـتـهـمـ إـلـىـ غـزـوـ الـرـوـمـ فـيـ مـسـتـعـمـرـاتـهـمـ".⁶

¹ البندري بنت عبد العزيز، المرجع السابق، ص 185.

² اليعمرى الحافظ ابى الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (ت 734هـ)؛ عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير، تحرير محمد العيد الخضراوى، دار ابن كثير، المدينة المنورة، (د.ت)، ج 2، ص 344.

³ ابن الفراء ابى على الحسين بن محمد (ت 458هـ)؛ رسـلـ الـمـلـوـكـ وـمـنـ يـصـلـحـ لـلـرـسـالـةـ وـالـسـفـارـةـ، تـحـ صـلـاحـ الدـيـنـ الـمـنـجـدـ، مـطـبـوعـاتـ لـجـنـةـ التـأـلـيـفـ وـالـتـرـجـمـةـ، 1947، ص 4.

⁴ الواقدي محمد بن عمر بن واقد (207هـ)؛ المغازى، تحرير جونس ماردىسن، عالم الكتب، (د.ت)، ج 2، ص 755.

⁵ أسد رستم: الروم في سياسـهـمـ وـحـضـارـتـهـمـ وـدـيـنـهـمـ وـثقـافـتـهـمـ وـصـلـاتـهـمـ بـالـعـرـبـ، دـارـ المـكـشـوفـ، لـبـانـ، 1955، ص 237.

⁶ محمد فهد مشكـلـ: الـعـلـاقـاتـ الـخـارـجـيـةـ لـلـدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ عـصـرـ الرـسـالـةـ، مـرـكـزـ درـاسـاتـ الـبـصـرـةـ وـالـخـلـيـجـ الـعـرـبـيـ، جـامـعـةـ الـبـصـرـةـ، الـعـ 20ـ، 2016ـ، ص 247ـ.

كما بذل الخلفاء الراشدين جهداً كبيراً في سبيل الجهاد ضدهم مثل "معركة اليرموك 13هـ" وغيرها من الفتوحات التي بفضلها تم إعلاء كلمة التوحيد في مساحات شاسعة من أراضي الامبراطورية البيزنطية،¹ ومع تأسيس الدولة الأموية وانتقال العاصمة إلى دمشق اختلف طابع العلاقات العربية البيزنطية إذ أصبحت أكثر وضوحاً، شهدت العقود الأولى من القرن الأول هجري إتساعاً في نطاق الاحتكاك بين العرب والبيزنطيين أدت إلى اكتساح أراضي واسعة كانت تحت السيطرة البيزنطية.²

بقيام الدولة العباسية تغيرت استراتيجيتها مع البيزنطيين عن استراتيجية الأمويين، فبينما كان الأمويون يعتمدون سياسة الفتح وزيادة رقعة الدولة الإسلامية،³ لم يرد في المصادر ما يدل على أن العباسيين خططوا للاستلاء على إحدى المدن أو فتح القسطنطينية، ولذلك أخذ الصدام العسكري بين الطرفين يأخذ صورة إغارات انتقامية تخريبية، بهدف إزالة كل فريق بالآخر أكبر قدر من الخسائر في الأرواح والعمان والأموال،⁴ فقد أظهر العباسيون قوة الدولة ومناعتها من خلال جهادهم.⁵

¹ ابن كثير، المصدر السابق، ج 7، ص 4.

² هاميلتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، تر: احسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ط 3، لبنان، 1979، ص 63.

³ فيليب حتى: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1951، ج 2، ص 263؛ ابراهيم العدوى: الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة، مصر، (د.ت)، ص 7.

Julius Wellhausen: Arab Wars with the Byzantines in the Umayyad Period، Arab–Byzantine Relations in Early Islamic Times Aldershot and Burlington, vol 8، Ashgate, 2004، p39.

⁴ نادية حسني صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول (دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواقف بالله)، المكتبة الفيصلية، لبنان، 1985، ص 17.

⁵ صباح ابراهيم الشيخلي: الخلافة العباسية و موقفها من المطامع البيزنطية نظرة في الدوافع والأسباب، مجلة المورد، جامعة بغداد، الع 4، 2005، ص 20.

ارتبط الصراع العباسي البيزنطي إذن بظاهرة تاريخية قديمة موروثة، فهو استمرار لسلسلة من الحروب عبرت عن ما يعرف بالصراع بين الشرق والغرب، كما لعب الدافع الديني دوره في تأجيج الصراع، فالجهاد الذي شرع أساساً للدفاع عن الإسلام ونصرته كان حافزاً لاستمراره¹، وانسجاماً مع الصبغة الدينية التي أضافها بنو العباس على خلافتهم واتحاد الدين والسياسة في دولتهم كان لابد للخلفاء العباسيين من إدامة روح الجهاد²، كما كان للأهداف الشخصية مساهمة واضحة في توجيه الخلفاء للحملات، وذلك أنها تحافظ لخليفة على هيبته وتحقق له مكانة سامية في نظر رعيته.³

كان لوجود مصالح اقتصادية متضاربة بين الطرفين مساهمة في اضطراب علاقتهما السياسية، وذلك لرغبة كل منهما في السيطرة على فعاليات التجارة بين الشرق والغرب، خاصة وأن طرق التجارة الدولية الرابطة بين شرق العالم وغربه تسير تحت إشراف العباسيين؛ حيث أنها تمر بأراضي ومياه الدولة العباسية قبل وصولها لعاصمة الامبراطورية البيزنطية.⁴

كان خط الحدود العباسي - البيزنطي عبارة عن سلسلة من المواقع المحسنة تبدأ من طرسوس TARSUS على البحر ويتوجه شرقاً إلى أذنة ADANA على نهر سيحان والمصيصة MOPSUESTA على ضفتي PYRAMUS ، ثم إلى الشمال الشرقي حتى مرعش GERMANICREA، بعد أن يمر بغربي اللكام AMANUS الشمالي بحصن

¹ - عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والأداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1 ، لبنان ، (د.ت) ، ص 73

² - ابراهيم العدوى ، المرجع السابق ، ص 19

³ - فازليف: العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، مر: فؤاد حسين علي ، دار الفكر العربي ، (د.ت) ، ص 19

⁴ - عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ، المرجع السابق ، ص 73

الهارونية، ثم تمتد سلسلة من الحصون في شمال شرقي مرعش غير بعيدا عنها حتى الحدث **MELITENE**، وفي شمال شرقي هذا التغر تقع ملطية **ADATA** أهم الحصون على نهر الفرات الأعلى وعندها ينحرف خط الحدود فيسير شرقا إلى خصن زياد وخربرت وحانى حتى بحيرة وان **VAN** ، ويتبع هذه الثغور من ورائها العواصم ما بين أنطاكيا على ساحل الشام حتى بالس **PALISUS** عند ضفة الفرات اليميني وحتى مدينة منج **HIERAPOLIS** ثم أيضا سميساط **SAMOSATE**¹ وقد سميت بالعواصم لأنها تعصم

الثغر.² (أنظر الملحق رقم 02 ص 382)

أما عن الأسباب الخاصة بالإمبراطورية البيزنطية؛ تعود جذورها لبداية الدعوة الإسلامية وتوسعها في الشام وبلاد المغرب على انقاض النفوذ البيزنطي في تلك الأصقاع، لذلك عملت بيزنطة على استرداد ما فقدته من ولايات ثرية سيطرت عليها الخلافة الإسلامية.³

إضافة للعلاقات الحربية تجسدت بين الطرفين صورا متعددة من العلاقات السلمية، حيث اجتازت السفارات حدود الدولتين لتوقيع معاهدة أو عقد هدنة أو لإيصال هدايا أرسلت، وتجارات تمت بين الطرفين، كما توالت الاتصالات والرحلات العلمية للتعرف إلى ما آل إلى بيزنطة من تراث فكري ونقل النافع منه لترجمته في بغداد.⁴

¹- مصطفى شاكر: دولة بنى العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973، ج 2، ص 327.

²- **الثغر**: بالفتح ثم السكون، وراء كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرا، كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج 2، ص 79.

³- اسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المعرفة، مصر، 1987، ص 41-42.

⁴- سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدولة العباسية والفارطمية والأموية في الأندلس، مكتبة التوبة، (د.ت)، ص 50.

ولرسم صورة تقريبية عن طبيعة العلاقات السياسية بين الدولتين؛ تم انجاز الجدول التالي بعد الاطلاع على جملة من المصادر سواء المعاصرة أو القريبة من فترة الخلافة العباسية.

السنة الهجرية	الحملات بين الدولتين	المصدر
825 هـ / 210	قدم وفد الطاغية يسأل الصلح فلم يجب إليه وكتب المأمون إلى عمال التغور فساحوا في بلاد الروم فأكثروا فيها القتال.	البلذري، المصدر السابق، ص 270.
830 هـ / 215	خرج المأمون متوجهاً إلى أرض الروم، فغزا الصانفة وافتتح أنقرة ¹ نصفاً بالصلح ونصفاً بالسيف وأخربها وهرب.	اليعقوبي، المصدر السابق، ج 3، ص 197.
831 هـ / 216	غزا المأمون أرض الروم ففتح 12 حصناً وعدة مطامير.	المصدر نفسه، ج 3، ص 200؛ الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 625؛ ابن الوردي زين الدين عمر بن مطفر (ت 749 هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996، ج 1، ص 210.
832 هـ / 217	عاد المأمون إلى بلاد الروم وأتى على حصن لؤلؤة ² 100 يوم ثم رحل، وبنى فوقه حصين.	اليعقوبي، مصدر سابق، ج 3، ص 201؛ الطبرى، مصدر سابق، ج 8، ص 629؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج 1، ص 210.

Marius Canard: Les relations politiques et sociales entre Byzance et les Arabes, Dumbarton Oaks Papers, 1964, p. 44

¹ - أنقرة: اسم مدينة المسماة أنكورية، وقال بطليموس أن مدينة أنقرة طولها ثمانين وخمسون درجة وعرضها تسعة وأربعون درجة وأربعون دقيقة، فتحها الخليفة المعتصم في دريقه إلى عمورية؛ الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 272.

² لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس؛ المصدر نفسه، ج 5، ص 26.

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

اليعقوبي، المصدر السابق، ج 3، ص 204.	غزا المأمون بلاد الروم، وقد استعد لحصار عمورية، فأتاه رسول ملك الروم يدعوه إلى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى فلم يقبل.	834 هـ / 218
بن خياط، المصدر السابق، ج 2، ص 515.	غزا الحسن بن مصعب بلاد الروم فنكب وهزم وأسر عامة جيشه.	836 هـ / 220
البلذري، المصدر السابق، ص 270.	خرجت الروم إلى زبطة ¹ فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخربوها.	838 هـ / 222
بن خياط، المصدر السابق، ج 2، ص 516؛ الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 57.	شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم فذكر أنه تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط من السلاح والآلة، وفتح مدينة عمورية ² فقتل بها مقتلة عظيمة وسبى سبايا كثيرة وخراب المدينة وهدمها.	839 هـ / 223
الطبرى، المصدر السابق، ج 6، ص 88؛ ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 11، ص 164.	سار جيش بلاد المشركين.	847 هـ / 231
الطبرى، المصدر السابق، ج 9، 191؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 113.	سار العباس في جيش كثيف وفتح حصونا كثيرة، غزا في هذه السنة الصائفة علي بن يحيى الأرمني.	853 هـ / 237
الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 195؛ ابن الأثير، المصدر	غزا الصائفة على بن يحيى الأرمني.	854 هـ / 238

¹- زبطة: إحدى مدن التغور الواقعة بين مدينة ملطية ومدينة سميساط. ابن رسته أبي علي عمر: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1891، ص 107؛ الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 130-131.

²- عمورية: بفتح أوله وتشديد ثانية، بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم وفتحها سنة 223 هـ / 837 وقيل سميت بذلك الاسم نسبة لعمورية بنت الروم بن اليافز بن سام بن نوح عليه السلام. المصدر نفسه، ج 4، ص 158.

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

السابق، ج 6، ص 117.		
الطبرى، المصدر السابق، ج 9، 196؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 119.	غزا الصائفة على بن يحيى الأرمنى.	239 هـ / 855
ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 11، ص 282؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 125.	أغارت الروم على عين زربة ¹ فأخذت من كان بها أسيرا من الزط مع نسائهم وذرارיהם ودوابهم.	241 هـ / 857
الطبرى، المصدر السابق، ج 6، ص 126؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، 207.	خرجت الروم من ناحية سميساط ² بعد خروج علي بن يحيى الأرمنى من الصائفة حتى قاربوا آمد وخرجوا من التغور الجزيرية فانتهبا وأسروا نحو 10 آلاف ، فكتب المتوكل إلى علي بن يحيى الأرمنى أن يسير إلى بلاد الروم شاتيا.	242 هـ / 858
الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 210؛ ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 11، ص 322؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 129.	وجه المتوكل بغا الكبير لغزو الروم فغزا الصائفة.	244 هـ / 860
ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 11، ص 330؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 218.	غزا علي بن يحيى الأرمنى الصائفة. أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا حوالي 500.	245 هـ / 861
الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 219؛ ابن الأثير، المصدر	غزا عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة فأخرج 17 ألف رأس وحملة الفضل بن قارن بحرا في	246 هـ / 862

¹ - عبن زربة: بتقديم الراى مدينة مشهورة باللغور الشامية قرب المصيصة؛ ص 320. ياقوت بن عبد الله الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: المشترك وضعاً والمترقب صقعاً، عالم الكتب، ط 3، 1986، ص 320.

² سميساط: بضم أوله وفتح ثانية ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة، مدينة على شاطئ الفرات من طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج 3، ص 258.

السابق، ج6، ص134.	20 مركبا فافتتح حصن انطاكية وحملة بلکاجور فغنم وسبى وأغار على بن يحيى الأرمني.	
المصدر نفسه، ج6، ص146.	غزا المنتصر وصيف التركي إلى بلاد الروم.	864 هـ / 248
الطبرى، المصدر السابق، ج9، ص261.	غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير ، وعمر بن عبد الله فحدثت حرب قتل فيها خلق كثير من الفريقين.	865 هـ / 249
المصدر نفسه ، ج9، 277.	غزا الصائفة بلکاجارو	866 هـ / 250
المصدر نفسه ، ج9، ص327.	غزا بلکاجارو غزوة فتح أصاب فيها غزيمة كثيرة وأسر مجموعة من الأعلاج.	867 هـ / 251
المصدر نفسه ، ج9، ص377.	غزا محمد بن معاذ بالمسلمين في ذي القعدة.	869 هـ / 253
اليعقوبى، المصدر السابق، ج3، ص241.	غزا الصائفة محمد بن علي بن يحيى الأرمني	874 هـ / 258
ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص245	نزلت الروم على سميساط ثم على ملطية وقاتلهم أهلها فانهزمت الروم وقتل بطريق البطارقة.	875 هـ / 259
ابن العربي أبي الفرج غريغوريوس (ت785هـ): تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ص256.	دخل عبد الله بن الرشيد بن كاوس بلاد الروم في اربعة آلاف فارس فغنم وقتل.	880 هـ / 264
ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص284	خرج خمسة بطارقة من الروم إلى أذنة فقتلوا وأسروا.	881 هـ / 265
الطبرى، المصدر السابق، ج9، ص549؛ المصدر نفسه، ج9، ص553.	وردت سرية من سرايا الروم تل يسمى ديار ربعة ، فقتلت من المسلمين وأسرت نحو من انسانا فنفر أهل نصيبين وأهل الموصل	882 هـ / 266

	<p>فرجعت الروم. غزا خليفة ابن طولون على التغور الشامية¹ من 300 رجل من أهل طرسوس فخرج عليهم العدو في بلاد هرقلة فاقتتلوا قتالاً شديداً.</p>	
<p>ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 307.</p>	<p>بث الحسن بن العباس السرايا إلى بلاد الروم وأخرجت الروم سراياما فأصابوا من المسلمين.</p>	<p>267 هـ / 883 م</p>
<p>الطبرى، المصدر السابق، ج 6، ص 314.</p>	<p>خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلية فنازل ملطية فأعانهم أهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم.</p>	<p>268 هـ / 884 م</p>
<p>ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 612.</p>	<p>غزا الصائفة من ناحية التغور الشامية الفرغانى عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر ألفاً وغنم الناس فبلغ السهم أربعين دينار.</p>	
<p>المصدر نفسه، ج 6، ص 330.</p>	<p>خرج محمد بن الفضل أمير صقلية في عسكر إلى ناحية رمطة وبلغ العسكر إلى قطانية فقتل كثيراً من الروم وسبى وغنم.</p>	<p>269 هـ / 885 م</p>
<p>ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 336. ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 229.</p>	<p>خرجت الروم في 100 ألف فنزلوا على قملية، فقتل منهم فيما يقال 70 ألفاً وقتل مقدمهم وهو بطريق البطارقة، وقتل أيضاً مجموعة من البطاريق وأخذ لهم 7 صليبان من ذهب وفضة وصلبיהם الأعظم من ذهب مكل بالجواهر،</p>	<p>270 هـ / 886 م</p>

¹-**اللغور الشامية والجزيرة:** كانت تشكل حدود الشام الشمالية مع الروم، فمما يلي الروم اللغور، وهي ملطية والحدث مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربى والمصيصة وأذنة وطرسوس وقد جمعت إلى الشام وبعض اللغور، تعرف بلغور الشام وبعضها تعرف بلغور الجزيرة وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سمي من ملطية إلى مرعش لغور جزيرة لأن أهل الجزيرة بها يرثبطون، ومنها يغزون لأنها من الجزيرة وبين لغور الشام والجزيرة جبل اللقام؛ فايزة عبد الرحمن حجازي: تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي 139هـ-335م / 757-946م، مؤتة للبحوث والدراسات الع6، المجلد 21، 2006، ص 149.

	<p>وأخذ 15 الف دابة وبلغ ومن السروج وغير ذلك وسيوفاً محللاً وأربعة كراسى من الذهب و200 كرسي من الفضة وأنية كثيرة ونحوها من 10 آلاف علم ودبباجاً كثيرة.</p> <p>ورد الخبر إلى بغداد بأن الروم نزلت ناحية باب تلميذ وهو زهاء 100 ألف يرأسهم بطريق البطارقة أندرنياس.</p>	
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 346.	غزا الصائفة بازمار فغنم وعاد.	888 هـ / 272
الطبرى، مصدر سابق، ج 10، ص 13؛ ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 12، ص 261؛ ابن الأثير، المصدر سابق، ج 6، ص 351.	غزا بازمار فأوغل في أرض الروم فأوقع فيها الكثير من أهلها وقيل غنم وسبى وأسر وعاد سالماً إلى طرسوس	890 هـ / 274
المصدر نفسه، ج 10، ص 14.	غزا بازمان في البحر فأخذ للروم أربعة مراكب.	891 هـ / 275
المصدر نفسه، ج 6، ص 366.	دخل أحمد العجيفي طرسوس وغزا مع بازمار الصائفة.	894 هـ / 278
ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 12، ص 333.	ورد خبر بغزو اسماعيل بن احمد بلاد الترك وقتله خلق كثير من الترك.	896 هـ / 280
الطبرى، مصدر سابق، ج 10، ص 38؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 378.	غزا المسلمون الروم فكانت بينهم حرب 21 يوماً فظهر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وانصرفوا.	897 هـ / 281
الطبرى، مصدر سابق، ج 11، ص 63؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 391.	فتحت قرة من بلاد الروم على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب.	890 هـ / 284
ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 12، ص 378؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 394.	غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم مراكب كثيرة، فضرب 3 آلاف من الروم، احرق المراكب وفتح حصوناً كثيرة وعاد سالماً ومن	891 هـ / 285

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

معه		
ابن الأثير، ج6، ص408. ابن العربي، المصدر السابق، ص263.	سير الحسن بن علي كورة صاحبة نزار محمد إلى صائفة الروم، فغزا وفتح حصونا كثيرة للروم وعاد معه الاسرى.	894 هـ / 288
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص23. العربي، مصدر سابق، ص267.	خرج الروم قصدوا المسلمين في جيش عظيم.	897 هـ / 291
ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص425.	أغار الروم على مرعش ونواحيها.	898 هـ / 292
ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص431. ابن العربي، مصدر سابق، ص268.	أغار الروم على قورس من أعمال حلب.	900 هـ / 293
ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص434.	غزا ابن كيغليخ الروم من طرسوس فأصاب من الروم 4آلاف رأس.	901 هـ / 294
المصدر نفسه، ج6، ص464.	سار مؤنس المظفر الخادم في جمع كثير لقتال الروم فظفر وغنم وأسر منهم.	903 هـ / 296
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص93؛ ابن الأثير، ج6، ص466.	غزا القاسم بن سيماء الصائفة.	904 هـ / 297
ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص469.	غزا القاسم بن سيماء الصائفة.	905 هـ / 298
المصدر نفسه، ج6، ص471.	غزا رستم أمير النغور الصائفة من ناحية طرسوس.	906 هـ / 299
الطبرى، مصدر سابق، ج10، ص147؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص141.	غزا الصائفة الحسين بن حمدان فورد كتاب من طرسوس يذكر أنه فتح حصونا كثيرة وقتل من الروم خلق كثير.	908 هـ / 301

<p>الطبرى، مصدر سابق، ج 10، ص 150؛ ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 13، ص 150؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 486.</p>	<p>ورد كتاب من بشير عامل السلطان على طرسوس¹ على السلطان يذكر فيه غزوه لأرض الروم وما فتح فيها من الحصون وما غنم وسبى نحو ألفي فارس.</p> <p>قرئ على المنابر كتاب بفتح بلاد الروم وورد من بشير الخادم كتاب يذكر فيه ما فتح من حصون الروم وما سبى وأنه أسر من بطارقة الروم 150.</p>	<p>302 هـ / 909 م</p>
<p>ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 302؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 301.</p>	<p>أغارت الروم على التغور الجزيرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر عظيم.</p> <p>لم يكن للMuslimين صائفة فسبوا وغنموا 2.</p>	<p>303 هـ / 910 م</p>
<p>ابن الأثير، مصدر سابق، ج 6، ص 496.</p>	<p>سار مؤنس المظفر إلى بلاد الروم لغزة الصائفة، ففتح حصوناً كثيرة من الروم، وعتب عليه أهل التغور قالوا لو شاء لفعل أكثر من هذا.</p>	<p>304 هـ / 911 م</p>
<p>ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 13، ص 306.</p>	<p>غزا بشير الأفشنيني بلاد الروم وافتتح عدة حصون وغنم وسلم وغزا شمال في بحر الروم فغنم وسبى وعاد، وفيها دخل الصفواني بلاد الروم فنهب وخرب وأحرق وفتح وعاد، فقرأت الكتب على المنابر ببغداد بذلك.</p>	<p>306 هـ / 913 م</p>
<p>ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 11؛ ابن الجوزى، مصدر سابق، ج 13، ص 210.</p>	<p>قرئت الكتب على المنابر في الجوامع بفتح كان في بلاد الروم لأهل طرسوس وملطية. غزا المسلمين في البر ولبحر فغنموا وسلموا.</p>	<p>310 هـ / 917 م</p>
<p>ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7،</p>	<p>غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح</p>	<p>311 هـ / 918 م</p>

¹ - طرسوس: بفتح أوله وثانية، وسینین ملهمتين بينهما واو ساكنة، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاط الروم. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج 4، ص 27.

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

ص16.	حصونا، وغزا ثمال ايضا في البحر فغنم وسبى.	
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 78؛ ابن الأثير، ج 7، ص 23.	دخل المسلمون بلاد الروم فنهبوا وسبوا وعادوا.	919هـ/312
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 82.	كتب ملك الروم إلى أهل الشغور يرسم لهم أداء الخراج فإن فعلوا والا قصدهم، فقتل الرجال وسبى الذرية، فلم يفعلوا ذلك فسار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية فأخربوها	920هـ/313
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 25.		
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 82. ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 30.	خرجت الروم إلى ملطية وما يليها مع الدمستق ومعه مليح الأرميني صاحب الدروب فنزلوا على ملطية فحصروها وخربوا قرى كثيرة ونشوا الموتى ومثلوا بهم ورحلوا عنهم، وغزا أهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا.	921هـ/314
مصدر نفسه ، ج 7، ص 31.	هاجت الروم وقصدوا الشغور ودخلوا سميساط وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك، وخرج المسلمون وأثر الروم وقاتلوا وغنموا منهم غنيمة عظيمة.	922هـ/315
مصدر نفسه، ج 7، ص 48.	وصل 700 رجل من الروم إلى ملطية.	923هـ/316
مصدر نفسه، ج 7، ص 57.	ضعف التغور الجزرية عن دفع الروم عنهم وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر بالله، وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم وينذرون عجزهم ويستمدون العساكر لمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا.	924هـ/317
مصدر نفسه، ج 7، ص 69. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 167.	أوقع ثمل مولى طرسوس بالروم وقعة عظيمة.	926هـ/319

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 161؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 106؛ ابن الكثير، مصدر سابق، ج 11، ص 177.	سار الدمشقي في 50 ألف من الروم فنازل ملطية وحاصرها مدة طويلة وهلك أكثر أهلها بالجوع، وصار أكثر البلاد في أيديهم.	929هـ / 322م
ابن الأثير، ج 7، ص 168؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 203.	في ربيع الأول وصل الروم إلى قرية حلب ونهبوا وخرابوا البلاد وسبوا نحو من 15 ألف إنسان، وفيها دخل الثملي من ناحية طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم.	930هـ / 330م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 185.	دخل الروم رأس عين في ربيع الأول فأقاموا بها 3 أيام ونهبوا وسبوا من أهلها فقتلهم أهلها.	939هـ / 332م
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 289. ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 229. العربي، مصدر سابق، ص 292.	سار سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم فلقيه الروم واقتتلوا فانهزم وأخذ الروم مرعش وأوقعوا بأهل طرسوس.	944هـ / 337م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 233؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 274.	دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم فغزوا وأوغل فيها وفتح حصون كثيرة وسبى وغنم.	946هـ / 339م
ابن الأثير، ج 7، ص 239؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 275.	قامت الحرب بين المسلمين والروم في صقلية فانهزم الروم.	945هـ / 340م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 243.	في هذه السنة ملك الروم مدينة شروج وسبوا أهلها وغنموا أموالهم وأخربوا المساجد.	946هـ / 341م
المصدر نفسه، ج 7، ص 250؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 276؛ العربي، مصدر سابق، ص 292.	غزا سيف الدولة بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمشقي، حيث كان النصر للMuslimين.	948هـ / 343م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 257.	سار سيف الدولة في جيوش إلى بلاد الروم وغزاها، وسار الروم في البحر وأوقعوا بأهل طرسوس وقتلوا منهم	950هـ / 345م

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

المصدر نفسه، ج 7، ص 263؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 234.	غزت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وغنموا وعادوا سالمين.	953هـ/348م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 349؛ ابن العربي، مصدر سابق، ص 293؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 278.	غزا الأمير سيف الدولة بلاد الروم.	954هـ/349م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 270. ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 237.	دخل الأمير سيف الدولة بلاد الروم.	955هـ/350م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 273؛ ابن العربي، مصدر سابق، ص 293؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 280.	نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وفتحوها بالأمان فقتلوا خلقاً كثيراً.	956هـ/351م
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 336؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 279؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 243.	دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها، حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا أهلها وأحرق الروم رستاق أدنة.	957هـ/352م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 284؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 253.	نزل امبراطور الروم على طرسوس وجرى بينهم وبين أهلها حروب كثيرة.	958هـ/353م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 287؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 255.	حاصر نقور المصيصة وطرسوس ورفع السيف عن بقي من المسلمين ونقلهم إلى الروم وكانوا 200 ألف.	959هـ/354م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 295؛ ابن الوردي ، مصدر سابق، ص 282.	خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحصرواها وقاتلوا أهلها فقتل منهم 300 رجل وأسر نحو 400 أسير.	960هـ/355م

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 357؛ ابن العربي، مصدر سابق، ص 294.	وصلت سرية كثيرة من الروم إلى أنطاكية ¹ فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا 12 ألفا من المسلمين.	962هـ / 357م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 313؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 285.	دخل الروم الشام وأنطاكية.	963هـ / 358م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 318؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص 285؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 11، ص 265.	أخذ الروم مدينة أنطاكية ووضعوا في أهلها السيف وأخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سبيا.	964هـ / 359م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 329. ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 390.	أغار إمبراطور الروم على الرها ونواحيها.	966هـ / 361م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 336؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج 5، ص 39.	كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني وبين الدمشقي.	967هـ / 362م
ابن الأثير، مصدر سابق، ج 7، ص 379.	دارت الحرب بين قائد عضد الدولة و الروم.	972هـ / 367م
المصدر نفسه، ج 7، ص 423.	سار صمصام الدولة إلى بلاد الروم.	980هـ / 375م

الجدول رقم 03: يوضح العمليات الحربية بين الخلافة العباسية والامبراطورية

البيزنطية العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

اعتمادا على ما ورد في الجدول أعلاه ولتوسيع منحى الحملات بين الطرفين تم وضع

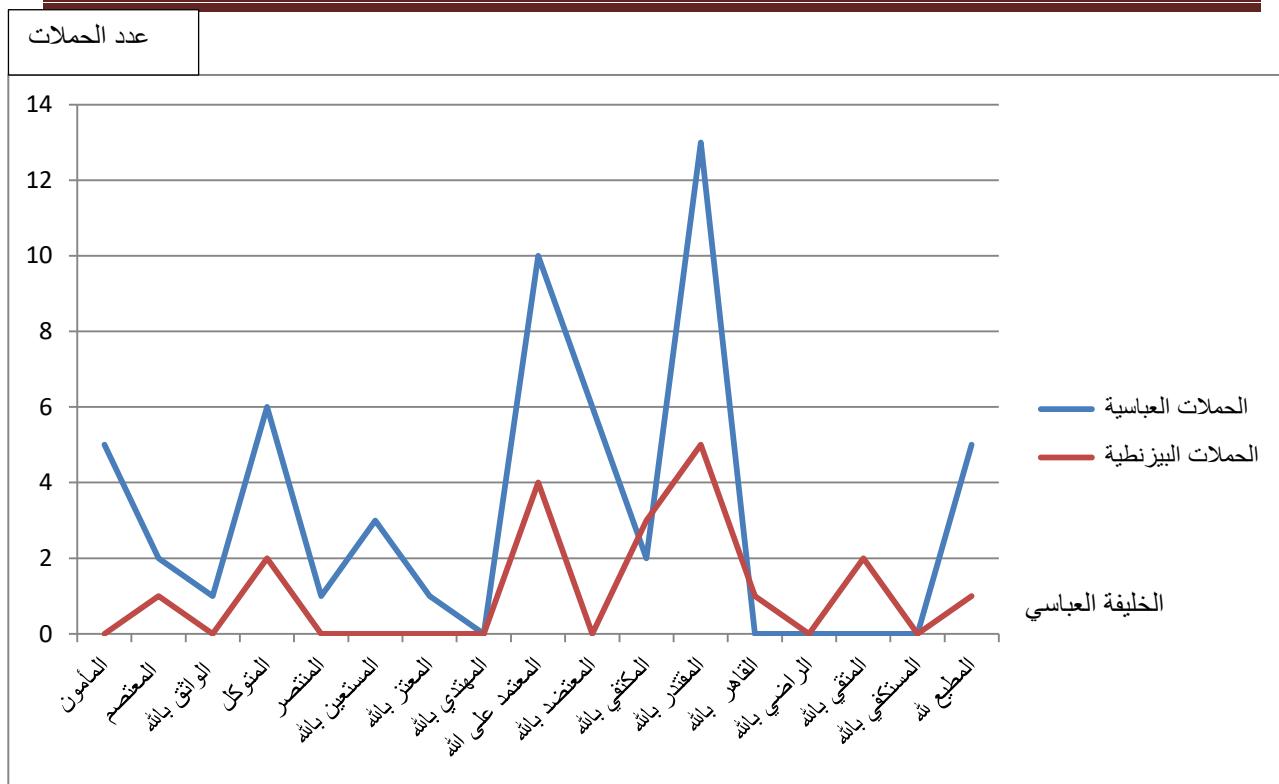
جدول لعدد الحملات بين الطرفين في عهد كل خليفة عباسي:

¹ - **أنطاكية:** بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وهي قصبة العواصم من التغور الشامي وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة وحسن طيب الهواء. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج 1، ص 266.

الخليفة العباسي	الموسم (م/هـ)	عدد الحملات العباسية	عدد الحملات البيزنطية
المأمون (833-813هـ/م)	218	5	0
المعتصم بالله (842-833هـ/م)	227	2	1
الواثق بالله (847-842هـ/م)	232	1	0
المتوكل على الله (861-847هـ/م)	232	6	2
المنتصر بالله (862-861هـ/م)	248	1	0
المستعين بالله (866-862هـ/م)	248	3	0
المعتز بالله (869-866هـ/م)	252	1	0
المهتدي بالله (870-869هـ/م)	255	0	0
المعتمد على الله (892-870هـ/م)	256	10	4
المعتضد بالله (902-892هـ/م)	279	6	0
المكتفي بالله (908-902هـ/م)	289	2	3
المقدار بالله (932-908هـ/م)	295	13	5
القاهر بالله (934-932هـ/م)	322	0	1
الراضي بالله (940-934هـ/م)	322	0	0
المنقي الله (944-940هـ/م)	329	0	2
المستكفي بالله (946-944هـ/م)	333	0	0
المطیع لله (974-946هـ/م)	334	5	1
الطائع لله (991-974هـ/م)	362	5	10

الجدول رقم 04: يوضح عدد الحملات بين الطرفين (العباسي والبيزنطي) خلال الفترة 198هـ - 391هـ / 813م - 991م - إعداد الباحثة - .

أسباب الاضطرابات السياسية



الشكل رقم 02: منحى الحملات العسكرية العباسية والبيزنطية على مناطق التخوم خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م). - اعداد الباحثة- ص 121.

بالتمعن في معطيات الجدول التي ترجمها الشكل رقم 02 نلاحظ:

- ✓ ارتفاع وانخفاض حادة في نشاط العباسيين والبيزنطيين على مناطق التخوم.
- ✓ رسم لنا التباين بين مختلف المصادر صورة متكاملة عن الحملات بين الطرفين، حيث انفردت بعض المصادر دون الأخرى بذكر بعض الحملات، وهذا لا يعني تناقضها مع بعضها بل أنها تكمل بعضها البعض.
- قاد بعض الخلفاء (المأمون، المعتصم...) العديد من الحملات، كما برزت أسماء بعض القادة مثل: ثابت بن نصر الخزاعي، علي بن يحيى الأرميني.....
- تأرجحت سياسة الطرفين بين الهجوم والدفاع والمسالمة.
- أخذت هجمات العباسيين تتضاءل تدريجياً ماعدا بعض الفترات، وذلك لأن الخلافة سارت نحو الاضمحلال، كما أنها وجهت تركيزها لمواجهة اضطرابات سياسية على أخرى.
- من حجم الخسائر والتجهيزات والأسرى يتضح شدة العداء والمعارك وقوتها.

أسباب الاضطرابات السياسية

- وجود نظام للغزو حيث كان للمسلمين أوقات معينة يغزون فيها على الأرضي البيزنطية والتي عرفت بالصوافي والشواتي¹، كانت الصوافي أكثر شيوخ، لم يكن البرد القارس الذي ميز الشتاء في آسيا الصغرى هو فقط الذي جعل الاغارات في الشتاء صعبة، ولكن المشكلة الرئيسية كانت تكمن في كيفية توفير العلف للدواب خلال هذا الفصل البارد أما حملات الشتاء لا تكون إلا في حالات الضرورة القصوى.²
- نلاحظ اختلاف النشاط بين خليفة عباسى وآخر وذلك راجع لمجموعة من الظروف والأوضاع المائدة أنداك³:

¹- كان المسلمين يغدون إلى بلاد البيزنطيين مرتين في السنة في غاراتهم في الصيف والشتاء، إذ تبدأ الصوافي في منتصف شهر ماي بعد نهاية فصل الربيع وانتهاء البرد، وتكون خيولهم قد أربعت وقويت ويستمر الغزو في الصائفة ثلاثة أيام وفي بعض السنين يغزون صائفتين، أنا غارات الشتاء (الشواتي) وتكون عند الضرورة، وتكون في آخر فيفري إلى النصف الأول من شهر مارس؛ فايزة عبد الرحمن حجازي: تبادل الاسرى بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي 139هـ-335هـ / 757م-946م، مؤتة للبحوث والدراسات المجلد 21، العدد 6، 2006، ص 147.

²- فازليف، مرجع سابق، ص 91

³- والدليل على ذلك أن فترة خلافة الرشيد شهدت الحد الأعلى من النشاط العسكري حيث أرسل الخليفة حملات عسكرية ابتداء من سنة 170هـ إلى غاية سنة 197هـ دون انقطاع، ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص 279 ج 5، ص 317. خليفة بن خياط، ج 2، ص 481، 482، 484، 493؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج 3، ص 167، 168، 178؛ ويعود ذلك إلى الهدوء النسبي الذي تمتعت به الدولة، ومن المحتمل أن يكون سببه تلك السياسة التوفيقية التي سار عليها الخليفة المهدي، كما كان لازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد دور أساس في ذلك إذ تمكنت الخلافة من تجهيز الجيوش الكافية لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية. موقف سالم نوري: العلاقات العباسية البيزنطية 132-247هـ / 750-861م دراسة سياسية حضارية، وزارة الثقافة والعلم دار الشؤون الثقافية العامة، 1992، ص 181-180؛ بانتقال مركز الخلافة إلى بغداد أخذ العباسيون يؤقلمون سياستهم إزاء البيزنطيين على أساس الوضع الجديد فكان بعد المشقة بين بغداد والقسطنطينية مداعة لرسم سياسة حربية جديدة اختلفت عن سياسة دمشق، إذ لم تدخل حيز التنفيذ الجدي إلا زمن الخليفة هارون الرشيد الذي اعتمد منهجاً عمل به في مناطق التخوم والقائم على تكوين منطقة إدارية مستقلة تتمثل في التغور، والتي عين عليها حراساً حربين عرفاً بحكام التغور، دعمت تلك المنطقة بحاميات أطلق عليها حراس الحدود مهمتهم مساعدة حكام منطقة التغور. إبراهيم العدوبي، مرجع سابق، ص 71؛ كما أدى في التحصينات والاستحكامات وتعزيز الحاميات بها، موقف

غياب النشاط العسكري بين الطرفين في الفترة ما بين 198-215هـ وذلك لانشغال الدولتين بمشكلاتهم الداخلية والخارجية وسيادة أجواء الهدوء على العلاقات بينهما عموماً، لتبأ مرحلة الصراع خلال الفترة ما بين 215-218هـ.¹

فتح المأمون اثنين وسبعين حصناً ومدينة وكان يقود بنفسه حملات الصوائف،² كما حدث تطور جديد في الصراع العباسي البيزنطي، حيث استغل الخليفة ظروف الامبراطورية الداخلية وتحالف مع "توماس الصقلي" الذي عمل على خلع الامبراطور البيزنطي فحاله على أن يمده بقوات تساعده على فتح القسطنطينية. وكذلك فعل البيزنطيين مع "بابك

سالم، مرجع سابق، ص199؛ وبالتالي يمكن اعتبار الرشيد صاحب الحملات الحقيقية ضد الروم إذ تميزت خلافته بحملات لامعة قادها بنفسه. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العربي والاتصال الحضاري الكتاب الأول في الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها، الدار القومية للطباعة النشر، (د.ت)، ص158؛ أما من الجانب البيزنطي فقد انشغلت قواتهم على التخوم مع البلغار؛ مجهول: تاريخ الراهاوي المجهول، تعليق: الأب البيير أبونا، مطبعة شفيق، بغداد، 1986، ج1، ص19، كما عرفت الامبراطورية اضطرابات سياسية نتيجة عمل ايريني على إقصاء ابنها قسطنطين على العرش، مما أعطى القوات العباسية الفرصة المواتية لزيادة الضغط على البيزنطيين؛ فقد جنحت ايريني للسلم مقابل دفع الجزية والتخلص عن الهجمات المتبادلة ، فوافق الرشيد ، لذلك لم ترد في المصادر صوائف ولا شواتي إلى غاية سنة 187هـ، إلا أن نقفور نقد العهد وكان رد فعل الرشيد بإرسال حملة كانت بمستوى رد الفعل اللازم. موفق سالم، مرجع سابق، ص204-207.

¹ - جاسم آوجي: العلاقات السياسية والثقافية بين الدولة العباسية والدولة لبيزنطية في عهد الخليفة المأمون (218-198هـ)، كلية الآداب قسم التاريخ جامعة اسطنبول، (د.ت)، ص94.

² Michael Bonner, *Arabie Violence and Holy War. Studies in the Jihad and the Arab-Byzantine Frontier*. New Haven, Connecticut, American Oriental Society, 1996 ,p100.

الخرمي" اذ دعموه ضد العباسين¹ وذلك ليس بالأمر الغريب فطالما كانت أراض الدولتين ملاداً للمعارضين السياسيين لكتلهم.²

استمرت الاضطرابات السياسية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية خلال خلافة المعتصم بالله (227-218هـ/842-833م)، حيث سار غازيا، فيذكر أنه تجهز جهازاً لم يتجهز مثله خليفة قط من السلاح وآلته وفتح مدينة عمورية،³ وكان ذلك ردًا عن خروج الروم قاصدين مدينة زبطرة⁴ ورداً عن تحالف الامبراطور البيزنطي مع بابك واعتدائه على التغور،⁵ فالاستلاء على عمورية يعتبر مكسباً للعباسيين "فلم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين" أي أنقرة وعمورية.⁶

ورث الواشق بالله (232-227هـ/847-842م) تركه متقلة بالمشاكل والتي تضختت وكثرت في عهده ، وظهر فتور - ان لم يكن فقدان - روح الجهاد ضد البيزنطيين لينتهي الأمر بثبات مناطق التغور ، وبالمقابل فإن ظروف الامبراطورية البيزنطية حتمت عليها مسامتهم؛ إذ أنها كانت في حالة ضعف بعد فقدانها لقواعدها البحرية في كريت وصقلية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد رأت الحكومة القائمة ضرورة التركيز على بناء الدولة من الداخل وبالتالي لم يكن للواشق أي دور عسكري على الحدود البيزنطية.⁷

¹ نادية حسني صقر، المرجع السابق، ص22.

² موفق سالم، المرجع السابق، ص232.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص57.

⁴ البلاذري، المصدر السابق، ص270.

⁵ أسماء محمد عبد اللطيف شحاته: تحصينات مدينة عمورة ومواجهاتها الحربية في العصر العباسى الأول (132-232هـ)، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، الع 27، 2021، ص1034.

⁶ فازليف، المرجع السابق، ص144.

⁷ نادية حسني صقر، المرجع السابق، ص34.

وبناءً على خلافة المتوكل (247-847هـ/861م) بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحكم العباسى، حيث ضعف الخلفاء وتغلب عليهم وزرائهم الأتراك وثارت الفتن والثورات في كل مكان، وما زاد الحال سوءاً بمقتل الخليفة على يد الأتراك ، ولنست الحال بمختلفة كثيراً في الدولة البيزنطية في صدر هذه الفترة، إلا أن أحوالها السياسية والاقتصادية قد تحسنت كثيراً في النصف الثاني منها،¹ فانعكس هذا على العلاقات العباسية والبيزنطية.

وبناءً على النصف الثاني من القرن الثالث هجري شهدت بيزنطة تحولاً عسكرياً وسياسياً، ولعل التخلص النهائي من الخلافات الدينية هو الذي مهد لهذه النهضة؛ فاستعاد البيزنطيون موقفهم الهجومي واستأنفوا نشاطهم على التخوم، سجلت المصادر حدوث إغارات للروم ورفاقتها ردود من الطرف العباسى، ويمكن القول أن هذه الفترة عرفت توازن لقوى، فإذا رجعنا لفترات سابقة نلاحظ غلبة الاغارات العباسية حيث قليلاً ما تذكر المصادر عن هجمات للبيزنطيين.

جذت صحوة بيزنطية خلال النصف الأول من القرن الرابع للهجرة على مستوى المؤسسات والتنظيم العسكري كما بُرِزَ أبطال وقادة عسكريين على درجة عالية من الكفاءة أُلْحِقُوا عِدِيداً بِالْهَزَائِمِ بِالْمُسْلِمِينَ وَتَمَكَّنُوا مِنْ ضمِّ العِدِيدِ مِنْ مُدُنِ التَّغُورِ إِلَىِ الْمَجَالِ الْبِيْزَنْطِيِّ² فحدث تصعيد في العمليات العسكرية البيزنطية.

¹ سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص 83. أسماء محمد السيد علي، المرجع السابق، ص 79.

² لطفي بن فرج: الأسرى في العلاقات العباسية- البيزنطية من قيام الدولة البيزنطية إلى واقعة ملاذكرد، 132هـ-463هـ/750م-1071م، شهادة الكفاءة المهنية، جامعة تونس، قسم التاريخ، 1993، ص 1-2.

وخلاصة القول في هذا الفصل:

- كانت مظاهر الاضطرابات السياسية في الدولة العباسية تظهر جلية خلال بعض الفترات في حين يعم الاستقرار السياسي فترات الأخرى لكن بشكل مؤقت لتعود الاضطراب مرة أخرى والتي تزامنت مع سيطرة العناصر الأجنبية على الحكم وتراجع مكانة الخليفة.
- تراجعت مكانة ولادة العهد لدى الخلفاء العباسيين حتى غاب أثرها ولم يعد لها دور في تعيين الخليفة، إذ كان ذلك التراجع نتيجة تسلط الأتراك ومن بعدهم بني بويه على الحياة السياسية في الدولة، فإذا عصا الخليفة أمرهم خلعوه أو قتلوه أو سملوا عينيه وأتو بمن يسير تحت سيطرتهم.
- تعد الاضطرابات السياسية ظروفاً مشجعة ومواتية لتفشى الفساد الإداري، فانحاطت مكانة المناصب الإدارية وأصبحت عرضة للرشوة والتوريث ، فكثراً ما استغل أصحاب المناصب نفوذهم لتلبية أطماعهم ورغباتهم.
- تكرر حدوث الحركات الاجتماعية بمختلف أبعادها والتي برهن فيها العامة على قوتهم واتحادهم للتعبير على موقفهم والمطالبة بحقوقهم ومساهمتهم في تسيير مجريات الأحداث.
- تراوحت العلاقات العباسية البيزنطية بين العداء والمهادنة لكن الصفة الغالبة كانت العداء، الذي أدى لحدث حملات عسكرية متبدلة بين الفريق.

الفصل الثاني:

النتائج الاقتصادية للأوضطرابات

السياسية.

1- تراجع النشاط الزراعي نتيجة الفتن والحروب:

أثر انعدام الاستقرار السياسي على جودة ووفرة المحاصيل وصحة وسلامة الثروة الحيوانية، فكانت الأرضي الزراعية هي المتضرر الأول جراء ما تعرضت له من تخريب وحرق، وما طبق عليها من أنظمة زراعية أضرت بالأرض والفلاح، إضافة لما لحق منشآت الري وتخزين الماء من تخريب وإهمال، فأنفت الأرضي والمحاصيل مما أدى لندرتها وارتفاع أسعارها.

1- مساهمة العوامل البشرية في تراجع مقومات النشاط الاروائي:

تأثرت مقومات النشاط الزراعي (الفلاح، منشآت الري..) بالفوضى السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية، فطبعي أن قبضة الأتراك في هذه الفترة قد صرفت اهتمام الخليفة عن دعم أي مشروع لري الأرضي، زد لذلك الأحداث الفظيعة لثورة الزنج، حيث أنها تأتي في طليعة الأسباب التي كانت وراء تردي الأوضاع الزراعية في البلاد لصعودها طويلاً، في وجه الخلافة العباسية (255هـ - 270هـ)، واتساع نطاق تمردها في جنوب العراق، حيث اعتمد صاحب الزنج أسلوب حرب العصابات والمباغة؛ فكانت المدينة الواحدة عرضة لهجمات الزنج المتكررة، وما رافقها من الاستباحة والتخريب والتقطيل، ثم تركوها وانسحبوا منها إلى مدينتهم الحصينة بأسوارها وخنادقها والأدغال الكثيفة والقنوات العديدة، وهذا ما جعلها تستعصي على الدولة العباسية.¹

عمل الزنج على قطع القنطر وتدمير الجسور وتضييق ممرات ومجاري الأنهر لسد الطريق في أوجه الأطراف المتحاربة -الجيش العباسي من جهة بقيادة الموفق طلحة أخ المعتمد وقوات الزنج من جهة أخرى-، ناهيك عن تدهور أوضاع الزراعة بسبب إقدام الزنج

¹ الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص 87.

على قطع النخل والأشجار وقتل الزراع وتخريب القرى والعيت في السواد واكتساحهم البصرة.¹

تضرر جراء أحداث ثورة الزنج كثير من الفلاحون، فالفلاحة على حد تعبير ابن خلدون "معاش المستضعفين، يختص أهلها بالمذمة"،² فمنهم من هرب من وجه الزنج وترك أرضه،³ أما باقي الملاكين وال فلاحين فقد كانت حاصلاتهم مهددة دوماً بالنهب والسرقة، وإزاء هذا الوضع المتردي فإنه من الطبيعي أن تتخفض إرادات الأرضي في هذه المناطق ويقل خراجها.⁴

بعد انتهاء خطر الزنج أصدر الموفق منشوراً إلى جميع أقاليم الخلافة العباسية يعلمهم بانتهاء خطر الحركة والقضاء عليها، ويدعوا "أهل البصرة والابلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج وقتل الفاسق، وأن يؤمنوا بالرجوع إلى أوطانهم فسارع الناس إلى ما أمروا به" فسارع الناس بالرجوع.⁵

أيقن قادة الحركات الاجتماعية أن فئة الفلاحين هم الورقة الرابحة في حركتهم، فاستقطبواهم بوعود تخلصهم من واقعهم المريض، فاستجابوا لذلك وثاروا ضد السلطة، وكان من فئات التأثيرين بالسواد كما أورد ابن الجوزي "قوم ضعفت عقولهم وقلت بصائرهم وغلبت عليهم البلدة والبله، ولم يعرفوا شيئاً من العلوم كأهل السواد..." وأهل السواد المعندين هم من الفلاحين النبط المقيمين بمنطقة البطيحة، يضاف إليهم طائفة من الزنج المجلوبين من

¹ - حسين بن سعدون: البصرة ذات الوشاحين (التاريخ والسياسة والثقافة) 2500 ق.م - 1491 م، مكتبة مدبولي، مصر، 2006، ص 102.

² - ابن خلدون المصدر السابق، ص 199.

³ - الطبرى، المصدر السابق، ج 6، ص 225.

⁴ - أحمد علبي: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، دار الفراتي، بيروت، ط 3، 2007، ص 206.

⁵ - الطبرى، المصدر السابق، ج 7، ص 663.

السواحل الشرقية الإفريقية لفلاحة الأرض الضياع واستصلاح الأرضي بمنطقة البصرة، وكذا عنصر الرط من فقراء الهند¹؛ وقد تأثرت الزراعة باشتراكهم وانشغالهم عن أعمالهم.

كانت فترة "إمرة الأمراء (324-334هـ / 935-945م)" وبالاً على الدولة، فقد أدت الحروب بين المتنافسين على الإمارة وفوضى الجند، لخراب كثير من الأنهار وقنوات الري، حيث كانت اشتباكاتهم كثيراً ما تحدث بالقرب من ضفاف الأنهار وفوق مياهاها، فينتتج عن ذلك بثوق عديدة في الأنهار وتدمير للجسور والسدود التي تحتفظ بمخزون كبير من المياه لري.²

خلال النزاع بين الأميرين التركيين بحكم و ابن الرائق خرب هذا الأخير نهر ديالي، وفعل أفعالاً كانت سبباً لبُثُق³ النهروان فغلت الأسعار،⁴ وبتحويل النهروان إلى أسفل نهر ديالي واجهت كل منطقة كثيفة السكان مشكلة الشحة في الماء مما لم يكن له حل سوى الهجرة المؤقتة، فالإهمال القاسي لرفاه الفلاحين الاقتصادي كان له أثره ونتائجها المفجعة وقد انعكست هذه الكارثة على بغداد حيث ندرت الحنطة.⁵

انبثق نهر الرفيل ونهر بوق سنة 329هـ / 941م " فلم يقع عناء بتلفهما حتى خربت بادوريا بهاذين البثعين بضعة عشرة سنة" واشتد الغلاء في هذه السنة وبلغ الضرر من الدقيق

¹- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12، ص 297.

²- ضيف الله يحيى الزهراني: النفقات وإدارتها في الدولة العباسية 132 هـ - 334 هـ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1404هـ، ص 336.

³- بُثُق : بَثَقَ النَّهَرَ بَثْقًا وَبَثْقًا وَبَثْقًا: كسر شطه لينبثق الماء كثقبه واسم ذلك الموضع البُثُق، ج بثوق. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817)، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 865.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص 106.

⁵- روبرت ماك آدمز: أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهو ديالي، تر: صالح أحمد العلي وآخرون، المجمع العلمي العراقي، 1984، ص 279.

مائة وثلاثين ديناراً وأكل الناس الحشيش، وكثير الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلاة¹

انبثق النهروان نتيجة سوء تصرف ابن الرائق وجنته سنة 330هـ/942م ، ويصف الصولي أثر ذلك بأن خربت الدنيا وغلت الأسعار إلى وقتنا هذا أي لحوالي 334هـ/270هـ 884م انبثق نهر عيسى³ تكرر ذلك سنة 232هـ/944م⁴ وفي سنة 333هـ/945م ولم يستطع أمير الأمراء اصلاحه⁵ كما انبثقت به بثوق كثيرة سنة 367هـ/978م غرق بسببها خلق كثير نتيجة زيادة دجلة زيادة كثيرة⁶ ومما سبق يتضح اقتران حدوث البثوق بارتفاع الأسعار مما يدل على مساهمة إهمال مشاريع الري في تراجع جودة ووفرة المحاصيل الزراعية.

2-تطبيق أنظمة زراعية تعسفية.

أدت الأضطرابات السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية لاحتلال إدارة الموارد نتيجة ضعف السلطة المركزية، فسعت السلطة القائمة غالباً إلى تعويض خسائرها المالية والعسكرية بفرض أنظمة زراعية ضارمة وجائرة على الفلاحين لضمان استمرار مواردها الاقتصادية.

عاني القطاع الزراعي في الدولة العباسية من عسف بعض أنظمة وأنماط ملكية الأرض، حيث اختلف نظام توزيع واستغلال الأراضي الزراعية والتصرف بها تبعاً لمجموعة

¹- مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 237.

²- الصولي، المصدر السابق، ص 225.

³- الذهبي، المصدر السابق، ج 20، ص 37.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص 278.

⁵- مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 282.

⁶- ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 382.

من العوامل السياسية، فلجأت الخلافة العباسية لمنح وتمليك الأراضي الزراعية في شكل "اقطاعات عسكرية" ، ولجا الفلاحون "لإلقاء" أراضيهم مما أضر بالأرض والفالح.

أ- الإقطاع العسكري:

قام العباسيون منذ بداياتهم في الحكم بالاستلاء على ضياع الأمويين وأمرائهم وأعوانهم ثم أقطعوا منها لأتباعهم؛ فقد واصلوا توزيع الإقطاعات كما كان سائرا تحت الحكم الأموي، إذ أنهم لم يحدثوا على النظام أية تعديلات جوهرية تميزه عن النظام الإقطاعي الأموي، فاستمر منح الأراضي من أراضي الموات والصوافي ومن أرض الخراج التي مات صاحبها دون وارث، وأحيانا من الأراضي السلطانية.¹

تعزز الإقطاع في الدولة العباسية خاصة في طورها الأول وذلك راجع لتوسيع رقعة الدولة،² ورغبة الخلفاء الملحة لاستقطاب المؤيدين ومكافأتهم بمنحهم إقطاعات صارت ملكا خاصا لمقطعيها،³ قدمت هذه الإقطاعات كامتيازات ومنح إضافية كما أنها كانت محدودة جدا إذ انحصرت بعد قليل من القادة الأتراك.⁴

¹- فؤاد خليل: الإقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1996، ص153؛ محمد نجمان ياسين: أرض الصوافي الأرض الخاصة بالدولة في الإسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العهد الأموي دراسة في الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص41.

²- جمال رداحي: دور الإقطاع في ظهور الحركات الاجتماعية في الخلافة الإسلامية، مجلة مدارات تاريخية، مج2، ع6، (د.ت)، ص326.

³- غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث هجري الممارسات والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1994، ص323.

⁴- حسن منيمنة: تاريخ الدولة البوهيمية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مقاطعة فارس- 945هـ- 1055م، الدار الجامعية، 1987، ص268.

كان الخليفة العباسي هو المانح الأول للإقطاع لا يشاركه في هذا الامتياز أحد، حيث تمنح أغلب الإقطاعات بملكية تامة أي "أقطاع تملّك"¹، ويجوز توريثها إلا أن هناك إقطاعات أخرى مؤقتة، ويمكن للخليفة استرجاعها متى شاء لأي سبب من الأسباب ويطلق على هذه الإقطاعات "المسترجعات"، لم يكن على صاحب الإقطاع شيء سوى دفع بعض الضرائب وتصليح القنوات والجسور التي تقع في أرضه.²

اشترط في المستفيد من الإقطاع أن يكون قادراً، أي أن الإمام لا يجوز له أن يقطع إلا قادراً على إحياء³، وحددت المدة التي يمهد فيها المقطع من أجل إحياء الأرض المقطعة بثلاث سنوات، وذلك احتجاجاً بما صدر عن الخليفة عمر بن الخطاب، حين جعل أجل

¹-**أقطاع "التمليك":** عرفته المصادر بعدة تعريفات منها: "أن يدفع الأئمة إلى من يرون أن يدفعوا إليه شيئاً من الأراضي فيملك المدفوع ذلك إليه رقبته بحق الإقطاع ويجب عليه فيه العشر"؛ قدامة بن جعفر: *الخارج وصناعة الكتابة*، ترجمة: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981، ص 218؛ كما يعرف بأنه "وحدته قطعة، وهي أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع"؛ *الخوارزمي* محمد بن أحمد بن يوسف (387هـ)، *مفتاح العلوم*، ترجمة: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1989، ص 86. "ويشترط أن لا يكون الإقطاع إلا في ما ليس له مالك، فإن كانت الأرض كذلك فأمرها على الإمام"؛ أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهمروي البغدادي (ت 224هـ)؛ *الأموال*، ترجمة: محمود عمارة، دار الشروق، ط 1، 1989، ص 371؛ ويؤكد ذلك الماوردي حيث أورد أن السلطان يمنح من الإقطاع ما جاز فيه تصرفه، ونفدت فيه أوامره ولا يصلح فيما تعين فيه مالكه وتميز مستحقه، وهو ضربان أقطاع تملّك واقطاع استغلال" ويُقسم أقطاع التملّك إلى أقطاع الموات واقطاع العامر؛ *الماوردي* أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ)؛ *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، ترجمة: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص 248.

²-**عبد العزيز الدوري:** نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 20، 1970، ص 15.

³- الهيثمي شهاب الدين بن حجر (974هـ)؛ *حواشি الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج*، ج 6، دار الفكر، (د.ت)، ص 245.

الإقطاع ثلاث سنوات بقوله: "من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها قوم آخرون فهم أحق بها".¹

والنوع الثاني من الإقطاع السائد خلال هذه الفترة هو إقطاع "الاستغلال"² وهو أن يهب الخليفة خراج الأرض أو العشر لأحد معاونيه مدة حياته أو يقيده ذلك بسنوات معينة، وعادة ما تعطى هذه الإقطاعات لموظفي الدولة مثل الوزراء والقواد وأفراد الحاشية لتكون لهم عوناً إلى جانب الرواتب التي يتلقاها، فإذا تقلد الوزير منصبه أقطعه الخليفة ضياعة واسعة على أن يسترد منه هذه الضياعة في حالة عزله أو وفاته،³ وهذا الإقطاع لا يورث مطلقاً.⁴

انتشر هذا النوع من الإقطاع انتشاراً واسعاً مع دخول الجندي الترك وتملكهم زمام الأمور، حيث استغلت الأرض بمدة محددة يحددها الحاكم للشخص الذي منح الإقطاع على أن يؤدي خراج تلك الأرض إلى الدولة، وأن يؤدي الالتزامات العسكرية الواجبة عليه في وقت الحرب وفي السلم أيضاً إن احتاج الحاكم.⁵

يشير الماوردي أن هذا النوع من الإقطاع يشمل أراضي الخراج،⁶ ويؤكد ذلك القلقشندى بقوله "وهو الذي يؤخذ فيه خراج الأرض ورقبتها باقية لبيت المال"،¹ كما ورد

¹ الماوردي، المصدر السابق، ص 61.

² إقطاع تملك وهو أن يملك الأرض ويقرر عليه قطعية منه تأخذ لبيت المال وتسمى هذه المقاطعة؛ الماوردي، المصدر السابق، ص 248؛ القلقشندى أبي العباس أحمد بن علي (ت 821هـ)؛ مأثر الأنفة في معالم الخلافة، تحرير عبد الستار أحمد فراح، عالم الكتب، (د.ت)، ج 3، ص 210.

³ أحمد شريachi، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1981. ص 38

⁴ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 47.

⁵ مازن صباح عبد الأمير الاعرجي: الإقطاع العسكري وأثره على الأوضاع الاقتصادية في العراق بالعصر السلجوقي (447هـ-590هـ)، مجلة آداب المستنصرية، كلية التربية، قسم التاريخ، 2013، ص 5.

⁶ الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 253.

تعريف الاقطاع كالتالي: "وقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج"؛² أي أنه قرن بالأرض الخارجية فقط.

طالب الجندي بزيادات في الأرزاق فكانوا يثرون الشغب في معظم الأحيان لتحقيق مطالبهم، فكان الاتجاه في البداية إلى الزيادة في رواتبهم وهو ما كلف الدولة أموالاً طائلة يصعب توفيرها بسهولة؛ مما أجبر الخلفاء على البحث عن حلول سريعة لتوفير الأموال لسد حاجيات الجندي وطلباتهم المتزايدة، فلجأوا للاقتراض من التجارة، وإنشاء مصرف رسمي مركزي يسلف الخلافة عند الضرورة، ولتنظيم أدق للميزانية والحسابات.³

لجأت الخلافة لبيع الضياع السلطانية من أجل توفير رواتب الجندي المتزايدة، فاضطر الوزير ابن مقلة تحت ضغط شغب الجندي وإفلاس خزينة الدولة إلى بيع بعض الضياع السلطانية سنة 317هـ/1930م، وباع الوزير الحسين بن القاسم بعض الضياع السلطانية ب抿فع خمسمائه ألف دينار لتسديد مرتبات الموظفين والجندي سنة 319هـ/1932م.⁴

بيعت بعض الأراضي السلطانية عند تولي الخليفة القاهر سنة 320هـ/1933م، وباع أبو العباس النوبختي مفوضاً من الخليفة بعض الأراضي كما باع ابن مقلة أراضي سلطانية جراء مليونين وأربعمائة ألف دينار تدخل إلى الخزينة، وقد استمرت هذه الأزمات ومعها

¹ - القلقشندى أبي العباس أحمد بن علي(ت 821هـ): مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراح، عالم الكتب، (د.ت)، ج 3، ص 210.

² - الفيروزآبادى، المصدر السابق، ج 3، ص 71. الماوردي، المصدر السابق، ص 253.

³ - عبد العزيز الدوري: نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجل 20، 1970، ص 18.

⁴ - مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 109.

بالتوازي بيعت الضياع السلطانية، حتى بعد خلع القاهر سنة 322هـ/935م وحتى دخول البوهيين بعـاد¹، وهـذا بدأ التناقص في تلك الضياع السلطانية لصالح الإقطاع العسكري.

وبشكل أكثر دقة فإن الأرضي السلطانية التي كانت تتبع الخليفة مباشرة تم اقطاعها للقواد الترك بدـيلا عن الرواتب والعطاءـات فأصبح اقطاع استغلال أول الأمر، وشيـئا فشيـئا أصبحت اقطاعـات تـمـلـيـك وورـاثـة، وبـدـأ اـقـطـاعـ بالـأـرـض الزـرـاعـيـة ثم شـمـلـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـدـنـ والـكـوـرـ التابـعـةـ لـلـخـلـيـفـةـ ماـ أـدـىـ لـتـرـاجـعـ مـسـاحـةـ الـدـوـلـةـ العـبـاسـيـةـ² (أنـظـرـ المـلـحـقـ رقمـ 6، صـ386ـ).

بدأ الإقطاع مرحلة جديدة مع دخول البوهيين بـعـادـ سنة 334هـ/946م، حيث انتقلت الأرضي الزـرـاعـيـةـ منـ أـيـديـ الـخـلـفـاءـ العـبـاسـيـينـ إـلـىـ الـأـمـرـاءـ الـبـوـهـيـينـ، فأـصـبـحـ معـزـ الدـوـلـةـ الـبـوـهـيـيـ القـاطـعـ الثـانـيـ بعدـ الـخـلـيـفـةـ فـلـهـ الـحـقـ أـنـ يـقـطـعـ مـنـ يـشـاءـ مـنـ الـمـوـظـفـينـ وـالـقـادـةـ العـسـكـرـيـينـ³.

بـمـرـورـ الـوقـتـ وـبـسـبـبـ تـرـاجـعـ صـلـاحـيـاتـ الـخـلـيـفـةـ وـتـرـاـيـدـ نـفـوذـ الـأـمـيـرـ الـبـوـهـيـ بـحـكـمـ الـقـوـةـ الـعـسـكـرـيـةـ لـمـ يـبـقـيـ الـخـلـيـفـةـ هـوـ الـمـسـؤـلـ الـأـوـلـ، فـالـأـمـيـرـ الـبـوـهـيـ هـوـ مـنـ يـتـحـكـمـ فـيـ الـأـرـضـيـ الزـرـاعـيـةـ بـلـ وـصـلـ الـأـمـرـ أـنـ يـقـطـعـ الـخـلـيـفـةـ ذـاتـهـ؛ حيثـ أـقـطـعـ مـعـزـ الدـوـلـةـ أـرـضاـ لـلـخـلـيـفـةـ وـمـنـ اـيـرـادـهـ يـعـيـشـ، بـلـغـ مـقـدـارـ خـرـاجـهـ أـلـفـ دـيـنـارـ فـيـ السـنـةـ وـعـيـنـ لـهـ كـتـبـاـ لـلـنـظـرـ فـيـ تـاـكـ الـأـعـمـالـ⁴.

¹ـ المـصـدـرـ نـفـسـهـ، جـ5ـ، صـ114ـ.

²ـ عـبـدـ العـزـيزـ الدـوـرـيـ، تـارـيـخـ الـعـرـاقـ الـاـقـتـصـادـيـ، صـ51ـ.

³ـ المـرـجـعـ نـفـسـهـ، صـ51ـ.

⁴ـ مـسـكـوـيـهـ، المـصـدـرـ السـابـقـ، جـ5ـ، صـ286ـ.

يرى "بولياك" أن أصول الاقطاع العسكري الإسلامي ترجع إلى المؤثرات التركية الماغولية، وفي نظره بدأ هذا النظام في دولة محمود الغزنوبي ثم انتقل إلى السلجوقية،¹ أما "لوكجارد" فيرى أن ذلك راجع إلى تسامي دور العسكريين وإقامتهم في المناطق الحدودية للدولة ورأى أن لذلك جذوراً ترجع إلى ما قبل الإسلام،² ويؤكد "كلود كاين" دور سيطرة العسكريين في ذلك منذ القرن الثالث هجري،³

يضيف طرخان لذلك ازدياد ضعف الخلافة العباسية وسوء تصرف البوهيميين في الاقطاعات،⁴ يربط الدوري ظهور وانتشار هذا النظام لماضي البوهيميين ووضعهم الحضاري بل وخاصة إلى جذورهم القبلية الإقطاعية التي استندوا عليها في انتهاجهم خط الاقطاع العسكري.⁵

في حين يرجع محمود اسماعيل ذلك إلى حاجة الدولة للجند إضافة للأزمة المالية، فلم يكن ثمة حل إلا اقطاع الأرض للجند في مقابل الخدمة العسكرية خاصة مع انهيار الخلافة العباسية سياسياً، فإذا ما أدركنا أن العسكر شكلوا القوة الضاربة على الصعديين السياسي والاجتماعي أمكن تفسير ايلولة معظم الاراضي الزراعية إليهم كإقطاعات منحوة من قبل الدولة؛ حتى أنها اغتصبت قسراً من مالكيها القدامى خاصة بعد استفادة الحلول الأخرى، كبيع أراضي الدولة ومتلكات الخلفاء الخاصة والاستدانة من التجار والمصادرات وزيادة الجبايات، فتلك الاجراءات لم تقدم حلاً ناجعاً بقدر ما أدت إلى مزيد من تفاقم الأزمة

¹ -Abderaham N poliak :la féodalité islamique ،editions geuthner، 1936، p 254 .

² -Lookkegaared: islamic taxation in the islamic period ،braner ogkorch ،1950، 64.

³-Claude cahen L'évolution de l'iqtâ du IXe au XIIIe siècle : contribution à une histoire comparée des sociétés médiévales annales ،1953, p 32 .

⁴ - طرخان ابراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة، 1968 ، ص71.

⁵-عبد العزيز الدوري، نشأة الاقطاع العسكري، ص20.

المالية، وبالتالي مزيداً من الأزمة السياسية التي أسفرت عن فوضى يستفاد منها الطامعون في السلطة والقطاعيون.¹

يعود سبب اتساع الإقطاع العسكري لنقطة الضعف الأساسية في الجيش البويمي وهي تركيبته المزدوجة؛ إذ كان يتركب من عنصرين متناقضين هما الديلم والأتراك، ونظراً للعداوة المتأصلة بين القوميتين؛ فقد كان من المستحيل دمجهما في جيش نظامي واحد، فركن الدولة كان يفسح لجنه وعسركه على طريق مداراً لهم ما لا يمكن لأحد تلافيه وردهم عنه، وكان مضطراً لفعل ذلك لأنه لم يكن من أهل بيت الملك، ولا كانت له بين الديلم حشمة يمثل جميع أمره، وإنما يرأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه، ومسامحتهم في أشياء لا يحتملها أمير من مأمور.²

أمام صعوبة السيطرة على هؤلاء الجنديين، ولتنبيه أركان السلطة البويمية قاتلت الضرورة إلى ارتباط الأتراك وزيادة تقربيهم والاستظهار بهم على الديلم؛ لذلك قام معز الدولة بزيادة في أعدادهم وتوسيع في منحهم الإقطاعات وفي زيادتها لهم، وكانت هذه الإقطاعات من ضياع السلطان وضياع المستررين وضياع ابن شيراز وحق بيت المال في ضياع الرعية، وتبعاً لذلك أصبحت جل أراضي السواد في عهد معز الدولة مقطعة للقادة الجنديين وخاصة منهم الكوفة،³ فأدكى ذلك روح المنافسة والتحاد بين الطرفين، فتعددت الفتن بينهما لأنه حسب قول مسكونيه، "بحسب انصراف العناية إلى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك،

¹ - محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، سينا للنشر، القاهرة، ط3، 2000، ص 26.

² - مصطفى التوايتي: الأدباء والمفكرين وعلاقتهم بالسلطة في العهد البويمي، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 1995، ج1، ص 95.

³ - مسكونيه، المصدر السابق، ج6، ص 283.

فسدت النيات وفسد الفريقان، فالأتراك وبالطمع والضراوة، وأما الديلم وبالضر والمسكنة، واشتدت الفتنة بين الفريقين¹.

لعل أخطر حدث وقع في هذا الصدد التمرد الذي قام به الديلم ضد معز الدولة سنة 337هـ/949م وكادوا يقضون فيه على الحكم البوبي في البلاد، لولا وقوف جنوده الأتراك لجانبه وعقب القضاء على هذا التمرد، أطرد الأغلبية المطلقة من العساكر من الدلم فانضاف منهم إلى صفوف العامة، مضميين بذلك أعداد المهمشين الناقمين على الدولة.²

عمل البوبيون على التوسيع الاقطاعي كفلسفة في تعاملهم مع الجيش أو مع الإدارة المدنية، حيث أصبح البديل الطبيعي للعطاء والرواتب الخاصة للجند في الجيش،³ حيث أنهم واصلوا منح الإقطاعات للجند بدلاً من الرواتب حيث كانت رواتبهم تدفع من بيت المال العباسي، وكثيراً ما يتأخر صرفها مدة متفاوتة نظراً لما تمثله من ثقل على الخزينة، وعادة ما أدى هذا إلى تغير الوضع وشغب الجنود ومطالبهم بأرزاقهم بل وإلى اندلاع حركات تمرد وثورات داخل الجيش،⁴ فنتج عن ذلك كله مزيد من التدهور في الأوضاع الاقتصادية

كثيراً ما لجأ الأمراء البوبيين لفرض ضرائب عالية ليست لها أصول في الشريعة الإسلامية مما كان يربك المجتمع وتعكس آثاره السيئة على الإدارة والمجتمع، ذلك أنهم وجدوا أنفسهم في عجز عن تأمين مرتبات الجنود وتلبية طلباتهم المادية المتكررة والكبيرة،⁵

¹ - المصدر نفسه، ج 5، ص 283.

² - المصدر نفسه، ج 5، ص 291.

³ - حسن منيمنة، المرجع السابق، ص 342.

⁴ - ضيف الله الزهراني، المرجع السابق، ص 298.

⁵ - حسن منيمنة، المرجع السابق، ص 268.

فالمرتبات كانت تدفع أحياناً مقدماً وربما لأكثر من شهر واحد ولذلك فإن حالات الأزمات أو عند مبايعة خليفة جديد.¹

شمل الاقطاع العسكري كل أنواع الأراضي تقريباً حيث أقطعت جل الأراضي في السواد للجند، وكان كلما ضعف الأمير البوهيمي توسيع اقطاعات الجند، وذلك لارتهان الأمراء البوهيميين للجند خاصة في مرحلة ما بعد عصد الدولة (338هـ-372هـ - 949م)، أدى إلى انفلات الجنود من السيطرة على الإقطاعات والاستلاء على الأراضي.²

يدل هذا على اتساع الأراضي الإقطاعية على حساب الأراضي الأخرى؛ فقد شمل الإقطاع حتى الأراضي الوقفية، التي كانت وقفاً لجهة ما أو منفعة ما من المنافع العامة، وممتنع تم وقف الأرض لم يعد بالإمكان التصرف فيها بأي طريقة من الطرق.³

لم تكن هذه الإقطاعات في جملة الإقطاعات تملأً بل كانت إقطاعات استغلال، وبما أن أصحابها أخذوها مقابل أجورهم ورواتبهم، فقد وقع توزيعها عليهم بحسب استحقاقات كل واحد منهم، فكان يحسب ناتج الضياع المقطعة سنوياً وهو ما يسمى العبرة، حتى يأخذ كل مقطع من الضياع ما يساوي دخلها قيمة أجوره وأرزاقه السنوية، وكان ذلك مدخلاً لتلاعبات كثيرة جلبت أضراراً فادحة على خزينة الدولة، لأن الوزراء وأصحاب الدواوين والمهندسين والمساحين، كانوا يأخذون الرشاوى من هؤلاء المقطعين ويقبلون الشفاعات في البعض منهم، فحصلت لهم الإقطاعات بغير متفاوتة وهي غالباً أقل من قيمتها الحقيقية.⁴

¹ - ضيف الله الزهراني، المرجع السابق، ص 299.

² - منيمنة، المرجع السابق، ص 269.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 49 - 50.

⁴ - مصطفى التوايني، المرجع السابق، ص 96.

توسع نطاق الاقطاع العسكري زمن بختيار بن معز الدولة، الذي خلف أباه في حكم العراق سنة 356هـ ولعل من أهم ما قام به هذا الأمير في مجال الإقطاع هو نفيه لكتار رجال الدليم طمعاً في إقطاعاتهم وأموالهم وبالتالي تسببت له السيطرة على جميع هذه الإقطاعات،¹ كما استولى على إقطاعات صاحب الجيش سبكتكين الموجودة بالأهواز والقبض على جميع وكلائه وعماله هناك سنة 363هـ.²

كانت الآثار الاقتصادية كبيرة وعميقة في سلبياتها على اقتصاديات البلاد، فالزراعة شهدت انهياراً كاملاً، لأن العسكريين سيطروا على الإقطاعات العسكرية لم يكن عملهم الزراعة وبشهادة مسكونيه حيث يقول: "فسدت المشارب وبطلت المصالح لأن المقطعين بقوا من غير تقدير ومن غير إشراف على احتراس من الخراب"،³ والأسوأ من ذلك أنهم كانوا يتذرونها بعد ذلك فيعوضهم السلطان البويري منها من حيث يختارون والنتيجة واحدة وهي زيادة مساحة الأراضي المهملة وتناقص انتاجها، وذلك بجانب ما يلحق أهالي الإقطاعات من ظلم وحيف ومصادرات، اشتد الاضطراب وزاد الخلل على عهد بختيار بن معز الدولة حيث اتفقت كلمة الأتباع من الترك وغلمان القصر على ألا يعارض كل منهم صاحبه في "طلب الحظ لنفسه" مما أجبر السلطان على أن يضمن لهم جميع ما التمسوه، فأهلك دولته بإقطاع الإقطاعات وايجاب الزيادات.⁴

¹ - مسكونيه، المصدر السابق، ج 6، ص 353، 354.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 339.

³ - مسكونيه، المصدر السابق، ج 5، ص 282.

⁴ - طورخان: الإقطاع الإسلامي أصوله وتطوره دراسة مقارنة. المجلة التاريخية المصري، المجلد 6، العدد 6، 1957، ص 71.

يصف مسکویه حال المزارعين بقوله: " وصاروا بين هارب حال وبين مظلوم صابر لا ينصف، وبين مستريح إلى تسليم ضياعته إلى المقطع ليأمن شره ويرافقه"¹، فكان حالهم سيئاً يعيشون تحت رحمة من يتحكم في إقطاعاتهم، هربوا تاركين الأراضي للخراب فقد كان هؤلاء الوكلاء الذين يتحكمون في الإقطاعات الكبيرة يعاملون الفلاحين معاملة سيئة، لأن همهم هو الاستيلاء على الجبائية والخارج وهو ما أثر في الزراعة وأحوال المزارعين.²

كانت أحوال الفلاحين تزداد سوءاً بينما كانت الطبقة المقطعة تزداد ثراءً وسلطها، مستغلة في ذلك ضعف الخلافة وعدم قدرتها على الردع، لذلك اتسعت الهوة بين الطبقات وبلغ التناقض الاجتماعي مداه،³ فئة تسحوذ على أراضي شاسعة وتسقى من عدة امتيازات وتمتلك وسائل الانتاج، وفئة أخرى محرومة وتعيش حياة جد صعبة الشيء الذي أدى لقيام عدة ثورات وانتفاضات.⁴

خلف الاقطاع العسكري نتائج سلبية أضرت النشاط الصناعي والتجاري اللذان يرتبطان إلى حد كبير بالمنتج الفلاحي (صناعة النسيج والعطور تجارة الحبوب والمواد الغذائية المختلفة...)، ولم يعد الفلاحين وصغار المالك وحدهم يعانون من تسلط الجباة فأصبح هؤلاء والثاء أي رؤساء القرى معاً تحت رحمة أصحاب الإقطاعات الجدد والجباة المتربلين للضمانات من الدولة وطعم مختلف الموظفين المشتغلين في الحسابات تلك الآداءات وتقديرها واستخلاصها.⁵

¹ - مسکویه، المصدر السابق، ج5، ص282.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص64.

³ - محمود اسماعيل: مذاهب اسلامية في الميزان رؤية معاصرة، دار القلم، بيروت، (د.ت)، ص117.

⁴ - رداحي جمال، المرجع السابق، ص327.

⁵ - مصطفى التوايني، المرجع السابق، ص98.

ب- نظام الإلقاء:

الإلقاء: لغة من الفعل "لَجَأَ" ولَجَأَ إلى الشيء والمكان لَجَأَ ولُجُوءاً لاذ عليه واعتصم به، ويقال لَجَأَ إلى فلان: استند إليه واعتصم به ولَجَأَ عنه، عدل عنه عن غيره،¹ وألْجَأَ إلى الشيء: اضطره إليه، وألْجَأَه: عصمه، والتَّلْجَهَةُ: الإكراه وهي "تقلعه" من الإلقاء كأنه قد أُلْجِأَ إلى أن تأتي أمراً باطنـه خلاف ظاهرـه، وألْجَأَه إلى أن تفعل فعلاً تكرـهـه.²

يعرفه الخوارزمي: أن يُلْجَئَ الضعيف ضيـعـته إلى قوي ليـحـاميـ عليهاـ، وجـمعـهاـ: المـلـاجـئـ، والتـلـاجـئـ وقد يُلـجـئـ القـويـ الضـيـعـةـ وـقـدـ أـلـجـأـهـ أـصـحـابـهـ إـلـيـهـ،³ فالـمـرـادـ بـالـإـلـقاءـ كـتـابـةـ الرـجـلـ أـرـضـهـ بـاسـمـ أـمـيرـ قـويـ يـلـجـأـ إـلـيـهـ وـيـحـتـمـيـ بـهـ، وـحـيـنـئـذـ يـقـومـ صـاحـبـ النـفـوذـ بـدـفعـ الـخـرـاجـ، وـيـتـولـىـ ماـ يـتـعـلـقـ بـهـ مـنـ النـاـحـيـةـ الـمـالـيـةـ حـتـىـ تـصـيرـ فـيـ الـغالـبـ إـلـيـهـ، وـيـصـبـحـ مـالـكـهاـ الـوـحـيدـ.⁴ يـمـكـنـاـ أـنـ نـسـتـتـرـجـ ماـ طـبـقـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـنـ خـلـالـ تـعـرـيـفـ الإـلـقاءـ حـيـثـ أـنـهـ تـمـنـحـ إـسـمـيـاـ لـمـ يـحـمـيـهاـ فـيـخـفـ عـنـ صـاحـبـهاـ مـاـ يـدـفـعـ مـنـ أـمـوـالـ لـبـيـتـ الـمـالـ وـمـاـ كـانـ يـتـبـعـهاـ مـنـ إـضـافـاتـ لـلـجـبـةـ الـمـتـعـسـفـينـ وـهـذـاـ مـاـ يـظـهـرـ تـأـثـيرـ الـمـسـوـبـةـ فـيـ الـجـبـاـيـةـ.

كان الإلقاء معروفاً قبل الإسلام في كل من الدولة الفارسية والبيزنطية وهو ما عرف "بنظام الحماية" حيث لم يكن الإلقاء إسلامي الأصل، ولم يُعرف في العهد الإسلامي إلا في الدولة الأموية والدولة العباسية بصورة الإلقاء أي أنه كان بديلاً عن نظام الحماية البيزنطي.⁵

¹- مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 815.

²- ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 152.

³- الخوارزمي، المصدر السابق، ص 87.

⁴- ابن قدامة، المصدر السابق، ص 380.

⁵- عالية أحمد عبد الحميد شعبان: نظام الإلقاء في العصرين الأموي والعباسي الأول ((41 هـ 232 هـ/ 847 مـ): مجلة التاريخ والمستقبل، العدد 73، جامعة المينا، 2023، ص 192.

استمر "نظام الإلقاء" خلال العصر العباسى لأن مظاهر التعدي والعنف من قبل عمال الخراج ظلت موجودة، خاصة في الأطراف لبعدها عن مركز الدولة، وهناك من الشواهد ما يؤكد ذلك، حيث سارع بعض المزارعين من أهل الأهواز إلى الاحتماء بأبي أيوب المورياني وزير المنصور، كذلك ما قام به أهل شعيبية في الفرات من إلقاء أراضيهم إلى علي بن الرشيد، بالإضافة إلى كثرة هذه الواقع في إقليم فارس¹.

اتسع "نظام الإلقاء" بسيطرة الأتراك على الإقطاع حيث تنازل صغار الملاكين طوعاً عن أراضيهم لتكون في حماية الأمراء والسلطين وأصحاب النفوذ وذلك مقابل دفع جزء من الحاصل إلى الحامي، فالطبقة العسكرية الجديدة أصبحت طبقة اقطاعية ولذلك انتقل "نظام الإلقاء" من الصفة المدنية إلى الصفة العسكرية.²

عانت الخلافة من فتن وثورات في كثير من الأحيان، وما يتبع ذلك من غارات للجيوش والقبائل على المزارع والقرى ونهب وسلب واتلاف محصولاتهم أو ربما لاشتراك بعض الفلاحين والمزارعين في تلك الحركات، كان هذا سبب فقدان الأمن والاستقرار في تلك الأرياف، مما دفع المزارعين والملاكين الصغار أن يبحثوا لأنفسهم عن حماية ليحموا بها أنفسهم وأراضيهم خارج سلطات الدولة، وتبرز هذه الحاجة الماسة بصورة خاصة في الأماكن البعيدة عن مركز السلطة المركزية؛ حيث لا يجد السكان أمنهم وطمأنينتهم في ظل مؤسسات الدولة بعيدة عنهم، أو لانشغال تلك المؤسسة في إخماد الفتن والثورات المضادة لها، أو عندما تفرض على الفلاحين ضرائب غير شرعية أو عندما يتعرّضون بهم الجباة،

¹ - عالية أحمد، المرجع السابق، ص 187.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 55.

فيضطر السكان آنذاك للإلقاء إلى أي متفرد أو قوي ليستمدو منه العون لحماية أرواحهم وأموالهم مقابل التنازل عن أملاكهم الخاصة.¹

لذا بعض الفلاحين لهذا النظام فرارا من الضرائب أو التشدد في جمعها، لذا فهم يلحوذون أراضيهم إلى بعض الكباء في ديوان الضياع فيمتنع جباة الضرائب عن التعرض لهذه الضياع أو استعمال القسوة أو الشدة في جباية الضرائب، وبمرور الوقت يفقد صاحب الضياع ملكيتها ويحتفظ بحق الانتفاع بها، بينما يتمتع الملاجأ إليه بحق بيعها أو توريثها لأبنائه،² فقد اجتمع عسف الإقطاعيين إلى ظلم الجباة مما أدى لزيادة وقائع الإلقاء.

كانت النتيجة النهائية لهذه الحالة هي أن الجيش أدرك بأن الإلقاء مشابه للإقطاع العسكري ولذلك فقد أخذ العسكر الكثير من الأراضي الملاجأة من العمال ولكنهم فشلوا في دفع الواجبات المالية وأصبحت هذه الطريقة قناة أخرى لتوسيع القطاع العسكري وكانت النتيجة لهذا التوسيع هو التدهور الاقتصادي.³

3- تراجع العديد من الصناعات

شكلت الصناعات⁴ جزءا أساسيا من الاقتصاد في الدولة العباسية، حيث أنها شهدت تطويرا هائلا بفضل مجموعة من العوامل التي خلقت بيئة مناسبة لتطور النشاط الصناعي

¹- عالية أحمد عبد الحميد شعبان، المرجع السابق، ص 178.

²- جاسم سكبان علي: دراسات في تاريخ الإقطاع في العصور الإسلامية، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 4، 2015، ص 10.

³- جاسم سكبان علي، المرجع نفسه، ص 20.

⁴ الصناعة: بالكسر حرفة، الصانع وعمله الصنعة؛ الرازى محمد بن أبي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، الكويت، (د.ت)، ص 155. إن أتم وصف للصناعات في العصر العباسى نجده في رسائل اخوان الصفا في هذه الرسائل نجد الحرف مصنفة بأشكال مختلفة وفق أسس متعددة، فقد صنفوا الصنائع حسب فائدتها إلى : الصنائع الضرورية للمجتمع كالزراعة والحياة والبناء، و صناعة تأتي في الدرجة الثانية فهي إما تابعة للأولى أو مكملة لها فمثلا لا تتم الحياة إلا بصناعة الغزل وصناعة الغزل لا تتم إلا بصناعة الحلوج و

بما يتماشى مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع في ذلك الوقت، فأصبحت الحرف والصناعات بذلك مصدر دخل للكثرين من أفراد المجتمع، كما أنها ساهمت في خلق أسواق حيوية مزدهرة تم فيها تداول وبيع المنتجات الحرفية المحلية والمستوردة.

ومن تلك العوامل:

ت- **سياسة الخلفاء الاقتصادية** اتجاه الصناعة على دعم وتنمية وتشجيع النشاط الصناعي، فقد عمل خاصة خلفاء العصر العباسي الأول على توفير المواد الأولية الزراعية والمعدنية والحيوانية سواء من داخل البلاد أو خارجه.¹

اهتم الخلفاء وولاة الأقاليم بالصناعة من منطلق أنها من أهم المؤشرات الدالة على التقدم والتحضر داخل الدولة ، وعملوا على تنشيطها وتطويرها وإقامة صناعات جديدة، كما وفروا جميع الشروط التي تضمن جودة وكفاءة المنتج لتجيئه للبيع في الأسواق المحلية والخارجية، وذلك من خلال منح الحرية لقوى البشرية لممارسة الأنشطة الحرفية والاستفادة من خبرات الوافدين، وتسهيل الحصول على المواد الخام، ووضع شروط وضوابط تنظيمية للعملية الصناعية(تنظيم توزيع الصناعات في السوق بما يضمن السير الحسن للعملية الانتاجية، تعيين من يتولى أمر مراقبة جودة الصناعات).

صنائع للجمال والزينة: مثل صناعة العطور وصناعة الحرير، كما صنفوها حسب موضوع الصناعات إلى نوعين وهما: الصنائع الروحانية: وتشمل المهن الفكرية، الصنائع الجسمانية وتشمل الحرف اليدوية، كما أنهم صنفوا حسب قيمة إنتاجها فهي تتميز من خلال قيمتها وال الحاجة إليها وفائدة الناس وصنوفها وتصنيفها تصنيفها رابعا حسب الأدوات والآلات المستعملة فيه؛ اخوان الصفا، المصدر السابق، ج 1، ص

.281-283

¹- أيوب مشايرية، رابح أولاد ضياف: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الاول (132هـ-749م)، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، -قسنطينة-، المجلد: 35، العدد: 1، 2021، ص 1272.

ث- ساهم تغير نظرة العاملين لمسألة السعي لطلب الرزق والعمل بالصناعة في ازدهارها، هذه النظرة المستمدّة من الكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿فَانشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹، حيث حسم الإسلام مسألة السعي في طلب الرزق ورغبة بها أي ترغيب، حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره، كما حثّا على استغلال الموارد ونبه العقول على الاستفادة من الثروات الطبيعية -في مختلف صورها- في آيات كثيرة، منها² قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾³. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ إِلَيْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلْنَاهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾⁴.

ج- إضافة لوفرة الأيدي العاملة⁵ وكثرة الأهالي حيث تميز المجتمع العباسي بتنوع عناصره ما أدى إلى تنوع المهن، والتناسب مع تقسيم العمل، والذي بدوره انعكس على الانتاج الصناعي⁶ فالطبقة العاملة تكونت من فئات متعددة عرب وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين، أحرار وعبيد، وقد عبر صاحب المستطرف عن ذلك بقوله:

¹- سورة الجمعة الآية 10.

²- أنور أحمد خان البغدادي: الحرف والصناعات في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص 65.

³- سورة الحديد، الآية 25.

⁴- سورة ياسين الآية 34-35.

⁵- بعد بناء بغداد وتدفق الهجرات إليها ازداد عدد قاطنيها بصورة كبيرة، يقول موريس لومبار: "اذ قيل في ساويولو انها أسرع مدن العالم نموا (60000 نسمة في سنة 1888م) و (2مليون نسمة في سنو 1950م) فماذا نقول نحن عن في بغداد التي زاد عدد سكانها في ظرف سنوات أقل أي من سنة 762م حتى سنة 200م من بعض مئات ليبلغ مليوني نسمة؛ موريس لومبار: الاسلام في مجده الأول من القرن 2 الى القرن 5هـ (11-8م)، تر: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 2003، ص 181.

⁶- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 39.

تأملت أسواق العراق فلم أجد دكاكينهم إلا عليها المواليا جلوسا.¹

ح- عمل الخلفاء العباسيون على نقل الكثير من الصناعات والحرف إلى مدن البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وغيرها من العواصم الجديدة، التي جذبت العمالة إليها لتوافر فرص العمل، فأقدم بعضهم على تعلم الصناعات على أيدي أرباب تلك البلاد،² خاصة وأن الدولة أباحت الهجرة إلى المدن؛ فقد سمح لأهل مدن مرو وبخارى وخوارزم بالسكن في مدينة بغداد،³ فانتقل أهل الصناعات إليها من كل بلد وأنوتها من كل أفق،⁴ ما جعل ابن الفقيه يصفها بقوله: "قل في عجائب بغداد ما شئت التي قد إجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات".⁵

ومن أمثلة تأثر العرب بالأمم والشعوب التي احتكوا بها من الصناعات، إنشاء دور السكة والمصانع ودور إنتاج البردي البيزنطية، فقد سمح العرب لهذه الصناعات بالاستمرار تاركين إياها بأيدي أهل البلاد الأصليين، بل تتلمذ الكثير من الصناع العرب على يد أرباب الصناعات الفنية في تلك البلاد وحاولوا تقليله أو نقل الصناعات إلى العراق في العواصم التي تم إنشائها؛ وحظيت بالدعم الكبير من الخلفاء العباسيين، فعندما أراد المتوكل بناء سامراء قام بجمع الصناع من أقاليم مختلفة وأدى هذا إلى خلق تجمعات وكتلات، ولاشك

¹- الأبهشي شهاب الدين احمد (ت850هـ): المستطرف في كل فن مستطرف، المطبعة العامرة المليجية، ط1، 1911، ص23.

²- سليم أبو طالب سليم: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الإشعاع، 1999، ص137.

³- صباح الشيفلي: الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بيت الوراق، ط1، 2010، ص31.

⁴- اليعقوبي، المصدر السابق، ص25.

⁵- الهمذاني ابن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد (ت290هـ): مختصر تاريخ البلدان، درا احياء التراث العربي، بيروت، 1888، ص252.

أن تجمع مثل هذه الأعداد الكبيرة من العمال والصناع من كل أمصار الدول كان له أبعد الأثر في ازدهار الصناعة نتيجة الاحتكاك وتبادل المعرفة والخبرات.¹

أدت الطبقية في سلم الحرفيين ، لخلق تناسب في تقسيم العمل، إذ اختص كل فرد بمهام معينة حسب رتبته في الهرم الحرفي، وهذا ما كفل السير الحسن للعملية الانتاجية وخلق جوا من التكامل بين العاملين في المحل، وما سهل تحول المادة الأولية البسيطة لمنتج موجه للبيع، حيث كان لكل حرفه (رئيس) من أعضائها تعينه الحكومة أو تعرف به، ويليهم الأساتذة وهم المتقدمون في الحرفة، ويليهم الصناع، وهم الذين أتقنوا الحرفة وبإمكانهم فتح حوانين خاصة بهم للعمل مستقلين، وأدنى درجة في الحرفة تتمثل في المبتدئين الذين ينتمبون إلى الحرفة ولا يزالون في مرحلة التعلم.²

المعتاد في الصناعة هو حانوت يديره صانع واحد أو عائلة أو عدد من الشركاء، وقد يعمل الصانع في بيته، وقد يعمل بمفرده أو يكون معه عدد من المبتدئين يتدرّبون عليه ويساعدونه، وتتوقف سعة الحانوت من حيث عدد العاملين على نوع الصناعة وامكانية الصانع، وعادة كان الصناع يستغلون لحسابهم ويباعون إنتاجهم لكن في بعض الأحيان كانوا يعملون لحساب غيرهم من المستهلكين مقابل أجور يومية أو حسب وحدة الانتاج، وكان كل صانع يفضل حرفه على جميع الحرف الأخرى.³

خ- ساهم توفر المواد الأولية في ازدهار الصناعة، فهي وسط بين مواد أولية محصلة ومحسنة تأخذ فتعمل فيها عملها فتحولها إلى مواد أخرى صالحة للاستخدام، فقيل في هذا

¹- صباح الشيخلي، المرجع السابق، ص30-31.

²- فايزه عبد الرحمن حجازي: أهل الحرف والصناع في بغداد في العصر البوهيمي، المنارة، المجلد 22، العدد 1، 2016، ص213.

³- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص115-116.

الصد "أن الغاية من العلم العمل، والعمل على ثلاثة أنواع: محصل، محسن، ومغير، فالزراعة تشتراك بين الأول والثاني والصناعة تقع بين الثاني والثالث."¹

تعتمد الصناعة إذن بدرجة كبيرة على مواد أولية خام أو طرأ عليها بعض التحويلات لتصبح قابلة للاستعمال، فقد ساهم توفر الموارد والثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية في دعم النشاط الصناعي، كما ساهم تأمين طرق التجارة البرية والبحرية في توفير مختلف المواد الرئيسية والكمالية للعمليات الصناعية والحرفية، فازدهرت الصناعات النسيجية والخبيبية، الغذائية، والصناعات الحربية وصناعة الورق والزجاج....

¹يعقوب صروف وفارس نمر: استخراج المعادن، مجلة المقتطف، بيروت، مج1، الع3، 1972، ص61.

قامت الدولة بتمويل إنشاء وتشغيل المشروعات الاستراتيجية المتعلقة بالأمن والدفاع كصناعة بناء السفن وانتاج السلاح وضرب العملة لتمكين الدولة من أداء مهامها في الحماية والأمن، أما باقي الصناعات فقد ترك للناس أمر النهوض بها وحرية تسعير منتجاتها بعد أن يسرت لهم الدولة سبل انتقال المواد الأولية الازمة للإنتاج وتسويق منتجاتها وتهيئة المناخ الملائم للإنتاج من باب "توسيع المعاش" على الناس، وبذلك أفسحت الدولة المجال للمبادرة الفردية وحرية الابداع والتجديد والابتكار دون أن تتغمس في الانتاج المباشر واقتصر دورها في خلق المناخ الملائم للإنتاج.¹

د- ازدهار العمران يرفع قدر الصناعات في المجتمع ازدهار العمران وهذا ما أقره ابن خلدون وكروه في أكثر من موضع في مقدمته، بقوله: "ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثريته"²، كما أنه يرى "على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتتوفر دواعي الترف والثروة"³، فكلما ازداد العمران وازدهر طلب فيه الكمالات، وكان من جملتها التأنيق في الصنائع واستجادتها، فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها"⁴ فالتوسيع العمراني والتطور الحضاري الذي عرفته الخلافة أدى لانتشار صناعة أدوات الترف التي يستعملها الأغنياء بشكل خاص اضافة للعديد من الصناعات الضرورية.⁵

¹- سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص 139.

²- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 335.

³- المصدر نفسه، ج 1، ص 335.

⁴- المصدر نفسه، ج 1، ص 336.

⁵- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 115-116.

ذ- اهتم الخلفاء كذلك بالأسواق وتنظيمها باعتبارها ركيزة أساسية في اقتصاد الدولة ومجلاً للإنتاج والبيع ومورد مالي يمتاز بالثبات والدائم، وقد ظهر ذلك عندما وضع الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة (145هـ/762م) اللبنة الأولى لتأسيس مدينة بغداد فقام بنقل الأسواق من خارج العاصمة إلى الكرخ، وعمل على تأمينها وتنظيمها دقيقاً.¹

ويعطينا اليعقوبي وابن رسته وصفاً لأسواق الكرخ وطريقة تنظيمها إذ كان فيها "كل تجارة وتجار شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعارض، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنف ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم وكل سوق مفردة وكل اهل صنف مفردون بتجاراتهم".²

وذلك ما يضمن السير الحسن للعمليات التجارية والصناعية، خاصة وأن طبيعة بعض الصناعات تثير الضجر بسبب صوت الدق وما يحده من ضوضاء و بعض الصناعات التي عادة ما ينتج عنها أوساخ بسبب موادها الأولية أو مخلفاتها، وبعض الصناعات التي يستلزم قيامها توفر شروط النظافة كالصناعات الغذائية.

¹ - علي كاظم عبدالله، المرجع السابق، ص 54.

² - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 24؛ ابن رسته، المصدر السابق، ص 246.

استمرت بغداد على ما نظمت عليه أسواقها منذ تأسيسها، فقد وجدت محلات كثيرة فيها محلة البرازين ومحله أصحاب الصابون ومحله السواقين ومحله القطانين،¹ وأيضاً هناك محلات متخصصة في صناعة من الصناعات مثل محلة التسترين² في الجانب الغربي من بغداد ومحله العتابة التي كانت مشهورة في جميع البلدان الإسلامية في صنع الملابس العتابية، وأيضاً كان هناك الأسواق والمحلات في الجانب الغربي من بغداد مثل سوق يحيى الذي كان فيه الدكاكين من خبازين ودقاقين فضلاً عن سوق الطير الذي كان يجمع فيه الرحالين إلى جانبها الصيارة وسوق الصاغة وسوق الوراقين، أما في الجانب الشرقي فقد وجد فيه سوق السلاح وسوق الداية وكانت هذه المحلات تخص كبار التجار والصناع وأرباب المناصب.³

همت السلطة المركزية منذ البداية إلى مراقبة الصناع والصناعات ومدى مطابقتها للمواصفات الشرعية، من أجل ضمان وتحسين جودة المنتوجات الصناعية سواء في المواد التي تصنع منها أو طريقة صنعها، لذا فقد أوكلت هذه المهمة للمحتسب والمسؤولين ممن يقوم الخليفة بتعيينهم.⁴

¹- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص108.

²- تسترين: جمع نسبة الذي قبله محلة ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة بيكنها أهل تستر وتعمل بها الثياب التستيرية، ياقوت الحموي، ج2، ص31.

³-مثنى عباس عواد وعمر أحمد سعيد: الأصناف والحرف في بغداد (دراسة في نشأتهم وتكوينهم حتى نهاية العصر البوبي 1447-1449هـ / 766-1055م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، الع26، 2019، ص199.

⁴-مشairyة أیوب ، المرجع السابق، ص1291.

استطاعت الخلافة العباسية أن تحقق الريادة في المجال الصناعي بفضل ما سبق ذكره من عوامل ، فغزت منتجاتها أسواق العالم أنداك، وحققت الاكتفاء في العديد من الصناعات سواء الكمالية منها أو الأساسية، إلا أن هذا لا ينفي ما واجهته الصناعة والعاملين بها من تحديات وصعوبات في ظل ما عانته الخلافة من اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية هددت القوى الانتاجية و المواد الأولية فعُرقل النشاط الاقتصادي ، وتراجعت العديد من الصناعات كما تأثرت كفاءة وجودة المنتجات في العديد من المرات.

سيطرت الدولة على الصناعات الاستخراجية وإنتاج المواد الخام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، حيث تم استغلال المناجم وبصورة مباشرة عن طريق نظام العهدة "أي التشغيل لحساب الدولة" ، ويعود فائض الاستثمار لبيت المال وبصورة غير مباشرة بمنح حق استغلال المناجم لبعض الأفراد، ويظل هذا الحق قائما طالما ظل العمل مستمرا وفي هذه الحالة يكون للدولة خمس الانتاج قياسا على خمس الغنائم في الأموال المنقوله، وكانت الدولة تعين عند كل منجم قاضيا أو عضوا من قبل المحاسب حتى تضمن حقها فيما يستخرج من معادن.¹

¹ - سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص 142.

عرفت الأماكن التي تسك فيها النقود بـ"دار السكة" أو "دار الضرب" وهي على هيئة منشأة صناعية تتبع السلطان أو الحاكم وتقوم بإصدار عملات نقدية ذهبية أو فضية أو نحاسية، تتمثل أهمية دور الضرب في ضرب الكميات الالزمه من النقود التي يجري بها التعامل التجاري اليومي والمبادلات التجارية، ومهمة هذا الدور هي زيادة أو تقليل ضرب النقود من أجل الموازنة في السوق، كما أنها تقوم بخزين المعادن المستعملة في ضرب النقود كاحتياطي، فضلاً عن قيامها بتزويد بيت المال بالموارد المالية لأنها هي التي تقوم بسك النقود وفق الوزن المقرر شرعاً¹. إلا أنه نتيجة للاضطرابات السياسية التي افقدت الخلافة هيبيتها، تعرضت النقود العباسية للغش في العيار والوزن.

تأثر النشاط الصناعي كذلك بتراجع النشاط التجاري بسبب تعرض القوافل التجارية الخارجية لأعمال النهب والسلب والقتل وتعرض الأساطيل البحرية لخطر القرصنة، فمهمة التبادل التجاري تتصب في سد النقص الحاصل من السلع والبضائع في مجتمع ما، أي نقل السلع والبضائع من أماكن وفترتها إلى أماكن ندرتها ونتيجة لهذه الآلية تحدث عملية التبادل الذي يتم وفق معطيات عديدة أهمها وجود الطرق البرية والبحرية التي تسهل عملية نقل السلع والبضائع من مكان إلى آخر.²

¹-سهيل تركي عنتر: المعاملات المالية واثرها على الواقع الاقتصادي في العصر العباسي الثاني في القرن الخامس والسادس الهجريين، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعية، الع 69، 2022، ص 90.

²-عبد الباسط مصطفى مجید الرفاعي: طرق التجارة والتبادل السمعي من خلال الواردات وال الصادرات في العصر العباسي الاول، مجلة آداب الفراهيدي، سامراء، قسم التاريخ، الع 2، السنة 1، (د.ت)، ص 395.

ومن أمثلة ذلك أدى كثرة الطلب على المنتجات الخشبية وقلة الناتج المحلي من الأخشاب التي تغطي هذا الطلب المتزايد، إلى استيراد خشب الساج الذي كان يستخدم في صناعة السفن التي مثلت عصب النشاط التجاري والحربي ، فضلا على أنهم استخدموها في صناعة الأثاث كالآبواب والنوافذ والسقوف، خاصة في منازل كبار التجار والأثرياء، وقد استخدم في بغداد وازداد الطلب عليه، وكانت بلدان الخليج العربي تقصر إلى هذه الأخشاب لعدم ملائمة مناخها لنمو شجرة الساج التي اتصف بطوله وضخامته في نفس الوقت. وكذلك صلابته ومتانته التي تستطيع مقاومة وتحمل العوامل والتأثيرات الجوية والبحرية القاسية،¹ ولذلك عمل تجار العرب على استيراده من الهند.²

عرفت المصادرات والمشاحنات بين أصحاب الحرف والسلطة كذلك النشاط الصناعي، حيث بدأ الصدام بين أهل الأصناف والحرف والأمراء البويعين في سنة 334هـ/945م؛ ولاسيما بعد أن اتبع معز الدولة سياسة المصادرات تجاههم بهدف الاستحواذ على أموالهم، فأخذوها ودفنوها في الحفر خشية المصادرات فعمد معز الدولة لكس منازلهم بحثا عن هذه الأموال، فوجد في بيت أحدهم غرفة فوق السقف وفوقها دور آخر علوي فيها الكثير من المال، كما وجد في بين آخر أموال كانت مدفونة تحت الأرض في قدر، فأفقرت معز الدولة في استخدام القوة لاستخراج مثل هذه الأموال من أجل المصادر.³

تضرر أصحاب الحرف والصناعات من الضرائب التي فرضت عليهم خاصة خلال القرن الرابع هجري، وذلك لسد العجز المالي الذي عانت منه الخلافة في بعض المرات

¹-لمياء بنت عبد الرحمن عثمان الصالح: أثر نشأة بغداد على نمو النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي حتى نهاية العصر العباسي الاول(145هـ-232هـ/848م-762م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الع21، شوال 1437هـ، ص230.

²- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص209.

³-مثنى عباس عواد وعمر أحمد سعيد، المرجع السابق، ص200-201.

فأغلقت المحلات وكسدت حركة البيع والشراء ونهبت البضائع وارتفعت أسعار مواد الخام حيث لم يبقي البوهيميون على أية سلعة من السلع إلا وقد فرضوا عليها الضرائب. استاء أهل الأصناف والحرف في عهد الأمير عضد الدولة (367هـ-372هـ / 977م-982م) من سياساته بسبب فرض ضريبة الأرحاء والطواحين في أواخر أيامه جاعلاً ل أصحابها شيئاً يسيراً من مواردها فخرجوا عليه وتذمروا منه،¹ كما احتكر صناعة الثلج وتربيبة دودة القرز لإنتاج الحرير نظراً لما تدر هاتان الصناعتان من أرباح طائلة، حتى وصفه ابن الأثير بأنه "كان يتوصل بأخذ المال بكل الطرق"، مما أدى لاستياء أصحاب الأصناف والحرف من سياساته فخرجوا عليه وتذمروا منه لأن سياساته هذه أسهمت في ارتفاع أسعار المواد الغذائية.²

فرض الوزير ابن سعدان وزير الأمير بوهيمي صمصام الدولة أيضاً ضريبة العشر على الأصناف والحرف سنة 373هـ / 983م، فسبب ذلك ارتفاعاً للأسعار وحدوث الغلاء، وأرسل أصحاب أسواق محلة باب طاق شكوى إلى الوزير من تفاقم الأمر وتذمر أصحاب الأسواق عليه وخوفه من شمول أسواق بغداد جميعها للاضطرابات، لذلك عمد إلى تسعير الخبز كل ثمانية أرطال بدرهم، وألزم أصحاب الأسواق بهذا البيع.³

فرض صمصام الدولة هو الآخر سنة 375هـ / 985م ضريبة على المنتوجات الحريرية والقطنية وقد كان مقدار هذه الضريبة عشر الثمن من بيعها، وأمر بإحصاء ما سيجيبي من تلك الضريبة فبلغت مليون درهم في السنة، مما تسبب في هياج سكان بغداد واجتمعوا في جامع المنصور ببغداد وكاد الأمر أن يتحول إلى ثورة شعبية، مما اضطر صمصام الدولة إلى الرضوخ لمطالب الناس فأمر بإلغائها.⁴

¹ -مثى عباس عواد وعمر أحمد سعيد، المرجع السابق، ص 201.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 425.

³ - التوحيدى، الامتناع والمؤانسة، المصدر السابق، ج 2، ص 26.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 311.

استغلت الحركات الاجتماعية المعارضة للخلافة العباسية وضع الصناع حيث أنهم احتلوا المرتبة السفلية من السلم الاجتماعي، أما واردهم لا يكفي إلا للضروريات المعيشية في الظروف الاعتيادية، وقد عبر عن ذلك المقدسي حين قال: "وأما الصناع العمليه وهي المهن فقد قيل قديما: الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يتسع لاقتضاء ضيعة أو عقد نعمة".¹ ولعل الحريري كان أكثر واقعية في تقديره لوضع الصناع حين يقول: "وأما حرف أهل الصناعات غير فاضلة عن الأقوات ولا نافقة في جميع الأوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة".²

يشير الحريري بهذا إلى صعوبة وضع الصناع معاشيا، لصعوبة التوفير وضنك العيش أحيانا حيث كان الصناع بصورة عامة صنفين: من يشتغل بأجرة مثل الصناع الذين يعملون في معامل الخلافة للنسيج أو في دار الضرب، وفي حوانيت صناعية تشغل لصالح التجار كما هو الحال في عمل النسيج، ومنهم من يشتغل لنفسه ويلمك من مواد أولية وآلات تقتضيها الصنعة وهؤلاء الصناع والأساتذة.³

لدينا إلا أمثلة قليلة مبعثرة عن الأجور، نوردها للتمثيل لا لإعطاء صورة مقبولة: كانت أجرة الزجاج النحوي في أواخر القرن الثالث هجري؛ وهو فتى يشتغل بخرط الزجاج تبلغ درهما ونصف درهم في اليوم، وأجرة عامل في حانوت في أواخر القرن الرابع هجري نصف درهم في اليوم مع طعامه وكسوته ثم زيدت إلى درهم في اليوم.⁴

¹- عبد العزيز الدوري: نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع1، 1959، ص154.

²- الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد (ت516هـ): مقامات الحريري، مكتبة جامعة زيورخ، المانيا، 1818 ، ص241.

³- عمر رضا كحالة: العلوم العملية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية بدمشق، سوريا، 1972، ص301.

⁴- المرجع نفسه، ص301.

ظهرت بالمقابل فئة تمتلك رؤوس أموال كبيرة وتستطيع إنشاء المعامل والمصانع، حيث حصل تركز في العمل على نطاق أوسع يتمثل في المعامل الكبيرة في المدن الهامة كالكوفة والبصرة وبغداد، وهذه العوامل أثرت على وضع "العامة" وبينهم أرباب الصناع والمهن بصورة خاصة، وأوجدت لديهم روح التذمر والتمرد وجعلتهم يساهمون في الحركات الإجتماعية بصورة فعالة، بل وكونت بينهم وجهة ثورية تتمثل في حركات العيارين والشطار منذ القرن الثالث هجري¹.

وصف المسعودي أوضاع السوق أنداك بقوله:

الكرخ أسواقه معطلة يستان عيارها وعابرها

خرجت الحرب بين الأسواق أسود غيل علت قساورها²

حصل ارتباك سياسي وسوء إدارة نتيجة تسلط الأتراك في القرن الثالث فأربك الحياة الاقتصادية وأضر بأهل الصنائع بصورة مباشرة، ورافق ذلك ارتفاع في الأسعار دون وجود ما يشعر بارتفاع مقابل في الأجور، وظهرت تيارات اجتماعية تدعوا - باسم الدين - للإصلاح وتؤكد بصورة خاصة على تحسين الوضع المالي والاجتماعي كما فعل صاحب الزنج والقراطمة³.

¹- عبد العزيز الدوري، نشأة الأصناف، المرجع السابق، صص 156.

²- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 3، ص 334.

³- عبد العزيز الدوري، نشأة الأصناف، المرجع السابق، ص 156.

فمن دراسة الحركة الإسماعلية -القرمطية- نجد أنها لقيت انتشاراً واسعاً بين جماعات الفلاحين والصناع، حيث انضم كثير من الأعاجم إلى الحركة الإسماعلية -القرمطية- وفيهم أعداد كبيرة من الصناع، ومما يؤكد انضمام أهل الحرف والمهن إلى هذه الحركة أن معظم دعاتها من ذوي المهن والحرف؛ فالحسين الأهوازي وهو أول داعي إسماعيلي في سواد الكوفة كان عاملاً وياكل من كسبه، كما اشتغل ناطوراً في حفظ البساتين، وكان حامداً قرمط وهو أول مستجيب لهذا الداعي مكارياً يحمل على أثاره له، أما الداعي الإسماعيلي في قرية زابوقة من عمل الفلوجة - فكان من معلم صبيان، كما نجد أن اسماء بعض دعاة هذه

الحركة تدل على الحرف كالكيال والصانع والحداد.¹

المبحث الرابع: اختلال التوازن المالي:

أ- ارتفاع الأسعار وحدوث المجاعات:

تميزت أسعار المواد الغذائية خاصة الأساسية في العصر العباسي بعدم الثبات تبعاً لتوفرها أو ندرتها؛ حيث أن ذلك خضع لمجموعة من المؤثرات الطبيعية من فيضانات ورياح وعواصف وقلة الأمطار أو زیادتها بشكل مدمر وانتشار الحشرات والآفات، التي تؤدي لتضرر القطاع الفلاحي الذي يعتبر الممول الأول والأساسي للغذاء.

يضاف لذلك الظروف السياسية المحيطة بالعراق من حروب طاحنة وسيطرة عسكرية، واقتصادية ومحاولات تضييق على السلطات والعوام داخل المدن، كما كانت طبيعة السياسة الاقتصادية التي اتبعها بعض الخلفاء و سلاطين بني بویه بعدهم من إهمال للأراضي الزراعية وإهمال تقويم شبكات الري وتوقف الدولة عن وضع حد للنظام الاقطاعي ومراقبة سلوك المقطعين - خاصة الجندي -، سبباً مباشراً في نقص الغذاء وغلاء الأسعار.

¹ - صباح الشيفلي، المرجع السابق، ص 52.

أشار الجاحظ لقاعدة تجارية هامة بأن السلع تشعر على مقاديرها؛ أي أن الشيء يرخص بوجданه ويرتفع ثمنه بقصانه¹ موضحاً بأن جودة السلعة ترتبط بسعرها،² كما ذكر المقريزي الغلاء في مقدمة كتابه "اغاثة الأمة" معبراً عنه "بأن الغلاء والرخاء ما زالا يتعاقبان في عالم الكون والفساد"؛³ وكأنه يقرر قاعدة وقانوناً في حركة التاريخ الإنساني، فإذا ما جاء غلاء إلا أعقبه بعد حين رخاء وما جاء رخاء إلا أعقبه غلاء وشدة.

كان الاحتكار كذلك أحد الأسباب المباشرة لرفع الأسعار، وكان تأثيره شديد السوء وبخاصة إذا كان المحتكر ذو سلطة تسهل عليه التحكم في سعر البضائع والسلع عند شرائها، ورفعها بالقدر الذي يناسبه عند بيعها، تقاعست الحكومة العباسية في حل مشكلة الاحتكار حيث كان بمقدورها وضع حد لتلذع التجار وغيرهم بأسعار السلع،⁴ فالسلطة تمتلك كميات كبيرة من الغلال عن طريق نظام المقاومة الذي تتبع في جباية الخارج، وكان بإمكانها طرح هذه الكميات على الأقل في أسواق بغداد التي عانت مرارة الاحتكارات وارتفاع الأسعار، لكي توفر للعوام ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية، إلا أن ذلك لم يحدث لأنه ليس في مصلحة من كان بالسلطة من رجال الدولة ولهم ضياع ومستغلات تدر عليهم أموالاً طائلة في حالة ارتفاع الأسعار، كما ليس من مصلحة الضمّناء الذين كان همهم

¹-الجاحظ ، التبصرة في التجارة، المصدر السابق، ص 13.

²-الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت 255هـ): رسائل الجاحظ، ترجمة عبد السلام محمد الهارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت)، ج 2، ص 179.

³-المقريزي أحمد بن علي عبد القادر أبو العباس أحمد بن علي تقى الدين (ت 845هـ): اغاثة الأمة بكشف الغمة، ترجمة كرم حلمي فرات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 2007، ص 81.

⁴- حمدان عبد المجيد الكبيسي: أسواق بغداد حتى بداية العصر البوبي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، (د.ت)، ص 300.

الأكبر تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح ويتحقق ذلك في حالة زيادة أسعار الغلال والمواد التي ضمنوها.¹

أدى الحصار الذي ضربه المستعين بالله (248هـ-866م) على بغداد أثناء الفتنة بينه وبين المعترض بالله سنة 251هـ / 865م لمنع الميرة عنها فانتهت القرى فخررت الضياع ، حتى كان القفير يباع بمائة درهم أي أن القفير الواحد من الحنطة يباع بـ(4-5) دنانير، وشربة الماء بثلاث دراهم، مما أدى لغضب العامة، وكان لهذا الغضب أثر كبير في قبول المستعين الصلح مع أخيه المعترض ، وخلع نفسه من الخلافة،²

خرجت الروم من ديار ربيعة سنة 266هـ / 879م، وتعذر الاتصال وعم الغلاء سائر البلاد في الحجاز والمدينة وال伊拉克 والموصل،³ وأدت الحرائق التي أحدثها صاحب الزنج في الجسور سنة 269هـ / 882م لانقطاع الميرة، بلغ الرطل⁴ من خبز البر (خبز يصنع من حبات القمح دون أن ينزع أي جزء منها) عشرة دراهم، فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب ثم لم يزل الأمر بهم حتى أكل الواحد صاحبه إذا انفرد به⁵ ، وفي هذا نوع من المبالغة، استخدمت المصادر هذه الأوصاف لتعبر عن شدة الجوع بسبب ارتفاع الأسعار

غلا السعر ببغداد سنة 272هـ / 885م وكان سببه أن أهل سامراء منعوا اندثار السفن بالطعام فغلت الأسعار، ومنع أهل بغداد عن سامراء الصابون⁶، وزادت الأسعار

¹- حمدان عبد المجيد الكبيسي، المرجع السابق، 301. هيثم محمد السادس، المرجع السابق، ص 164.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 168. السيوطي، المصدر السابق، الخلفاء، ص 285. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12، ص 38.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 290.

⁴- الرطل: يساوي 12 أوقية والأوقية تساوي 12 درهما؛ الزبيدي مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، 1888، ج 7، ص 346.

⁵- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 321

⁶- المصدر نفسه، ج 6، ص 346.

بشكل كبير سنة 307هـ/1996م وكان السبب هو رغبة الوزير حامد بن عيسى وزير المقدار باللهــ الانفراد بالسلطة وإبعاد الوزير علي بن عيسى، فعرض على الخليفة عرض أعمال الخارج بالسود والأهواز وأصبهان مقابل أربعين ألف دينار زيادة عن متوسط خراجها، قبل الخليفة المتعطش للأموال رغم تحذير علي بن عيسى من ذلك، لأنه سيؤدي إلى زعزعة الأوضاع الاقتصادية، إذ سيحاول حامد بن العباس تعويض الأموال التي يدفعها من الفلاحين، وسيحتكر وبعض رجال الدولة بعض الغلال مما سيرفع سعرها بما لا يتحمله العوام، وحين حدث ما حذر منه الوزير اجتمع العوام عند المسجد وكسروا المنابر وزاد الأمر سوءاً انضموا إلى الجند لهم¹.

تعامل حامد بن العباس مع الموقف بعنف، فوقع قتلى من العوام ولم يستطع صاحب الشرطة السيطرة على الموقف خاصة مع اتباع العوام الأسلوب التخريبي من حرق الجسور وفتح السجون؛ فأرسل الخليفة قوات من الجيش للسيطرة على الأمر، وتم القبض على مثيري الشغب، ومعاقبتهما بالضرب وقطع الأيدي لمن ثبت عليه الإفساد، ومن جهة أخرى أمر الخليفة برفع الاحتكار وعرض الغلال المخزنة للبيع وخفض أسعار الحنطة والشعير بعد أن بلغ الخبز ثمانية أرطال بدرهم.²

عَرَّ الدقيق بمدينة السلام بسبب جيش البريدي وبلغ المكواك ستة دراهم سنة 309هـ/1921م³، وارتفعت أسعار السلع الرئيسية بلغ كر الحنطة مائة وعشرون دينار، وذلك بسبب الأضرار التي خلفتها الرياح التي هبت خلال تلك السنة، إضافة لما أحدثه الجندي من

¹ مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 42.

² مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 42.

³ الصولي، المصدر السابق، ص 225.

شغب ونهب للأأسواق، وانتفاضة الحنابلة التي وصلت ذروتها في الاعتراف على شكل حركة البيع والشراء مما لا شك أنه كان له أثر بالغ على الأسعار سنة 323هـ/934م¹.

غلا السعر سنة 324هـ/935م فجاع الناس وعَدَمَ الخبز خمسة أيام ومات من أهل البلد خلق كثير من الضعفاء، وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بهم ويحمل على الجنازة الواحدة اثنين من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي وربما حفرت الحفرة الواحدة، فتوسع حتى يوضع فيها جماعة ومات من أصابهان حوالي مائتي ألف إنسان².

كانت سنة 334هـ/954م صعبة على بغداد وما جاورها من مدن وذلك بسبب دخول بني بويه للبلاد والحالة السياسية الصعبة، ضف لذلك احتراب معز الدولة بن بويه وناصر الدولة الحمداني داخل بغداد من أجل محاولة تثبيت أقدام بني بويه في المدينة وطرد النفوذ الحمداني منها، كما تأثرت المحاصيل بحشود القمل والحشرات، فلحق الناس غلاء شديد وعدموا الأقوات وما زاد الأمر سوءاً تسلط الجيش على الغلات حيث كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها لمعسكرهم؛ فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع إذا وجد³.

سرقت امرأة هاشمية صبياً فشوهه وهو حي وأكلته لشدة الجوع وجدت، وامرأة أخرى أخذت صبية شقتها نصفين فطبخت النصف، وقد بلغ المكوك من الحنطة خمسة وعشرون درهماً، واضطر الناس إلى أكل البز وأكلوا الجيف وروث الحيوان وخرج الناس من البصرة خروجاً مسرفاً، فمات أكثرهم في الطريق بسبب الصراع بين ناصر الدولة والقراطمة، لحق الناس غلاء شديد وعدموا الأقوات، وما زاد الأمر سوءاً تسلط الجيش على الغلات حيث

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 350؛ مسكونيه، المصدر السابق، ج 5، ص 181-187.

² - ابن الحوزي، المصدر نفسه، ج 13، ص 357؛ المصدر السابق، ابن كثير، 15، 96.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 46-48. الأصفهاني، المصدر السابق، ص 149.

كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها لمعسركهم؛ فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع إذا وجد وزاد ظهر حشرات و القمل الوضع سوءاً.¹

زالت الأسعار وعدمت الأقوات سنة 364هـ / 984م وبيع الكر من الدقيق بمائة نيف وسبعين دينار وضاقت العلوفة فيبيع الحمل من التبن بعشرة دراهم، وأخرج السلطان كراعه إلى السواد،² سكت ابن الجوزي عن السبب الحقيقي إلا أن السبب سياسي فهذه السنة هي السنة التي قدما فيها عضد الدولة بن بويه إلى العراق إذ اعجبه ملكها وأطلق يد الجندي الأتراك فيها ليشغوا على عز الدولة الذي كان يحكم عندئذ، ولا بد أن هذا الاضطراب الأمني قد أثر على طرق التجارة وفي المحاصيل الزراعية الواردة.³

وصل سعر الرطل من الخبز سنة 382هـ / 991م أربعين درهم والحوزة منه بدرهم وهي أسعار مرتفعة؛ والسبب في ذلك يعود إلى الاشتباكات بين السنة والشيعة سواء في العام السابق أو في تلك السنة، والتي قد أثرت على البيع والشراء وصولاً للمواد الغذائية، إلى الأسواق إذ لم تسجل المصادر أي اضطراب أمني أو سياسي إضافة للفتن الداخلية والحروب الأهلية بين بهاء الدولة وصمصام الدولة، والقبض على الخليفة الطائع (362-974هـ/991م) وخلعه وتولية القائم بأمر الله.⁴

ساهمت الأزمات الغذائية الاقتصادية في بروز حدة التباين الاجتماعي في المجتمع العباسي، واتساع الهوة بين فئاته وطبقاته، ففي الوقت الذي نجد فيه فئة قليلة مسيطرة ومستفيدة ومتربدة لا تعاني وطأة الأزمات بل وتزداد ثراء، نجد افتقار الطبقة العامة وهي

¹- الأصفهاني علي بن الحسين أبو الفرج (ت 356هـ)؛ الأغاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1994، ج 4، ص 149. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 46-48.

²- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 236

³- مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 414.

⁴- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 458.

الغالبية العظمى في المجتمع العباسي، عانت من ضنك العيش حتى تعذر على معظمهم تأمين غذائهم وشراء ما يحتاجونه من ضروريات بسبب ضيق ذات اليد.¹

كانت طبقة العامة من أكثر الطبقات تضرراً من غلو الأسعار فكثيراً ما كانوا يصيرون بسبب غلاء الأقوات والأسعار،² وذلك لقلة دخلهم بما لا يتناسب مع الغلاء الذي ضرب أطناب العراق، ففي العقد الرابع تراوحت الرواتب اليومية بين نصف درهم ودرهم كامل يومياً أي ما يتراوح شهرياً بين 25 و30 درهم وهو مبلغ لا يتناسب مع الغلاء،³ اختلفت الأجرور من صنعة إلى أخرى ومن مكان لآخر، ومن سنة إلى أخرى وذلك تبعاً لظروف صاحب الحانوت أو المصنع أو الأرض الزراعية أو حسب الاستقرار الاقتصادي أو الاضطرابات التي عانت منها الدولة. وبالتالي قد يتعدى عليه الحصول على أبسط المواد الغذائية.

كانت الأسعار في العصر العباسي الأول رخيصة مقارنة بالعصر العباسي الثاني وبالتالي سادت الرفاهية في البلاد وقائمة أسعار المأكولات خير دليل على ذلك، ففي زمن أبو جعفر المنصور كان الكبش يباع بدرهم والحمل بأربع دوانق (سدس الدرهم)، والتمر زنة ستين رطلاً بدرهم، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم، والسمن ثمانية أرطال بدرهم، وكان ينادى على لحم البقر تسعين رطلاً بدرهم، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم؛ ومما لا شك فيه أن هذه الأسعار الرخيصة تدل بشكل قاطع على الرخاء وكثرة الخيرات،⁴ فالثروة التي كانت تبلغ سبعمائة دينار تعتبر ثروة كبيرة، وكذلك كان يكفي الرجل من عامة الناس هو وزوجته في

¹ آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، المرجع السابق ، ص228.

² الألوسي، المرجع السابق، ص117.

³ فهمي سعد، المرجع السابق، ص295.

⁴ أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، سوريا، (د.ت)، ص359.

عصر هارون الرشيد ثلثمائة درهم في السنة، ويرجع السبب في ذلك إلى اهتمام الخليفة بشؤون البلاد الاقتصادية وعملهم على تنمية موارد البلاد.¹

اتسم القرن الثالث هجري بسوء الأوضاع الاقتصادية، باستثناء فترات قصيرة أبرزها فترة العشر سنوات (279هـ - 289هـ)، وهي خلافة المعتصم التي وصفت بالرخاء والاستقرار السياسي، فقد سكنت الفتن وصلحت البلاد وهذا الهرج ورخصت الأسعار حتى كان يكفي عيشة عائلة عشرة دنانير في الشهر الواحد،² فيذكر الصابي أن وارد السواد لم يرتفع لأحد بعد عمر بن الخطاب إلا زمن المعتصم بالله فقد رفعه أبا العباس أحمد بن الغرات في أيامه ثلاثة وألف واربعين كر شعير مصروفًا بالفالج وباع الكرين بالمعدل من الحنطة والشعير بتسعين دينار وحصل من الخراج وأبواب المال أكثر ألف ألف دينار ماعدا هذه الفترة³ فقد تميز القرن الثالث الهجري بالفاقة والعزوز.⁴

وصف المقدسي أوضاع العراق وأحواله في هذا العصر وهو أحد المعاصرين لهذه الحقبة بقوله "انه بيت الفتن والغلاء، وهو كل يوم إلى وراء، ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء، مع ثمار قليلة، وفواحش كثيرة، ومؤن ثقيلة"⁵، أما بالنسبة للقرن الرابع هجري فقد تميزت الأسعار بالارتفاع باستثناء فترات قصيرة- فأسعار الحنطة تراوحت بين 60 دينار و40 دينار للكرة، أما سعر الخبز فكان يتناسب مع سعر الحنطة فإذا زاد سعر الحنطة يزداد تلقائياً سعر الخبز.⁶

¹ المرجع نفسه، ص 356.

² المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 4، المصدر السابق، ص 185.

³ الصابي، الوراء، المصدر السابق، ص 209.

⁴ الألوسي، المرجع السابق، ص 121.

⁵ المقدسي، المصدر السابق، ص 113.

⁶ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 271.

قاد تكرار حدوث المجاعات بعض أفراد الطبقة الخاصة وال العامة إلى الانحدار نحو الفقر ، وزيادة عدد الفقراء في المجتمع، فهناك العديد من النصوص التي دلت على دور الأزمات الاقتصادية في الانحدار إلى درجة الفقر وضعف المستوى المعيشي، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذكر ابن الجوزي عن تأثير أزمة الغلاء في سنة 941هـ/329م في الناس وشدة وطأتها حتى "تكشف المتجلمون وهلك الفقراء" ¹، وذكر عن أزمة الغلاء عام 330هـ، 941م "وافتقر أهل الغنى واليسار" ² فللعامل الاقتصادي دور مهم في الحراك الاجتماعي نحو الأعلى والأسفل. ³

اقتصر طعام الفقراء على ما هو بسيط ورخيص ويأتي في مقدمتها الخبز حتى قيل فيه "أنه قوام أهل الأرض وأصل الأقوات وأمير الأغذية" ⁴، ولذلك ركزت المصادر على ذكر أسعاره كلما أورت حدوث الغلاء، فمن الطبيعي أن تشتت أهمية الخبز وال الحاجة إليه إبان الأزمات الاقتصادية والسياسية، خاصة وأن الدولة كانت تفتقر احتياط من الحاصل لتنفذ به الناس من الماجاعة، وكل ما كانت تستطيع فعله هو جلب القوت إلى الأماكن المبتلة بالمجاعة من الخارج، إلا أن الدولة العباسية أدركت فيما بعد ضرورة إنشاء "ديوان الأهراء" الذي كان يشرف على ما يرد إلى بيت المال من غلال، لخزن احتياط من المحاصيل لمواجهة المجاعات والشدائد. ⁵

¹- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14 ص 06.

²- ابن الجوزي، ج 14، ص 20

³- موفق سالم النوري، المرجع السابق، ص 29.

⁴- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فرازة (ت 225هـ): *البخلاء*، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009، ص 50.

⁵- احسان صدقى العمد: *الخبز في الحضارة العربية الإسلامية*، حوليات كلية الأدب، مجلس التحرير العلمي ، جامعة الكويت، الع: 76 ، الس12 ، 1996، ص 110.

يعتبر الدقيق والتمر كذلك من أرخص أنواع الطعام وأشدّها إملاءاً للمعدة في الوقت معاً، ولذلك أُولئك بها العوام والفقراة وخاصة في منطقة البصرة، حيث يعتبر التمر انتاجاً محلياً وقد كان طعاماً رئيسياً يوزع يومياً على الزنوج دون ثمن مقابل أتعابهم وعملهم المرهق،¹ وكثيراً ما تضرر النخيل من حدوث الرياح القوية مما يؤدي لارتفاع سعره.

ندر استعمال اللحم لدى الفقراء بالقياس إلى المواد الغذائية الأخرى، حيث قيل لابن العتاهية (ت 230هـ) "إنك شحيح على نفسك لا تشتري إلا من عيد إلى عيد، فقال: لقد اشتريت يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم"²، وكان البوابون في قصور الخلفاء والوزراء يأكلون الغول يستغيبون به عن اللحم لندرته وارتفاع سعره،³ ومن طريف القول ما قيل لعبد الله بن يعقوب "ما تشتهي أن تكون؟ قال: أشتلهي أن أكون دابة تأكل الليل والنهر"،⁴ وقيل للأعرابي "ما اسم المرق الذي عندكم؟ قال: السخين، قال: فإذا برد؟ قال لا ندعه بيرد"،⁵ وهذا من يدل على شدة الجوع والتلهف للأكل.

أصبح الفقر الذي هيمن على شريحة واسعة من طبقة العامة مشكلة لازمت المجتمع العباسى خاصة عند حدوث الأزمات الاقتصادية، وعدم وجود حلول جذرية لتحسين أوضاعهم المعيشية؛ مما أدى لخلق فئات اجتماعية تسعى لتحقيق المساواة في توزيع الثروة كفئة الشطار والعيارين، التي اعتبرت كنتاج طبيعي وإقرار منطقي للفروق الفردية أو واسط

¹ - الألوسي، المرجع السابق، ص 124.

² - الأصفهانى ، المرجع السابق، ج 4، ص 270.

³ - الألوسي، المرجع السابق، ص 124.

⁴ - أبو حيان علي بن محمد التوحيدى (ت نحو 400هـ): البصائر والذخائر، مكتبة الأطلس 1964. ص 556

⁵ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت 255هـ): البيان والتبيين، المطبعة العلمية، مصر، 1893، ج 1، ص 160.

المجتمع العباسي، كما كان لذلك دور في بروز اللصوصية بشكل كبير منذ العصر العباسي¹ الثاني.

بـ-سوء الأنظمة المالية المتتبعة في تقدير الموارد وجمعها:

تعد قلة الجباية وكثرة النفقات من المشاكل الاقتصادية التي عانت منها الخلافة العباسية في فترات عديدة، فقد ورث العباسيون نظاماً ضريبياً شكل بيت المال مخزناً لمعظم ايراداته التي كانت تجيء من الخارج²، الزكاة³، الغائم⁴، العشور⁵، ريع المنشآت العامة⁶،

¹-الألوسي، المرجع السابق، ص124.

²-الخارج: هو "ما دفع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها" الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص187. هو الضريبة السنوية المفروضة على الأرض التي ترعرع حبوباً ونخيلًا وفاكهه يدفعها المزارع لخزانة الدولة؛ عامر محمد نزار جعلوط، فقه الموارد العامة لبيت المال، تق: سامر مظفر قنطوجي، دار أبي الفدا للنشر، 2012، ص213.

³-الزكاة: هي أحد أركان الإسلام الخمسة وفرضية أساسية من فرائضه، فقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذها من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، وهي نوعان مالا يمكن اخفاؤه كالزروع والثمار والمواشي، وما يمكن اخفاؤه من الذهب والفضة وعروض التجارة. الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص145-146.

⁴- الغائم: هي أموال الكفار التي ظفر بها المؤمنون على وجه الغلبة والقهر. الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص166.

⁵- العشور: وهي الضرائب التي تؤخذ من بضائع التجار غير المسلمين الذين يقدمون للتجارة في أسواق المسلمين من دار الكفار إلى دار الإسلام، ولم تكن العشور من الموارد التي ذكرها القرآن الكريم ولكنها فرضت بعدما فرض أهل الحرب العشر على التجار المسلمين عند تجارتهم في مدن الكفار. أبو يوسف، المصدر السابق، ص241.

⁶- ريع المنشآت: شكل ريع المنشآت العامة مورداً لابأس به من موارد الدولة العربية الإسلامية لاسيما لاسيما في العصر العباسي إذ قامت الدولة ببناء الكثير من الأسواق والدور والخانات وغيرها وتم تأجيرها للعامة مقابل مبلغ معين من المال؛ ايمان سليم كاظم حسين: التنظيمات المالية في العصر العباسي 132هـ/749م، مجلة التراث العلمي العربي، الع: 47، 2020، ص236.

المواريث¹، المصادرات² ، اضافة لمجموعة من الضرائب المستحدثة التي فرضتها السلطة على أصحاب الصناعات والمزارعين والتجار لتغطية عجزها المالي، والتي عبر ابن خلدون عنها بقوله "فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربيها على القيارات ويفرضها لها قدرًا معلومًا على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع".³

إن ما تعرضت له الخلافة من اضطرابات جعل قيمة الجباية تختلف من فترة إلى أخرى، وما كان يزيد الأمر تعقيدا هو عدم قدرة الخلفاء على تحقيق الموازنة بين ما يجيء وما ينفق؛ مما كان يخلق جوًّا من الضغط خاصة على الفلاح باعتبار أن الاقتصاد العراقي كان زراعيا، فقد شكلت ضريبة الخراج رأس النظام الضريبي؛ أما بقية الضرائب لم تكن على درجة عالية من التأثير، وقد تراجعت هذه الثروة للأسباب التالية:

❖ تراجع النشاط الزراعي: تراجعت قيمة الجباية لما عانته الأرض من إهمال وترابع للمنشآت الاروائية بسبب الكوارث الطبيعية ونتائجها التدميرية، والحروب التي انشغلت السلطة في احتمالها فأهملت إصلاح المنشآت التي خربت بسببها؛ تلك المنشآت التي كانت تضمن توزيعا عادلا وسلاما لمياه السقي، وكانت تخفف من وطأة الكوارث المناخية(خاصة الفيضانات والسيول)، وتحويل أكثر الأراضي إلى ضياع، وذلك من خلال ما طبق على أكثر الأراضي من أنظمة زراعية تعسفية كالإقطاع العسكري، نظام الإلقاء، ونظام التضمين...

¹- المواريث: هي ما يؤخذ من تركة من يموت ولا وارث له ويذهب ميراثه عادة إلى بيت المال حتى وإن كان له أقرباء من الدرجة البعيدة وكان لا يؤخذ شرعا إلا من مواريث المسلمين؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس هجري، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 116.

²- المصادرات: وهي الأموال التي تأخذ الدولة بعد عزل أحد الموظفين الكبار لديها إذا أساء عمله فتقوم الدولة بمصادرة أمواله وتذهب إلى بيت المال. ايمان سليم كاظم حسين، المرجع السابق، ص 236.

³- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 346.

❖ عسف العمال وسوء جبائية الخارج:

تحدث القاضي أبو يوسف عن أهمية العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم، مع ما في ذلك من الأجر يزيد به الخارج وتكثر به عمارة البلاد والبركة مع العدل تكون، وهي تفقد مع الجور والخارج المأخذ مع الجور تقصى البلاد به وتخرب،¹ أدت أوضاع الخلافة المضطربة وفقدان الخليفة لصلاحياته في أغلب الأحيان أو انشغاله في إخماد الحركات المعادية لصرف الاهتمام عن مدى توفر الشروط الالزمة في عمال الجبائية ومدى التزامهم بمهامهم، فعين منهم غير الأكفاء والأمناء، ومن هذه الأنظمة و السياسات التي استفحلت:

الخُرُص: ويكون الخُرُص بأن يجري تقدير ما على الزروع من خراج قبل وقت حصادها، أما الأشجار المثمرة فيقدر ما عليها من خراج قبل نضج ثمارها وجنيها، ويعتمد هذا التقدير من قبل من كان يرسلهم عامل الخارج إلى المزارعين في حقولهم، ويؤخذ به خطوة أولى وأخيرة لتقدير خراج الزروع والغلال؛ الأمر الذي يلحق الظلم بالمزارعين، فليأخذوا أكثرهم إلى مغادرة ديارهم وترك حقولهم وهجرة قراهم والفار لتخليصهم مما هو فوق طاقتهم وليس لهم عليه احتمال، فيكون وبال ذلك وبالتالي وخيمًا على أراضي الدولة²، التي يصير انتاجها في تراجع وإقلال، وعلى بيت المال ووارده من خراج المحاصيل والثمار مما سينسحب أثره -لاريـ- على اقتصاد البلاد وعمارتها.

رَوَاجُ الدِّرَاهِم : اعتاد عمال الخارج علىأخذ ما يعرف بدراهم الرواج من أهل الخارج وقد حذر أبو يوسف من هذا الأسلوب في الجبائية حيث قال: "ولا يؤخذ منهم ما قد يسمونه رواجاً لدراهم يؤدونها في الخارج، فإني بلغني أن الرجل منهم يأتي بالدرهم ليؤديها في خراجه

¹ - أبو يوسف، المصدر السابق، ص 115.

² - المصدر نفسه، ص 112.

فيقطع منها طائفة ويقال هذا رواجها وصرفها¹، والتي عرفت كذلك بضربيه "مال الجهد" ، وهي ما يقدم للجهد² من أموال نضير خدماته ويتمشى ذلك المبلغ مع ما يمر على الجهد من أموال ، رغم أن قيمة الرواج تقدر بـ 1% ، أي أنه يؤخذ من كل مائة درهم درهما واحداً ، وهي نسبة بسيطة إلا أن هذا أرهق دافعي الضريبة وزادت معاناتهم باعتبارها زائدة على ما هو مفروض من مقادير الخراج³ .

كيل الحاصل بعد الدوس ثم تأخيره في البيدر: حيث كان عامل الخراج يلجا إلى كيل الحاصل بعد عملية الدوس ، ثم يوضع هذا الحاصل في البيادر لدة شهر أو شهرين ثم يقاسمهم ، أي يقاسم العامل الزراع وأهل الخراج فيكيله ثانية ، فإن نقص عن الكيل الأول قال: أوفوني ، وأخذ منهم ما ليس له⁴ ، وإذا تدمر الفلاح شتموه وحلقوا لحيته وضربوه وقد لا يرضيهم ذلك فيغتصبون الضياع برمتها⁵ .

كثيراً ما كان الزرع يحفظ بعد ديسه في البيدر حيث يمكث فيه لمدة طويلة ، مما يجعله عرضة لاستعمال وعبث الزراع والمارة ، كما قد تذهب به الحيوانات والطيور إذ تأكل منه الكثير ، وكذا الرياح بهبوبها تفرقه وتتناثر⁶ .

¹ - المصدر نفسه ، ص 113.

² - **الجهد:** هو كاتب يرسم الاستخراج والقبض وكتب الوصولات وعمل المخازن والختمات وتواليها ويطلب بما يقتضيه تحرير ما يرفعه من الحساب اللازم له لا الحاصل ، ابن مماتي أبو المكارم الأسعد بن المذهب (ت 577هـ) : قوانين الدواوين ، تحقيق: عزيز سوريان عطية ، مطبعة مصر ، 1934 ، ص 9.

³ - عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، المرجع نفسه ، ص 228.

⁴ - محمد الخضري بك: الدولة العباسية محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، دار الارقم بن أبي الأرق ، لبنان ، 2016 ، ص 119.

⁵ - الألوسي ، المرجع السابق ، ص 148.

⁶ - محمد الخضري بك ، المرجع السابق ، ص 119.

دفع أجرة حصاد المحصول ودياسه: والتي كانت تدفع من طرف المزارعين ومن بيت المال، وهو ما أشار إليه أبو يوسف بقوله "وتقديم في أن يكون حصاد الطعام ودياسه في الوسط"¹، أما الذي كان يجري على الغالب فهو دفع هذه الأجرة من المزارعين وحدهم دون بيت المال وفي هذا ظلم وإجحاف بحقهم².

الإيغار: وهو ضرب من استهلاك الخراج، ومعناه في الأصل "استيفاء" فيقال "أوغر العامل الخراج أي، استوفاه"، ثم استعمل بمعنى الإعفاء من الخراج بمال معين يدفعه صاحب الأرض مرة واحدة، ولذلك قالوا: "أوغر الملك الرجل الأرض" جعلها له من غير خراج³، مما طبقه الجباة من ممارسات أضرت بالفلاحين والعمالين في الأرض دفعتهم للهجرة وترك أراضيهم فخربت وفسدت الزراعات بها وانعكس ذلك على مختلف الجوانب الاقتصادية الأخرى.

القبائلة أو الضمان: يقضي هذا النظام بأن يوكل إلى شخص معين قبض الخراج في منطقة معينة، مقابل أن يلتزم بأداء مبلغ مضمون للدولة وإن كان أقل من الخراج المجموع، أي أن هذا الشخص يكفي الحكومة مؤونة جمع الخراج في منطقة معينة، مقابل أن يلتزم بأداء مبلغ مضمون للدولة وإن أقل من الخراج المجموع، أي أن هذا الشخص يكفي الحكومة مؤونة جمع الخراج في منطقة معينة.⁴

حضر القاضي أبو يوسف من هذا النظام بقوله: "ورأيت ألا تُقبل شيئاً من السواد ولا غير السواد من البلاد فإن المتقبل إذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف أهل الخراج،

¹ أبو يوسف: المصدر السابق، ص 110.

² محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص 121.

³ جورجي زيدان، المرجع السابق، ج 2، ص 124.

⁴ أمانى صالح: الشرعية بين فقه الخلافة وواقعها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مصر، ط 1، 2007، ص 720.

وحمل عليهم مالا يجب عليهم وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم نيلم مما دخل فيه، وفي ذلك وأمثاله هلاك للرعيه وخراب للبلاد¹ وفي رواية أوردها الصولي: لا خير في القبالة وإنما كرهها لأنها بيع ثمر لم يخلق بعد ولم يبد صلاحه وزرع نابت لم يستحصد ومن قبل أن يزرع فهذا هو الغرر المنهى عنه".²

انتشر هذا النظام خاصة خلال القرن الثالث هجري، ويعود السبب لبروز ظاهرة الولاة الانفصاليين الذين يستقلون بأقاليم معينة عن مركز الخلافة العباسية، وقد أدى ذلك بالطبع إلى انخفاض الموارد الضريبية التي كانت تحصل عليها حكومة الخلافة من تلك المناطق، فقد ارتبط باستقلال تلك المدن امتناع أمرائها عن إرسال الخراج، والاكتفاء بإرسال الهدايا والخلع للخليفة في المناسبات، أما من واصل من الأمراء أداء الخراج للخليفة فقد طبق عليه نظام مالي رديء هو "الضمان".³

كان تضمين اقطاعات للقادة العسكريين الكبار والأقوياء من باب التعامل مع الأمر الواقع والقبول بأخف الضرر، فبدلا من أن تتشذم أراضي الخلافة العباسية وتضيع خيراتها وأموالها، تبقى الولايات تحت حكم مركز الخلافة في بغداد أو سامراء بشكل لا مركزي، مقابل أموال معينة، متყق عليها تحمل لبيت المال من تلك الأقاليم بشكل منظم.⁴

¹- أبو يوسف، المصدر السابق، ص109.

²- الصولي أبي بكر محمد بن يحيى (ت336هـ): أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجت الأثري، المكتبة العربية، بغداد، (د.ت)، ص222.

³- جورجي زيدان، المرجع السابق، ج2، ص123.

⁴- رامز محمد هاشم تمراز : تدخل القادة العسكريين في العمل السياسي وأثره على الخلافة العباسية (334هـ-945م)، أطروحة ماجيستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2020. ص149.

عقد الخليفة المستعين للقائد العسكري "موسى بن بغا" بعد وفاة والده سنة 248هـ/862م على أعمال أبيه كلها، كما عقد لـ"محمد بن عبد الله بن طاهر" على العراق والحرمين،¹ وصرف المعتمد القائد العسكري "بن بغا" عن أعمال المشرق بطلب منه، وضمنها لأخيه القائد العسكري "الموفق طلحة" سنة 261هـ/874م.²

كما ضمن الموفق القائد العسكري "محمد بن طلحة" سنة 268هـ/881م أعمال خرسان فاستخلف عليها "رافه بن هرثمة"،³ وطلب القائد العسكري التركي "هارون بن خماروية بن طولون" من الخليفة المعتصم سنة 286هـ/899م أن يتسلم أعمال قنسرين والبغور على أن يحمل كل سنة لبيت المال ببغداد أربعين ألف دينار.⁴

عقد القائد العسكري العباسي "موفق بن طلحة" لابنه القائد "أبي العباس بن موفق" على أعمال مصر والشام سنة 271هـ/884م⁵ وعقد الخليفة المكتفي سنة 290هـ/903م للقائد العسكري "طاهر بن ليث" على أعمال فارس،⁶ وقام الخليفة المقتدر سنة 296هـ/908م بعقد بعقد ضمان أذربيجان إلى القائد العسكري "يوسف بن أبي الساج" مقابل مئة وعشرون دينار يؤديها سنوياً لبيت المال.⁷

¹-مسكويه، المصدر السابق، ج4، ص148.

²- المصدر نفسه، ج4، ص281.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص310.

⁴- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص398.

⁵- الذهبي، المصدر السابق، ج20 ص220.

⁶- ابن الأثير، ج6، ص420.

⁷- الطبرى، المصدر السابق، ج10، ص142. مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص10.

تضمن القائد العسكري "حامد بن العباس" سنة 299هـ/1119م أعمال واسط ونواحيها لمدة أربع سنين على أن يدفع لبيت المال كل سنة مائتين وأربعين ألف دينار، وألفين وأربعين ألفاً كر شعير للكراع يستوفي منه مع المال الذي سبق وذكرنا.¹

قلد المقتدر القائد العسكري "أبا بكر بن علي المازري" أعمال مصر والإشراف على أعمال الشام سنة 301هـ/1392م،² كما قلد الخليفة المقتدر القائد العسكري "مؤنس الخادم" أعمال مصر والشام سنة 309هـ/921م،³ ضمن أحمد بن العباس أعمال الخراج والضياع الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسوان وبغداد والكوفة وواسط سنة 307هـ/920م وأظهر زيادة ظاهرة في الأموال فسر المقتدر بذلك وبسط يد حامد في الأعمال وكان حامد يخزن الغلال وكذلك غيره من القواد فتحرك السعر،⁴

حمل القائد العسكري "يوسف بن أبي الساج" في سنة 310هـ/922م خمسين ألف دينار إلى بيت المال من أعمال ضمنت إليه من قبل الخليفة المقتدر،⁵ في كثير من الأحيان كان يتأخر القادة العسكريون أو يتماطلون في سداد قيمة الاقطاع والضمان المتفق عليه، مما كان يؤثر على بيت المال بالسلب، فكان الخليفة العباسي يكلف أحد القواد العسكريين بمصادرته وسحب عقد الضمان.⁶

عانت الدولة البوهيمية منذ بدايتها من فوضى في الجبايات والرسوم، ففي عهد معر الدولة البوهيمي، أطلقت أيدي أصحاب الاقطاعيات والضمانات في الجباية، وتم التعامل مع

¹ مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 16.

² الطبری، المصدر السابق، ج 11، ص 45.

³ ابن الجوزی، المصدر السابق، ج 13، ص 199.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 503.

⁵ ابن الجوزی، المصدر السابق، ج 13، ص 208.

⁶ محمد فیاض العزی، المرجع السابق، ص 47.

الفلاحين بعسف وجور وظلم، حيث أدت هذه الفرضيّة إلى فرض ضرائب إضافية دون علم الدولة، تذكر المصادر أن "جبائيات تحدث على غير رسم، ومصادرات ترفع على محض الظلم، وإضافة إلى ارتفاعات ليست بعبرة، وحسابات في النفقات لا حقيقة لشيء منها ومتى تكلم كاتب من الكتاب في شيء فكان ذا حل ضمن ونكب"¹، وازداد الأمر اجحافاً في إمارة معز الدولة بما ارتكبه أهل القطاع من إفراط في المطالب وحمل الزراع مالاً طاقة لهم به وخرجت الحسابات عن حدودها².

تكثر في عهود التولية في العصر البويمي النصائح للأمراء باختيار العمال الأمانة الموثوقة وبالابتعاد على الظلم وبالرفق بالرعاية، كما أن الخلفاء كانوا يؤكدون للأمراء بأن العدل يجلب الرفاه ويؤدي في الأخير إلى زيادة الواردات، كما أنهم كانوا ينصحون باستعمال الشدة مع الذين يراوغون في دفع الضريبة³.

لكن الواقع يُظهر أن الولاة لم يأخذوا بهذه النصائح، فترتب عن ممارسة هذا النظام عدة تجاوزات منها ظلم الفلاحين: لأن الضامن لا يهمه أهل الخراج ولا أرضهم إنما همه هو الربح من هذا كله، فقد يحمل الأرض وأصحابها فوق طاقتهم وبقدر لا يتحملون مما يضطربون لترك الأرض بلا زراعة ويهملونها فيؤدي ذلك إلى خراب الأرض، وبالتالي ضياع الخراج الذي يستفاد منه في مصارف المصالح العامة؛ فجافي الخراج يؤديه كما استوفاه من غير زيادة ولا نقصان بينما الضامن يؤدي ما اتفق عليه وسواء كان المجبى أقل أو أكثر فإن

¹ مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 283.

² شرفي عبد المجيد، الفرقـة الهاشـمية فـي الـاسـلام بـحـث فـي تـكـوـين السـنـيـة الـاسـلامـيـة وـنشـأـة الفـرقـة الهاشـمية وـسيـادـتها وـاستـمرـارـها، مـرـكـز النـشـر الجـامـعـيـ، 1999، ص 185.

³ عبد العزيز الدووري، تاريخ العراق، ص 229.

كان أقل فهو يغرن النصان، وإن كان أكثر تملكه لنفسه فهو منافي لحكم الأمانة لذلك فهو باطل.¹

❖ تدخل القادة العسكريين في جباية الخارج:

شملت جباية الخارج أيضاً صلاحيات القادة، حيث كان القائد العسكري التركي "موسى بن بغا" والياً على الري سنة 255هـ/868م وكان يجبي خراجها عام بعد عام، ويدفع منه أرزاق الجند ونفقاتهم وغيرها من النفقات، ويدرك أنه جبى في يوم واحد خمسمائة ألف درهم،² وفي سنة 288هـ/900م ولـ الخليفة المعتصم مولاـه بـدرا فـارـس، وأـمرـه بالـشـخـوصـ إـلـيـهـ لـماـ بـلـغـهـ أـنـ طـاهـرـ تـغـلـبـ عـلـيـهـ فـسـارـ إـلـيـهـ فـيـ جـيـشـ عـظـيمـ فـيـ جـمـادـيـ الـآـخـرـةـ، فـلـمـ قـرـبـ مـنـ فـارـسـ تـتـحـىـ عـنـهـ مـاـ كـانـ بـهـ مـنـ أـصـحـابـ طـاهـرـ، فـدـخـلـهـ بـدـرـ وـجـبـىـ خـرـاجـهـ.³

عقد الخليفة المكتفي لـ"عمر بن الليث" سنة 290هـ/902م بلـدـ فـارـسـ فـاسـتـقـلـ بـهـ، لـكـنـهـ اـشـتـغـلـ بـالـلـهـ وـالـصـيـدـ وـأـعـرـضـ عـنـ أـمـرـ مـلـكـهـ وـمـضـىـ فـيـ بـعـضـ الـأـيـامـ إـلـىـ سـاجـسـتـانـ فـوـثـبـ عـلـىـ فـارـسـ الـلـيـثـ بـنـ عـلـيـ بـنـ لـيـثـ، فـاعـتـرـضـ عـلـيـهـ قـائـدـ عـسـكـريـ كـانـ مـعـهـ يـسـمـىـ أـبـاـ قـابـوسـ وـغـادـرـ إـلـىـ بـغـدـادـ فـأـحـسـنـ الـمـكـتـفـيـ إـلـيـهـ، فـكـتـبـ طـاهـرـ لـلـخـلـيـفـةـ الـمـكـتـفـيـ فـيـ رـدـ أـبـيـ قـابـوسـ وـغـادـرـ إـلـىـ بـغـدـادـ فـأـحـسـنـ الـمـكـتـفـيـ إـلـيـهـ، فـكـتـبـ طـاهـرـ لـلـخـلـيـفـةـ الـمـكـتـفـيـ فـيـ رـدـ أـبـيـ قـابـوسـ إـلـيـهـ عـلـىـ أـنـ يـحـتـسـبـ لـهـ مـاـ مـعـهـ مـاـ أـمـوـالـ الـجـبـاـيـةـ، مـاـ يـدـلـلـ عـلـىـ تـحـكـمـ وـاسـتـقـرـادـ الـقـائـدـ الـعـسـكـريـ طـاهـرـ بـنـ الـلـيـثـ بـالـخـرـاجـ وـجـبـاـيـتـهـ وـادـارـتـهـ.⁴

¹- بـشـارـ حـسـينـ العـجـلـ: الـخـرـاجـ وـالـضـرـبـةـ الـمـعـاـصـرـةـ فـيـ الـفـقـهـ الـاسـلـامـيـ درـاسـةـ مـقـارـنـةـ، دـارـ الـكـتـبـ الـعـلـمـيـ، لـبـانـ، (دـ.ـتـ)، صـ137ـ.

²- الطـبـريـ، الـمـصـدـرـ السـابـقـ، جـ9ـ، صـ408ـ409ـ.

³- اـبـنـ الـأـثـيـرـ، الـمـصـدـرـ السـابـقـ، جـ6ـ، صـ407ـ.

⁴- اـبـنـ خـلـدونـ، الـمـصـدـرـ السـابـقـ، جـ3ـ، صـ445ـ.

بعد أن ولى الراضي الخلافة سنة 322 هـ/934م، رأى القائد العسكري "هارون بن غريب الحال" أنه أحق بالخلافة من غيره، فراسل القواد وأمراء الجيش ببغداد يعدهم الزيادة في الأرزاق ، وشرع في جباية الأموال لنفسه دون رضا الخليفة العباسى الراضى بالله،¹ كما استحوذ القائد العسكري بحكم سنة 325هـ/935م على بلاد الأهواز وجبى خراجها بأمر من ابن الرائق.²

من هنا يظهر مدى تدخل القادة العسكريين في مسألة جباية سواء برضاء الخليفة العباسى أو دون رضاه، حيث كانت أموال الجباية والإيرادات المتحصلة تذهب إما لحسابهم الشخصى أو على شكل نفقات للجند لكسب ولائهم، الأمر الذى أفقد الخليفة هيبته، وأضعف الخليفة ماليا ما ترتب عليه زيادة فرض ضرائب على الناس لسد النفقات الكبيرة للدولة.³

لا يخفى ما تتطوى عليه تلك النظم الضريبية والصلاحيات الممنوحة لل العسكريين والمقطعين من مشكلات مالية وسياسية وأن واحد، فهي من جانب تتطوى على الانفاس من الحقوق الضريبية والمالية التي يستحقها بيت المال، ومن الناحية السياسية فإن هذه الأنظمة تحمل مغزى مهم وهو تخلی الدولة عن جانب مهم من اختصاصاتها السيادية و جمع الضرائب من مواطنها، وتتقل تلك الاختصاصات التي تتضمن ممارسة العديد من سلطات الضبط إلى رعايا لها تملکهم رقاب الآخرين، ومن ناحية ثالثة فإن تلك الأنظمة تشير إلى انفاس كفاءة أجهزة الدولة وعدم ثقة الحكومة في أجهزتها في القيام بتلك المهام، بما تتطلبه من كفاءة فنية عالية في جمع الضريبة وضبط الحسابات الرقابية⁴.

¹ - المصدر نفسه، ج 3، ص 494.

² - ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 103.

³ - رامز محمد هاشم، المرجع السابق، ص 146.

⁴ - المرجع نفسه، ص 720-721.

❖ تخفيف مقادير الخراج وتعديل مواعيد الجبایة:

ساهمت بعض الحلول التي وضعها الخلفاء من أجل الاهتمام بأهل الخراج ومراعات أوضاعهم والسماع لشكاويمهم في تراجع قيمة الجبایة، حيث عمل الخلفاء على تخفيف نسبة الخراج الواجبة، فبعد أن ألغى الخليفة المهدي (158هـ-775م/169هـ-785م) بمشورة وزيره معاوية بن عبد الله خراج المساحة¹ عوضه بخراج المقاسمة² وحدده بنصف الحاصل في الحبوب على أن يروى في القنی ثم رفعه إلى ثلثي الخمس الحاصل،³ قرر المأمون (198هـ-833م/204هـ-813م) سنة 819 تخفيف الخراج إلى خمسي الحاصل،⁴ واستمر ذلك إلى القرن الرابع هجري لكن هذه النسبة أُغفلت في بعض الأحيان وبلغت النصف في العصر البويهي، كما كانت الشكوى متكررة من الجبایة والتجاوز فيها.⁵

كان لكل من النظامين إيجابياته وسلبياته، فمن فوائد تقدير الخراج تبعاً لمساحة الأرض أنه يؤمن للدولة موارد ثابتة لا تتأثر بتقلبات الأحوال الزراعية؛ لأنّه يعتمد على مساحة الأرض وهي ثابتة، كما أنه يشجع الفلاحين على تحسين الإنتاج وزيادته، إذ مادام مقدار الضريبة ثابتة فإن زيادة الحاصل والفائدة من تحسينه تذهب إلى الفلاح، وتقوم الدولة بين

¹ - خراج المساحة أو خراج الوظيفة: وهو ما يفرض على الأرض حسب المساحة ونوع المحصول؛ عباس كريم الخفاجي: الموارد المالية واهميّتها في العمليّة الاقتصاديّة الإسلاميّة، مجلة جامعة بابل، الع 1، المج 17، 2009، ص 147.

² - خراج المقاسمة أو خراج المقاطعة: هي ضريبة عينية تؤخذ بنسبة معينة من المحصول، المرجع نفسه، ص 147.

³ - الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 189. البلذري، المصدر السابق، فتوح البلدان، ص 627.

⁴ - الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 576.

⁵ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 212.

فترة وأخرى بإعادة مسح الأراضي وفحص منتوجاتها ويعاد تقدير الضريبة على أساسها،¹ ومن سلبيات هذا النظام أن في سنوات حدوث الكوارث الطبيعية والآفات الزراعية تتأثر المحاصيل و يضطر الفلاح لدفع قيمة الجباية أي أن الخراج المفروض لا يراعي فيه كمية الخراج كثيرة كانت أم قليلة.

الأصل في نظام المقاومة إنصاف دافعي الضريبة والتحفيض من أعبائهم من دون المساس بحق الدولة، وهذا ما كان يهدف إليه الوزير معاوية بن عبيد الله عندما اقترح على المهدي الأخذ بنظام المقاومة في الجباية، وما رمى إليه القاضي أبي يوسف عندما اقترح على الرشيد (193-786هـ/809م) التحويل من المساحة إلى المقاومة، بعد أن أصبح العمل بنظام المساحة أمراً مرفوضاً مع تذبذب الأسعار وعدم ثباتها،² ومن سلبيات هذا النظام تراجع قيمة الجباية لأن ذلك أدى لتحفيض قيمتها وبالتالي تراجع قيمة واردها عماسبق.

شكا الفلاحون تقل ضريبة الخراج زمن المهدي (255هـ-256هـ) قائلين له: "فما معنی أخذنا لسنة لم نبتدئ بعمارتها"،³ وفي سنة (284هـ/987م) أمر المعتصم بالله باستخراج خراج الأموال لستنين في سنة واحدة وذلك لفراغ الخزائن وهو يحتاج في اليوم لما لا يقل من النفقات إلى سبعة آلاف دينار وتعذر عليه قيام وجهها.⁴

¹- عبد الرضا طه سرحان، دور الحضارة العربية الإسلامية في تطور أساليب الزراعة والري في العراق، جامعة القادسية، أساليب الانتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الإسلامية، بحوث القيت في المؤتمر الثالث الجمعية الأردنية ل تاريخ العلوم ،الأردن، 2000، ص 139.

²- غيداء خزنة كاتبي، المرجع السابق، ص 277.

³- الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 408.

⁴- الصابى، المصدر السابق، ص 13.

كان أمير الامراء يتولى إمارة الجيش و المناصب المالية، لذلك كانت الأموال تحمل إلى خزنته يتصرف بها كما يريد ويطلق للخليفة ما يريد فبطلت بيوت الأموال القديمة، وصارت تابعة للأمير المسؤول الأول عن الناحية المالية.¹

شكا أهال منطقة "بدارويا" إلى الوزير حامد بن العباس أنهم يدفعون ثلاثة دراهم على كل نخلة مع أن ثمن تمرها درهمان، وكتب علي بن عيسى إلى عامل ديار ربعة سنة 313هـ/925م : "وقد ورد الحضرة جماعة من وجوه الثناء والمزارعين بديار ربعة متظلمين مما عوملوا به في سني 311هـ-313هـ من إكراههم على تضمن غلات بيادهم بالحرز والتقدير، وإلزامهم حق الأعشار على ضياعهم على التربيع، واستخراج الخراج منهم على أوفر عبرة، أي قبل إدراك غلاتهم". فأمر الوزير عامله أن يرجع الضرائب لنسبيها العادلة.²

كان من مشاكل سوء جبائية ضريبة الخراج أنها تجبي في غير ميعادها مما يحدث حيفا يصيب الزرع وال فلاحين، ولذلك فإنهم طالبوا السلطة بتنظيم وقت مناسب لجبائيتها أو تطبيق ما يعرف بنظام "الكبس الفارسي"؛ الذي حدد ميقات البدء في جبائية الخراج بيوم "النيروز" وهو وقت مناسب لنضج الثمر وجنى الحاصل، حيث لاحظ المتوكل (232هـ-847م) في إحدى جولاته أن الزرع ما يزال أخضر وأن الغلال لم تدرك فقال لبعض مرافقيه: مadam الزرع لم يدرك فمن أين يعطي الناس الخراج؟ فأصدر أوامره للعمل بنظام الكبس، فأخر الجبائية إلى منتصف حزيران بعد أن كانت تؤخذ في نيسان.³

¹- احمد ابراهيم الشريفي وآخرون ، المرجع السابق، ص369.

²- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص212

³- صبحي الصالح: النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الراضي، ايران، ط1، 1417هـ، ص360. محمد عبد المعطي محمد خرم: سنوات الإزلاف والنقل وأثرها على الأوضاع الاقتصادية في العصر العباسي (132-656هـ) / (749م-1258م)، مجلة قطاع اللغة العربية والشعب المناظرة لها، الع 15، 2021، ص2805.

وقد استحسن الرأي العام هذا الاجراء خاصة الفلاحون وحمدوا للخليفة عمله، لكن سرعان ما توقف العمل به بعد مقتله وعادت فوضى الجباية كما كانت، وفي سنة 282هـ/895م زمن المعتصم (279-289هـ/892-902م) أُعيد العمل به ثانية وقد جعله في الحادي عشر من حزيران بعد أن كان تقدم شهرين كاملين إلى الحادي عشر من نيسان.¹

يتبيّن بذلك أن معظم خلفاء القرن الثالث لم يحدّدوا وقتاً معيناً لجباية الضرائب، وبخاصة الخراج منها بل أن بعضهم يلجأ إلى إجراءات اضطرارية وجبايات مجحفة في حق الزراع، عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله: "ويفرض لها قدرًا معلومًا على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع".²

ساهمت الجزية كغيرها من الواردات في إثراء خزينة الدولة، حيث بلغ مقدار أخذ الجزية في بغداد "جزية رؤوس أهل الذمة بحضرمة مدينة السلام، وهي مائتا ألف درهم"³، بلغ مقدار الجزية المأخوذ في عهد المعتصم (227-218هـ/833-842م) مائتي ألف درهم وتضائل وارد الجزية لاسيما في أواخر عهده نظراً لدخول أهل الذمة في الإسلام فأصبح يأخذ العشر عن منازل أهل الذمة بدل الجزية، كذلك أخذت الجزية في عهد المتوكّل على الله (247-232هـ/861-847م).⁴

¹ - البيروني أبي الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ): الآثار الباقيّة عن القرون الخالية، ترجمة: پرویز انکایی، مرکز پژوهشی میراث مكتوب، تهران ، ایران، 2001، ص 31-32.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 346.

³ - عبد الحسين علي أحمد: بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ، الجامعة الأردنية، الأردن، 1992، ص 63.

⁴ - زينب مهدي رؤوف: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في إثراء بيت المال خلال العصر العباسي، رسالة ماجستير، مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، 2022، ص 123.

امتازت سياسة الخلفاء اتجاه أهل الذمة تارة بالشدة والقوة وتارة أخرى باللين والتسامح، حيث تشدد المقتدر بالله (320-908هـ/932م) في أمر أخذ الجزية لكنه سرعان ما تسامح معهم، وفي عهد الخليفة الظاهر بالله (322-934هـ/932م) ازدادت نسبة الجزية المفروضة مما كان له أثر في إثراء بيت المال،¹ كان واردها سنة 225هـ/831م مائتي ألف درهم في السنة، بلغت حوالي مائة وثلاثين ألف درهم سنة 232هـ/847م، وتناقصت فيما بعد إلى أن وصلت ستة عشر ألف دينار في سنة 306هـ/919م، ولتعرض الدولة للعديد من الأزمات المالية كانت تتم جبaitها قبل موعدها المقرر، وأحياناً تجري محاولات لرفع نسبتها أو لفرض ضرائب على أهل الذمة، ففي سنة 330هـ/942م جبى آل البريدي الجزية قبل موعدها المقرر وتكرر ذلك سنة 332هـ/944م حيث افتتح موعد الجبائية في وقت غير مناسب ولحق أهل الذمة ظلم عظيم من جراء ذلك.²

إذا ما جاء القرن الرابع هجري حتى لم يبقى أثر لغنائم الحرب وتقلصت أراضي الخلافة لحد كبير وكان دفع الزكاة من المثرين يقتصر على زكاة الماشي والزروع، وهكذا حدث نقص كبير في موارد بيت المال، ومن الجهة الثانية بقيت المؤسسة الإدارية على سمعتها وكثرة موظفيها، وارتفعت الرواتب بما كانت عليه قبل، ووصلت نفقات البلاط حد البذخ الزائد، وكان من الضروري ايجاد مصادر جديدة للوارد ظهرت ضرائب جديدة تدعى عامة "بالمكوس" أو الضرائب الغير مشروعة.³

أورد المؤرخون مقادير الجبائية في الدولة العباسية، فذكروا تارة مقدار الخراج يقصدون به خراج الأرض الخاجية خاصة، وتارة يذكرونها فاصدين به ما يشمل الخراج والجزية

¹ - فهد مطر المطيري: التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247هـ-334هـ، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد والمصارف، جامعة اليرموك، 2015/2016، ص 203.

² - المرجع نفسه، ص 205.

³ - زينب مهدي رفوف، المرجع السابق، ص 142.

والعشور،¹ ولأن الخراج هو العمدة في زيادة الثروة سموا مجموع الجباية خراجا بإطلاق البعض على الكل، فإذا قالوا خراج فارس كذا وكذا أرادوا مجموع جبائيتها من كل الضرائب،² فلم يتيسر لذلك معرفة الإيرادات جملة ولا تفصيل، إلا أنهم قدموا لنا صورة تمكنا من معرفة منحى مقادير الجباية.

فالقائمة التي أوردها ابن خلدون³ تورد مقادير الجباية بما تتضمنه من أموال وأمتعة وعروض لجميع النواحي، والتي بلغ مجموعها 375855000 درهم (بحساب 1دينار=15 درهما)، وبلغ مجموعها 402574000 درهم (بحساب 1دينار = 22 درهم)⁴ كما قدمت لنا قائمة الخراج التي أوردها قدامة الحالة المالية للدولة خلال الربع الأول من القرن الثالث هجري ابتداءً من سنة 204هـ/820م فهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحضرة، لأن الدواوين أحرقت أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون،⁵ فالمبالغ المذكورة في القائمة هو متوسط الإيرادات السنوية منذ العام المشار إليه وإلى عدد من السنين بعده، فقائمة قدامة تبين إذن الخراج في عصر المأمون (813-218هـ/833-198م) والمعتصم (218-227هـ/833-842م)، وبجمع مجموع الخراج الكلي و أثمان العروض والأمتعة؛

¹ - خلاف المرجع السابق، ص 144.

² - جورجي زيدان، المرجع السابـ، ج 3، ص 80.

³ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 224-225.

⁴ - فؤاد طوهارة، السياسة المالية في الدولة العباسية 132-232هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، قسم التاريخ، 2016-2017، ص 123.

⁵ - قدامة، المصدر السابق، ص 162.

فإن المجموع إذن لا يقل عن 400 مليون درهم،¹ وبالضبط ما بين 408523700 و 439113700 درهم.²

بمقارنة ذلك بالخارج في قائمة الجهشياري أي في عصر الرشيد (170-193هـ/786-809م) وقد بلغ 500 مليون درهم نجد أنه حدث نقص بنحو مائة مليون درهم،³ فقد نمت الثروة في عهد المأمون (198-218هـ/833-853م) لكنها لم تصل إلى ما وصلت إليه في عهد الرشيد، وقد حدثت أزمات مالية في عهده فأراد أن يستدين مقدار عشرة ملايين درهم ولكن خراج فارس وصله قبل أن يأخذ القرض.⁴

تطورت الثروة في عهده فموارده المالية تزيد عن نفقاته بمبالغ طائلة، فقد أورد لنا الرفاعي مبلغًا إجماليًا لنفقاته السنوية ومبلغًا إجماليًا للتوفير في بيت المال، فقد بلغت نفقات الدولة في السنة زمن المأمون 50000000 درهم، وبذلك يبقى 350000000 درهم متوفر في بيت المال، وهذا طبعاً حساب إجمالي لقائمة الخارج في عهده وهذه القائمة أوردها قدامة بن جعفر،⁵ وأورد ابن خردذابة قائمة الخارج وهو من رجال القرن الثالث هجري، كان معاصرًا للواشق والمتوكل ثم المعتمد حوالي سنة 232هـ/944م،⁶ حيث بلغ مقداره 328725840 درهم.⁷

¹ - محمد ضياء الدين الرئيس: *الخارج والنظم المالية للدولة الإسلامية*، دار المعرفة، مصر، ط 3، 1969، ص 531.

² - فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 131.

³ - محمد ضياء الرئيس، المرجع السابق، ص 531.

⁴ - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت 284هـ)، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليه في كل عصر، تحرير عبد الرحمن الشقير، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط 1، 2019، ص 107.

⁵ - قدامة، المصدر السابق، ص 163-166. الرفاعي، المرجع السابق، ص 53.

⁶ - محمد ضياء الرئيس، المرجع السابق، ص 532.

⁷ - فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 136.

عمل علي بن عيسى جريدة مفصلة بواردات الدولة العباسية وخاصة العراق لسنة 306هـ/918م، ويضاف إلى ما ذكره وارد الضياع السلطانية الواسعة التي كانت تمتد في مختلف الأراضي العباسية، في العراق وخارجه وقد بلغ واردها بالإضافة إلى الأوقاف، مقدراً 1768015 ديناً في السنة¹.

يقر المقدسي أنهقرأ بنفسه كتاباً في خزانة عضد الدولة (338هـ-372هـ/949م-982م) جاء فيه: أن أثمان غوال (ج. غلة) السود 86780000 درهم، ومن أبواب المال الأخرى بالسود 4008000 درهم، وخرج دجلة 8500000 درهم،² أما فيما بعد فلم تكن هناك دواوين وسجلات للخارج لأن الدواوين بطلت فالدولة وجدت نفسها أمام ندرة النقد فوزعت الأراضي في شكل إقطاعات.³

قوائم الخارج على اختلاف مصادرها لا يمكن اعتمادها كلياً؛ لأنها بصورة عامة لا تخلو من الأخطاء والنقصان فبعضها يذكر جبائية منطقة من المناطق بأقل من جبائيتها الحقيقة، وبمبلغ لا يتناسب مع قدرتها الإنتاجية كما أن بعضها يهمل أخرجة بعض الأقاليم نقداً ويقتصر على ذكر ايرادات معينة، هذا إلى جانب الكثير من الأخطاء في عمليات تحويل الدنانير إلى دراهم ومختلف العمليات الحسابية الأخرى، ولا ربما أن بعض هذه الاختلافات متأتية من أخطاء النسخ في عمليات النقل والكتابة.⁴

¹ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 218

² المقدسي، المصدر السابق، ص 133.

³ أحمد اسماعيل الجبوري: الخارج في الموصل والجزيرة في العصر العباسى 132هـ-334هـ/749م-945م، دراسات موصلية، الع 25، 2009، ص 9.

⁴ فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 139.

بيّنت هذه القوائم مقدار التناقص في الخراج ومدى علاقته باستقلال الأطراف حيث لم يبقى لها سوى ما جاور بغداد وجزء من بغداد. كما بيّنت تأثير الجانب المالي للدولة بسياسة الخلفاء والقوى المسيطرة على مقاليد الحكم.

ج- سوء الإدارة المالية:

بدأ الإسراف والبذخ في النفقات مع بداية الخلافة العباسية، حيث عرف الخلفاء العباسيون الأوائل بالتوسيع في النفقات، والظهور بمظهر الأبهة والبذخ، وإنفاق الأموال على المؤيدين والأنصار، ولعل الذي شجعهم على ذلك كثرة موارد الدولة وتنوعها، فاستحل بعضهم المال العام، ومثل ذلك يمكن قوله بشأن بعض الأمراء والوزراء والقواد وغيرهم من كبار رجال الدولة، إذ أطلقوا أيديهم في البذل والعطاء لغرض الدعاية لأنفسهم فكانت النتيجة تبذير فادح لأموال المسلمين¹.

عاني الخليفة المأمون (198-218هـ/833-858م) من العجز المالي في سنين حكمه الأولى بسبب خلو خزينة الدولة من الأموال، وكثرة النفقات التي صرفها فالإصلاح والتعهير بعد الحرب والخراب الذي لحق ببغداد والمدن المجاورة لها، فاضطر إلى استدانة مبلغ عشرة ملايين درهم لولى مجيء خراج فارس ووصوله قبل أن يأخذ القرض،² كما نفذت الأموال وهو في طريقة لقتال الروم فشكى إلى أخيه المعتصم قلة المال عنده، فأمدّه من أموال الخراج بلاد الشام ومصر،³ ثم اتبع سياسة إدارية ومالية وزراعية حكيمة حينما عاد إلى

¹- سليم أبو طالب، المرجع السابق، ص313.

²- اليعقوبي: مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم، المصدر السابق، ص207-208.

³- رياض أحمد وسعد رمضان الجبوري: العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع في العصر العباسي الأول (132-247هـ/750-862م)، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 3، العدد 10، 2023، ص444.

بغداد، وأبدى اهتماماً بالغاً في الشؤون المالية وأشرف على الأمور وراقبها بنفسه، فنمت ثروة البلاد حتى أصبحت موارده المالية تزيد عن نفقاته بمبالغ طائلة¹.

سار الخليفة المعتصم (218-227هـ / 842-833م) سيرة أخيه المأمون (218-221هـ / 833-813م) وسار على سياسته ونهجه في إحكامه ونظامه² فقد ترك بعد موته ثروة قدرت بثمانية آلاف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم وقيل ثمانية عشر ألف درهم³ والسبب في ذلك يعود إلى كثرة النفقات في عهده بسبب الجند ودخول العنصر التركي إلى الجيش العباسى للجند النظمي وتزايد أعدادهم، وبسبب كثرة الحملات العسكرية⁴، حيث قيل لم يكن بالنفقة على شيء اسمح منه بالنفقة في الحرب⁵، فالحملة التي قادها الأفشين للقضاء حركة بابك الخرمي سنة 222هـ/837م بلغت نفقتها 31000 000 درهم ، وحملة فتح عمورية سنة 223هـ/838م بلغت نفقتها 1000 000 دينار⁶، إضافة لنفقات بناء سامراء وما كان يقدمه من أعطيات وصلات، إضافة لما عاناته الخلافة في عهده من فساد إداري وخيانة بعض الوزراء وسطوتهم على أموال الدولة واحتلاسها⁷.

لم يكن عهد الواشق (227-232هـ / 842-847م) أحسن حالاً ، فقد زاد في تقريب القادة الأتراك إليه وأعطاهم صلاحيات واسعة، فتدخلوا في سياسة الدولة وتولوا المناصب

¹ - خولة عيسى علي، المرجع السابق، ص73-74.

² - أحمد خضير رميس: الأحوال الاقتصادية والموارد المالية في عهد الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ)، مجلة دياري، العدد 24، 2014، ص14.

³ - ابن الزبير أبي الحسن أحمد بن القاضي الرشيد (ق5هـ): الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، الكويت، 1959، ص213.

⁴ - أحمد خضير رميس، المرجع السابق، ص15.

⁵ - الطبرى، المصدر السابق، ج9، ص121.

⁶ - ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها، المرجع السابق، ص311-312.

⁷ - اليوزبكي، المرجع السابق، ص142.

الإدارية ما أدى لزيادة نفوذهم، وزادت طلباتهم للأرزاق زيادة لا توقف عند حد، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يطلبون الإقطاعات التي لم تعد تقتصر على أرض الصوافي بل تعدتها أحياناً إلى أرض الضياع والملكيات الخاصة واستأثروا بخيراتها.¹

عانت الخلافة في عهده من سلط بعض رجال الإدارة واحتلاسهم الأموال، فقد كان الخليفة يطلب الأموال من أجل النفقة فلا يجد فاضطر للإيقاع بهم وضرب بعضهم وصادر أموالهم ، حيث يذكر الطبرى في ذلك "قام الواشق بحبس الكتاب وألزمهم أموالا".²

بدأ العصر العباسي الثاني وكان على رأسه الخليفة المأمور (247-847هـ) الذي كان نموذجاً للترف والإسراف حتى قيل: "لم تكن النفقات في عصر من العصور ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المأمور"³، فقد بلغت نفقاته السنوية 2000100 دينار و 26500000 درهم⁴، وبلغ عدد القصور التي شيدتها تسعة عشر قسراً وبلغ مجموع ما أنفق على بنائها مائتي ألف وأربعة وسبعين ألف درهم ومن العين مائة ألف دينار.⁵

فقد بدد جميع الأموال التي جمعها أسلافه واتخذ من المصادرات وسيلة للحصول على مزيد من الأموال لسد النفقات، اعتبر عهده البداية للأزمة المالية،⁶ ومع كل ذلك فقد ترك في في بيت المال نحو أربعة ملايين دينار وسبعة ملايين درهم،⁷ لم تكن لسياساته المالية أي أثر

¹- حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية، المرجع السابق، ص12.

²- الطبرى، المصدر السابق، ج9، ص125.

³- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص100.

⁴- ابن الزبير، المصدر السابق، ص218.

⁵- الشاشتي أبي الحسن علي بن محمد (ت388هـ): الديارات، ترجمة كوركيس عواد، دار الرائد العربي، لبنان، لبنان، 1986، ص159.

⁶- فهد مطر المطيري، المرجع السابق، ص229.

⁷- ابن الزبير، المصدر السابق، ص218.

أثر اقتصادي سيء على المجتمع فقد وصف المسعودي أيامه " أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها، وحمد الخاص والعام لها ورضاهما عنها أيام سراء لا ضراء..." كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل، ورخص السعر، وأمانى الحب، وأيام الشباب".¹

زاد ضعف الإدارة المالية زمن المستعين (248-252هـ / 866-862م) لضعف شخصيته حيث وصفه ابن الطقطقي: " واعلم أن المستعين كان مستضعفا في رأيه وعقله وتدبره وكانت أيامه كثيرة الفتنة شديدة الاضطراب"،² فقد أنفق هو الآخر كل مكان في الخزائن من العين والورق والجواهر والفرش والأسلحة والطبيب وآلات الحرب، حتى قال له بغا الكبير "يا أمير المؤمنين هذه الخزائن مادة المسلمين إدّخرها الخلفاء قبلك لملم³ يسنج أو عارض يعرض في الإسلام" فلم يلتفت إليه ولا إلى قوله.⁴

اتصفت سياساته المالية بالإسراف وعدم صرف الأموال بالشكل الصحيح فأنهك خزينة الدولة وضيع مدخراتها، ولم يكتف بهذا الإسراف بل أطلق يد أمه السيدة "مخارق" وكل من القائد "أوتامش" والقائد "شاهك الخادم" ، حتى أصبحت الأموال التي في خزينة أمه تفوق كمية الأموال التي في خزينة الدولة.⁵

اصطدم المعتر بالله (252-255هـ / 866-869م) منذ بداية حكمه بالأزمة المالية والخزينة خاوية على وشك الإفلاس، حيث كان الانهيار المالي نتيجة طبيعية لسوء الإدارة وانشغل القادة العسكريين بتثبيت مراكزهم السياسية واستمرار الفرق العسكرية في التنازع

¹ - المسعودي، مروج الذهب، ج 4، ص 100.

² - ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص 180.

³ - الملم: الشديد من كل شيء. المعجم الوسيط، ج 2، ص 840.

⁴ - ابن العمري، المصدر السابق، ص 124.

⁵ - منى يعقوب عباس والدرويش جاسم ياسين محمد: السياسة المالية للخليفة المستعين بالله العباسى (248-252هـ / 866-862م)، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، الع 2، 2022 مج 47، ص 390.

والخلاف، كما استعصت مشكلة الأرزاق ودفع رواتب الجندي بانتظام؛ فكتب إلى أمراء الأطراف بتوجيهه الأموال إليه ولكنهم لم يرسلوا إليه شيئاً.¹

سلك المهدي بالله (255هـ-869م) نهجاً مغايراً يهدف للإصلاح الإداري والمالي، حيث خفف من نفقات اللباس والطعام والشراب، وحول آنية الذهب والفضة إلى دراهم ودنانير، إلا أن تحكم الأتراك والقادة ومقتلهم فيما بعد على أيديهم حال دون استمرار هذه الاجراءات الاقتصادية.²

استمر العجز المالي في خزينة الدولة وقد أصبح شبه مزمن في خلافة المعتمد على الله (256هـ-892م)، على الرغم من الاصدارات والمعالجات التي قام بها بعض وزرائه، ولعل عدم التوصل إلى إصلاح الخلل في الإدارة المالية ومعالجة العجز المالي والوصول إلى توازن متساوي بين النفقات والواردات يرجع إلى كثرة النفقات ولا سيما العسكرية بسبب كثرة الاضطرابات والحروب الداخلية التي اضطررت الدولة مواصلتها مع القرامطة والزنج ... لدرجة أنه احتاج في بعض الأيام إلى ثلاثة دينار فلم تتوفر.³

تولى المعتصد (279هـ-982م) الخلافة كانت الخزينة خاوية فلم يجد ببيت المال غير سبعة وعشرين درهماً زائفة ووُجد الدنيا خراباً فعمّرها بالعدل⁴ حيث اقتصر في النفقات وأحسن التدبير وأصلح الأمور، حتى صلحت الأحوال في زمنه ووصف بأنه أكبر الخلفاء اقتصاداً فحقق التوازن بين الموارد والنفقات، وبعد تسع سنوات من حكمه

¹ - فاروق عمر فوزي، الجيش والسياسة في العصر الاموي ومطلع العصر العباسي 41هـ/1661م - 956هـ/1334 دراسة تاريخية، دار المجلدات للنشر، 2005، ص 56.

² - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 4، ص 153.

³ - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 476.

⁴ - ابن حمدون أبو المعالى بهاء الدين البغدادي (ت 562م): التذكرة الحمدونية، معهد الأنماء العربي، 1983، ج 1، ص 442. محمد فياض العري، المرجع السابق، ص 136.

استطاع أن يجمع في بيت المال بعدسائر النفقات العادلة والطارئة تسعه ملايين دينار وكان يعتقد أن يتمها عشرة آلاف دينار، ويطرحها على باب العامة ليبلغ أصحاب الأطراف أن له عشرة آلاف ألف دينار وهو مستغن عنها، لكن المنية بلغته قبل بلوغ الأممية¹.

حافظ المكتفي بالله (289-902هـ/908-909م) على ما حققه والده الخليفة المعتصم، حيث استطاع أن يضيف إلى خزينة الدولة خلال مدة حكمه القصيرة أكثر من أربعة ملايين دينار أضافه لما تركه والده، فضلا عن كثرة النفقات العسكرية التي تم صرفها لقمع حركات المتمردين،² وهكذا نجد أن قوة شخصية خلفاء هذه الفترة حدت من تسلط القادة الأتراك، على عكس فترة الفوضى العسكرية (247-861هـ/869-905م) التي تميزت بتمرد القادة وتحكمهم في الخلفاء.

تولى المقترد (295-320هـ / 908-932م) الخلافة وفي الخزائن أموال كثيرة، إلا أنه أنفق وأتلف ذلك كله، وعانت الخزينة في عهده من العجز المالي والأزمات المالية بسبب توسعه في الإسراف، وصغر سنه فتح المجال لتدخل النساء والحاشية في أموال الدولة فأتلف في عهده نيفا وسبعين ألف دينار، زاد الخراج في عهده بسبب انضمام إقليم فارس وإقليم كرمان للدولة العباسية إلا أنه أنفق ذلك كله، فعانت الخلافة من العجز المالي فزادت النفقات على الموارد كثيرا، فيذكر أن الوارد كان يساوي مليونا وأربعين ألفا وستة وثلاثين ألفا وأربعين ألفا وستة وسبعين درهما، بينما بلغت النفقات مليونين وخمسمائة وستين ألفا وتسعمائة وستين دينارا.³

١- الصابي، المصدر السابق، ص 209-210.

٢- المصدر نفسه، ص 216.

³ - فهد مطر المطيري، المرجع السابق، ص 231-230.

تدخل الجيش في اختيار الخليفة مرة أخرى، إذ وقع الاختيار على القاهر بالله (320-932هـ) الذي جاء للخلافة ووجد الكلمة مختلفة والخزائن فارغة حتى أنه لم يستطع أن يعطي الجندي أرزاق البيعة كما هي العادة عند جلوسهم على عرش الخلافة، لما كانت تعانيه الدولة من ضائقة مالية حادة، إلا بعد أن بيعت الضياع والأملاك السلطانية.¹

استطاع الخليفة أن ينتصر في صراعه السياسي مع الجيش وأن يستعيد هيبة الخلافة وهيمتها، وإرجاع السلطة وإدارة شؤون البلاد إليه، وإبعاد الجيش عن مجال التحكم والسيطرة وذلك بعد اكتشافه لمحاولة خلعه عن الخلافة،² حيث حاول إصلاح الوضع المالي بعد إصلاح الوضع السياسي وتوفير الأموال للإنفاق على دار الخلافة، إلا أن قصر مدة حكمه لم تتح له تفويذ ما وضعه من خطط إصلاحية،³ كان الخليفة الراضي آخر خليفة له نفقة وجوائزه وعطياته وجرياته ومطابخه وخدمه وحجابه على ترتيب الخلفاء المتقدمين.⁴

نفقات الدولة لم تنقص رغم خروج كثير من الأقاليم من يد الدولة، واقتصرت سلطة الخليفة على مدينة بغداد وما جاورها، وأصبح من المتعذر تحقيق التوازن بين النفقات والإيرادات وعدم تمكن الوزراء من إدارة البلاد وأحوالها المالية وعدم الاستفادة من الامكانيات المالية المتيسرة وارتفاع الأزمة، اضطر الخليفة إلى استحداث منصب أمير الأمراء.⁵

إلا أن هذا زاد الأمر سوءاً للاسباب التالية: زادت النفقات لاسيما العسكرية لكثره الحروب بين القادة المتنافسين على منصب إمرة الأمراء التي استنزفت أموالاً كثيرة، تسلط

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 152-153.

² - للاطلاع على تفاصيل مؤامرة خلع الخليفة القاهر بالله، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11، ص 279-280.

³ - توفيق سلطان اليوزبكي، المرجع السابق، ص 178.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 152.

⁵ - مساعد بن مساعد محمد الصوفى، المرجع السابق، ص 175-176.

الأمراء على ميزانية الدولة وبيت المال فكانت الأموال تذهب إلى خزانتهم وجيبوهم، حيث صارت أموال النواحي تحمل على خزائن الأمراء ويأمرون وينهون فيها، وينفقونها كما يريدون، ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون، غياب سياسة معينة لدى أمراء الأمراء يسيرون عليها، فقد كان التنافس على السلطة هو أساس التنافس والحصول على الجاه.¹

يذكر الثعالبي في ذكر خلفاء بنى العباس وأموالهم يقول: "يقال لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة، فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد، وكان يقال ما جمعه السفاح والمنصور والمهدى والرشيد من الأموال فرقه الأمين وما جمعه المأمون والمعتصم والوثيق فرقه المتوكل وما جمعه المنصر والمعتز والمهدى والمعتمد والمعتضد والمكتفي فرقه المقتدر".²

خلال فترة التسلط البويعي وصفتهم المصادر بالرضاخ والخضوع للبويعيين فغابت أخبارهم في المصادر، حيث اتهمهم المسعودي بقوله: "ولم يعرض لوصف أخلاق المتقى والمستكفي والمطبي ومذاهبيهم، إذ كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم... فتفرد بالأمور غيرهم، فصاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة".³ ويضيف ابن خلدون في نفس السياق قوله: "ولذلك صارت أخبار الدولة إنما تؤثر عنهم، وإن كان منها ما

¹ - تقى الدين عارف الدوري: عصر إمرة الامراء في العراق دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، مطبعة اسعد، بغداد، 1975، ص 78.

² - الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، لطائف المعارف(ت 429هـ): (د.م.ن)، (د.ت)، ص 71.

³ - المسعودي، التنبية والإشراق، المصدر السابق، ص 346. أبو الفدا، المختصر، المصدر السابق، ج 2، ص 127.

يختص بال الخليفة قليل، فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي إلى المتقي من درجة في أخبار بنى بويه... لعطلهم من التصرف إلا قليلا.¹

اتسم الوضع المالي للخلافة خلال فترة التسلط البويهي بالاضطراب، حيث عانت الخزينة من العجز وذلك بسبب زيادة الإنفاق من طرف الأمراء البويسيون في مصالحهم الخاصة في ظل قلة خبرتهم بصورة عامة بالإدارة، وانعدام الرؤية الاقتصادية الواضحة المعالم في سياستهم، فمما لا شك أن فشلهم في معالجة العجز المالي له علاقة مباشرة ب مدى تفهمهم للشؤون الاقتصادية والمالية، وكثيراً ما اصطدمت جهود الوزراء الإصلاحية الإدارية والمالية بسلطة هؤلاء البويسيين ونفوذهم، الذين كانوا لا يكترون للإصلاح وتحسين أحوال البلاد، فضلاً عن عدم اهتمام الوزراء بتنظيم أعمال الدولة الإدارية والمالية لانشغلتهم بما ترتب عن الحروب الأهلية بين أفراد البيت البويهي من مشاكل زاد في انحدار الإيرادات وتفاقم ادارتها وفسادها، وكان لذلك دور في اضعاف آل بويه وسقوطهم فيما بعد.²

د- فرض ضرائب جديدة:

إن ما تم في صدر الإسلام من تنظيم للجباية وسنٍ للضرائب، أصبح القاعدة المتبعة التي سارت عليها أمور الضرائب وإدارتها في العصور اللاحقة، مع مراعاة الأوضاع والتطورات الجديدة، حاول الخلفاء العباسيون في عصرهم الأول إعادة النظر في بعض الضرائب وأساليب جبائيتها مع التأكيد على المبادئ الإسلامية، فألفت لهم العديد من الكتب التي وضعت الأسس الصحيحة للتنظيم المالي في الدولة الإسلامية، واهتم الفقهاء بتحديد

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 521.

² محمد مسفر الزهراوي: نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ/590م (العهدان البويهي والسلجوقي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1980، ص 168.

هذه الموارد في كتبهم الفقهية وكتب الخراج والأموال وتقسيمها بحسب أصنافها منبهين على شرعية بعضها وعدم شرعية أنواع أخرى.¹

إن ما عاشته الخلافة العباسية من ظروف أدى لترابع ايراداتها ومداخيلها، وأمام حاجتها المتزايدة للأموال اضطرر الخلفاء لفرض ضرائب جديدة، فصدرت بعض التشريعات المالية تتضى على فرض ضرائب لم تشرع قبل هذا العهد، ولم يذكرها الفقهاء من ضمن الضرائب الشرعية التي يعدونها في مؤلفاتهم، مستغلين التطور الصناعي الذي عرفته الخلافة أنداك، فكثيراً ما فرضت ضرائب على أنواع معينة من الصناعات المزدهرة لما كانت تدر من مداخيل للتجار، كما استغلت العلاقات التجارية الوطيدة بين الخلافة وغيرها من الأمسار وفرضت على كل من يدخل أرض الخلافة من سفن وقوافل ضرائب اختلفت مقاديرها، الأمر الذي أدى لاستياء التجار والصناع وأصحاب الحرف في كثير من الأحيان.

يصف المقدسي حجم وثقل الضرائب المفروضة بقوله: "أما الضرائب فتقل في البر والنهر وفي البصرة تفتيش صعب وشوكات منكرة وكذلك بالبطائح تقوم الأمة وتفتيش، وأما القرامطة فلهم ديوان على باب البصرة وللديلم ديوان آخر حتى أنه يؤخذ على الغنة واحدة أربعة دراهم ولا يفتح إلا ساعة من النهار، وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال، وكذلك بالكوفة وبغداد يؤخذ من الحاج للحمل ستون ومن الكسيبة أو حمل البر مائة"²، ويضيف: "وكان يؤخذ من كل حمل دخل حي اليهودية بمدينة أصفهان ثلاثون درهماً³ وكان

¹ صالح الحمارنة: بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسى الأول، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص 197.

² المقدسي، المصدر السابق، ص 133-134.

³ المصدر نفسه، ص 400.

في طوران يؤخذ على الحمل ستة دراهم إذا دخل وكذلك إذا خرج ومن الرقيق اثنا عشر إذا دخل وإن كان من نحو الهند فعشرون من الحمل وإن كان من قبل السند فعلى حسب الغنم.¹

ومن هذه الضرائب:

❖ **ضريبة المكوس** : فالمكس: هي ضريبة تؤخذ من التجار في المراسد،² تفرض على السفن الواردة في البحر إلى البصرة،³ وهي استقطاع مالي فرض على أموال التجارة الخارجية يخضع لها الديميون والمستأمنون، فهي بالنسبة للذمي تفرض على الأموال المصدرة للتجارة إذا انتقل من بلد إلى آخر دخال الدولة الإسلامية، وهي بالنسبة للمستأمن تفرض على من يدخل به من مال للتجارة إلى إقليم دار السلام.⁴

لم يعرف عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الموارد؛ وذلك لأنه في بداية الأمة الإسلامية لم تكن النفقات كبيرة ولا تحتاج الدولة إلى موارد كبيرة، لذلك لم تفرض ضرائب، في ذلك الوقت فقط يتم إخراج الزكاة باعتبارها المورد الوحيد آنذاك، لكن بتولي الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة ولاتساع الأمة الإسلامية وزيادة الفتوحات اضطر لفرض ضرائب إلى جانب الزكاة من أجل زيادة موارد الأمة الإسلامية، فإلى جانب الخراج والجزية تم فرض العشور على التجارة.⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 485.

² - الخوارزمي، المصدر السابق، ص 72.

³ - عمار لبید ابراهیم: الایرادات الماليّة لخزينة (بيت المال) في العهد العباسی الاول، المرجع السابق، ص 117.

⁴ - رحمة نابتي : النظام الضريبي بين الفكر المالي المعاصر والفكر المالي الإسلامي دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير، قسم علوم التسيير، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014، ص 86.

⁵ - المرجع نفسه، ص 86.

كتب أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن تجرا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر قال: فكتب إليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين خذ من أهل الذمة نصف العشر وخذ من المسلمين من كل أربعين درهماً وليس فيما دون المائتين شيء، فإن كانت مائتين وفيها خمسة دراهم وما زاد فحسبناه".¹

يعد الكثرين المكس والعشر شيئاً واحداً، ولكن الحقيقة أن عشرة التجارة هي غير ضريبة المكس، فال الأولى ضريبة فرضها عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تجار دار الحرب الذين يدخلون دار الإسلام من باب التعامل بالمثل، إذ كان أصحاب الحرب يأخذون من تجار المسلمين عند دخولهم بلادهم العشر في تجارتهم، وكانت تأخذ على السلع التجارية الصادرة والواردة عند اجتيازها الحدود من بلد إلى بلد آخر، استوجب دفع الضريبة إذا بلغت قيمة السلع مائتي درهم فأكثر، وتجبى مرة واحدة في السنة مهما تكررت مرات التجارة،² فهي إذن كانت تفرض على غير المسلمين، وما يدل على ذلك نص عن عبد الرحمن بن معاذ قال: سألت زياد بن حمير من كنتم تعشرون؟ قال: "ماكنا نعشر مسلاماً ولا معاهاذا قلت: فمن كنتم تعشرون؟ قال: تجار الحرب، كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم".³

ألغى الخليفة أبو العباس السفاح (132هـ - 750م) ضريبة المكس كونها لم تكن ذات أهمية في بداية العصر العباسي بسبب كثرة ايرادات بيت المال والغنى والثراء الكبير الذي كان يتمتع به بيت المال أنداك، فضلاً عن قلة النفقات إذا ما قورنت

¹ - أبو اليسر رسيد كهوس: محاضرات في سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، المنهل، 2013، ص 90.

² - أبو يوسف، المصدر السابق، ص 135.

³ - ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): أحكام أهل الذمة، تحرير: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 1، (د.ت)، ص 125.

بفترات التي تلتها ، في حين نجد الخليفة أبو جعفر المنصور (136هـ-158هـ / 754م-770م) قام بفرض المكوس.¹

أجاز أبو يوسف لهارون الرشيد (193هـ-786هـ/809م) جبائية العشور بشرط ألا تتعدى فيما عليهم، فتأخذ منهم أكثر مما يتوجب عليهم، وكل ما يؤخذ من التاجر المسلم من عشور فسيله الصدقة (الزكاة)، وإذا ما أخذ من أهل الذمة وأهل الحرب فطريقه إلى الخراج.²

أثناء الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون لم تكن ضريبة العشور تفرض على السفن والبضائع القادمة من البلدان الأخرى إلى العراق، وإنما فرضت الضرائب على السفن التي تتنقل بالأنهار محملة بالبضائع في داخل العراق، فكان الذي يقوم بجبايتها زهير بن مسيب "فيرمي بالعرادات من أقبل وأدبر ويعشر أموال التجار ويجبي السفن وبلغ من الناس كل مبلغ"³، وقد بلغت قيمة الجبائية التي قاموا بجبايتها من السفن والبضائع ما بين ألف درهم إلى ألفين أو ثلاثة.⁴

أمر الواثق (232هـ-842م) بترك جبائية عشر سفن البحر سنة 232هـ/847م؛ من أجل تخفيف الحمل على التجار القادمين من البلدان المختلفة للمتاجرة في العراق، وهو نوع من أنواع تشجيع التجارة وزيادة عدد السفن المحملة بالبضائع القادمة إلى العراق إبان العصر العباسي.⁵

¹- عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008، ص 180.

²- أبو يوسف، المصدر السابق، ص 135-136.

³- الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 445.

⁴- الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 461.

⁵- ابن كثير، المصدر السابق، ج 11، ص 176؛ علي كاظم عبد الله: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في اثراء بيت المال خلال العصر العباسي (132هـ-334هـ / 750م-946م)، رسالة ماجستير، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية التابع لجامعة الدول العربية، بغداد، 2022، ص 143.

إعتبر التجار المكوس نوع من الظلم والتغريم وشكوا حالهم عن طريق الشعر:

ألا تستحي منا ملوك وتنقي محرارمنا لا يبؤوا الدم بالدم

وفي كل أسواق العراق إتاوة في كل ما باع امرؤ مكس درهم.¹

أنشئت دور خاصة في أماكن مختلفة خاصة على ضفاف الأنهار عرفت" بالماصر لضمان السير الحسن لعملية جبائية المكوس²، في الطريق من بغداد إلى البصرة شرقي دجلة،³ وكان أول من وضعها ببغداد هو ابن الرائق (324هـ - 935م - 326هـ / 937م) ولم تعرف بغداد ذلك من قبل.⁴

كانت المكوس تفرض على السفن القادمة إلى مدينة البصرة في الجنوب العراقي، وكذلك السفن النهرية التي تصل إلى مدينة واسط، حيث تذكر المصادر أن سفينة كانت محملة بالآلات وال الحديد فرضت فيها المكوس بما يبلغ ثمانية آلاف درهم وهو مبلغ كبير.⁵

كما كانت المكوس في بغداد تفرض على البضائع التي يأخذها الحاج أو يأتون بها، وقد افخر عز الدولة في كتاب أرسله إلى حاجبه سنة 363هـ / 973م بأنه أحسن إلى أهل بغداد إذ يقول: "ورفعنا عنهم ما كان يؤخذ منهم لك ولنظراتك من ضرائب الغنم المجلوبة

¹ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب بن فزارة (ت 255هـ): الحيوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 1424هـ، ج 6، ص 391.

² - المأصر: سلسلة أو حبل يشد معتبرضا في النهر ليمنع السفن من المرور والمضي إلا بعد جبائتها الخوارزمي، مصدر سابق، ص 79-80

³ - ابن رسته، المصدر السابق، ص 184-185.

⁴ - مسکویه، المصدر السابق، ج 5، ص 198.

⁵ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 223.

والأمتعة التي يأخذها الحجيج صادرة وواردة¹، كما كانت هناك ضرائب فيما وراء النهرين تفرض على الرقيق، فقد كان الرقيق لا يعبر نهر جيحون إلا بجواز من السلطان ويأخذ السلطان مع الجواز من سبعين إلى مائة درهم، وكذلك يؤخذ على الجواري بدون جواز إذا كانوا أتراكا حيث يؤخذ على المرأة عشرون إلى ثلاثون درهما، وعلى الجمل درهمان وعلى قماش الراكب درهم.²

تكمّن أهمية هذه الضريبة لبيت المال أنها مصدر دخل كبير، والدليل على ذلك أن أحد التجار البصرة الذي يدعى "الحسن بن العباس" يمتلك العديد من السفن والمراكب التي تسافر إلى الهند والصين، وبلغ مقدار ما يدخل من مبالغ لبيت المال عن طريق ضريبة العشر المفروضة على تجارتة مئة ألف دينار في السنة، لذلك عدت البصرة من أهم المنافذ التي تجبي فيها ضريبة العشر وفيها ما يكون أكثر دخل من أعشار السفن، فيبلغ مقدار أعشار السفن القادمة من عدن مائتين ألف دينار، وبعد ذلك أصبحت ضريبة العشر التي تجبي من السفن تقدر بـ 11400 دينار.³ على ابن الأثير على حجم الأموال التي كانت تأتي عن طريق جبائية أعشار السفن، بقوله "أعشار سفن البحر كان مالاً عظيماً".⁴

أما بالنسبة للتجار، فقد كانت عبئاً كبيراً لهم، مما جعل الأسعار ترتفع، إضافة لما كان التجار يعانونه من مخاطر في البحر وحسائر في العتاد نتيجة الرياح وغيرها من المعوقات الطبيعية، كان يفرض عليهم دفع مبالغ كبيرة قد لا تتناسب مع كمية وقيمة البضائع المتاجر بها.

¹- المرجع نفسه، ص 244؛ نادية محمد مصطفى: في الذاكرة التاريخية للأمم تحولات وآمال حضارية معاصرة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، (د.ت)، ص 165.

²- المقدسي، المصدر السابق، ص 340.

³- جرجي زيدان، المرجع السابق، ج 2، ص 94.

⁴- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 93.

❖ ضريبة المستغلات:

فرضت ضرائب على "المستغلات" والتي تشمل الدور والطواحين التي تم بنائهما على الأرض الحكومية، وقد بلغ وارد مستغلات بغداد مع دار الضرب 1500000 درهم في سنة 272هـ/885م، وبلغ وارد مستغلات بغداد حوالي سنة 300هـ/912م مبلغ قدره 13000 دينار، وفي أواسط القرن الثالث هجري كان مجموع هذه الضريبة في بغداد 11900000 درهما في السنة، وبلغ وارد أسواق الغنم في أسواق بغداد وسامراء وواسط والبصرة والكوفة في جريدة بن عيسى مبلغ 16970 دينار سنوياً،¹ أشار علي بن عيسى في وزارته الأولى (304هـ-982م/915هـ-295هـ) على الخليفة المقتدر (320-295هـ) بوقف المستغلات بمدينة السلام وغلالها حوالي ثلاثة عشر ألف دينار.²

وكانت تفرض ضرائب جديدة أحياناً على بعض المواد في الأسواق، فلما فتح عضد الدولة الأحواز سنة 367هـ/877م أعلن أنه سيخلص الأهالي من عبئ تقليل بإلغاء الضرائب على الطحين والمواد الغذائية، ووعد أن يفعل ذلك في العراق.³

يشير ابن حوقل إلى فرض ضرائب على الطواحين والحمامات والحوانيت، وقد كانت ضريبة "رحا البطريق" أي "مطحنة البطريق" في بغداد مائة ألف درهم سنوياً، وضرائب أخرى قد فرضت على الطواحين في الموصل،⁴ كما فرضت ضرائب أخرى على المنشآت التي شيدت على أراضي تابعة للدولة وهي ما يطلق عليها "أجور العرصات"؛ وهي خاصة على

¹ سوسن بهجت يونس، المرجع السابق، ص 379.

² ابن حوقل، المصدر السابق، ص 310.

³ الصابي أبو اسحاق بن ابراهيم بن هلال (ت 384هـ/994م): المختار في رسائل الصابي (رسائل الصابي)، تتح: عبد الستار أحمد فراج، دار الكتب المصرية، دار النهضة، بيروت، (د.ت)، ص 245-246.

⁴ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 194.

الدور عرفت بأجرة العرصة وقد كان واردها كثيرا خلال عصر الخليفة المقتدر (295هـ- 320هـ/ 907م- 932م) كما كانت تفرض على المنشآت والبنيات العمومية.¹

يدل هذا على أن المستعولات أصبحت مورداً لابس به للخزينة، وفي فارس كانت الطواحين احتكار للسلطان وكذلك أجرة الدور التي يعمل فيها ماء الورد وفي مدن فارس كانت أراضي الأسواق وشوارعها ملكاً للحكومة تأخذ عنها أجر،² كما كانت الحمامات أيضاً تدفع ضرائب حيث يخبرنا ابن حوقل أن ما يقبض من طواحين في القصبة (نصيبين) والضياع المقبوضة والمشترات، وغلات العقار الموقف من الخانات والدور ستة عشر ألف دينار وذلك سنة 358هـ/ 998³

❖ ضريب السوق:

اختلفت الضرائب في أول الدولة بما هي عليه في آخرها، فكانت الضرائب أول الأمر على حالها، فما أن استولى البوبيهيون على بغداد استحدثوا ضرائب أخرى غير شرعية فرضت على الرعية عامة، ثم مارسوا أسلوباً تعسفياً في جبايتها نظراً إلى حاجتهم الماسة إلى الأموال، رغم أن هذا الحل لم يأتي بنتيجة فكلما ارتفعت الضرائب غلت الأسعار إلا أن الكثير منهم فرضها، لم تسلم الطبقة الفقيرة والكافحة التي تعمل بأجر يومية زهيدة من ضرائبهم، إذ أنهم فرضوا رسوماً على أجور الشياليين والذابحين والدلاليين وأصحاب السفن

¹ سوسن بهجت يونس، المرجع السابق، ص 380.

² المرجع نفسه، ص 180.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 143.

الصغيرة المارة بالأنهار، ورسوما على مبيعات الحبوب وعلى بعض المنسوجات وعلى بيع وشراء الدواب والأمتعة، وعلى أسواق الدقيق ومقالي البانجان وغيرها.¹

كما فرضت ضريبة على المراعي والمواشي فقد توسيع البوبيهون في ضريبة المراعي، ولاسيما في أيام عضد الدولة، الذي أدخل ضريبة المراعي وأقر ضريبة على جميع أسواق بيع الدواب والحمير والجمال، وعما يباع ويشتري فيها في عام 371هـ/ 1981 وأنشأ لها ديوانا سمي "ديوان المراعي" ضم عمالا وكتابا وجهازه،² وكانت مهمته ضبط العوائد المتحصل منها والبالغة أكثر من مليون درهم في السنة من أرض السواد فقط، وقد ألغى هذه الضريبة بـ 379هـ/ 1989م.³

❖ ضريبة المنسوجات:

انتقض العامة العاملون في مجال المنسوجات سنة 375هـ/ 1985م عندما هم صمصام الدولة بوضع ضريبة العشر على المنسوجات القطنية والحريرية التي تعرف بالابريسميات والقطنية التي تصنع ببغداد، وذلك للاستفادة من ازدهار هذه الصناعة في تلك الفترة والعائد الكبير الذي تتحققه، حيث عرض أحد الاشخاص "أبو الفتح الرازي" على صمصام الدولة ضمانها بـ مليون درهم سنويا، فاعتراض العامة على ذلك، واجتمعوا عند جامع المنصور بـ بغداد وكادوا يمنعون صلاة الجمعة، فاضطر صمصام الدولة لـ إلغاء الضريبة مستجيبة لرغبة العامة.⁴

¹ عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام الى آخر العهد العثماني، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1959، ص 24-25.

² أبو شجاع محمد بن الحسن: ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج 3، ص 71.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 174.

⁴ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 311؛ أبو شجاع، المصدر السابق، ج 3، ص 117-118.

شكلت زيادة الضرائب واستحداثها عامل لانتقاضات العامة، حيث تكشف المصادر عن عدم تهاون العوام طوال العصر البويمي في الانقضاض اعترضا على ذلك، ففي عهد معز الدولة البويمي تذمر عامة البصرة على عاملها أبي طاهر الحسين بن الحسن سنة 360هـ / 970م، بسبب تعسفه واستخراجه منهم الأموال بزيادة الضرائب المقررة عليهم واستحداث الجديد منها، وبحثا عن حل لتهدة العامة أشار الوزير أبو الفضل الشيرازي على عز الدولة البويمي بعزل عامل البصرة، فاستجاب السلطان البويمي لمشورة الوزير وقبض على ابن الحسن وأهله وصادر أمواله وولى غيره، كما تذمر العامة على آخر عهد عضد الدولة عندما استحدث بعض الرسوم، مما اضطر صمصام الدولة إلى اسقاط بعضها في أول عهده بعد موت أبيه عضد الدولة¹

❖ المصادر:²

اتبع العباسيون نظام المصادر لتمويل خزينة الدولة بالأموال، وربما شُرع هذا النظام كنظام عقابي على الخيانة، ولكنه فيما بعد أضحتى من الموارد المهمة لبيت المال لضخامة

¹ مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 385.

² المصادر: تعني في كتب الفقه الاستيلاء على مال الغير ظلما وهو ما يطلق عليه بالغصب، ولكنها في لغة الكتاب وأصحاب الدواوين تختلف عن ذلك؛ فهي تعني المطالبة بالأموال عموما بغض النظر عن واقعها الشرعي أو الغير شرعي، ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: الفتاوى الكبرى، تحرير: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987، مجلد 5، ص 417. لقول الأزهري: ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال: "صودر فلان العامل على مال يؤذني أي فورق على مال ضمنه"، الأزهري محمد بن احمد: تهذيب اللغة، تحرير: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت)، ج 12، ص 135.

الأموال التي كانت تصدر، لذا تصدر الأموال لا من أجل خيانة صاحبها للدولة وإنما بسبب حاجة الخليفة للأموال.¹

قام المตوك (232-847 هـ) بمصادر الأموال لبناء مدينة الجعفري، يروي الطبرى هذه الحادثة فيقول: "فلا عزم المتوك على بناء الجعفري قال له نجاح وكان في النداء يا أمير المؤمنين أسمى لك قوماً تدفعهم أليّ حتى أستخرج لك منهم أموالاً؟ تبني بها مدینتك هذه، فإنه يلزمك من الأموال في بناها ما يعزم قدره ويجل ذكره فقال له سمهـ...".²

أخذت المصادرات خلال هذه الفترة تأخذ طابعها المتميز والمباشر، فلم تعد تقتصر على من احتلس مالاً من موظفي الدولة، أو من خرج على سلطة الخليفة؛ فشملت جميع رجال الدولة من الوزراء، الولاة، الكتاب، التجار، الحجاب، حتى النساء وحاشية القصر.. فقد أصبح كل صاحب منصب أو مال عرضة للمصادرـة.³

ويمكن اعتبار مصادرـة أموال التاجر ابن الجصاص من أبرز الأمثلة على ذلك، حيث صودرت له أموال كثيرة من الذهب والفضة والدواب وغير ذلك، فقد وصف ابن الجصاص بأنه بيت مال يمشي على الأرض⁴ وكان يقول عن نفسه "إن ثروتي سبعة آلاف ألف دينار سوى الجوادر".⁵

¹ - محمد طه حسن الحسين: التنظيم المالي للدولة من صدر الإسلام حتى سقوط الدولة العثمانية، المركز العربي للأبحاث، 2017، ص 128.

² - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 214.

³ - فهد مطر المطيرى ، المرجع نفسه، ص 210.

⁴ - المرجع نفسه، ص 215.

⁵ - الصابى، المصدر السابق، ص 125.

شملت المصادرات: العملات الذهبية والفضية، الجوهر والأواني الذهبية والفضة، الملابس والأثاث والطيب، الكتب، الضياع والعقارات، الدواب والأسلحة، العبيد، الاقطاعات. كان حجمها يزداد ويقل بحسب طبيعة قرار المصادر، فإذا كان استচفاء أو نكبة شملت جميع الأموال، وقد تكون المصادر مخففة تشمل على مبالغ معتدلة من العملات، مقابل إطلاق بقية الأموال المقبوضة.¹

استلزم الأمر استحداث ديوان خاص للنظر في شؤونها يسمى "ديوان المصادرات"، وعيّن له موظفين لدرجة أن وجد له نائب في حال غياب رئيسه، وإن كانت الأموال التي ستتصادر كثيرة، كان الوضع يتطلب استحداث ديوان خاص لإدارة هذه الأموال، ومن ذلك "ديوان المقبوضات" الذي استُحدث سنة 310هـ، وذلك للقبض على أموال أم موسى الهاشمية،² و"ديوان المخالفين" الذي استحدث لمصادر أموال مؤنس الخادم في سنة 319هـ.³

كان لانتشار المصادرات بأنواعها المختلفة في العصر العباسي أثره الواضح على الحياة الاقتصادية بمعالمها المختلفة إيجاباً وسلباً، حيث أثرت على الوضع المالي للدولة وعلى النشاط الاقتصادي للناس من تجارة وزراعة، فانعكس ذلك على نشاط الأسواق من حيث عدم ثبات الأسعار من فترة إلى أخرى، كما أدى تفشي المصادرات إلى زيادة ثروة جبة الأموال وتحبس عن التداول وتحصر في أيدي فئة معينة، تحاول قدر المستطاع الاستئثار بالأموال واكتنازها وإخفائها، مما يؤدي إلى قلة النقد المتداول في الأسواق وكساد السلع،

¹ - مجید تحسین حمید: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع هجري، دار ومكتبة عدنان للطبعة والنشر، 2015، ط1، ص235.

² - ابن مسکویه، المصدر السابق، ج5، ص141.

³ - الطبری، المصدر السابق، ج11، ص136.

ضعف القوة الشرائية عند الناس الأمر الذي يؤدي إلى تراجع الحركة التجارية الداخلية والخارجية ويفقد إلى البطالة ويزيد الفقر.¹

ولأن خطر المصادر يهدد كل فرد من أفراد المجتمع، أدى ذلك إلى هجر المزارعين لأراضيهم، وترك العمال لأعمالهم ومن الأمثلة على ذلك ما فعله معز الدولة عام 334هـ/945م عندما شغب عليه جنده مطالبين بأرزاقهم، فاضطر إلى اللجوء للمصادرات لحل أزمته فاستخرج الأموال من غير وجهها" ولم يكن بما يكفي بذلك بل قام بمصادرة الكثير من الضياع والأراضي وأقطعها لقواده وجنده، مما أدى إلى تركهم لأعمالهم الزراعية وهجرهم أراضيهم وصار أكثر السواد مغلقاً وزالت أيدي العمال عنه".²

أدت هذه الأزمة أيضاً إلى ازدياد المصادرات، ونجم على العمال والتجار وسائر الناس مالاً لأرزاق الجندي، وأدى الأمر إلى كان يغمس على من عنده قوت من الحنطة أعده لعياله فيكبسه ويأخذه منه وكثرة الضرائب حتى هاجر التجار من بغداد.³

أدى تطبيق هذه الضريبة إلى الخراب، حيث قعد التجار عن أعمالهم مما أدى إلى كساد الحركة التجارية، وضعف النشاط التجاري في الأسواق، وانتشرت السرقات والنهب وانعدم الأمان بين أفراد المجتمع فتراجع المستوى المعيشي، وانشغل الأفراد بالحصول على القوت بصرف النظر عن الطريقة سواء شرعية أو غير شرعية.⁴

حاول كثير من الأغنياء عند تعرضهم للمصادرة التظاهر بالفقر أو الهروب بالمال عند حدوث الأزمات والاضطرابات، فقد شهدت بغداد هروب أصحاب الأموال بأموالهم أثناء

¹ - محمد تركي محمد شنطاوي، المرجع السابق، ص 252.

² - ابن مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 274.

³ - مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: عمر السعدي، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، (د.ت)، ج 4، القسم 1، ص 426-427.

⁴ - محمد تركي محمد شنطاوي، المرجع السابق، ص 218.

الفترة بين الأمين والمأمون، فبعد أن قلت الأموال بين يدي المأمون، وضاق عليه الأمر نتيجة لحصار طاهر بن الحسن لبغداد، أمر غلامه زرياً أن يتبع أصحاب الأموال والذخائر ويصادر أموالهم، فجمع بهذه الطريقة أموالاً كثيرة، فهرب الناس من بغداد بحجة الحج وفي ذلك يقول الشاعر:

أظهروا الحج وما يبغونه
بل من المهرش يريدون الهرب

كم أنس أصبحوا في غبطة
ركض الليل عليهم بالعطب.

ناله الذل وواهار الحرب.¹
كل من زار زريحاً بيته

وكان تهريب الأموال معناه نقصان النقد من أيدي الناس وعند الدولة، وهذا ينعكس على العمل فيؤدي إلى الركود والكساد الاقتصادي، ولم يقتصر الأمر على تهريب الأموال بل تظاهر أصحاب الأموال بالفقر خوفاً من المصادر، وأنكر الكثير منهم امتلاك الأموال، ومثاله ما حدث مع الفضل بن جعفر الذي أتهم بتحريض الساجية والجرية - وهم غلمان القاهرة في الجيش - على الثورة، فقام القاهر بالقبض عليه وأمر الوزير الخصيبي بمصادرته بثلاث مائة ألف دينار فقال الفضل: "لو كنت ذا مال لكان ت لي ضياع ودور وخدم ومروة بحسبها".² خاصة رواتب الجندي، وأدى هذا في بعض الأحيان لتحقيق التوازن الاقتصادي في الدولة.³

جلبت المصادرات للدولة الوبال، حيث أنها أدت إلى إرباك الوضع الاقتصادي للدولة فتزداد ثروة جباة الأموال في الدولة، وتحبس عن التداول وتحصر في أيدي فئة معينة تحاول قدر استطاعتها الاستثمار بالأموال واكتنازها وإخفائها، مما يؤدي لقلة النقد المتداول

¹ - المسعودي، مرجح الذهب، المصدر السابق، ج3، ص335.

² - محمد تركي محمد شنطاوي، المرجع السابق، ص224.

³ - المرجع نفسه، ص252.

في الأسواق وكساد السلع، وضعف القوة الشرائية عند الناس الأمر الذي يؤدي إلى تراجع الحركة التجارية الداخلية والخارجية، ويقود إلى البطالة وزيادة الفقر وسوء الأحوال داخل المجتمع.¹

من خلال ما تقدم من الأمثلة عن الضرائب المفروضة على الأسواق والحوانيت وغيرها من المنشآت في العصر العباسي، نستطيع أن نستدل أن الدولة كانت تفرض الضرائب على أصحاب الصنائع والحرف والتجار في الأسواق حسب الظروف، فهذه الضرائب لم تخضع لقاعدة ثابتة، ولم يلتزم بها الكثير من الولاة في بعض الأحيان، وقد يعود ذلك إلى الحالة السياسية التي عاشتها الخلافة في ظل الخلفاء المتأخرین والتي لم يكن لبغداد إلا السلطة الإسمية على إقليم المشرق الإسلامي أعادت النمو الزراعي والصناعي دون الأخذ بعين الاعتبار مصلحة الدولة واقتصادها فكان في النتيجة المحتومة لهذه السياسة خلق اقتصاد غير متوازن تمثل بهذه الضرائب الثقيلة على الأسواق.²

هـ- تزييف النقود:

اتبعت الدولة العباسية سياسة نقدية وفقاً للمعايير الاقتصادية والسياسية السائدة آنذاك، حيث أرادوا بذلك إظهار تفوقهم على أسلافهم ، واهتموا بإقامة دور ضرب النقود وأشرف الخليفة أو من ينوب عنهم بصورة مباشرة على تلك الدور ومراقبة العاملين عليها، لكي يتحققوا من ضوابط العمل وليبعدوا عنها احتمالات الغش والتزييف،³ كانت قيمة العملة

¹- لطيفة صلاح عبد الهادي علي: المصادرات في العصر البويمي (334هـ/1055م)، سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، الع 4، 2022، ص233.

²- سوسن بهجت يونس، المرجع السابق، ص381.

³- حمدان عبد الرحمن الكبيسي: أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ، بغداد، 1988 ، ص43؛ ناهض عبد الرزاق دفتر القيسى: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، (د.ت)، ص1233.

تحدد عن طريق النقاء المعدني لها وعليه تتحدد قيمتها الشرائية، فقد كانت العملة في الدولة العباسية كجميع النقود الإسلامية على مدار التاريخ؛ تتكون من الذهب في حالة الدينار

والفضة في حالة الدرهم¹

استمر العمل بذلك إلى عهد الخليفة الواثق بالله (227هـ-232هـ / 840م - 845م)، أشار قدامة بن جعفر لذلك في قوله: "كانت الأعيرة المعمول عليها في دور الضرب ما جمع عياره من ثلاثة دنانير مضروبة في تلك الدول الثلاث" وقد عني "بالدول الثلاث" الواردة في النص عصور كل من الخليفة الرشيد والمأمون والواثق.²

تأثرت العملة بما تعرضت له الخلافة من فوضى سياسية وتدخل العناصر الأجنبية في الحكم؛ مما أدى للتراخي في الإشراف على دور الضرب، ومن مظاهر ذلك نوعية ووزن العملة المستعملة في المعاملات، والتي اتسمت بالرداءة خاصة بعد مقتل الخليفة المتوك على الله سنة 247هـ / 861م وقد عبر المقرizi عن وضع الخلافة أنداك بقوله: "فتاثر سلوك الخلافة وبقيت الدولة العباسية في ترف وقوى عامل كل جهة على ما يليه وكثرت النفقات وقلت الجبايات بتغلب الولاة على الأطراف وحدثت بدع كثيرة حينئذ ومن جملتها غش الدرهم"³، حيث انتشر التعامل بالنقود الزيوف⁴، البهرجة¹، القراضة²، والمموهة³، والمغمورة.⁴

¹- عبد الحميد سعيد: خليفة الله ظل الله في الأرض دراسة في اصول الاستبداد السياسي وأدواته، دار نقوش عربية، تونس، 2021، ص 122.

²- قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص 60.

³- المقرizi تقي الدين أبي العباس أحمد (ت 845هـ): رسائله، تح: رمضان البكري، دار الحديث، القاهرة، 1998، ص 166-167.

⁴- الزيوف: من وصف الدرهم يقال زافت عليه دراهمه، أي صارت مردودة لغش فيها، وقد زيفت إذا ردت، وكانت زيفاً وقسيمة أي رديئة، والجمع زيف زيف، ابن منظور، المصدر السابق، ج 9، ص 142.

تجدر الإشارة إلى أن التوسع الكبير الذي شهدته الخلافة العباسية في إنشاء دور الضرب بسبب منح الخلفاء العباسيون وولاة الأقاليم والوزراء في الدولة الحق في إصدار العملات؛ كان من الأسباب المؤدية إلى تدهور جودة الإصدار النقدي وانتشار زيف المسكوكات خاصة في العصر العباسي الثاني، وقد أكد حدوث هذا التدهور الصولي بقوله : "كثر التخليل في أمر النقد ودار الضرب".⁵

كانت أعمال الزييف تتم خارج دور الضرب الرسمية وعلى أيدي أشخاص ماهرين في النفع، متخصصين في هذا الضرب من العمل كما أن بعض أعمال الزييف كانت تتم في ظل ظروف سياسية شاذة عن طريق دور الضرب الحكومية نفسها وقد ارتبط ذلك خاصة بزيادة النفقات وتراجع الجبايات.⁶

¹- **البَهْنُ**: رديء الدرهم الذي فضته رديئة والبهرج الدرهم المُبْطَن السكة و هي المسكوكات التي يكثر فيها المعدن الرخيص ودرهم برهج مزيف ملبس بالفضة، ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص216.

²- **القَرَاصَة**: أو المثلومة وهي الدنانير أو الدر衙م المقطوعة أو المكسورة الحرف، ويقطع عليها اسم الدر衙م القطع، وهذا القرض أو الثلم قد ينتج في المسكوكات بقصد العش والتزييف، وقد يكون عفويا بسبب التداول، أو قد يكون بهدف تسهيل أمور البيع والشراء في حال عدم وجود أجزاء الدنانير والدر衙م؛ طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي: المسكوكات العباسية حتى منتصف القرن الخامس هجري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص138.

³- **مُمَوَّهٌ**: وهي تعني الطلاء بالذهب أو الفضة وما تحت ذلك شبه أو نحاس أو حديد زمنه؛ التمويه وهو التلبس، فيتبين من ذلك أن التمويه هو ضرب معين من ضرب التزييف؛ عبد العزيز حميد، المرجع السابق، ص306؛ عاطف منصور محمد رمضان: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008، ص388.

⁴- **المغمورة**: تطلق على رذال المال، ومعنى غمزت لينت، والغمزة العيب؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص389.

⁵- **الصولي**، المصدر السابق، ص136؛ عبد العزيز حميد: المسكوكات المزيفة في العصر العباسي، كلية الآداب، جامعة بغداد، (د.ت)، ص 309.

⁶- طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص153.

قدمت المصادر مجموعة من حوادث التزييف، ففي سنة 267هـ / 875 م عمد الخليفة المعتمد (279هـ-892م) على نفي ضرائب المسكوكات في سامراء وهو إجراء يدل على أن الضربين ارتكبوا جريمة غش المسكوكات وتلاعبوا في عيار العملة.¹ حيث ضرب أمير الأمراء بحكم (326هـ-937م) "دنانير وحشة وحمل عليها حملاً كثيراً"² بزيادة نسبة المعدن الرخيص فيها، وبأوزان قدرت بعده مثاقيل³، ويبدوا أن التعامل بها كان كبيراً وتداولت سريعاً بين الناس ثم قادت الإجراءات النقدية لأمير الأمراء بحكم إلى الفوضى في مجال التعامل النقدي إذ أدت إلى فساد النقد جودةً وعياراً، وكانت إجراءاته تلك تهدف إلى تلافي العجز الحاصل في الميزانية وتغطية نفقاته ونفقات جنده التي بلغت أموالاً ضخمة جداً، تعجز الإيرادات عن استيفائها تغطيتها ثم عمل على سحب النقود الجيدة من الأسواق وادخارها بدهنها في باطن الأرض لتمكن عملته الرديئة من أن تأخذ طريقها للتداول⁴.

استغل الصيارة رداءة النقد فأخذوا يُروجُونَ للزيوف، وبقي الحال على ما هو عليه حتى عام 310هـ / 941 م حين قام أمير الأمراء ناصر الدولة الحمداني بإلغاء ضريبها وأمر بتجويد العيار وتصفية العين والورق، ثم ضرب الدنانير الإبريزية⁵، لاقت هذه النقود رواجاً كبيراً وبيع الدينار الجديد بثلاثة عشر درهماً بعد أن كان عشرة وذلك لجودة عيارها، حيث حملة كلمة "إبريز" وهي تعني الذهب الخالص تعبيراً عن جودة عيارها.⁶

¹- ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيف النقود الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، مكة المكرمة، 1993. ص 28.

²- الصولي، المصدر نفسه، ص 136.

³- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 4، ص 268.

⁴- ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيف النقود الإسلامية ، المرجع السابق، ص 30.

⁵- الصولي، المصدر السابق، ص 231.

⁶- عاطف منصور، المرجع السابق، ص 365.

خلال العهد البوبي أخذت الدنانير العباسية منحى متزايداً من الرداءة والتدني من حيث النقاء والجودة¹ حيث زاد التراخي في الإشراف على دور الضرب إلى درجة كبيرة فعهد بها إلى أشخاص معنيين بالضمان واللزمه مما كان يتسبب في كثير من الأحيان بأمور غير حميدة، إذ من المعروف أن الأجور التي كانت تتقاضاها دور الضرب عن الخدمات التي تقدمها كانت في بادئ الأمر 1% أو أكثر بقليل من القيمة الكلية للمسكوكات المضروبة لتغطي ثمن الخطب، وأجور العمال وغير ذلك من النفقات الأخرى، وما يؤسف له أن المصادر التاريخية لم تكشف لنا فيما إذا كانت الأجور في العراق في العصر البوبي كانت مشابهة للأجور في العصر الأول أم أنها كانت أعلى من ذلك أو قريبة، ولا ندري إذا ما كانت كافية لتغطي النفقات الجديدة في العصر البوبي المترتبة على الضمان واللزمه، أم أن الضامن أو الملتم كان يتلاعب بالعيار للحصول أرباح غير مشروعة.²

تولى ابن حباب أمر الإشراف على دار الضرب بصناعة، فضرب سنة 232هـ/840م مسكوكات عرفت بالحبابية (خلط من الفضة والذهب) وهي دنانير واضحة بيض أكثر من نصفها فضة مبهجة عرفت بالزرسيم.³

حاول البوبيون تدارك هذا الوضع، فأصبحوا يقومون بإدارة دور الضرب بأنفسهم،⁴ كما عهدوا للقضاة أمثال القاضي التتوخي بالإشراف على صحة العيار وكان عقاب المزيف شديد يصل لحد القتل، ومع ذلك تفشت ظاهرة خلط المعادن الرخيصة كالنحاس مع الذهب،⁵

¹ طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص 62.

² عبد العزيز حميد، المرجع السابق، ص 311.

³ الهمذاني أبي محمد الحسن بن أحمد (ت 345هـ تقريباً): الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحرير: أحمد فؤاد باشا، مطبعة الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص 141.

⁴ طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص 104.

الذهب،¹ إلا أن ما عانته الخلافة من اضطرابات سياسية وأزمات اقتصادية ساهم في انتشار الغش في العملة بصورة كبيرة، ففي سنة 330هـ ضرب ركن الدولة علي بن بويه (320هـ-932م) دنانير سمية بـ"الركنية"، كان نصفها نحاسا خالصا وكان الدينار منها يساوي ثلث الدينار المعتمد، كما ضرب عضد الدولة البوبي 367هـ - 382هـ دراهم مخلوطة بالنحاس والرصاص سمية بـ"التيجانية" لم يقبلها التجار في الأسواق،² ووصل الأمر إلى مرحلة حرجة في عهد بهاء الدولة حيث وصل نقائص الدينار عام 375هـ إلى دون 50%.³

تسربت أعداد هائلة من ال德拉هم المزيفة كانت تحمل إلى العراق من إيران وغيرها من الأقاليم منذ مطلع ذلك القرن، ومن ذلك ما يروي من أن "الأصغر الأعرابي" اعترض الحاج سنة 384هـ / 994م ومنعهم المرور لأن الدنانير التي أعطيت له قبل سنة كانت مطلية ولم يسمح لهم بالمرور إلا إذا أعطوه الرسم مضاعفا فرفض العراقيون ذلك ولم يتم حجتهم تلك السنة،⁴ ولم تكن الدولة قادرة على كبح اتجاه التدهور في اقتصاد العراق وعلى العكس من ذلك أصبح التدهور مع مرور الزمن - أكثر وضوحا فأصبح استخدام الدينار في تلك الفترة قليلا واقتصر على هدايا الزفاف.⁵

اختلف سعر صرف الدينار من فترة زمنية إلى أخرى حيث كانت قيمة العملة تتحدد عن طريق النقائص المعدنية لها؛ وبالتالي تتحدد القيمة الشرائية ، حيث أن سعر صرف الدينار

¹ - التوخي، ج 1، المصدر السابق، ص 142؛ ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي، نقود الدولة البوبيهية 334-447هجري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، الع 75، (د.ت)، ص 135.

² - طلال بن شرف، الرجع السابق، ص 153.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 249.

⁴ - ابن الجوزي، المنظم، المصدر السابق، ج 14، ص 369.

⁵ - طلال بن شرف، المرجع السابق، ص 153.

بالدرهم تغير في القرنين الثاني والثالث الهجريين في أيام هارون الرشيد بلغ $1=22$ ، في أيام المأمون $1=15$ في أيام الم توكل $1=25$ ، وفي أيام المنصور $1=20$. أي أن السعر تراوح بين 4 % إلى 6,6 %¹، قدم الدوري سعر صرف الدينار الواحد لبعض السنوات خلال القرن الرابع هجري والذي اختلف من سنة فترة إلى أخرى، وهذا راجع للتغيرات في قيمة الذهب والفضة وإضافة رسم على تحويل الفضة على الذهب عند الدفع والتي من شأنها أن تؤدي إلى خسارة دافعي الضرائب،² (أنظر الملحق رقم 04، ص 384).

لم تكن الدولة العباسية مبدعة في تحديد أوزان وعيار العملة وإنما كانت متبعة لما كان قد أقر في صدر الإسلام من أوزان، فالمسكوكات الإسلامية معروفة الوزن والمقدار في المجتمع المكي قبل الإسلام وأقرها الإسلام على ما كانت عليه، وعلى ذلك فإن الدينار والدرهم الشرعيين معلومان مقداران في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعده ثم في عهد عبد الملك بن مروان كان إصدار المسكوكات الإسلامية وهي مغایرة في سكها وشاراتها للنقد الأجنبي لكنها موافقة في أوزانها للأوزان الشرعية.³

التزم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/694-736م) في إصلاحاته النقدية الوزن الشرعي للنقود الإسلامية معتبرا في ذلك النسبة بين وزن الدرهم والدينار وهي نسبة (10=7) أي أن الدرهم يمثل سبعة أعشار الدينار أو بمعنى آخر فإن عشرة دراهم تساوي سبعة دنانير، وبناء على ذلك فإن الوزن الشرعي للدرهم الإسلامي وفق الموازين الحديثة هو (2,97) غرام وذلك أساساً أن الوزن الشرعي للدينار بالموازين الحديثة هو

¹ - محمد عقل: الدولة العباسية في عهد الم توكل على الله (232هـ-247هـ/847م-861م)، أي كتب، لندن، 2019، ص 76.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 245.

³ - النقشبendi ناصر الدين محمود: الدينار العراقي في المتحف العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953، ص 25-30.

(4,25) غرام.¹ وقطر الدينار لم يتغير فهو على ما كان عليه في العهد الأموي وهو 20 ملم²

اعتماداً على ما قدمه عالم الآثار "ناصر السيد محمود النقشبendi" في كتابه "الدينار الإسلامي في المتحف العراقي -الدينار الأموي والعباسي-", والذي كان عبارة عن دراسة لنماذج من الدنانير العباسية المحفوظة في المتحف العراقي ومتحف العالم، عملت على جمع أوزان الدينار وأقطاره الواردة في النصوص وعرضها في جدول لأخذ صورة أكثر وضوحاً عن أوزان العملة، وللتعرف إذا ما تأثر الوزن هو الآخر بأعمال الزيف أم لا؟

القطر	الوزن	السنة	اسم الخليفة
17,2 ملم	3,765 غ	814هـ / 198م	المأمون (218هـ- 198هـ)
18,3 ملم	3,299 غ	815هـ / 199م	
16,9 ملم	4,136 غ	819هـ / 203م	
19,7 ملم	4,217 غ	821هـ / 205م	
19,1 ملم	215,4 غ	823هـ / 207م	
19,4 ملم	4,224 غ	824هـ / 208م	
19 ملم	4,030 غ	825هـ / 209م	
17,8 ملم	4,210 غ	826هـ / 210م	
18 ملم	3,912 غ	827هـ / 211م	
19 ملم	4,218 غ	830هـ / 214م	
19,4 ملم	4,068 غ	831هـ / 215م	
19,4 ملم	4,191 غ	831هـ / 215م	
20,6 ملم	4,128 غ	834هـ / 218م	

¹ - طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص 67-68.

² - النقشبendi، المرجع السابق، ص 34.

20,3 ملم	4,182 غ	834 هـ / م	
20,6 ملم	4,105 غ	840 هـ / م	المعتصم بالله (هـ 227 - 218)
19,4 ملم	3,480 غ	840 هـ / م	
20,7 ملم	4,203 غ	841 هـ / م	
21,4 ملم	4,232 غ	842 هـ / م	
21,5 ملم	4,184 غ	845 هـ / م	الواشق (هـ 232 - 227)
20 ملم	3,919 غ	848 هـ / م	المتوكل (هـ 247 - 232)
21,3 ملم	4,180 غ	849 هـ / م	
21,3 ملم	4,250 غ	850 هـ / م	
20,7 ملم	4,283 غ	851 هـ / م	
21,2 ملم	4,208 غ	852 هـ / م	
20,7 ملم	4,131 غ	853 هـ / م	
20,8 ملم	4,268 غ	857 هـ / م	
21,3 ملم	4,140 غ	859 هـ / م	
20,9 ملم	4,145 غ	859 هـ / م	
18 ملم	4,180 غ	861 هـ / م	المنتصر (هـ 248 - 247)
17,4 ملم	4,115 غ	861 هـ / م	
19 ملم	3,26 غ	861 هـ / م	
20,8 ملم	4,471 غ	863 هـ / م	المستعين (هـ 251 - 247)
22 ملم	4,417 غ	864 هـ / م	

22,5 ملم	4,330 غ	865 هـ / 251 م	
/	2,58 غ	866 هـ / 251 م	المعتز (255 هـ - 251 هـ)
18 ملم	2,80 غ	871 هـ / 256 م	المهتمي (246 هـ - 255 هـ)
/	3,75 غ	871 هـ / 256 م	
23,4 ملم	4,788 غ	884 هـ / 269 م	المعتمد (279 هـ - 256 هـ)
	4,112 غ	885 هـ / 270 م	
10,16 ملم	1,147 غ	897 هـ / 282 م	المعتضد (279 هـ - 289 هـ)
13 ملم	1,82 غ	898 هـ / 286 م	
12,7 ملم	0,953 غ	899 هـ / 287 م	
22,4 ملم	4,111 غ	904 هـ / 292 م	المكتفي (295 هـ - 289 هـ)
24,5 ملم	4,132 غ	906 هـ / 294 م	
24,7 ملم	4,169 غ	910 هـ / 298 م	
24,7 ملم	4.657 غ	918 هـ / 306 م	المقدر (320 هـ - 295 هـ)
9,5 ملم	0,900 غ	924 هـ / 312 م	
25 ملم	5,129 غ	931 هـ / 319 م	
23,5 ملم	4,28 غ	933 هـ / 322 م	القاهر (322 هـ - 320 هـ)
25 ملم	4,082 غ	936 هـ / 325 م	الراضي

			329هـ-322هـ)
/	3,75 غ	941هـ / 330هـ	المتنقي (329هـ-333هـ)
22	4,402 غ	945هـ / 334هـ	المستكفي (333هـ-334هـ)
/	2,47 غ	953هـ / 342هـ	المطيع (334هـ-363هـ)
17	1.303 غ	960هـ / 348هـ	
/	3,50 غ	966هـ / 355هـ	

الجدول رقم 05: يمثل أوزان الدينار خلال الفترة (198هـ-381هـ / 814م-991م)

اعتماداً على كتاب الدينار الإسلامي في المتحف العراقي -الدينار الأموي والعباسي-

لناصر السيد محمود النقشبendi" -إعداد الباحثة-¹

بناءً على ما ورد في الجدول أعلاه يتضح أن:

- أعلى وزن للدينار ضرب سنة 269هـ/883م في عهد الخليفة المعتمد (256هـ-279هـ) والذي بلغ وزنه 4,788 غ وقطره 23,4 ملم وهو وزن قريب للوزن الشرعي، وأخف دينار ضرب سنة 312هـ/925م في عهد الخليفة المقتدر بالله (295هـ-320هـ/908-932م) بلغ وزنه 0,900 غ وقطره 9,5 ملم.
- ضربت العديد من الدنانير وبأوزان مختلفة خلال عهد كل خليفة، وهذا راجع للصلاحيات التي قدمت للوزراء والأمراء... والتي سمح لها بضرب دنانير خاصة بهم، وقد يكون أيضاً من بينها دنانير الصلة وحفلات الرفاف التي اتصفت بارتفاع وزنها وجودة عيارها، ويرجع ذلك أيضاً لانتشار دور الضرب في معظم أقاليم الخلافة.

¹ - النقشبendi، المرجع السابق، ص 113-165.

- تأرجحت أوزان العملة بين الاقتراب (بالزيادة أو النقصان) أو الابتعاد من الوزن الشرعي، لكن أغلبها قريب للوزن الشرعي وبالتالي فأعمال الزيف مست درجة نقاء المعدن أكثر مما مست وزنه.
- يعطي وزن الدينار العديد من الدلالات الاقتصادية باعتباره من معدن الذهب، فارتفاع وزنه دلالة على توفر معدن الذهب ربما لانخفاض أسعاره، أو قد يدل على حرص الدولة على ضبط وزن العملة ونقاوة معدنها، وفي حالة تعرض الدولة لأزمات سياسية أو مالية تجأ لتخفيض وزنها أو زيادة نسبة المعادن الرخيصة فيها، أو أن الدنانير خفيفة الوزن قد تكون ضربت خارج دور ضرب الدولة.
- اقترن ذكر وزن العملة بقطرها، وهذا ما قد يعطينا صورة عن مدى تناسب الوزن مع القطر مما سينعكس حتما على صلابة الدينار، فعلى سبيل المثال تأرجحت أقطار العملات التي بلغ وزنها 4 غرامات ما بين 16 و25 مل و هذا ما قد يجعل صلابتها تختلف رغم اقتراب وزنها من الوزن الشرعي، وبلغت أقطار بعض الدنانير التي كان وزنها 2 غ أو أقل بين 9 و18 مل، وهذه المقاييس قد تختلف لعدم اتقان استدارة الدينار، وهذا قد يجعل الدنانير أقل صلابة لعدم تناسب وزنها مع قطرها و يجعلها أكثر عرضة للكسر والتي تعرف بـ "القراصنة" وبالتالي تفقد قيمتها.

إن غش وتزييف النقود يؤدي إلى فساد النظام النقدي للدولة، لأنها كما يذكر ابن العربي : "كسر الدنانير والدرهم ذنب عظيم، لأنها الواسطة في تقدير قيم الأشياء والسبيل إلى معرفة كمية الأموال وتتنزيلها في المعاوضات"، وكسرها أي إفسادها وإنقاذهما بعد تذويبها وتزييفها،¹ فالغرض من النقود أن تكون معيارا للقيمة ويؤكد على ذلك ابن الفقي

¹- ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله المالكي(ن543هـ): أحكام القرآن، تحرير: محمد عبد القادر عطا، 2012، دار الكتب العلمية، لبنان ، ج3، ص23.

فيقول: "وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة، ولا يقوم هو بغيره إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض فتفسد معاملات الناس".¹

تربيف النقود يعمل على الإخلال بوظائفها التي وضعت من أجلها وقضت به على تعب التبادل والمقايضة فهي تمهد السبيل لأنشطة الانتاج،² كما أنها تعمل على تحقيق التوازن الاقتصادي كونها الوسيط بين السلع والخدمات، ويقول الإمام الغزالى في هذا الصدد "نعم الله تعالى، خلق الدرهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعينهما ولكن يضطرخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمة وملبسه وسائل حاجاته"،³ فإذا مس الغش النقود تعطلت جميع الحاجات والأنشطة الاقتصادية، وكلما زاد الغش تفقد قبولها والثقة في التعامل بها.

4- اضطراب نشاط الأسواق وحركة التجارة

أ- حرق وتدمير الأسواق:

بلغ النشاط التجاري في الدولة العباسية درجة عالية من التوسيع ما جعلها تحل مركزاً متميزاً في تاريخ التجارة العالمية لذلك، كان من شأن هذا التوسيع أن يؤدي لقيام علاقات تجارية واسعة بين الدولة العباسية والعالم الخارجي ، كما كان من شأنه أن يؤدي لقيام مراكز وموانئ تجارية هامة سيطر عليها المسلمون سيطرة تامة.

¹- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر بن أبي أيوب (751هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الأرقم، لبنان، 2016، ص 394.

²- علي سيد اسماعيل: أحكام النقود المزيفة في الاقتصاد الإسلامي والقانون، دار التعليم الجامعي، 2019، ص 142.

³- الغزالى أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ): إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، ج 4، ص 88.

شكلت الأسواق مركز البيع والشراء و مجالا حيويا للنشاط المالي، كما أنها كانت مركز قيام العديد من الصناعات، فرواج التجارة العالمية في تلك الفترة وتحكم الدولة العباسية بها أدى إلى تدفق السلع والمواد الأولية لمختلف الصناعات، تأثرت الفعاليات التجارية والصناعية ومدى مساهمتها في المجال الاقتصادي بما تعرضت له الأسواق والموانئ وطرق المواصلات من تحديات سياسية وطبيعية، فتتج عن ذلك كسام النشاط التجاري وتراجع العديد من الصناعات خلال فترات حوثها.

يعطينا الحديث عن أسواق بغداد في العصر العثماني صورة واضحة عن مدى التقدم وازدهار التجارة، فقد شكلت بغداد ملتقى كثير من الطرق التجارية فهي تقع بين دجلة والفرات فتأتيها التجارات براً وبحراً وبأيسير السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من أرض الإسلام وغير أرض الإسلام، فإنه يُحملُ إليها من الهند والسندي والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة، وسائر البلدان.¹

اعتبرت بغداد مركزاً للتجارة في العالم الإسلامي، و في وصف لها يقول الخطيب البغدادي "لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلال قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وتميز خواصها وعوامها وعظم أقطارها وكثرة دروبها ودورها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها وطيب هواها وعذوبة مائها واعتدال صيفها وشتائها وربيعها وخريفها".²

شكلت الأسواق جزءاً حيوياً من المدن، فعندما وضعت خطط بغداد في القرن الثاني هجري، وجعل المنصور بغداد مجمع الأسواق بالكرخ وأمر التجار فابتداوا الحوانيت، وفي خطط سامراء في القرن الثالث هجري وجهت عناية خاصة للأسواق، ولما بني الم توكل مدينة الجعفرية جعل في كل ناحية سوقاً،³ ثم نمت هذه الأسواق حيث وجدت فيها الأسواق

¹ - اليعقوبي، البلدان، المصدر السابق، ص 13.

² - البغدادي الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب (ت 463هـ): تاريخ بغداد، ترجمة مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص 87.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 145.

الرئيسية والفرعية والتي وصفت بالزحام الشديد حتى أن المارة لا يستطيعون اجتيازها لكثره روادها، كما شكل التجار جزءاً كبيراً من سكان بغداد وذلك بسبب هجراتهم المتواصلة إليها

¹ للعمل بالتجارة، وغيرها، بالإضافة إلى تجار بغداد وهذا جعلها تنمو وتزدهر بسرعة.

تخصص كل سوق بتجارة معينة وكان لكل تاجر وتجارة شارع معلوم وصفوف في تاك الشوارع وحوانيت وساحات، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غير صنفه ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق منفردة وكل أهل منفردون بتجاراتهم.²

من أشهر أسواق بغداد خلال العصر العباسى السوق العظمى وهي "سوق الكرخ" وهي "معدن التجار" وعلى جانبي درب باب الكرخ تمتد أسواق مهمة وهناك أسواق واسعة لكل أنواع التجارات في محلة باب البصرة واسواق أخرى في درب باب المحول حيث كانت السفن القادمة من الفرات تلقي بحمولتها.³

"سوق الوراقين" ويتم فيه بيع وشراء ونسخ وتجاليد الكتب وكان هذا السوق مكاناً لجلوس العلماء والشعراء وكان به أكثر من مائة حانوت للوراقين،⁴ وهي مكان للإملاء كذلك ومكان لمقابلة المادة المكتوبة والتأكد من صحتها ووضوحاها،⁵ "سوق الثلاثاء" في الجهة الشرقية من

¹- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 8، ص 77.

²- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص 37.

³- سوسن بهجت يونس: الأسواق في المشرق الإسلامي (العراق بلاد فارس بلاد ما وراء النهر) من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العهد البوبي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، الع 42، 2015، ص 361.

⁴- جمال كبة، و طالب عزيز: الحقيقة معلم الحضارة الإسلامية، دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، (د.ت)، ص 120.

⁵- فتحي حسن ملكاوي: مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي، المعهد العالمي الإسلامي للبحوث، 2018، ص 253.

بغداد وهو أعظم أسواقها كان سوقاً أسبوعياً¹ "سوق دار البطيخ" ويتم فيه بيع جميع أنواع الفاكهة وكان أكثر ما يباع من الأثمار البطيخ لذلك سمي بالبطيخ²، و"سوق البازارين" وهو سوق خاص ببيع الأقمشة، و "سوق العطش" الذي أمر الخليفة المهدى (158-775هـ/785م) ببنائه وبتسميتها "سوق الري" لكن غلبت عليه تسمية "سوق العطش" ويبعدوا أن ذلك جاء من باب السخرية من هذا السوق.³

"سوق خضير" وهو سوق طرائف الصين؛ حيث أنه كان مختصاً بالتجار الصينيين ويحتوى على السلع والطرائف النادرة و"سوق دار القطن" الذي يعتبر من أكثر أسواق بغداد تجارة وربحا، "سوق البازارين" ويقع هذا السوق على نهر البازارين ويتم فيه تجارة البز وبيع الحرير والخز والأقمشة.⁴

"سوق الأحد" وهو سوق أسبوعي و"سوق الشتاء" الذي يختص ببيع البضائع والملابس الشتوية، "سوق العروس" التي وصفت بأنها مجمع للطرائف وربما سميت بهذا الاسم لاحتقال الناس بتجهيز العرائس بالطرائف والنفائس، إضافة لأسواق العطارين والصيادلة وسوق النحاسين الذي عرف بصناعة الكرخ.⁵

ساهمت العوامل السياسية في زعزعت استقرار الأسواق وسلامة التجارة والتجار، فكثراً ما تعرضت للنهب والحرق من قبل المتمردين وأصحاب الفتن الذين عملوا على إثارة الفوضى والشغب في أوساط العامة خاصة العاملين في الأسواق، كما أثرت الكوارث الطبيعية خاصة السيول والفيضانات على الأسواق وفعالياتها التجارية.

¹ - نقولا زيادة: الأسواق الإسلامية، مجلة المقتطف، ج 1 مج 1943، 3، 139.

² - المرجع نفسه، ص 141

³ - حسين المصري: تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982، ص 91.

⁴ - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 49.

⁵ - فهمي سعيد، العامة في بغداد، المرجع السابق، ص 253.

يصف ابن الجوزي في كتابه مناقب بغداد ما آلت إليه الخلافة جراء ما أصابها من فتن حيث "كانت بغداد في زمن الرشيد غاية في الحسن ثم تتابعت الفتن ووقع الخراب وما زالت الفتن متواترة إلى أن قلت المعايش وكثُر الجور، وفترت الهمم عن طلب العلوم وغيرها، وكان أهلها في سعة من الأرزاق ورخص الأسعار فانتقل عنها معظمها".¹

كانت السلطة العباسية تخشى أن يغضب أهل السوق وال العامة، أو أن تستقر مشاعرهم، حتى لا تدخل في غمارهم إذ أنها أدركت أن ذلك أصلح في تسخير أمورها، إلا أن أهل أسواق بغداد لم يكونوا بمعزل عما يدور في مجتمعهم، فشاركوا في الفتن والاضطرابات منذ وقت مبكر، ومرد ذلك أن جل المعارضين للحكومة كانوا يتذمرون من الأسواق مواضع للتعبير عن سخطهم ومعارضتهم.²

تأثر بعض أهل السوق بالأوضاع السياسية التي حدثت في العاصمة، كالفتنة والمنازعات الدينية والعنصرية والأطماء الشخصية التي شهدتها الخلافة، فيبدو أن بعضهم قد انحازوا إلى الخليفة الأمين في صراعهم مع أخيه المأمون، فحضرت أسواقهم بالجند أثناء إعداد جيش علي بن عيسى بن مهان الذي أرسل لمحاربة المأمون، عبر الطبرى عن ذلك بقوله: "وأشخص مع ابن مهان الصناع والفعلة".³

كان من أثار الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون أن كثُر الحريق والهدم ببغداد والكرخ، ولم ينزل بعاصمة بني العباس شر من هذه الحرب، فقطع طاهر على أصحاب الأمير الأقوات وغيرها من البصرة وواسط وخلافهما من الطرق، ولما ضاق المجال بالأمين أمر قائدا له يقال له ذريح: "أن يتبع أصحاب الأموال والودائع والذخائر من أهل الملة

¹- ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي(597هـ): مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، 1923، ص 24.

²- عبد المجيد الكبيسي ، المرجع السابق، ص 253.

³- الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 406.

وغيرهم، وقرن معه آخر يعرف بالهرشى، فكانا يهجمان على الناس فاجتباها أموالاً كثيرة،
¹ فهرب الناس بعلة الحج، وفر الأغنياء.

اعتبرت البصرة أيضاً من أهم المراكز التجارية في العراق؛ لكن ما تعرضت إليه في العصر العباسي الثاني من اضطرابات سياسية أفقدتها هذه المكانة، ومن أشهر اضطرابات السياسية التي تعرضت لها هو احتلال صاحب الزنج لها، فقد وضع هذا الأخير خطة محكمة لقطع مواصلات هذه المدينة بدجلة وفرض الحصار الاقتصادي عليها وعزلها عزلاً تماماً عن المناطق المجاورة لها، وخراب كل ما حولها من مدن وقرى مستغلاً الضغائن والعصبيات التي كانت تمزق أهلها.²

خربت المدينة وفقدت كثير من معالمها العمرانية من ذلك اليوم فيبدو أن صاحب الزنج كان شديد العداء للبصرة، وأهلها لأسباب عديدة فقد كانت البصرة في ذلك الوقت مركزاً لطبقة كبيرة من الأغنياء الذين كونوا ثرواتهم الطائلة من استثمار العبيد في الزراعة من اشتغالهم في التجارة، فكان احتلال البصرة كارثة مؤلمة بالنسبة للخلافة نظراً لأهميتها التجارية، فخرابها يعني قطع التجارة العباسية الصادرة والواردة.³

كان هذا الحدث بداية النهاية لهذا الصرح التجاري العظيم (البصرة) وبعد ذلك خربت وتقلص عمرانها وصار ما بين البصرة والمريد خراب فيذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان قائلاً: "لقد كان مريد البصرة من أشهر محالها وكان يكون سوق الأبل فيه قد يما ثم صار محله عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاحيرات الشعراء والخطباء، وهو يبعد عن

¹ راشد البراوي: في الاقتصاد الإسلامي، دار الحرية، القاهرة، 1986، ص 116.

² فيصل السامر، ثورة الزنج، المرجع السابق، ص 105.

³ المرجع نفسه، ص 106.

البصرة بنحو ثلثة أميال وكان ما بين ذلك كله عامراً، وهو الآن خراب فصار المربد كالبلدة المنفردة في وسط البرية.¹

استغلت الأسواق كذلك أثناء صراع السنة والشيعة، وكانت أول إشارة لإدخال السوق في هذا الصراع، هو قرار معز الدولة البوبي بتعطيل كافة الأسواق في ذكرى عاشوراء في عام 352هـ/1963م من أجل الاحتفال بهذه الذكرى الشيعية وهو ما يدل على استخدام الأسواق في هذا الصراع فتعطيل الأسواق وحركة البيع والشراء وإغلاق الحوانيت ومنع الطباخين من الطبخ، ناهيك عن أنه سيؤثر موقتاً على الحالة الاقتصادية لكنه سيبرز أيضاً حالة النزاع الشعبي بين الطرفين داخل السوق كجزء من المشهد العام للصراع.²

شهدت أسواق بغداد كثيراً من حوادث الحرائق؛ إلا أن المصادر لم تفينا في أغلب الأحيان بأسباب وقوعها؛ كان استهدافها بشكل مباشر يدل على رغبة الفاعلين في اخلال الاستقرار والتوازن السياسي ونشر الفوضى بين أصحاب التجارات وأفراد العامة باعتبارهم أكثر الفئات عدداً في المجتمع العثماني.

وقع حريق عظيم بالبصرة سنة 217هـ/832م،³ واحترق الكرخ سنة 225هـ/839م وأصاب التجار أضراراً بليغة، فأمر لهم المعتصم بخمسة آلاف الف درهم،⁴ واحترق ألف وثلاثمائة حانوت بسبب حريق نشب في سامراء سنة 241هـ/855م.⁵

¹ - الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج 5، ص 98.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 379.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 4.

⁴ - ابن العماد شهاب الدين أبي الفرج عبد الحي الحنفي الدمشقي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، كح: الأنطاوط، دار ابن كثير، لبنان، ط 1، 1988، ج 3، ص 114.

⁵ - ابن الجوزي، ج 11، المصدر السابق، ص 286.

وظهر في الكوفة سنة 251هـ / 865م رجل من الطالبيين يدعى "الحسين بن محمد بن حمزة"، وتبعه جماعة من بنى أسد ومن الزيدية فطرد عاملها فوجه إليه المستعين القائد "مزاحم بن خاقان" لقتاله فقتل أعداداً كبيرة من جماعته، وأسر الرجل الطالبي وحبسه وأضرم النار بالكوفة فاحترق فيها ألف دار وسبعة أسواق من أسواقها.¹

أثناء الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر سنة 252هـ / 866م، ناصر التجار والعامية الجندي، ما جعل محمد بن عبد الله يشعل النار في الحوانين التي تقع على جانبي باب الجسر لتأديبهم، فاحترق فيها متاع كثير وكانت النار من القوة أن حالت بين الطرفين.²

استمرت أعمال الزنج التخريبية وإحداثهم للحرائق، حيث أحرقوا الأبلة سنة 257هـ / 870م ، وقتلوا الناس واستباحوا ثلاثة أيام فقتل منهم ألفاً تقريباً، وفي العام نفسه دخلوا البصرة فعاثوا وأحرقوا ونهبوا وأخذوا الناس بالسيف،³ وأحرقوا واسط بالنار سنة 264هـ / 877م،⁴ واقتحموا أسواق المدينة النعmaniّة سنة 265هـ / 878م وأشعلوا النار في أسواقها وأكثر منازلها، ونجم عن هذا الحريق أضرار كثيرة، وكان من بشاعة جرائم الزنج وهمجيتهم في النقتل والنهب والسلب والحرق والاستباحة في شرق البلاد وغربها، هروب أهل السوداد ودخولهم بغداد وتركهم لأراضيهم الزراعية.⁵

تعرضت الأسواق للحريق مرة أخرى في سنة 269هـ / 882م بسبب صاحب الزنج عند قيام الموفق بمحاصرته ، فقد أشار عليه جماعة من المستأمنة بحرق السوق العظيمة وكانت

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 328.

² - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 359.

³ - ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 12، ص 123.

⁴ - المصدر نفسه، ج 12، ص 191.

⁵ - المصدر نفسه، ج 12، ص 197. الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 632.

تسمى بالمباركة، لأنها السوق الرئيسية التي يعتمد عليها صاحب النرج ولأن فيها تجار الذين يمولونه بالمداع، وأخبروه أنه إن يحرقها لم يبق لهم سوق غيرها فعنده الموفق على أحراقها، وأمر أصحابه بقصد السوق من جوانبها فألقوا النار فيها فاحتربت، وفر التجار خارج السوق حاملين معهم ما يستطيعون حمله من المداع، واشتبك الجانبان في معركة ضارية وصفها الطبرى بقوله: "وكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم، ولقد كان ما علا من ظلال يحترق فيقع على رؤوس المقاتلة، فربما أحرق بعضهم، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل".¹

احترب ألف دكان مملوء مداعا للتجار سنة 292هـ/904م ببغداد بباب الطلق من الجانب الشرقي إلى طرق الصفارين،² واحترب سوق النجارين بأكمله في آخر سنة 915هـ/303م،³ وفي شهر صفر من سنة 307هـ/919م وقع حريق بسوق البقالين بالكرخ فاحترب فيه العديد من المنازل وهلك خلق كثير،⁴ وفي العام نفسه وقعت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام والاساكفة، ونشبت النار فيها واحترب السوق بما فيه.⁵

وقع حريق كبير بالكرخ سنة 309هـ/921م امتد من باب الشام ومن سويقة نصر، وفي الحذائين وبين القنطرة الجديدة وطاق الحراني، ومات بسببه خلق كثير،⁶ كما نشب حريق في نهر طابق سنة 314هـ/926م فاحترب فيه ألف دار وألف دكان واحتربت دور

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 633.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 425.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 792.

⁴ - ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 13، ص 189. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 506.

⁵ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 506.

⁶ - ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 13، ص 255.

الأمراء،¹ كما اشتعلت النار في الرصافة، وصف الجوهرى، ومربيه الحسري، وفي الحطابين في بباب الشعير سنة (927هـ/315م).²

تعرض الكرخ لحريق آخر سنة 323هـ/935م في طريق البازارين، فذهبت فيه أموال التجار فأطلق لهم الراضي ثلاثة آلاف دينار،³ و لاستداد الأزمة بين أبي الحسين البريدي وبين أمير الأمراء ابن الرائق، بسبب تأخر البريدي لأموال الضمان ومماطلته لدفعها، تعرضت بغداد وأسواقها ودورها للحريق والنهب سنة 330هـ/941م ومما زاد الأمر سوءا استعاناً ابن الرائق بالعياريين الذين فتحوا السجون ونهبوا الأسواق وأموال التجار والأغنياء واعتدوا عليهم وكان ذلك خطأ جسيماً منه.⁴

احتراقت مواضع عديدة من بغداد في الحرب التي وقعت بين العامية سنة 348هـ/959م وقتل فيها عدد كبير منهم،⁵ كما خلف الحريق الذي نشب في سوق الثلاثاء في أربع مواضع في الجانب الغربي من بغداد سنة 359هـ/969م خسائر فادحة في الأرواح،⁶ وووقيعت في بغداد فتنة كبيرة بين العامية سنة 361هـ/971م، فنهبت الأموال واحرقـت الدور والمحال وذهبـت الأمتـعة ومن الأموال الشـيء الكـثير.⁷

وقع حريق هائل سنة 362هـ/972م امتد من سوق النخاسين إلى السمـاكيـن، فاحتـرقـت سـبـعة عـشـر ألف وـثـلـاث مـئـة دـكـان وـثـلـاثـة مـئـة وـعـشـرون دـارـا، قـدرـت أـجـرـتها فـي الشـهـر بـثـلـاثـة

¹ - المصدر نفسه، ج 13، ص 255.

² - المصدر نفسه، ج 13، ص 262.

³ - المصدر نفسه، ج 13، ص 349.

⁴ - الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 331؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 160..

⁵ - ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 14، ص 118.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 323.

⁷ - المصدر نفسه، ج 7، ص 330.

وأربعون ألف دينار، كما احترق ثلاثة وثلاثون مسجداً، وذهبت أموال عظيمة، وهلك عدد كبير من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمامات، وعن سبب الحرائق هو أن أهل الكرخ قتلوا رجلاً من أهل المعونة، فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي حاجبه صافي الذي كان يبغض أهل الكرخ لإحراق الكرخ، وبمساعدة من الأتراك تمكن من إضرام النار في سوق الناسين والسماكين.¹

احرق الكرخ كذلك سنة 363 هـ / 973 م بسبب ما جرى من خلاف بين معز الدولة وسبكين الحاجب، إذ وضع عز الدولة يده على اقطاع سبكتين فاستقر الأتراك ودعاهم إلى طاعته فأجابوه إلى ذلك، وأرسل أبا إسحاق بن معز الدولة يدعوه للقدوم إلى بغداد ليعقد له الأمر بدلاً من عز الدولة؛ ولكنه لم يفعل فحدث القتل بينهم واستولى سبكتين على ما كان لعز الدولة ببغداد، وبعث إليه برسالة يعلمه فيها أن الأمر قد خرج من يده ويطالبه بالخروج عن واسط وبغداد؛ لتكون له وأن تبقى سلطته مقتصرة على البصرة والاحواز فقط وأن لا يفتح بينهم باب الحروب².

فكتب الأمير معز الدولة إلى عضد الدولة يستجده، ولكنه ماطل في معاونته على قتال سبكتين، فانقسم أهل بغداد إلى حزبين، وأصبحت الشيعة مع الأمير عز الدولة، أما الدليم وأهل السنة فأصبحوا ينادون بشعار سبكتين ومن معه من الأتراك، فحدث القتال واتصلت الحروب بينهما وسفكت الدماء وكبست المنازل وتعرضت محلة الكرخ لحريق آخر، بعد الحريق الأول الذي حدث في وزارة أبي الفضل، وتسبب في افتقار التجار، ومما زاد الأمر سوءاً استغلال العيارين للكارثة؛ فتغلبوا على التجار وأموالهم وبضائعهم وحرمواهم

¹ - المصدر نفسه، ج 7، ص 336. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 215.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 341.

ومنازلهم، فاضطر هؤلاء للقيام بخفارات ليلية لحراسة أسواقهم ومنازلهم، بعد أن عجزت السلطة عن توفيرها.¹

أشعل العياريون النار ببغداد سنة 364هـ / 1974م في سوق الخشابين من درب الشعير؛ فاحترق أكثر هذا السوق ثم امتدت النار إلى سوق الجزارين، وأصحاب الحصر وصف الباري، فاحترق كثير من الأمتعة والبضائع ونهب العيارون مالاً عظيماً، وتغلبوا على الأمور وركبوا الدواب وتلقبوا بالألقاب، وأخذوا الضرائب من التجار عن خفاراتهم للأسوق والدروب.²

وقع حريق بالكرخ سنة 371هـ / 1981م في حد درب القراطيس(سوق الوراقين) إلى بعض البازارين من الجانبيين وأتى على الأساكفة والحدائين واحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهيبه أسبوعاً³ وعزم أمر العيارين سنة 380هـ / 1990م واستفحلاً شرهم في جانبي بغداد عدة شهور إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد، حيث وقع بينهم القتال في الكرخ وباب البصرة، فنهبت الأموال وتواترت العملات واتصلت الكبسات وأحرق بعضهم.⁴

ووقع حريق عظيم نهاراً في نهر الدجاج وواضعه، فذهب من عقار الناس وأموالهم الشيء الكثير،⁵ أدت الفتنة بين العامة في مدينة بغداد سنة 381هـ / 1991م ونشوب القتال

¹ - المصدر نفسه، ج 7، ص 342-343.

² - ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 235

³ - المصدر نفسه، ج 14، ص 281.

⁴ - ابن الجوزي، ج 14، ص 344. ابن الأثير، ج 7، ص 447.

⁵ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 344.

وتكرار الحرائق في المحال واستمر الفساد وزالت هيبة الدولة والسلطة،¹ وتسبيب الفتنة بين العامة سنة 384هـ بقتل جماعة واحتراق الكثير في البلد².

بـ-قطع الطرق التجارية البرية والبحرية وطريق الحج:

تأثير الحركة التجارية بشكل كبير بمدى الاستقرار العام والوضع الأمني في البلاد، وحسب ما تقدم من اضطرابات والفوضى والكوارث الطبيعية التي عانتها الخلافة؛ تأثر التبادل التجاري والطرق الرابطة بين الأقاليم سلباً بذلك، حيث ساهم قطاع الطرق واللصوص في شل حركة التجارة البرية والبحرية خلال العصر العثماني كلما سمحت لهم الفرصة، فقد استغل هؤلاء تركيز اهتمام الخلفاء على إخماد الفوضى السياسية فدبّ الخوف في أنفس التجار وتکبد هؤلاء خسائر كبيرة في الأنسف والأموال والمعدات.

أخذت التجارة تنشط بشكل كبير في مياه الخليج العربي، بفعل انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد وارتباطها بالبصرة التي تعد بوابتها على الخليج العربي؛ والذي اعتبر المنفذ البحري الطبيعي للدولة العباسية؛³ فاكتسبت مكانة تجارية هامة حيث عبر ابن حوقل عن ذلك قوله: "فاجتمع فيها ما هو متفرق من جميع الأقاليم من أنواع التجارة والصناعات".⁴

عمل العباسيون على بناء اقتصاد قوي وموحد للموانئ المطلة على منطقة الخليج العربي، والسعى من أجل عمل وحدة اقتصادية ناشطة وفاعلة لتلك الموانئ؛ والتي بدورها

٤٥٧، ج ٧، ص ١- ابن الأثير

² - المصدر نفسه، ج 11، ص 263.

³ آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، تر: جاسم سكبان، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق، ط1، 2016، ص162.

⁴ - ابن حوقل، المصدر السابق ، ص40.

سوف تدر أرباحاً عظيمة على خزائن الدولة العباسية،¹ فغدت بفضل مجهودات الخلفاء نموذجاً للتجارة الدولية التي كانت إحدى الملامح العظيمة والهامة لذلك العصر، وهذا بفضل تنظيم اتصالها بالخليج العربي عن طريق شبكة هامة من القنوات الملاحية؛ وبذلك ولأول مرة تصبح عاصمة لدولة إسلامية عربية على اتصال مباشر بالخليج العربي عبر نظام مائي يعتمد على نهري دجلة والفرات اللذين يصبان فيه.²

يصف البلاذري ارتباط نهري دجلة والفرات بمختلف أقطار العالم بقوله: "كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأهواز وفارس، وعمان واليمامنة والبحرين وما يتصل بذلك فإليها ترقى وبها ترسى، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن في الدجلة، وما يأتي من مصر والرقة والشام والشعر ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات...."³ ويضيف الطبرى قول أبو جعفر المنصور "...هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر.." ⁴

كان لكل من دجلة والفرات أنهار عديدة تتفرع منها، وأنهار أخرى تصب فيهما فأصبح بالإمكان تنظيم الملاحة فيما يعطي للسفن حرية الانتقال من مكان لآخر، ونجد أن توزيع هذه الأنهار الفرعية كان بشكل يساعد على ربط بغداد بطريق تجارة الخليج

¹ - مريم علي مبارك الكندي ونجيب بن خيرة: المعاملات التجارية وتحديات القرصنة في موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي بين القرنين الثاني والسابع هجري، الثامن عشر ميلادي، مجلة وقائع تاريخية، الع38، 2023، ص128 .

² - لمياء بنت عبد الرحمن عثمان الصالح: أثر نشأة بغداد على نمو النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي حتى نهاية العصر العباسى الاول(145هـ-232هـ / 848م-762م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الع21، شوال 1437هـ، ص211؛ فاروق عمر فوزي: الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط، الشروق، 2000، ص226.

³ - البلاذري، المصدر السابق، ص23-24.

⁴ - الطبرى، المصدر السابق، ج7، ص614.

العربي من الشمال إلى الجنوب، وأبرز هذه القنوات البحرية بين دجلة والفرات نهر عيسى ونهر صرصر، كما أن الملاحة في نهر دجلة بين بغداد والخليج العربي كانت أسهل من بقية أجزاء نظراً لاتساع مساحتها في هذه الأجزاء عنها في الأجزاء الأخرى.¹

تحفل كتب الجغرافيين المسلمين بوصف موانئ الخليج وطرقه البحرية ومدى الازدهار وال عمران الذي وصلت إليه، كما تصف السلع والبضائع المتبادلة والمتأخر فيها فيشير المقدسي أن: ألات الصيادلة والعطر كلها حتى المسك والزعفران والعااج واللؤلؤ والديباج والبيوبيت والحديد والرصاص والخيزران والبلور والقلفل وغير ذلك...².

ويشير ابن حوقل³ إلى الفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وبها من التجار والتجارة مالم يحصى، أما ابن خردذابة⁴ فيشير إلى السلع المنقوله براً وبحراً عن طريق عمان إلى البحر العربي فالبحر الأحمر فال المتوسط: يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والتمور والسيوف.... ويحملون من الصين والمسك والعود والكافور...

نلاحظ مما تقدم التحول الواضح في النشاط التجاري إلى مياه الخليج وما ترتب عليه من ازدهار في الموانئ، فكثر الطلب على السلع القادمة من الشرق والغرب، وقد غدا التجار يبحرون من موانئ العراق أو البحرين أو عمان أو هرمز والسواحل الشرقية إلى الهند والصين وإندونيسيا وأفريقيا الشرقية بنشاط ملحوظ، ولا شك بأن حكام المشرق في الهند والصين وإندونيسيا قد رغبوا في إقامة علاقات متينة مع أكبر دولة عرفها الشرق آنذاك وهي

¹- لمياء بنت عبد الرحمن المرجع السابق، ص 209.

²- المقدسي، المصدر السابق، ص 97.

³- ابن حوقل، المصدر السابق، ج 1، ص 44.

⁴- عمار لبيد ابراهيم: الحياة الاقتصادية (التجارية) في الخليج العربي للفترة من القرن الثالث إلى التاسع هجري، مجلة الجامعة العراقية، الع 45، ج 2، (د.ت)، ص 220.

دولة الإسلام في عهد العباسين، لذلك فإن المصالح المشتركة والمنافع متبادلة أدت إلى ازدهار هذه الصلات.¹

اهتم الخلفاء اهتماماً كبيراً بالموانئ باعتبارها مركزاً للتسويق الزراعي والصناعي للعراق ومن هذه الموانئ:

البصرة التي وصفت بأنها "باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتذلف بضرورب المتابع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا، ومحط رجال الشرق والغرب في مجاهل الصين إلى مفارز الصحراء الكبرى؛ إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل جدب وصوب ..."² وهي "مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها".³

كانت البصرة مرفاً الهند والصين لذلك كانت تسمى "بأرض الهند"⁴ ارتبط ازدهارها بازدهار "ميناء الأبلة"⁵ حيث قيل عنه "ومرفأ البصرة ومركز تجارتها البحري هي الأبلة تقع إلى الشمال من رأس الخليج العربي عند مصب دجلة والفرات بينهما وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلة ونخيل مظلة على اليمين واليسار وقد شيدت الأبلة قبل البصرة"⁶ حيث اكتسب الميناء أهمية لقربها من بغداد وقابلية مينائها استيعاب السفن البحريّة؛ فساعدها

¹-عمر فوزي، الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط، المرجع السابق، ص229.

²-الجاحظ، التبصر بالتجارة، المصدر السابق، ص.3.

³-البلذري، المصدر السابق، ص159.

⁴- ابن العراق لقمان بن محمد (علماء القرن الـ10) : معدن الجواهر بتاريخ البصر والجزائر، ته: محمد حميد الله، معهد البحوث إسلام آباد، 1973، ص01.

⁵- عطية القوصي: تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث هجري، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980، ص10.

⁶- المقدسي، المصدر السابق، ص118.

لتكون نقطة الاتصال البحري بين عدة مناطق مختلفة، حتى وصفت بأنها "مرفأ سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين".¹

ميناء "سيراف" تقع سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي من جهة بلاد فارس؛ وهي بمثابة المركز الدولي للتجارة البحرية وقد ازدهرت وأصبحت من أهم المدن التجارية،² وذلك بعد تحول التجارة العالمية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي بعد بناء بغداد، وما جعله يتميز بمكانة تجارية هامة أنه كان صالحًا لرسو السفن الضخمة التي حملت الأثقال، والتي كان يعاد شحنها في السفن الصغيرة أو المتوسطة الحجم إلى الأبلة والبصرة ثم إلى بغداد، وكذلك كانت السلع المصدرة للشرق عن طريق البحر تشحن في سفن نهرية تسير في دجلة ثم الخليج العربي، ولما تصل إلى سيراف تنقل على سفن كبيرة إلى الهند والصين.³

ازدهرت التجارة البرية هي الأخرى بفضل موقع بغداد حيث تلتقي بها عدة طرق رئيسية تؤدي إلى مختلف أنحاء البلاد من أهمها:

الطريق من بغداد إلى واسط والبصرة،⁴ من البصرة إلى عبادان ثم الحدوة ثم عرجا، تم إلى الزابوقة، ثم إلى المقر، ثم إلى عصي ثم إلى المعرس، ثم إلى خليفة ثم إلى حسان ثم

¹ الدينوري، المصدر السابق، ص 117.

² شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41 هـ 904 / 661 هـ 1498 م)، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص 125.

³ لمياء بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 221. عطية القوصي، المرجع السابق، ص 12.

⁴ ابن رستة أبي علي أحمد بن عمر (ت 300 هـ): الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891، ج 7، ص 184-185.

قرى خليجة، ثم إلى مسيلة، ثم إلى حمص، ثم إلى ساحل هجر، ثم إلى العقير، ثم إلى قطر، ثم إلى سبحة، ثم إلى عمان وهي صحار ودبا.¹

حدثنا ابن حوقل عن الطريق البري الذي يربط البصرة بالبحرين فذكر أنهما طريقان أحدهما يسير في الصحراء وهو قصير وتشح فيه المياه، والآخر أطول منه يسير بمحاذاة الساحل يتتوفر فيه الماء،² الطريق من بغداد إلى خراسان مارا بالري، نيسابور، طوس، هراة إلى كرمان، أو من هراة إلى ساجستان وبعدها إلى خراسان،³ الطريق من بغداد إلى مكة والذي يبلغ طوله 660 ميلاً عن طريق المدينة، وعلى طريق الحجاز 848 ميلاً.⁴

صاحب الازدهار الملاحي والتجاري لحركة السفن والبضائع في الخليج العربي، ازدياد نشاط القرصنة البحرية في مياه الخليج العربي، حيث أخذوا على عاتقهم مهاجمة السفن التجارية المارة فيه، وقطع الطرق على المسافرين ومهاجمة الموانئ المتصلة بالساحل الشرقي للخليج العربي.⁵

اتخذ القرصنة العديد من مدن الساحلية والجزر أوكارا لهم، كانت تأوي سفنهم ومراكمهم في أعقاب هجماتهم أو للاحتماء من الحملات العسكرية الرامية للقضاء على انشطتهم، وقد تمت مراعاة العديد من العوامل في اختيار تلك الأوكار كالتحصينات الطبيعية أو بعدها عن الملاحة البحرية، كان من الصعب تتبعهم واسترجاع البضائع والسلع المسروقة منهم، حيث كانوا يختارون المناطق المضطربة والخارجية عن إدارة البلدان التي مررت بها تلك السفن

¹ - الاصطخري أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ): المسالك والممالك، مطبعة بربيل، مدينة ليدن، 1927، ص 60.

² - ابن حوقل، المصدر السابق، ج 1، ص 41.

³ - ابن رسته المصدر السابق، ج 7، ص 167-168.

⁴ - المصدر نفسه، ج 7، ص 188-189.

⁵ - مريم علي مبارك، المعاملات التجارية وتحديات القرصنة، المرجع السابق، ص 120.

والمركب التجارية، ومن أبرز تلك الأوكار التي وقعت ضمن أراضي الخلافة العباسية "جزيرة عبдан"، إذ عمل القرصنة على مراقبة السفن الخارجة من البصرة أو القادمة إليها ومهاجمتها، ونهب ما فيها قبل وصولها إلى الموانئ العربية أو الفارسية،¹ وقد قال الأسطوري في ذلك "وأما عبдан فإنها حصن صغير عابر على شط البحر ومجمع ماء دجلة وهو رباط كان فيه محارس للقطبية وغيرهم من متلصصة البحر وبها على دوام الأيام مرابطون"²

قادت تلك الخبرة القرصنة أيضاً إلى معرفة الأماكن التي يصلاح التمرير فيها، لممارسة أعمالهم غير المشروع، فتمرر قراصنة في المنطقة الممتدة بين البحرين والبصرة، وعرفوا باسم "متجرمة البحرين"، وقطعوا الطريق على السفن المبحرة واعتدوا على المسافرين والركاب بالضرب ولجأوا إلى التعذيب والقتل في أحيان كثيرة، كما استبعدوا كل من وقع تحت أيديهم من مسافرين، فأشاعوا حالة من الفوضى والذعر في المنطقة،³

قام العباسيون بإنشاء ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي، ليتمكنوا من خلاله من مواصلة أعمالهم التجارية وليوفروا الأمان والأمان للسفن المبحرة في الخليج العربي، فلا تقطع الحركة التجارية ويضمنون تدفق السلع والبضائع القادمة من الهند والصين وجنوب شرق آسيا للبصرة من خلال خط ملاحي جديد بعيد عن تمرير قراصنة البحرين فيؤمنون السفن والمسافرين، ويضمنون عدم تعرضهم لأعمال السلب والنهب.⁴

¹ - سفيان ياسين ابراهيم: القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي (132هـ- 656هـ/ 744م- 1258م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، الع2، المج 2016، 11، ص42.

² - الأسطوري، المصدر السابق، ص33.

³ - عطية القوصي: البحرين وتجارة الدولة العباسية، مركز عيسى الثقافي، مج14، الع27، (د.ت)، ص 51.

⁴ - مريم علي مبارك الكندي، المعاملات التجارية وتحديات القرصنة، المرجع السابق، ص142.

لم يكن قراصنة البحرين وحدهم من مارس القرصنة في المنطقة الواقعة بين البحرين والبصرة، بل شاركهم أعمال السلب والنهب واعتراض السفن قراصنة عرفوا باسم "متلصصة البحر" أو كما أطلق عليهم "القراصنة القطرية"، وهم أهل غدر ومكائد يقطعون المراكب الآتية بين البحرين والبصرة إلى عمان، وهم أخبث عدو يلقى إلى البحر وقد كان هؤلاء القرصنة من النصارى؛ لكن يرتدون الزي العربي وتحذلوا العربية، وكانت جزيرة قطرية مركزهم الرئيسي¹، لذا حرصت السفن التجارية أن تؤمن نفسها فحملت معها جنوداً مدربين على رمي النار؛ حيث كان في كل مركب مقاتلة ونفاطين²، شكل قراصنة الميد أيضاً خطراً على السفن التجارية، حيث أنهم كانوا يعترضون السفن الإسلامية في البحر، وكان يكثر نشاطهم في مجال القرصنة خلال الصيف، كانوا يبلغون في بعض المرات مصب نهر دجلة.³

أدت الاضطرابات التي دقت نوافيسها في الأراضي الإسلامية وما خلفته من ثورات وفتن ودمار وسلب ونهب بضلاله على الحركة التجارية بحكم ارتباط الموانئ مع بعضها باعتبارها مرسل ومستقبل⁴، حيث أدت ثورة الزنج إلى تدهور الملاحة في الخليج وتوقف نشاط تجارة الهند والملاحة العالمية؛ بسبب الفوضى التي أثارتها والخراب الذي عمّت به جنوب العراق بسبب ما تعرضت له سفن التجار من تجرم الزنج في البحر.⁵

¹ - الحميري، المصدر السابق، ص.465.

² - المقدسي، المصدر السابق، ص.12.

³ الميد: هم قراصنة البحر موطنهم الأصلي بلاد السند. عماد علو: القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، 2017، ص 262.

⁴ -نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب العربي، دار الكتاب المصري، مصر، 1987، ص.227.

⁵ - الفوضى، المرجع السابق، ص.27.

يذكر ابن الأثير أن الزنج استولوا على 1900 سفينة في ميناء البصرة سنة 255هـ/1868م، وكان في داخلها جماعة من التجار والحجاج، بالإضافة ل تعرضهم لسفن أخرى ونهب ما فيها من خيرات، وظلت هذه الجماعة تشكل خطاً على التجارة والملاحة حتى ¹القضاء عليها.

كان ظهور صاحب الزنج في البصرة، وتمكنه في ظرف عامين من الاستيلاء على الميناء الكبير في أيام الخليفة المهدى (256-255هـ/869-870م) ، وجميع الداللـا ثم واسط والبحرين، ثم غزا فارس، وقد بلغ ضحاياها نصف مليون على ما يقال، وأوقفت بالطبع التجارة في الخليج العربي وأرصفـة وطرقـات الموانـئ الكـبـيرـة كالـبـصـرة، وبـالـتـالـي تـأـثـرـ مـرـكـزـ بغداد التجارـي،² كما مـارـسـوا أـعـمـالـ القرـصـنةـ النـهـرـيـةـ فـاستـولـىـ عـلـىـ أـرـبـعـةـ وـعـشـرـينـ مـرـكـبـاـ منـ مـرـاـكـبـ الـبـحـرـ فـيـ نـهـرـ أـبـيـ الـخـصـيبـ كـانـتـ فـيـهـ مـحـمـلـةـ بـأـمـوـالـ كـثـيرـةـ وـقـتـلـ أـصـحـابـهاـ³.

نجح القرامطة في اقطاع بلاد البحرين عن الخلافة العباسية، مما أدى لاضطراب العلاقات التجارية بين البحرين والدولة العباسية، فأصبحت التجارة بأيدي البحرين حيث أنشأوا لهم مراصد بجزيرة أول يجرون بها المكوس على السفن المارة بهم سواء كانت قادمة من البصرة أو متوجهة لها، وقد أشار ابن حوقل إلى فداحة هذه الضريبة بقوله: "بها (أول) الضريبة العظيمة المجتازة بهم (القرامطة).... وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين مراصد وضروب مرسومة من الكلف إلى ما يصل من بادية البصرة والكوفة وبلغها نحو

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 206-207.

² راشد البراوي، المرجع السابق، ص 116.

³ ابن الأثير، ج 6، ص 225.

⁴-ابن حوقل، المصدر السابق، ج 1، ص 25.

ومن الآثار التي خلفتها ثورة الزنج والقراطمة على الحركة التجارية بالخليج العربي، أن سفن الهند والصين تركت الرسو على موانئ الخليج العربي وعادت للرسو في ميناء عدن، ومنه قام اليمنيون بنقل سلع الشرق إلى كل من جدة وساحل البحر الشرقي وعيذاب، فشهد هذا الميناء تطوراً كبيراً بسبب الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية.¹

قام الرط بسرقة السفن والمراتب التجارية وخاصة في عهد المأمون، حيث سيطروا على منطقة الخط في البحرين، وقاموا بسرقة السفن المتجهة إلى البصرة فبعث الخليفة المأمون أحد أتباعه لمحاربتهم والقضاء عليهم سنة 205هـ-206هـ²، كما وجه المعتصم (-218-227هـ) سنة 834هـ/219هـ بقيادة عجيف بن عنابة لمحاربة الرط بعدما أكثروا الفساد في البصرة ثم قمعهم.³

كما استغلت بعض فئات المجتمع (الشطار، العيارين، الزعار...). الاضطرابات السياسية وحالة التفكك في البيت العباسي فنشطت حركاتهم وتنظيماتهم، وبلغوا من الكثرة أن قال عنهم المقدسي "إذا تحركوا ببغداد هلكوا، والفساد كثر"،⁴ في عهد الواقع (-227هـ-232هـ/842-847م) عاثوا فساداً في البلاد سنة 230هـ، ويقول الطبرى "يتطاولون على الناس بالشر حول المدينة المنورة فكانوا إذا دخلوا سوقاً من أسواق بلاد الحجاز جعلوا الأسواق وفق أهوائهم"، كما استباحوا جميع القرى التي على الطريق بين مكة والمدينة وما

¹-صفاء حسن أحمد عوض الله: دور التجارة في إثراء الحركة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني المقومات والاسهامات(232هـ-656هـ/1258-847م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان، السودان، 2012، ص 127.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 455.

³- مسکویه، المصدر السابق، ج 4، ص 5.

⁴- المقدسي، المصدر السابق، ص 130.

يليها من القبائل، حتى أنه لم يعد أحد يستطيع أن يسلك ذلك الطريق، وعندما علم الخليفة بذلك احتبس عنده من وصف بالشر والفساد وهم زهاء ألف رجل.¹

لم يكن كل اللصوص من العرب البدو بل حتى الأكراد و أعرق أخرى يقومون باللصوصية، وقد يتحصن بعضهم بالجبال وقد يسوغ بعضهم هجماته على القوافل التي من واجباتها حفظ الطرق وحماية المسافرين والتجار وتجارتهم، ويهاجمون على القوافل بغرض نهبها وإذلال السلطات التي يختلفون معها سياسيا وفي سلوكهم الاجتماعي وببيتهم وربما يختلفون معها عقائديا².

كما اعترض طريق التجار قوم عرروا بـ "القص" وهم يقطنون جبال كرمان وأخلاقهم وحشة ووجوههم قاسية ويقتلون ويظفرون بالحجارة، وعندما سالوا عن ذلك قالوا: حتى لا تفسد سيفونا، وكانت مكامنهم في الجبال يتمتعون بها، ويبدوا أن القوافل لما تكون بحراسة جديدة يهابونها ولا يهاجمونها، وصف المقدسي كيف أنهم يصبرون على الجوع والعطش ويكتفون بغذيتهم بما يأكلونه من الجوز والمأكولات البسيطة يقاتلون به ويستغون النهب بالقول إنما هم يأخذون أموالا غير مزكاة وإنما يأخذونه حق لهم.³

شهدت البصرة انتكاسة وضعفا من الناحية التجارية خلال فترة التسلط الأجنبي البوبي على العراق، وانشغال الأمراء في النزاعات السياسية المحلية واهتمامهم للشؤون الاقتصادية

¹- الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 150؛ الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 129.

²- عامر عجاج حميد: القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، الع 6، مج 2019، 9، ص 371.

³- المقدسي، المصدر السابق، ج 1، ص 177.

والتجارية وصيانة طرق الملاحة البحرية من أية أخطار،¹ كما اض محل دور سيراف وتعثرت التجارة به بسبب الزلزال الذي ضربه سنة 366هـ / 679م، ولم يكن الزلزال وحده هو العامل الرئيسي لهجرة السيرافيين وتركهم ميناء المدينة ليقى مصيره الاندثار، إنما تضافرت عوامل قبل الزلزال ساهمت في تلك الهجرة، منها الانقسامات والصراعات الداخلية في بلاد فارس، في فترة حكم البويهيين.²

خسرت المنطقة بذلك كل فعالياتها التجارية التي شمل تأثيرها معظم المدن والأقاليم الإسلامية والعالم أجمع، فقد أسهمت تجارة سيراف في زيادة التبادل بين مدن بلاد فارس وغيرها من المدن الإسلامية، وذلك لأن ميناء سيراف سهل وسرع عملية نقل المنتجات المحلية وتبادلها، مما أدى لتتنوع اقتصادها.³

فالأوضاع السياسية الغير مستقرة كانت لها انعكاساتها السلبية على التجارة والتجار أنفسهم، إذ أنهم فضلوا في كثير من الأحيان ترك الموانئ المتأثرة بالاضطرابات والتوجه إلى الموانئ أكثر أمناً يمارسون فيها أعمالهم بأمان أكثر،⁴ وهنا كانت القوة التي أعادت إلى

¹-ميرم علي الكندي ونجيب بن خيرة: ملامح الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس في الخليج العربي 366هـ - 977م / 1330م، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 17، العدد 2، 2020، ص 301.

²-سيف المقابل: التواصل السياسي والحضاري بين عمان وببلاد فارس من ظهور الإسلام حتى القرن 7هـ / 13م، دار الرافدين، 2024، ص 30.

³-هيلة بنت محمد بن علي القصير: النشاط التجاري وأبعاده الاقتصادية في ميناء سيراف خلال العصر العباسي 132هـ - 746م / 232هـ - 846م، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم، العدد 3، 2014، ص 1230.

⁴-المسعودي، المصدر السابق، ج 1، ص 109.

طريق مصر والبحر الأحمر نشاطه السابق، وأهميته القديمة وهذه الأحداث اتجهت إلى استقلال حكام مصر الفعلي بها.¹

تتجلى أهمية الأمن في انساب قوافل الحجيج والتجارة أثناء موسم الحج السنوي، والتي تأتي من كل فج عميق حاملة خيرات كل بلد وفقاً لطبيعة إنتاجه وخصائص سكانه، فتتبادل المنافع وتجعل ضمن موسم العبادة موسم التبادل التجاري؛ يعبر عن ارتباط روحي وارتباط اقتصادي بين كافة المسلمين.²

يجلب الحجاج في موسم الحج معهم صنوف البضائع والصناعات ومختلف أصناف الأطعمة، فيجدون لسلعهم رواجاً في الحرمين الشريفين، حتى أنها نجد عدداً ليس بالقليل من الحجاج تكون نفقة حجهم من التجارة التي يحملونها إلى الموسم، لم تقتصر المراكز التجارية على الأسواق التي أقيمت في البقاع المقدسة، إنما نشطت الحركة التجارية أيضاً في طريق الحج، حيث أقيمت أسواق وتحولت المنازل إلى أسواق تجارية يبيع أهلها منتجاتهم لتقى بحاجات القوافل، وانتعشت بوصول الحجيج وعاش أهلها في سعة من الرزق وبحبوحة من العيش، فنشأت لذلك مدن وقرى شيدت بها المساجد والخانات.³

كانت القوافل في موسم الحج ذات شأن عظيم، حيث تتكون القافلة من نحو عشرين ألف جمل، وكان بها من الأموال ما يقدر بملايين الدينارات، لذلك سعت بعض الحكومات على تشجيع إقامة إمارات بدوية مستقرة أو شبه مستقرة مثل بني مزيد في الحلة، وبني خفاجة في جنوب العراق وبني عقيل في شمال العراق، ومنحت اقطاعات من الأراضي

¹ راشد البراوي، المرجع السابق، ص 117.

² سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص 145.

³ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الناشر تهامة، جدة، ط 1، 1981، ص 12، نواف عبد العزيز الجحمة: درب زبيدة من واقع رحلة ابن جبير، مجلة بحوث الشرق الأوسط، الع 63، السنة 47، 2021، ص 42.

الخارجية لاستخدام عائداتها في الإنفاق على حماية الطرق البرية التي تمر بإمارتها، كما كانت الدولة تعين أمير للحج بصفة دائمة يعمل طوال العام على تأمين الطرق إلى مكة والمدينة من جميع الجهات وتخصص له الأموال الالزمه، ليقوم بإصلاح المرافق العامة على الطرق ويقود القوات العسكرية التي توقع بالأعراب قاطعي الطرق وتشتت شملهم.¹

أدى عدم الاستقرار لفقدان الأمن وكثرة الجرائم، فتعطل الحج أكثر من مرة نتيجة لما حل بقوافل الحج من قتل ونهب،² حيث نشط القرامطة والقبائل العربية على طول طريق الحج الكوفي البري إلى مكة، الذي قلل الاهتمام به في ظل ضعف الخلافة العباسية وهيمنة العناصر الأجنبية، فقطعوا الطريق وسلبوا ونهبوا وقتلوا الحجاج كما فرضوا عليهم الإتاوات والضرائب، التي كانت تجبي منهم نظير حمايتهم والسماح لهم بالجواز إلى مكة لأداء مناسك الحج، فلم يكن يأمن أحد من يقصد أداء الفريضة على نفسه أو ماله،³ وقد ذكر المقدسي أنه "لا يمكن أن يعبر أحد هذا الطريق إلا بخفير أو قوة ترى الحاج مع قوتهم يهتكون وتهذذب أباعرهم وخزاناتهم".⁴

كان من أسباب اعتداءات الأعراب على قوافل الحج أن الخليفة المعتصم (218هـ- 841م) استكثر من الجند الترك على حساب العرب، وأصبح الترك هم صفة جنده، وأسقطت الأعطيات التي كانت تصرف للعرب من بين مال المسلمين نظير مشاركاتهم في الأعمال العسكرية وال Herb، وقد بذلك العرب كثير من امتيازاتهم المالية والاجتماعية والعسكرية، فلجاً كثير منهم إلى الصحراء وأطراف الحدود وقاموا بأعمال

¹ - سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص155؛ عماد علو، المرجع السابق، ص88.

² - بوشعيب الساوي: الرحلة والنسق دراسة في انتاج النص الريحي، الرحاب للنشر، 2016، ص21.

³ - هنية بنهوس نصر عبد ربه: خفارة الحج خلال طريق الحج الكوفي إلى مكة المكرمة، مجلة الدراسات الأدبية والانسانية، الع26، 2022، ص244.

⁴ - المقدسي، المصدر السابق، ص252.

الاعتداء وقطع الطرق، والسلب والنهب لتحقيق مكاسب مالية وتعويض ما حرموا منه من العطاء.¹

اعتدى القرامطة في خلافة المكتفي بالله (295-902هـ/289-908م) على طريق الحج سنة 294هـ/901م، كما عملوا على طمر الآبار وإخفاء معالمها، ولما علم الخليفة بذلك أعد لهم جيشاً لمقاتلتهم، واستطاع الجيش أن يلقي بالقرامطة ونشب بينهم القتال حيث قتل قادتهم،² وفي سنة 302هـ/915م خرج الأعراب فقطعوا الطريق على الحجاج وأخذوا ما معهم من الأموال والأمتعة والجمال وسيروا مائتين وخمسين امرأة.³

خرج أبو طاهر ابن الهبير في مطلع سنة 312هـ/925م واعتراض الحجاج عند عودته من مكة، واستطاع الایقاع بمقدمة قافلة الحجيج وأن ينهب ما فيها من أموال وأمتعة، أما بقية الحجاج فقد عادوا إلى فيد وأقاموا فيها حتى فنى زادهم وارتحلوا مسرعين إلا أن أبو طاهر اعترضهم وقتل معظمهم، وترك من بقي منهم حياً في موضعه ليموت من الجوع والعطش والشمس.⁴

اعتراض القرامطة سنة 313هـ/926م طريق الحج مما أدى لرجوع الحجاج إلى بغداد ولم يذهبوا للحج،⁵ وفي سنة 327هـ/939م بدأ القرامطة بأخذ عشرين دينار ضريبة على كل حاج فمن دفعها أمن خطر القرامطة، وفي عقدت اتفاقية بين الخلافة العباسية والقرامطة

¹ هنية بهنوس، المرجع السابق، ص 252.

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 432.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 486-487.

⁴ ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي وسهيلة مزيان حسن: الحج في العراق عبر التاريخ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، الع 70، 2019، ص 26.

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 25.

سنة 329هـ/941م يدفع بموجبها أكثر من عشرين ألف دينار¹، تعرض بنو هلال للحجاج سنة 361هـ/972م حيث اضطر الحجاج للعودة للعراق²، ويقال أن الخليفة الفاطمي المعز الدين الله حرض هذه القبيلة على الاعتداء على الحجاج بسبب عدائه مع العباسيين³.

كان الخليفة المقدّر بالله (295هـ- 320هـ/907م- 932م) يصرف كل سنة في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة ألف دينار نيفا وخمسة عشر ألف دينار لتسهيل الحجيج وحفظ الطريق، ورغم ذلك لم يسلم ركب الحج من هجمات الأعراب من البدو على قوافل الحجيج.⁴

يتضح أن مهمة والي الطريق والحامية العسكرية التي كانت ترافق ركب الحج لم تجد نفعا أمام تزايد الاعتداءات وقطع الطريق والقتل والسلب الذي تعرضت له، إلا أن الخلافة لم تقف مكتوفة الأيدي أمام ما يحدث بل كانت ترسل في أثرهم جيوشاً لتأديبهم وتوجيه الضربات لقمع شرورهم، لكنهم ما لبثوا أن يجمعوا شتابهم ويعودون لممارسة اعتداءاتهم على الحجيج بطريقة أسوأ من ذي قبل، فكان نتائج لذلك انقطاع ركب الحج من جهة العراق والمشرق لعدة سنوات.⁵

تجدر الإشارة أن الحجاج لم يعانون من اعتداءات القبائل فقط بل عانوا من شح الماء، ففي سنة 295هـ/908م أصاب حجاج الركب العراقي عطش شديد حتى أنهم لم يجدوا الماء

¹- سليمان عبد الغني مالكي: طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد، مجلة الدارة، الع 2، السنة 7، (د.ت) ، ص21.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص332.

³- سليمان عبد الغني مالكي، المرجع السابق، ص21.

⁴- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11، ص56.

⁵- هنية بهموم، المرجع السابق، ص257؛ جواد كاظم نصر الله وانتصار عدنان العواد، معوقات الحج إلى بيت الله الحرام في العصور الإسلامية، مجلة كلية التربية، الع 28، (د.ت)، ص296.

بسبب الجفاف فمات منهم عدد كبير،¹ و هلك حاج الركب العراقي سنة 357هـ/968م بسبب قلة الماء في طريق الحج ولم يدركوا الحج في هذه السنة.²

¹ - الطبرى، المصدر السابق، ج 10، ص 139.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 305.

الفصل الثالث:

رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها
الاقتصادية.

شكلت الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها تحدياً واجهه الدولة العباسية؛ وذلك لما خلفته من خسائر اضرت بواقعها الاقتصادي وعناصرها البشرية.

الكارثة من الفعل كرث،¹ كرثه الأمر إذ بلغ منه المشقة،² والكارثة: هي النازلة العظيمة والشدة، جمعها كوارث يقال كرثه الكوارث ألقفته، أو كرثه الأمر بمعنى اشتد عليه.³

أما المعنى الاصطلاحي فهو واسع ومتعدد، حيث لا يوجد في كتب التراث الإسلامي اصطلاح "الكارثة"، إنما توجد مصطلحات مرادفة للكلمة ، حيث وردت في المصادر بمعنى "محنة" "شدة" ، فالكارثة هي مصطلح حديث اختلفت تعريفاته وصياغته نظراً لتنوع المعايير المتبعة في التعريف واختلاف الزوايا التي ينظر من خلالها للكارثة باختلاف العلوم وتنوع المعرف.

عرفت بأنها "حدث سريع وفجائي للبيئة الطبيعية وله تأثيرات على النظم الاقتصادية والاجتماعية الخاضعة لتلك الكارثة وذلك في إطار زمني ومكانى يهدى المجتمع أو منطقة ما، مع ظهور نتائج غير مرغوبة".⁴ كما أنها "عبارة عن صدمة تكون سريعة أو ممتدة الأثر توقعها البيئة الطبيعية بالأنظمة والمقومات الاجتماعية والاقتصادية المستقرة".⁵

¹ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص 1328. الرازى، مختار الصحاح، ص 236.

² - أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحرير عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج 5، ص 175.

³ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص 782.

⁴ - محمد صبى محسوب و محمد ابراهيم ارباب: الأخطار والكوارث الطبيعية (الحدث والمواجهة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988، ص 37.

⁵ - عويس حمادة سعد : الحجاز والكوارث الطبيعية في زمن الاشراف العلوين (358هـ - 923هـ - 1517م)، العربي للنشر والتوزيع، مصر ، 2024، ص 48.

لا يحدث يعد كارثة مالم ينطوي عن خسائر جسيمة سواء كانت هذه الخسائر مادية أو بشرية أم كليهما، وهذا يشير ولا شك إلى ذلك التلاقي والتتاغم بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للكارثة بما تمثله هذه الأخير من معنى النازلة العظيمة،¹ اقترب حدوتها" بالمشيئة الإلهية التي تتحكم فيها وليس للإنسان دخل في أسباب وقوعها ولكن قد يتسبب في زيادة حجم الخسائر المترتبة على وقوعها بالإهمال وعدم اتخاذ الاحتياطات الملائمة لتفادي تلك الآثار الضارة أو التخفيف من أضرارها".²

تنقسم الكوارث إلى ثلاثة أنواع وهي: كوارث مناخية (السيول والفيضانات، الجفاف، الرياح والعواصف، الثلوج والبرد...)، كوارث جيولوجية وكونية (زلزال، المد والجزر، سقوط الشهب و الصواعق، الحرائق...)، الآفات الزراعية والوبائية (القوارض، الجراد، الطاعون...).

1- الكوارث المناخية.

أ- المناخ في أقاليم الخلافة العباسية:

انقسم مناخ العراق إلى أربعة أقسام في السنة حيث " لا يخرج ساكنوه من شتاء إلى صيف حتى يمر بهم الربيع، ولا من صيف إلى شتاء حتى يمر بهم الخريف" ،³ امتاز صيفه بارتفاع درجة الحرارة ارتفاعا شديدا؛⁴ ما جعل خاصة ميسوري الحال يتذذون خلال العصر

¹- محمد عبد الصاحب الكعبي: المسؤولية المدنية عن أضرار الكوارث الطبيعية (دراسة مقارنة)، دار التعليم الجامعي، العراق، 2020، ص27.

²- محمد حمزة محمد صلاح: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491 - 923هـ / 1097 - 1517م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والأثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة ، 2009، ص.5.

³- المسعودي، التنبية والإشراف، المصدر السابق، ص31. شاكر خصبال: العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مطبعة شفيق، بغداد، 1973، ص73-76

⁴- ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف ارتفاعا شديدا والذي يمتد من نهاية شهر آيار (ماي) إلى أواخر أيلول (سبتمبر)، ويعد تموز (جويلية) وأب (أوت) من أشد شهور الصيف حرارة، حيث يرافق

العباسي وسائل للتهوية والتبريد كالسراذيب¹ وبناء القباب من القصب الرطب الأخضر وإنشاء بادهنجانات² في منازلهم،³ كما كانت قصور الخلفاء والأمراء وأعيان الناس لا تخلو من خزائن يخزن فيها الثلج، ونظراً لأهميته كان سعره يزداد خاصة أيام القيظ في بغداد والبصرة، حيث كان الثلاجون ينتهزون فرصة سقوط البرد في جمعونه في مثالب تحت الأرض معدة لذلك فإذا ما أقبل الصيف باعوه بثمن عالٍ،⁴ أما فصل الشتاء فهو بارد نسبياً.⁵

وصف البغدادي مناخ العراق بأنه من "الإقليم الاعتدالي"⁶ ولعله في هذا الوصف يشير إلى الفصول الانتقالية (الخريف والربيع)، والتي تتميز بأجواء مريحة جداً للسكن أما فصلي الشتاء والصيف فلا ينطبق عليهما أبداً هذا الوصف المناخي.⁷

يعتبر الموقع الجغرافي والتضاريس في مقدمة المقومات الجغرافية التي تضع الخصائص والمعايير التي يتمتع بها المناخ، فالعراق يقع ضمن نطاق الإقليم الجغرافي

الارتفاع الشديد لدرجات الحرارة تسجيلاً عالياً لنسبة الرطوبة؛ فلاح جمال معروف وآخرون: جغرافية العراق الطبيعية والسكانية والاقتصادية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 87.

¹- مفردتها سرداد بالكسر وتعني بناء تحت الأرض للصيف؛ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817)، القاموس المحيط، من أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 762.

²- بادهنج: مغرب بادكيرمولد وأجاد بعضهم في تسميته راروق النسيم، وهو المنفذ الذي يجيء منه الرياح، الخفاجي شهاب الدين أحمد المصري (977-1069هـ): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تص محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ط 1، 1952، ص 70-7.

³- حميدة صالح دلي: أجهزة التبريد في العصر العدسي (الدهنج أنمودجا)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، كلية التربية، 2017، ص 223.

⁴- المرجع نفسه ، ص 226.

⁵- أحمد سوسة: تطور الري في العراق، منشورات مجلة المعلم الجديد، (د.ت)، ص 12.

⁶- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 461.

⁷- سالار الديبي علي خضر: مناخ العراق من كتب الجغرافيين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، الع 1، 2018، ص 237.

الرابع،¹ الذي يتميز باستواء أرضه،² أكد المقدسي ذلك بقوله "فما جعل مناخ الكوفة يختلف عن مناخ واسط وبغداد هو موقعها القريب من الهضبة الصحراوية الغربية ما يجعل المؤثرات المناخية للهضبة تنتقل إليها، فصيفا لا ترتفع درجات الحرارة في الكوفة بشكل كبير بسبب انتقال الهواء المعتمد إليها من الهضبة العالية فكلما زاد ارتفاع سطح الأرض انخفضت الحرارة عكس المدن الواقعة في السهل الرسوبي التي بسبب انخفاض سطحها فإن درجات حرارتها تميل إلى الارتفاع.³

أضاف ابن حوقل مدى تأثير المناخ بالمسطحات المائية، ومثال ذلك قوله بأن واسط أصح هواء من البصرة وليس بها⁴ بطائح،⁵ تلك البطائح التي تساهم في ارتفاع درجة الرطوبة في الهواء عند ارتفاع درجات الحرارة خاصة خلال فصل الصيف.

¹-اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت284هـ): البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحضيرية، النجف، 1918، ص3.

²-أغلب أراضي العراق عبارة عن سهل رسوبي تكون من التربات التي يحملها نهرا دجلة والفرات؛ أي أن معظم مناطقه تمترز بقربها للسهل لا للارتفاع ولا للجبل، حيث يتركز في جزءه الشمالي الشرقي سلسلة من التلال قليلة الارتفاع إضافة إلى مناطق متموجة شملت حوالي 20% من مساحته الكلية فاطلقت عليها صفة التموج نظرا لقلة التباين في الارتفاع بين أجزائها المختلفة فهي تضم جبال ذات ارتفاعات قليلة وتلال وهضاب. وفي غربه توجد الهضبة الصحراوية حيث ينحدر سطحها من الغرب والجنوب الغربي نحو الشرق والشمال الشرقي؛ فلاح جمال معروف وأخرون، المرجع السابق، ص90.

³- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط3، ص136؛ الذبيبي سالار علي خضر، المرجع السابق، ص236.

⁴- ابن حوقل أبي القاسم محمد بن علي النصبي (ت367هـ): صورة الأرض ، مطبعة بربل، مدينة ليدن، 1928، ص163.

⁵- **البطحية**: هي ذلك المنخفض الذي ينغمي بالماء بشكل منتظم، أطلق المؤرخون خلال العصر العباسي هذا المصطلح على المستنقعات الواقعة في القسم الأسفل من الفرات بين الكوفة وواسط شمالي، والبصرة جنوبا. وقد ورد على البطحية أنها الأهوار في جنوب العراق؛ عبد الكريم عز الدين ومنال محمد

قدمت المصادر أوصافا مختصرة ودقيقة لكل إقليم حيث أنها قارنت درجات الحرارة والرطوبة وتساقط الأمطار وهبوب الرياح بين مختلف الأقاليم، ما أعطنا صورة متكاملة عن مميزات مناخ المنطقة خلال العصر الوسيط والذي أكدت الدراسات الحديثة أنه لم يختلف كثيراً عما كان عليه إلى غاية وقتنا الحاضر.

تميز مناخ المنطقة بالاختلاف والتباين بين أقاليمه ما جعل المقدسي يصفه بأنه "عجيب الهواء" معبراً عن ذلك بقوله "بغداد وواسط وما دخل في هذا الصقع بلد رقيق الهواء، سريع الانقلاب وربما توهج في الصيف وأذى، ثم انقلب سريعاً، والكوفة بخلافه ويكون بالبصرة حرًّا عظيم غير أن الشمال ربما هبت فطاب والبطائح نعوذ بالله منها، ومن شاهدها في الصيف رأى العجب إنما ينامون في الكلل وثم بق له حمَّةُ كالإبر إنما هي نحره، أما الموصل فذات هواء صحيح وطيب الهواء".¹

يلاحظ من هذا الوصف المناخي تشابه مناخ مدينة بغداد وواسط وهذه المقارنة صحيحة لأن المدينتين تقعان في السهل الرسوبي وبالتالي فإنهما تتعرضان لنفس المؤثرات المناخية، وعبارة "من حيث رقة الهواء" في المدينتين يقصد به فصل الصيف حيث أن ارتفاع درجات الحرارة صيفاً يرافقه انخفاض في الضغط الجوي مما يجعل الهواء خفيف رقيقاً،² ووصفه للهواء في المدينتين بأنه سريع الانقلاب قد يقصد فصل الشتاء والفصل الانتقالية وما يصاحب ذلك من تغيرات جوية سريعة من أمطار وتغير في اتجاهات وسرعة

مطر: دراسة عن جغرافية وسكان منطقة البطيحة جنوب العراق، مجلة التراث العربي، الع2، 2015، ص60.

¹المقدسي، المصدر السابق، ص136.

²سالار علي: المرجع السابق، ص253.

الرياح، أودى يقصد الفرق بين درجة الحرارة بين النهار والليل، فمعظم المدن العراقية تتميز بفرق كبير في درجات الحرارة العظمى والصغرى.¹

سادت مواسم العراق عدة أنواع للرياح أجملها المسعودي في حديثه عن توزيع الرياح السائدة في مختلف البلدان والتي تمثلت في "... الرياح أربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحرارة رطبة وهي التي تهب من القبلة والدبور باردة رطبة وهي التي تهب من المغرب والصبا حارة يابسة وهي التي تهب من المشرق....²

رغم ما يتميز به مناخ العراق من اختلاف وتباعد بين أقسامه إلا أن ذلك لم يعوق تطوره في مختلف مناحي الحياة، ووقوع الاضطرابات المناخية كان أمراً وارداً إذ تعرضت المنطقة للعديد من الكوارث المناخية التي أحدثت آثاراً مدمرة في جميع الأصعدة.

1. الفيضانات والسيول:

الفيضان: من الفعل فاض، إذ يقال: فاض الماء أي كثر حتى زاد عن الحد، فهو فاض، ويقال فاض الماء فيوضا وفيضا وفيضانا، وله معان١ متعددة مثل: فاض الإناء أي امتلاء حتى طفح أفاض النهر حتى سال،³ ويشتق من هذا الفعل بعض الكلمات مثل الفيض بمعنى الكثير والغزير، والفيضان؛ فهي الكلمة المعتبرة الحقيقية عن زيادة النهر بمعنى طغيان النهر واندفاعه حين ترتفع الأمطار والأنهار.⁴

¹-رونالد خالد : الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي 132هـ-334هـ / 749م-946م، رسالة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2018، ص26.

²- المسعودي، التبيه والاشراف، المصدر السابق، ص16.

³- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005، ص708.

⁴-الغفروز آبادي ، المصدر السابق، ص1277.

تعرف الفيضانات بأنها تجاوز لكميات المياه الواردة إلى النهر لقدرته وروافده على الاستيعاب،¹ فهي ظاهرة ناتجة عن غزارة الأمطار في منطقة من الأرض حيث تلعب عوامل المناخ والتضاريس دوراً في وقوع هذا الصنف من الكوارث، إذ يعتبر هبوب الرياح خلال موسم الفيضان عامل مهم في الزيادة من قوة تدفق مياه الفيضان، وذلك لأن الأمواج التي تسببها الرياح عندما تكون الأنهر ممتلئة تحدث أخطاراً عظيمة في السدادة الترابية الكائنة على الضفاف، وكثيراً ما تحدث كسرات في هذه السدادة نتيجة لهبوب الرياح العالية.²

تساهم الثلوج التي تتساقط على المرتفعات والقمم سواء في العراق أو خارجه في إحداث الفيضانات، حيث أنها تعتبر كمورد مائي في المنطقة، من خلال تغذيتها لحوض النهرين وروافدهما، قد تزيد كمية المياه التي تتحدر إلى وادي الرافدين وتسبب فيضانات فجائية ومدمرة في بعض الحالات.³

تعددت أنواع الفيضان لكن أخطرها، الفيضان العشري، أي الذي يأتي كل عشر سنوات، فضلاً عن المئوي الصفائحي وهو الذي ينتشر بشكل دقيق ويبعد عن الدخول في المجاري المائية الصغيرة، وعادة لا يستغرق ساعات معدودة أو يمتد إلى يوم أو يومين على أكثر تقدير، على الرغم من أن الفيضان سببه زيادة الأنهر، فإن السبب غير المباشر هو زيادة الأمطار في منطقة منابع النهر خاصة في الأماكن الجافة والمدارية والتي من ضمنها منابع نهر دجلة والفرات، إذ تتعرض إلى أمطار انقلابية مصحوبة بعواصف، وتتساقط

¹ فادي حسين عقيلان: إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية والغير طبيعية، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص132.

² أحمد سوسة، تطور الري في العراق، المرجع السابق، ص126.

³ أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب البغدادية، 1963، ج1، ص117.

الأمطار بشكل عنيف خلال فترة زمنية محدودة، وهو ما يؤدي إلى ارتفاع منسوب للمجرى النهري إلى فوق مستوى مياه النهر الأصلية وهنا يأتي الفيضان.¹

ينتتج عن سقوط الأمطار الكثيف والمفاجئ نوع من الفيضانات الخاطفة والمدمرة والتي تعرف بالسيول، قد تبلغ سرعة عالية من التدفق تاركة وراءها آثار الخراب والتدمير للطرق والجسور والسيول؛ حيث تحدث السيول كظاهرة عندما يزيد الهطول المطري عن قدرة التربة على استيعاب الارتشاح رأسياً إلى الأسفل، مما يؤدي لتحرك المياه على شكل جريان سطحي يتجه إلى ما يقابلها من المناطق المنخفضة والأكثر انخفاضاً، والتي تقل مساحتها عن مساحة مجمع الأمطار، مما يجعل سرعة المياه كبيرة وقدرتها التدميرية هائلة حيث تكتسح في طريقها كل ما يعترضها من البشر والبهائم والأخضر واليابس والمنشآت وتسبب خسائر في الأرواح والممتلكات والبنية الأساسية والتحتية.²

أقر المقدسي في سياق حديثه عن ماء العراق أن أكثر مياههم ماء دجلة والفرات والرَّازب والنهروان بقوله "ومنها سقي مزارعهم"³؛ فقد اعتبرت هاته الأنهار مصدر الرخاء للعراق خاصة نهري دجلة والفرات، حيث أنها عبر عن ذلك بقوله "فبلاد العراق ليس ببلاد رخاء ولكن جل عمر بهاذين النهرين وما يحمل فيهما"⁴، إن ما يميز هاذين النهرين وغيرهما أنها تتفرع عنها العديد من الفروع والجداول والترع، حيث تلتقي هذه الأنهار وتصب بعضها في بعض لتكمل المسيرة النهرية التي تجوب بلاد العراق شرقاً وغرباً، كثيراً ما تأثرت الدولة العباسية من خطر الفيضانات الأنهار والسيول، إذ وصفت لنا المصادر التاريخية أحداثها وأثارها كما هو مبين أدناه:

¹ محمد صبري محسوب و محمد ابراهيم أرباب، المرجع السابق، ص 103.

² محمد صبري محسوب و محمد ابراهيم أرباب، المرجع السابق، ص 94.

³ المقدسي، المصدر السابق، ص 125.

⁴ المصدر نفسه، ص 124.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

ال المصدر	الآثار الاقتصادية	نوع الكارثة	السنة الميلادية / الهجرية / السنة	الترتيب
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 455.	زادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت المنازل ببغداد وكثير الضرر بها، فغلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما إلى الخمسين بالقفيز الملجم، وأدى المد لغرق السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس	فيضان دجلة	/ 205 هـ / 820 م	1.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 194؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 467.	جاء مد كثیر فغرق أرض السواد وأهلك الناس للناس شيئاً كثیر، فذهبت غلات كثیرة وامتلأ الآبار وفسد الزرع.	فيضان دجلة والفرات	/ 206 هـ / 821 م	2.
الأصفهاني أبي حامد محمد بن محمد (ت 597 هـ)؛ البستان الجامع لجميع تواریخ أهل الزمان، تھ: عمر عبد السلام التدميري، المکتبة العصرية	زاد الماء زيادة عظيمة.	فيضان دجلة	/ 215 هـ / 830 م	3.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

4. 836 / 221هـ	سيل	سيل في البصرة ... فأغرق دورا كثيرة وزاد الماء حتى خيف الغرق.	لبنان، ص 172.	2002،
5. 846 / 232هـ	زيادة دجلة	مطرت السماء مطرا شديدا برعود هائلة وبروق متصلة ، ازدادت دجلة زيادة عظيمة فتهادمت أبنية كثيرة حولها وخيف على الجانبيين. حدق بثق بنهر عيسى فحمل الماء أكثر العمل.	الصولي، المصدر السابق، ص 278.	
6. 851 / 237هـ	فيضان	انتهت زيادة دجلة الى احدى وعشرين ذرعا وثلاث فغرقت الضياع والدور التي عليها وأشفي الجانب الغربي على الغرق وهم الناس بالهرب.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 72.	
7. 855 / 241هـ	مطر جواد	مطر الناس بسامراء مطرا شديدا	المصدر نفسه، ج 11 ص 283؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 124.	
8. 863 / 249هـ	أمطار غزيرة	امطرت في سامراء مطرا جودا سائلا إلى اصفار الشمس	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12 ص 23.	
9. 270هـ / 256	فيضان	انبعث ببغداد في الجانب الغربي	الذهبي، المصدر	

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

نهر الفرات	883م		
في نهر عيسى (بشق) ، فجاء الماء الى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار.	فيضان	10/285هـ	
مطرت السماء مطرا شديداً برعد هائلة وبروق متصلة، تتالت الأمطار بما لم يرو مثلها وزادت دجلة زيادة كبيرة لم ير مثلها فتهادمت أبنية كثيرة.	فيضان دجلة	897م	
زادت دجلة قدر خمسة عشر ذرعاً	فيضان دجلة	11/289هـ	
زادت دجلة زيادة مفرطة فانهدمت المنازل على شاطئيها من الجانبين، ونبعـت المياه من المواقع القريبة منها.	فيضان دجلة	12/292هـ	
كثر ماء دجلة وتراتكـت الأمـطار بـبغـداد.	فيضان دجلة	13/300هـ	
بلغت زيادة دجلة ثمانية عشر ذرعاً.	فيضان دجلة	14/309هـ	
		913م	
		921م	

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

15	922	/310هـ	فيضان دجلة	بلغت زيادة دجلة ثمانية عشر ذرعاً ونصف ، وورد أنه انبعق بواسط سبعة عشر بثقا أكثرها ألف ذراع، وأصغرها مائة ذراع وغرق من أمهات القرى ألغان وثلاثة قرية.	المصدر الطبرى، ج 11، السابق، ص 227.
16	927	/315هـ	فيضان دجلة	زادت الدجلة ب 12 ذرعاً وثلاثين لم يحج الناس أحد من أهل العراق وخرسان.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 265.
17	928	/316هـ	فيضان دجلة والفرات	زادت دجلة بعنة زيادة مفرطة قطعت الجسور ببغداد وغرق الجسارين جماعة، وبلغت زيادة الفرات اثنى عشر ذرعاً وثلاثين.	المصدر نفسه، ج 13، ص 273.
18	940	/328هـ	فيضان دجلة	بلغت زيادة في ماء دجلة تسعة عشر ذرعاً، وبلغت زيادة الفرات 11 ذرعاً، انبعق من نواحي الأنبار فاجتاح القرى وغرق الناس والبهائم والسابع وصب الماء في الصراء الى بغداد، ودخل الشوارع من الجانب الغربي من بغداد، وغرق شارع الأنبار فلم يبقى فيه منزل وتساقط الدور والابنية على الصراء، وانقطع بعض القنطرة العتيقة والجديدة .	المصدر نفسه، ج 13، ص 383.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

19	/329هـ 941م	فيضان الفرات والدجلة	زادت الفرات 11 ذرعاً وانبعق بنق في نواحي الأنبار، فاجتاحت القرى وغرقها وغرق الناس والبهائم والوحش والسبع، وصب الماء في الصراء إلى بغداد وغرق شارع الجانب الغربي وغرق شارع باب الأنبار، فلم يُبقي منه منزل إلا وسقط، وتساقطت الأبنية على الصراء وسقطت قنطرة الصراء الجديدة، انقطع بعض العتيقة، وزادت دجلة ثمانية عشر ذرعاً في أيار.	المصدر نفسه، ج 13، ص 403.
20	/330هـ 942م	فيضان دجلة	جاء مطر كأفواه القرب، وامتلأت البلاليع وفاضت ودخل دور الناس وبلغت زيادة دجلة 20 ذرعاً.	المصدر نفسه، ج 14، ص 19؛ الذبيبي، ج 23، ص 70.
21	/232هـ 844م	الامطار الغزيرة	في جمادى الأولى كثرت الأمطار فتساقطت منازل الناس ومات خلق كثير تحت الهدم، ومازالت قيمة العقار ببغداد تنقص، وزاد الأمر بسبب الغلاء، وبلغ الخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم، والتمر رطلان بدرهم وأغلقت عدة	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 34؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 95.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

	حمامات، وتعطلت أسواق ومساجد حتى صار يطلب من يسكن في الدور بأجرة يعطيها لحفظها، وكثرت الكبسات بالليل من اللصوص بالسلاح والشمع، وتحارس الناس بالليل بالبوقات. وجاء في شباط مطر عظيم سيل وبرد كبار جمعه الثلاجون، وكبسوه وتساقطت الدور وبرد الهواء في آذار ووقع جليد كثير فاحترق أكثر الزرع			
المصدر نفسه، ج 14، ص 72؛ ابن العماد شهب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنفيي الدمشقي (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، لبنان، ط 1، 1988، ج 2، ص 344.	فيضان دجلة	22 / 337هـ 949م		
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7	زادت دجلة زيادة كبيرة وغرقت كثيراً من الجانب الشرقي ببغداد	فيضان دجلة	23 / 367هـ 978م	

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

ص380؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص382.	وغرقت أيضا مقابر بباب التبن بالجانب الغربي منها وبلغت السفينة أجرة وافرة وأشرف الناس على الهلاك، ثم نقص الماء فأمنوا ويضيف ابن كثير، زادت دجلة زيادة كثيرة وانبثقت بثقوق كثيرة عرق بسببها خلق كثير وجم غير.			
ابن الأثير، المصدر السابق، 395/7.	زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المأثور وغرق كثير من الغلات، وتمردت الصراحة وخربت قنطرتها القديمة والجديدة وأشفي أهل العراق العربي من الغرق، وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت.	فيضان دجلة والفرات	370هـ/981م	24
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 18، ص238.	زادت دجلة زيادة بينة في كانون الثاني ولم يزل ينقص قليلا ثم يعود إلى الزيادة حتى قال أحد الملائين لي ثمانون سنة ما رأيت مثل هذه الزيادة في كانون.	مطر متواصل لثلاثة أيام	375هـ/986م	25
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص317؛ ابن كثير،	في ليلة العشرين من تموز وافى مطرا كثير مفرط ببرق.	مطر مفرط ببرق	376هـ/987م	26

المصدر السابق، ج 15، ص 426.	تابعت الأمطار وكثرت البروق والرعد والبرد الكبار وسالت منه الأودية وامتلأت الأنهار والآبار بالجبل وخربت المنازل وامتلأت الأقانة طينا وحجارة وانقطعت الطرق.	تابعت الأمطار	27/378هـ 989م
-----------------------------	---	---------------	---------------

الجدول رقم 06: يمثل حوادث الفيضانات والسيول في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ- 391هـ/ 813م- 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال معطيات الجدول يتضح أن:

- تكرر حدوث السيول والفيضانات في الدولة العباسية سبعة وعشرين مرة، والتي نتجت عن زيادة مناسب مياه نهري دجلة والفرات؛ مما أدى لكسر ضفافها فالظاهر أن حدوث مثل هذه الكارثة ظاهرة مألوفة بالنسبة للأهالي على امتداد أربعة قرون.
- حددت المصادر المناطق التي شملها الفيضان، والتي شملت بعض المرات العراق في حين شملت فيضانات أخرى بعض الولايات دون الأخرى خاصة بغداد وسامراء، أما في بعض المرات سجلت المصادر حدوث الفيضان فقط دون تحديد المناطق التي شملتها.
- كان العراق يتعرض للفيضانات في بعض الأحيان كل عشر سنوات، في حين أغلبها تحدث كل سنتين أو كل سنة حسب زيادة نهري دجلة والفرات أو نقصانهما.
- اذا قارنا تكرار حوادث الفيضانات بين القرون الثلاثة نلاحظ أن المصادر سجلت حدوث الفيضانات مرتين خلال القرن الثاني هجري، في حين بلغ عددها إحدى عشر فيضان خلال القرن الثالث هجري، وسجل حدوثها ستة عشرة مرة خلال القرن الرابع هجري، يرتبط تفسير ذلك ب مدى جودة منشآت الري وأعمال صيانتها من البثوق وتراتك الطمي وذلك راجع لانشغال السلطة بالقضاء على القوى السياسية الطامحة للسلطة، فقد تميزت الفترة الممتدة من القرن

الثالث إلى القرن الرابع هجري بسيطرة العناصر التركية على مقاليد الحكم، التسلط البوبي

والعديد من الأسباب التي سبق شرحها في الفصل السابق.

• إن احصائيات الفيضانات التي سجلت خلال القرن الرابع هجري تعود لحادث خطير له أثر بارز في تطور فيضان دجلة وازدياد خطورته بالنسبة إلى المدينة، وهو انهيار سد ديالي، الذي يعود إنشائه لفترات قديمة حيث أصبحت مياه فيضان نهر ديالي تتجمع في

حوض نهر دجلة فتزيد في ارتفاع منسوب مياهه.¹

• كانت مدينة بغداد في أوائل تأسيسها تتمتع بمقدار كبير من الحماية من خطر الفيضان، وذلك لوجود مشاريع ري ضخمة كانت تسحب كميات كبيرة من مياه فيضان الأنهار وروافده فتقلل من خطر الفيضان، لكن هذا الأمر لم يدم طويلا حيث دب الضعف في جسم الدولة واستفحل الإهمال في مراقبة منشآت الري ورقابتها، فأخذت المشاريع تتهاجر الواحد تلو الأخرى واندرست المصارف وترآكمت الرواسب في الجداول حتى صار الفيضان مصدر الخطر الأكبر، فأول تسجيل لحدوث فيضان في بغداد كان سنة 184هـ / 800م².

• من خلال الجدول نلاحظ أن نهر دجلة كان أكثر عرضة لحوادث الفيضان إذا ما قورن مع نهر الفرات، وذلك راجع لجريان نهر الفرات بين صفاف منخفضة ذات انحدار قليل على عكس ما هو الحال في نهر دجلة، وفرة المياه الصيفية في نهر الفرات، فإذا قارنا فيضان نهر الفرات بفيضان نهر دجلة نجد أن فيضان نهر الفرات الريبي يبدأ عادة بعد فيضان نهر دجلة ببضع أسابيع وتبقى بعد انتهاء فيضان نهر دجلة إلى أسبوعين،³ إضافة إلى أن

¹ - أحمد سوسة، فيضانات بغداد، المرجع السابق، ص296. خالد بن خضير بن عليان الحربي: فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسي (132هـ - 656هـ)، المرجع السابق، ص2295.

² - مكسميليان: خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، تر: خالد اسماعيل علي، مطبعة المجتمع العراقي، 1986، ص88-122.

³ - أحمد سوسة، تطور الري، المرجع السابق، ص32.

المنطقة التي يتغدى منها الفرات بالمياه في اقسامه العليا أبعد منها في نهر دجلة، وذلك ما يساعد على البطء والهدوء اللذين اختص بهما نهر الفرات.¹

• أثرت الفيضانات والسيول بعمق على الجوانب الاقتصادية للدولة العباسية، وخاصة الزراعة سواء من حيث الإنتاج أو البنية التحتية الزراعية وفيما يلي توضيح لذلك:

لم تواتنا المصادر التاريخية في كثير من الأحيان بحجم الخسائر التي مسّت الجانب الزراعي جراء الفيضانات والسيول، وإنما عبرت عن هول العواقب التي يمكننا أن نستنتج منها حجم الخسائر الزراعية، وذلك لأنبساط الأراضي الزراعية وانفتاحها أمام مياه الأنهار، حيث اقترن ذكر الفيضان ببعض العبارات التي تدل على هوله وكذا الخسائر التي خلفها، كعبارة "زيادة عظيمة" التي اقترنـتـ بـفـيـضـانـ سـنـةـ 821ـهـ/ـ205ـمـ وـفـيـضـانـ سـنـةـ 367ـهـ/ـ978ـمـ³ـ،ـ وـعـبـارـةـ "ـلـمـ يـرـ قـلـ مـثـلـهـ"ـ التـيـ وـصـفـتـ فـيـضـانـ سـنـةـ 285ـهـ/ـ899ـمـ⁴ـ،ـ وـاقـرـنـتـ عـبـارـةـ "ـزـادـتـ زـيـادـةـ مـفـرـطـةـ"ـ بـفـيـضـانـ كـلـ مـنـ سـنـةـ 292ـهـ/ـ905ـمـ⁵ـ،ـ وـسـنـةـ 316ـهـ/ـ929ـمـ⁶ـ،ـ وـشـكـلـ فـيـضـانـ سـنـةـ 206ـهـ/ـ822ـمـ "ـمـدـوـدـاـ عـظـيمـةـ"ـ⁷ـ،ـ كـمـ جـاـوـزـ فـيـضـانـ سـنـةـ 307ـهـ/ـ920ـمـ المـأـلـوفـ.⁸

¹- نجيب خروفه: من مشاريع الري في العصر العباسـيـ،ـ وـقـائـعـ نـدوـةـ نـظـامـ الـريـ فـيـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ،ـ عـقـدـتـهـ دـارـ الـعـلـمـ الـصـرـفـةـ وـالـتـطـبـيـقـيـةـ،ـ 17ـ مـارـسـ 1997ـ،ـ مـنـشـوـرـاتـ الـمـجـمـعـ الـعـرـاقـيـ،ـ 1999ـ،ـ صـ8ـ.ـ رـائـدـ محمدـ حـامـدـ:ـ تـأـثـيرـ الـفـيـضـانـاتـ عـلـىـ السـجـونـ بـغـدـادـ فـيـ الـعـصـرـ الـعـبـاسـيـ،ـ الـمـرـجـعـ السـابـقـ،ـ صـ7ـ.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 455.

³- ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 382.

⁴- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12، ص 378.

⁵- المصدر نفسه، ج 13، ص 33.

⁶- المصدر نفسه، ج 13، ص 273.

⁷- المصدر نفسه، ج 9، ص 194.

⁸- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 395.

في حين وضحت المصادر حجم الخسائر في حوادث أخرى، فقد فسد الزرع وذهبت غلات كثيرة نتيجة المد الذي حدث سنة 206هـ/822م والذي اقترن بوقوع الجراد واليرقان¹، ولزيادة دجلة سنة 292هـ/905م زيادة مفرطة غمرت المياه الأرضي القريبة منها²، وكثرة الأمطار سنة 332هـ/944م فتتج عن ذلك انتشار الغلاء وهذا دليل على تضرر الزروع والغلال³، كما غرقت الزروع وهم الناس بالهروب سنة 337هـ/949م بعد أن زادت دجلة زيادة عظيمة⁴، وغرقت الغلات سنة 370هـ/981م بعد أن زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت جاوزت المألف⁵.

يتضح أن أكثر الفيضانات حدوثا هي فيضان نهري دجلة والفرات إذ أن عدم قدرتهما على استيعاب كميات المياه الواردة لهما -من مصادر مختلفة- تؤدي لفيضانهما⁶ وبالتالي لا يمكن ربط فيضان دجلة فقط بغزارة الأمطار وإنما قد ينتج عن ذوبان الثلوج أو حدوث انسدادات في مجرى النهر نتيجة إهمال مشاريع صيانة الأنهار، فهنا يظهر دور الإنسان كعامل داعم لحدوث مثل هذه الكوارث، فموضوع الفيضانات والسيول يرتبط لحد كبير بمنشآت ومشاريع الري فخطورهما يزداد بإهمالها ويقل بل ويزول في حالة صيانتها وترميمها ورقابتها والاهتمام بتطبيق مناهج استخدامها.

إنها خلال هذه الفترة سد نهر ديالي؛ ما ترك أثرا بارزا في تطور فيضان دجلة وازدياد خطورته بالنسبة إلى مدينة بغداد، وهو السد الذي كانت تُحول من أمامه مياه ديالي إلى

¹- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 194.

²- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 33.

³- المصدر نفسه، ج 14، ص 34.

⁴- المصدر نفسه، ج 14، ص 72.

⁵- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 395.

⁶- محسوب وأرباب، المرجع السابق، ص 108.

جداول الري، وبالأخص منها مجرى الروز الذي كان يجمع معظم مياه الفيضان فيصبها في " منخفضات مريحة" ، وكانت نتائج ذلك وخيمة بالنسبة لسكان نهر ديالي من جهة ولسكان النهروان من جهة، لأن انهيار السد أدى إلى انقطاع المياه الصيفية عن أكثر الجداول التي كانت تتفرع من نهر ديالي من أمام السد والتي كانت تروي الأراضي الواقعة على جانب نهر ديالي ، وبعد أن كانت طساسيج ديالي في أوائل القرن الثالث هجري في مقدمة الطساسيج المذكورة في قوائم جبائية السوداء، أصبحت على حين غرة أرضا قاحلة بعد انهيار سد ديالي فهجرها السكان وغطتها الرمال، إلا ما كان واطئا من الأراضي المجاورة لنهر ديالي فقد زرعت بعد بذل جهد كبير. أما القسم الشمالي لم يتأثر بانهيار سد ديالي.¹

كما أدى ارتباط الأنهار وتشعبها لاتساع نطاق خطر فيضان أحد هذه الأنهار، فالخراب لا يشمل في بعض الأحيان المناطق المحيطة بالنهر فقط بل يتجاوز حدوده، فنهر الفرات في العصر العباسي يغذي أربعة أنهار رئيسية تتفرع من ضفته اليسرى متوجهة إلى ضفة دجلة اليمنى مارة بالمدن والقرى موزعة مياها على الأراضي الزراعية الواقعة بين النهرين مستقيدة من طبغرافية الأرض المنحدرة باتجاه دجلة من الفرات.² (أنظر الملحق رقم 383، ص 03)

¹- أحمد سوسة: *ري سامراء في عهد الخلافة العباسية*، مطبعة المعرف، بغداد، 1948، ج 1، ص 472.

²- حميد نشأت اسماعيل: *ري سواد العراق في العصر العباسي، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي*، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفية والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999، ص 63.

يتفرع نهر عيسى من الضفة اليسرى لنهر الفرات؛ حيث كان من أكثر الأنهار التي تجري بمدينة المنصور والكرخ من الجانب الغربي ويترفرع بين المحال والدور فتؤخذ منه¹، ثم نهر صرصر الذي يعتبر ثانى الأنهار الكبيرة، التي تأخذ مائتها من الفرات ويصب في دجلة بين بغداد والمدائن وكان يسقي قرى وضياع كثيرة في هذه المنطقة ، ونهر الملك الذي كان يسقي قرى كثيرة في سواد العراق تصل إلى 360 قرية، وجميع هذه الأنهار تسقي الأراضي المحصورة بين دجلة والفرات، أما الأنهار المتفرعة من الضفة اليمنى لنهر دجلة فأهمها نهر دجيل، الذي تتشعب منه فروع متعددة تتحدر باتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وببعضها باتجاه الجنوب الشرقي حتى تصل مياهها إلى بغداد.²

أثر حدوث الفيضانات على الأسعار وينتج عن ذلك عادة ارتفاع ملحوظ في الأسعار خاصة المواد الأساسية الزراعية نتيجة لقانون العرض والطلب، حيث غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما إلى الخمسين بالقفيز الملجم³ وارتفع كذلك سنة 205هـ/820م لما لحق المحاصيل الزراعية من فساد،⁴ كما أدى المد لغرق السواد وكسر وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس سنة 206هـ/821م

¹ - يعقوب لينستر: خطط بغداد في العهود الإسلامية الأولى، تر: صالح أحمد العلي، ، المجمع العلمي العراقي ص 116.

² - عواد مجید العوضي: الزراعة 15هـ- 656هـ/1258م-636هـ، حضارة العراق، دار الجيل، لبنان ج 5، ص 245؛ مكملي شترك، المرجع السابق، ص 46.

³ - القفير الملجم: هو عشرة مكاكيك بالمكواكب الهارونية. الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 596. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 455.

⁴ - القفير: هو مكيال يسع ثمانية مكاكيك عند أهل العراق، كل مكواكب 3 كليجات وكل كليجة تساوى 600 درهم. أحمد الشريachi ، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 967. والقفير مكيال يختلف مقداره من بلد إلى آخر وهو بالتقدير الحديث نحو ستة عشر كيلوغرام. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، المرجع السابق، ص 352

فذهبت غلات كثيرة وامتلأت الآبار وفسد الزرع ووقع الجراد واليرقان¹، كما غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة أربعين درهما إلى خمسين بالقفير الملجم وذلك راجع لما تعرضت له العراق من جفاف وقحط سنة 207هـ / 822م².

ساهمت الفيضانات في عرقلة الحركة التجارية خاصة في العراق الذي كان يعتمد على شبكة واسعة من الأنهار والترع في النقل والتجارة، كما كانت تتسبب في تلف الجسور والقناطر التي تربط بين ضفتي النهر، وهو ما يقطع طرق المواصلات البرية يؤدي إلى انعزل بعض المناطق التجارية عن المراكز الحضارية الكبرى مثل بغداد والبصرة، ومع انقطاع طرق النقل البرية والبحرية كانت البضائع تتأخر في الوصول إلى الأسواق فتدر السلع وترتفع الأسعار.

أدت الفيضانات إلى تكون بطائح واسعة خاصة في المناطق المحيطة بالبصرة، وكان نهر دجلة أكثر الأنهار تأثراً بهذه البطائح وبامتدادها، لما تسببه من أضرار جسيمة عطلت حركة السفن المارة فيه، كما أسهم ارتفاع مناسيب المياه وسرعة تدفقها في تدمير الجسور التي كانت تُعد شريانًا أساسياً لنقل التجارة البرية، ففي سنة 316هـ / 929م زادت دجلة بعثة زيادة مفرطة فقطعت الجسور ببغداد وغرق الجسارين جماعة، وبلغت زيادة الفرات اثني عشر ذرعاً وثلاثين.³

¹- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 194.

²- الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 596. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 470.

³- الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 273.

بلغت الزيادة في ماء دجلة سنة 328هـ/1940م تسعه عشر ذرعاً، وبلغت زيادة الفرات 11 ذرعاً، انبثق من نواحي الأنبار فاجتاح القرى وغرق الناس والبهائم والسباع وصب الماء في الصراء إلى بغداد، ودخل الشوارع من الجانب الغربي من بغداد، وغرق شارع الأنبار فلم يبق فيه منزل وتساقط الدور والأبنية على الصراء، وانقطع بعض القنطرة العتيقة والجديدة.¹

زادت الفرات 11 ذرعاً سنة 329هـ/1941م فسقطت قنطرة الصراء الجديدة، وانقطع بعض العتيقة، وزادت دجلة ثمانية عشر ذرعاً،² وزادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألف سنة 370هـ/1981م فتدمرت الصراء وخربت قناطرها القديمة والجديدة وأشفي أهل العراق على الغرق، وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت.³

تأثرت كذلك الصناعة بما مس الشمار جراء الكوارث الطبيعية، وأولها الحنطة التي اعتبرت من أعمدة الغذاء لمختلف طبقات المجتمع، إضافة إلى التمر والأرز الذي يصح أكثر الأكلات أو يدخل فيها.⁴

¹ - المصدر نفسه، ج 13، ص 383.

² - المصدر نفسه، ج 13، ص 403.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 395.

⁴ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 260.

لم يكن طحن وصناعة الخبز محصورة في القمح، وإنما لحق ذلك مواد أخرى من أهمها الشعير والأرز لكثرة وصلاحيته للطحن، فقد كان خبز الأرز رخيص الثمن، فيحكى أن دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف فقال له أصحابه كيف رأيت البصرة؟ قال: "خير بلاد للجائع، والعزب، والمفلس، أما الجائع فيأكل من خبز الأرز"¹، ونتج عن ذلك أن ارتفعت أسعار الأغذية وتراجعت الصناعات المتعلقة بالصناعات الغذائية خاصة منها التي تعلقت بالمواد التي سبق ذكرها باعتبارها الغذاء الأساسي لمختلف شرائح المجتمع.

ب-تساقط البرد والثلج:

تعرضت الدولة العباسية كذلك لسقوط البرد والثلج، والتي بلغت أوزانا كبيرة في العديد من المرات ما يجعل سقوطها يعتبر كارثة طبيعية، في الجدول التالي ترتيب حوادث سقوطها والتي نقلتها لنا المصادر التاريخية باعتبارها أحداث استثنائية:

الترتيب	السنة الميلادية والهجرية	نوع الكارثة	الرقة الجغرافية	المصدر
1.	854هـ/240م	سقوط البرد	وقع برد أعظم من الجوز، مثل بيض الحمام، مع مطر شديد وسقط يومئذ بسمراء برد من بيض الدجاج.	ابن الجوزي ، المصدر السابق، ج11، ص271؛ السيوطى، المصدر السابق، ج274
2.	898هـ/285م	سقوط البرد	ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جدا، ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم ير مثلها وسقط	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص378؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص677.

¹- أبو حيان التوسي ، المصدر السابق، ج1، ص445.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

	بعض القرى من المطر برعود وبروق لم ير مثلاها وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض وسود وسقط برد كبار وزن الواحدة مائة وخمسون درهما، واقتلت الرياح شيئاً كثيراً من النخل مما حول دجلة،			
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 16.	وقع ثلج ببغداد منذ أول النهار إلى العصر.	سقوط ثلج	902هـ/902م	.3
المصدر نفسه، ج 13، ص 81.	سقط ببغداد ثلج من غدوة إلى قرب صلاة العصر، حتى صار في السطوح والدروب منه أربع اصابع.	سقوط ثلج	908هـ/908م	.4
المصدر نفسه، ج 13، ص 194.	برد الهواء ببردا شديداً أضر بالنخل والأشجار وسقط ثلج كبير.	برد شديد وتساقط الثلج	920هـ/920م	.5
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 255؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 21	سقد ببغداد ثلج كبير.	ثلج عظيم	926هـ/926م	.6
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 377؛ ابن كثير، المصدر	مطر عظيم وبرد كبير وزن كل بردة أوقتين ودام وسقط بذلك حيطان كثيرة	سقوط البرد	938هـ/938م	.7

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

السابق، ج 15، ص 110.	من دور بغداد وظهر جراد كثير.				
الديار بكري حسين بن محمد بن الحسن: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت)، ج 2، ص 553.	أمطرت بغداد حصى وزن كل حصاة رطل فقتلت خلقاً كثيراً من الناس والدواب والطير واشتد أمر الغلاء حتى أكل الناس لحم الآدميين وبيع العقار بالزعفرا.	سقوط حصى	945هـ/334م	.8	
ابن الجوزي، المتنظم، المصدر السابق، ج 14، ص 54.	وقع برد كبار في كل بردة أوقیتان أو أكثر فطحن الغلات	سقوط البرد	946هـ/335م	.9	
الدوداري أبي بكر بن عبد الله بن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، تح: دوروثيا كرافولكي، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، بيروت، 1996، ج 5، ص 411.	امطرت بغداد برداً زنة كل حصوة مایة وخمسون درهم وأقل وأكثر وقتلت شيئاً كثيراً من الطير والمواشي.	سقوط البرد	956هـ/345م	.10	
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14 ص 133؛ ابن العماد، المصدر السابق، ج 3، ص 2.	جاء برد في كل بردة أوقیتان وأكثر وقتل الطيور والبهائم.	سقوط البرد	961هـ/350م	.11	

12.	962هـ/351	سقوط البرد	سد برد كل بردة رطل ونص ورطلان.	المصدر نفسه، ص7؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص140.
13.	965هـ/354	سقوط البرد	جاء برد وزن البردة درهم.	المصدر نفسه، ج14، ص161

الجدول رقم 07: حوادث سقوط الثلج والبرد بأحجام كبيرة خلال الفترة (1981هـ - 391هـ / 991م) - إعداد الباحثة.

من خلال حوادث سقوط الثلج والبرد الواردة في الجدول يتضح أن:

- تكرر سقوط البرد والثلج ثلاثة عشرة مرة من ضمنها حالات سقوط للحصى، والتي اقتنى ذكرها بما خلفته من آثار تدميرية، كما حدّدت المصادر منطقة وقوعها (العراق، بغداد، سامراء..)
- يعتبر البرد والثلج من العوامل المناخية التي تترك آثاراً عميقاً على النشاط الزراعي خاصة إذا كانت بأحجام كبيرة، إذ يمكن أن يؤثر سلباً على المحاصيل والنشاط الفلاحي بوجه عام، فقد فسّدت المحاصيل الزراعية بسبب وقوع البرد بأحجام كبيرة عدة مرات، وقد أوردت المصادر في معظم حوادث سقوطه حجمه، والذي يؤدي حتمياً لطحن المزروعات حتى لو لم تصرح المصادر بذلك، في حين أنها أوضحت مدى تضرر المحاصيل في حوادث أخرى.

ارتبط أحياناً حدوث الغلاء بسقوط البرد بأحجام كبيرة مما يدل على تأثيره الفادح على المزروعات، مثلما حدث سنة 334هـ/946م، حيث أمطرت بغداد حصى وزن كل حصاة

سنة 335هـ/ 955م وزن كل بَرَدَة أوقيتان² أو أكثر، فغلت الأسعار³ رطل واشتد أمر الغلاء حتى أكل الناس لحم الآدميين وبيع العقار بالزعفران.¹ وقع بَرَدُ كبير

أدى سقوط الثلوج بكميات كبيرة سنة 314هـ/1927م لعرقلة النشاط الزراعي لارتفاع سمحكه وشدة برونته التي أثرت على الزرع والأشجار والنخيل،⁴ وقبل هذا بستة أيام برد الهواء بربدا شديدا، ثم زاد شدة بعد سقوط الثلوج وأفطر في الشدة كثيرا حتى تلف أكثر نخل بغداد وسودادها وجف وتلف شجر التين والسدر وجمد الشراب والماورد والخل وجمدت الخلجان الكبار من دجلة ببغداد، وجمدت أكثر الفرات بنواحي الفرات بنواحي الرقة وجمدت دجلة بأسرها بالموصل حتى عبرت الدواب عليها.⁵

كان لسقوط البرد بأحجام كبيرة مساهمة في نفوق الحيوانات، حيث أمطرت بغداد سنة 334هـ/1946م حصى وزن كل حصاة رطل فقتلت خلقاً كثيراً من الناس والدواب والطير،⁶ كما أمطرت بها سنة 345هـ/1957م برداً زنة كل حصوة مائة وخمسون درهم وأقل وأكثر وقتلت شيئاً كثيراً من الطير والمواشي،⁷ وتكرر سقوطه سنة 350هـ/1952م حيث كان في كل بردية أوقية تان وأكثر فقتل بسبب ذلك الطيور والبهائم،⁸ ورد غرق السباع في فيضان سنة

¹الديار بكري، المصدر السابق، ج 2، ص 55.

2- **الأوقيبة**: جمع أواق، وهي تزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم، والأوقيبة لم تبلغ أقل من عشرة دراهم الخوارزمي، المصدر السابق، ص 77؛ الأوقيبة بضم الهمز وكسر القاف وتشديد الياء اسم لأربعين درهما وهي من الذهب؛ أحمد الشرياطي، المرجع السابق، ص 42.

³- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص54.

٤- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص225.

⁵ ابن العماد، المصدر السابق، ج 2، ص 268.

⁶ ديار بكرى، المصدر السابق، ج2، ص55

⁷ الودادي، المحدث السابعة، ج5، ص411.

⁸ ابن الحوزي، المحدث الساقى، ص 133، ج 4.

جـ ٢٠٢٠

328هـ/ 940م بسبب طغيان نهر الفرات وهذا ما يدل على وجودها في العراق في ذلك العصر.¹

ت- انحباس الأمطار وحدوث الجفاف:

تكرر انحباس الأمطار وحدوث موجات الجفاف في الدولة العباسية عدة مرات، وذلك نتيجة التفاوت في كمية سقوط الأمطار بين سنة وأخرى،² ما أثر على مختلف الجوانب الحياتية باعتبار الماء عنصر أساسي في حياة الإنسان والحيوان.

رصدت لنا المصادر التاريخية حوادث الجفاف ضمن ما نقلته لنا من أخبار وأوصاف باعتباره واقعة مهمة مبرزة في العديد من المرات الآثار التي خلفها، يمثل الجدول التالي الترتيب التسلسلي لهذه الكارثة والمناطق التي شملتها:

الترتيب	السنة الميلادية السنة الهجرية	نوع الكارثة	الآثار الاقتصادية.	المصدر
1.	207هـ/ 823م	جفاف وقط	ارتفعت الأسعار بسبب انحباس الأمطار حتى وصل الأمر أن يباع الطعام سرا ليلا خوفا من الذهب.	الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 596.
2.	284هـ/ 898م	جفاف	قط الناس فلم يرو من الأمطار إلا اليسير، حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرارا.	ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 672. ابن الجوزي، المصدر السابق

¹ التوخي، المصدر السابق، ج 2، ص 90. أحمد سوسة، المرجع السابق، فيضانات بغداد، ص 294.

² - أحمد سوسة، فيضان بغداد، المرجع السابق، ص 117.

373 ص 12 ج	تأخر المطر في هذه السنة عن بغداد وغلى السعر.	جفاف	910هـ/910م	3
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 93؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 757.				
المصدر نفسه، ج 14، ص 06.	خرج التشرينان وشباط بلا قطرة مطر إلا مطرة واحدة خفيفة لم يسل منها ميزاب ، اشتد الغلاء وزاد كر الدقيق مائة وثلاثين دينارا وأكل الناس نخالة والحسيش وكثير الموت حتى دفن جماعة في قبر واحد بلا صلاة بلا غسل ورخص العقار والقماش حتى بيع ما ثمنه دنانير بعدها دراهم.	القطط	329هـ/940م	4
الذهبي، المصدر السابق، ج 24، ص 70.	اشتد القطط حتى أبيع ببغداد كر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر دينار وهلك الخلق وكان القطط لم يعهد بمثله في بغداد.	جفاف وقطط	330هـ/942م	5
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 170.	اشتد الغلاء بسبب انحباس الأمطار وقد تزامن ذلك مع دخول البوبيهيين للعراق فأكل الناس لحوم الميته والكلاب والسنانير وخروب الشوك ثم هرب الناس من بغداد	جفاف وقطط	334هـ/946م	6

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

		باتجاه البصرة ومات أكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مدة، وبيعت الدور بالخبز.			
7	ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 258.	انقطعت الأمطار وغلت الأسعار فخرجت الناس استسقوا، فما سقوا.	انحباس الأمطار	957هـ/346م	
8	المصدر نفسه، ج 7، ص 265.	قلت الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يستسقوا	جفاف	959هـ/348م	
	ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 237.	وظهر جراد عظيم في آذار، فأكل ما نبت من الخضراوات فاشتد الأمر جدا.			
9	ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 280.	خرج الناس للاستسقاء لعدم المطر.	جفاف	963هـ/352م	
10	ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 202. ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 321.	نقصت دجلة نقصاً مفرطاً وغارت الآبار.	انحبست الأمطار	968هـ/359م	
11	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 236.	شهد بغداد ارتفاعاً في الأسعار وكثر الفساد بسبب انحباس الأمطار.	قطا شديداً	974هـ/364م	
12	ابن العماد، المصدر السابق،	كان القحط شديداً في بغداد وبلغ حساب الغرارة بأربعين ألف درهم.	جفاف وقطح	984هـ/373م	

ج 3، ص 80. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 358.				
الدوداري، المصدر السابق، ج 6، ص 213.	انحباس الأمطار	العراق والبلدان المجاورة لها	984هـ/1374م	13
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 432.	تأخر المطر حتى انتصف كانون الثاني، وغلت الاسعار في العراق وما جاورها من البلاد واستسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع وعشرون كانون الثاني، وزال القنوط وتتابعت الأمطار.	تأخر المطر	987هـ/1377م	14

الجدول رقم 08: يمثل سنوات تأخر الأمطار وحدوث الجفاف في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

- من خلال المصادر يتضح أن الجفاف كان يعم كامل بلاد العراق، أي لم يشمل منطقة دون أخرى عدا بعض المرات التي حدد وقوعها ببغداد؛ وذلك نظراً لتفاوت درجات الحرارة والتساقط بين مختلف مناطق البلاد.
- بتحليلنا لحوادث الجفاف التي تم رصدها من مختلف المصادر، تبين أن القرن الرابع هجري عرف موجات عديدة من الجفاف، والتي قدر عددها بثلاثة عشر مرة كانت في فترات متقاربة، ولم يكن القرن الثالث هجري بمنأى عن حدوث هذه الكارثة الطبيعية حيث سجل حدوث الجفاف سبع مرات.

إن تكرار حدوثه هذه الكارثة خاصة خلال القرنين الثالث والرابع هجريين يقودنا لدراسة واقع الموارد المائية الطبيعية وكذا منشآت التخزين التي كان يعتمد عليها، والتي كانت حتماً تضمن توفر المياه في حال انقطاع المطر ونقص منسوب مياه الأنهار.

تعددت منابع ومصادر الماء الطبيعية في الدولة العباسية، والتي تمثلت في الأنهار والأودية والأمطار والعيون، إلى جانب نهري دجلة والفرات وما تفرع عنهما من أنهار تمتعت المنطقة بمصادر متعددة للمياه كالأمطار التي تسقط خلال فصلي الشتاء والخريف والربيع وتزداد كميتها كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال الشرقي¹، فالملاحظ تباين تساقطها من منطقة إلى أخرى ومن فصل لآخر فهي قد تتعذر في فصل الصيف.

مثلت العيون مورداً مهماً للماء في المنطقة والتي بلغ عددها 350 عيناً، كانت متعددة ومترعة ومتفرقة المكان، كما أنها كانت تساهم بتوفير الموارد المائية بنسبة أعلى من الأمطار وأقل من الأنهار²، وكذا الآبار التي تم استحداثها في مناطق عديدة والتي جاء الحديث عنها في المصادر مجمل على شكل إشارات لا تزيد في كثير من الأحيان عن مجموعة كلمات تحمل صورة الأخبار³، أي لم تأتي تفاصيل مثلاً بخصوص كمية الاستفادة منها.

رغم ما يتمتع به العراق من غزارة المياه العذبة ووجود عدد كبير من الأنهار إلا أن الحاجة كانت ملحة للقيام بالعديد من منشآت تخزين الماء تمثلت هذه المنشآت في: الأحواض ولعل أكثر المناطق التي تم إنشاء أحواض للماء العذب بها هي منطقة البصرة،

¹ - فلاح جمال معروف وآخرون، المرجع السابق، ص 89.

² - محمد عبد المحسن أحمد: الموارد المائية في العراق واثرها الاقتصادي خلال العصر العباسى الأول (132هـ-232هـ / 750م-847م)، رسالة ماجister، كلية دار العلوم، القاهرة، 2019، ص 121.

³ - المرجع نفسه، ص 126.

وذلك لما يغلب مائتها من ملوحة¹، لأن أكثر أنهار البصرة يدخله المد والجزر من البحر فإذا كان المد دخل من البحر وتراجعت مياه الأنهر فصبت في البساتين والزارع وسقتها وإذا كان الجزر انحجزت وعادت الأنهر جارية على حسب عادتها² ومن هذه الأحواض الحوض الذي أنشأه "سليمان بن علي" والي البصرة في عهد أبي جعفر المنصور، حوض طالوت بن عباد(ت238هـ).³

لم تكن مدينة بغداد بمنأى عن انجاز مثل هذه المنشآت المائية رغم ما تتمتع به من وفرة في المياه، خاصة وأن المنصور قد راعى توفير عنصر الماء بالمدينة، ومن أحواضها، يوجد حوض داود الذي يقع قرب سوق العطش، لم تفينا المصادر بمعلومات دقيقة عن هذا الحوض ما عادا بعض الإشارات التي نقلها لنا الحموي بخصوص موقعه، حيث حدث اختلاف في نسبة إذا ما كان ينسب إلى داود بن المهدى بن المنصور وقيل هو منسوب إلى داود مولى المهدى، وقيل أن داود مولى نصير ونصير مولى المهدى ولداود هذا قطيعة من سوق العطش ، حوض هيلانة⁴، حوض الأنصار ، كانت هذه الأحواض يغذيها نهر موسى عن طريق ثلاثة أنهار فرعية يصب كل واحد منها في هذه الأحواض؛⁵ وبالتالي فجفاف هذا النهر أو أحد فروعه يؤدي حتما لتفاذ مياه الأحواض وجفافها.

¹- ابن حوقل، المصدر السابق، ص213.

²- الادريسي أبي عبد الرحمن(من علماء القرن 6هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج1، ص384. سهرا، عجائب الدنيا السبع إلى نهاية العمارة، تص: هانس فون مريك، مطبعة ادولف، 1929، ص135.

³- صالح العلي: خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986، ص140.

⁴- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص320.

⁵- البغدادي الخطيب أبي بكر أحمد بن علي(ت463هـ): تاريخ بغداد، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص127.

إضافة إلى الأحواض تم حفر الصهاريج التي كانت تشبه لحد كبير الأحواض بهدف الحفاض على ديمومة وجود الماء خاصة للشرب، حيث قيل إن جل شربهم من صهاريج معدة في دورهم،¹ كما قد شوهدت صهاريج عديدة محكمة البناء بالرصافة والتي كانت تستعمل لشرب الماء،² كما تم إنشاء مجموعة من السدود لتأمين الاستفادة القصوى من مياه الأنهار ومن ثم توزيعها على الجداول، وللتخفيض من حالات الجفاف التي كانت تعترض البلاد من فترة إلى أخرى لما تحويه من مياه، واللاحظ أن أي ضرر أو تغير يصيب مصادر الماء يؤثر حتما على كمية الماء الموجودة في تلك المنشآت باعتبارها مصادر إمداد بالماء.

أما بخصوص واقع هذه المنشآت خلال القرنين الثالث والرابع هجريين، فالظاهر أنها تأثرت بالواقع السياسي وما تبعه من تراجع في أعمال الصيانة والمراقبة والإنشاء، ماعدا بعض المحاولات الفردية التي حدت من أضرار الجفاف والتي نتج عنها حدوث الجفاف عدة مرات ولفترات متقاربة لمواجهة ندرة المياه.

لجي العباسيون لصلة الاستسقاء طلبا للمطر، فقد استسقى أهل بغداد مرات عدّة في السنة (284هـ/ 989م) لشدة القحط وانحساس المطر³، وأمر المنقي بالله الناس بالخروج لصلة الاستسقاء سنة 329هـ/ 940م⁴، كما استسقوا في سنة 348هـ/ 959م⁵، اضطروا للخروج لصلة الاستسقاء سنة 377هـ/ 978م⁶.

¹ - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 39.

² - المصدر نفسه، ج 2، ص 510.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 672. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 1 ص 373.

⁴ - ابن كثير، المصدر السابق ، ج 14، ص 06.

⁵ - ابن الأثير، ج 7، ص 265، ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 237.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 432.

تأثرت المحاصيل الزراعية كذلك بانحسار الأمطار، فغالباً ما اقترن عدم نزول الأمطار بحدوث أزمات كثيرة، وردت في القرآن الكريم آيات تتضمن إشارات واضحة لأهمية الماء والأرض والزرع وحاجة الإنسان إليها ومن هذه الآيات قوله تعالى: {إِنَّمَا جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ التَّمَرُّتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنَّدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ¹.

وضح ابن وحشية النبطي أهمية وجود الماء لوجود المزروعات وأكَد على ضرورة توفيره لضمان جودتها إذ يقول: "ولما كانت هذه الشجرة الشريفة أعني شجرة الزيتون وشجر الحنطة والشعير والأرز والذرة وغير هذه من الحبوب المقاتلة التي هي أعظم نفعاً من سائر النبات قد تتلف بانقطاع الماء عنها وتجف، وأما شجرة الزيتون ففي زمن طويل وأما هذه الحبوب ففي زمن قصير". ²

اقترن انحسار الأمطار بغلاء الأسعار، خاصة "الحنطة" حيث كانت الحنطة والشعير تزرع في كافة أنحاء العراق، ³ ويقول عبد الفتاح فتحي في سياق حديثه عن الزراعة في العصر العباسي أن "الحنطة تزرع في كامل الأرض المروية" ⁴ و التي كان ارتفاع أسعارها أسعارها من دلائل غلاء المعيشة وكان الأرز يأتي في المرتبة بعد الشعير. ⁵

شهدت أسعار الحنطة ارتفاعاً ملحوظاً، إذ بلغ سعر القفيز منها ما بين أربعين إلى خمسين درهماً بالقفير الملجم، ويعزى ذلك إلى ما أصاب العراق من جفافٍ وقطف سنة

¹ - سورة البقرة، الآية 22.

² - ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي قيس الكسائي (ق 4 هـ) : الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ت)، ص 54.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 79.

⁴ - عبد الفتاح فتحي: المسلمين في العصر العباسي (132هـ - 749م / 656هـ - 1258)، دار الهانبي للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص 306.

⁵ - آدم متز، المرجع السابق، ج 2، ص 253.

207هـ / 822م¹. كما ارتفعت الأسعار مرة أخرى في سنتي 284هـ / 897م² و297هـ / 909م³ وكذلك في سنة 329هـ / 940م⁴ غير أن المصادر لم تحدد على وجه الدقة مقدار هذا الارتفاع في تلك السنوات.

اشتد القحط سنة 330هـ / 941م ببغداد حتى بيع كُرّ الحنطة بثلاثمائة وستة عشر ديناراً، فهلك كثير من الناس، ولم يُعرف لبغداد قحط مثله من قبل⁵. ثم ارتفعت الأسعار فيسائر البلاد بعد أن انقطعت الأمطار سنة 344هـ / 955م د، فخرج الناس للاستسقاء فلم يُسقوا. وفي شهر آذار ظهر جراد كثير أتى على ما نبت من الخضروات، فاشتد البلاء على الناس⁶. وتكرر انقطاع الأمطار في سنتي 348هـ / 959م⁷ و349هـ / 960م، فعمّ الغلاء، والغلاء، واشتد أثره في الموصل خصوصاً، إذ بلغ كُرّ الحنطة ألفاً ومائتي درهم، وكُرّ الشعير ثمانمائة درهم، ثم ارتفع سعر الحنطة إلى ألفين ومائتي درهم، بينما استقر الشعير عند ثمانمائة درهم. وكان سبب هذا الغلاء الفيضان الذي وقع في السنة السابقة وأدى إلى تدمير المحاصيل.⁸

غلت الأسعار سنة 373هـ / 983م بالعراق وما يجاوره من البلاد حيث كان القحط شديداً فعدمت الأقوات فمات كثير من الناس جوعاً⁹، واستمر الغلاء سنة 374هـ / 984م

¹-الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 596. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 470.

²-ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 12، ص 373.

³-المصدر نفسه، ج 13، ص 93. ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 757.

⁴-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 158؛ ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 14، ص 06.

⁵-تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج 24، ص 70؛ ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 14، ص 20.

⁶-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 265.

⁷-المصدر نفسه، ج 7، ص 264. ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 237.

⁸-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 267.

⁹-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 416؛ ابن العماد ، المصدر السابق، ج 3، ص 80.

فعانى الناس من مجاعة لم يروا مثلها فيسائر الأقاليم وعم الغلاء¹، تكرر الغلاء في العراق العراق وماجاورها من البلاد واستنسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر في السابع والعشرون من كانون الثاني، وزال القنوط بسبب تأخر المطر حتى انتصف كانون الثاني من سنة 377هـ/987م².

ث- هبوب رياح قوية :

تعتبر الرياح من أهم عناصر المناخ التي تأثر على أحوال الطقس، كما أنها تعتبر من المخاطر الطبيعية الأكثر فتكا بالأفراد والممتلكات خاصة إذا كانت سرعتها قوية جدا وإن دام هبوبها لفترة طويلة، قد تكون رياح رملية أو رياح حارة أو باردة وكل نوع من هذه الرياح آثاره على مختلف الأنشطة، ساد العراق عدة أنواع للرياح اختلفت في مدة ومواسم هبوبها وسرعتها وما تحمله ودرجة حرارتها.

اعتمادا على مصادر تاريخية مختلفة حاولت رصد موجات الرياح القوية التي اعترضت الدولة على امتداد ثلاثة قرون في الجدول الموالي:

الترتيب	السنة	السنة	نوع	الآثار الاقتصادية	المصدر
1	214هـ / 829م	الهجرية والسنة الميلادية	ريح	هبت ريح عظيمة حتى قلعت الشجر وهدمت المنازل.	ابن الجوزي، ج13، ص255.

¹ الدواداري، المصدر السابق، ج 6، ص213.

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص432.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

<p>ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 176؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص 275.</p>	<p>هبت ريح في العراق شديدة السّموم ولم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوماً واتصلت بهمدان وأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجر ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرق، وأهلكت خلقاً كثيراً. ارتفعت في البصرة ريح شديدة أقلعت من نهر الحسن 500 نخلة أو أكثر، ومن نهر معقل مائة نخلة.</p>	<p>ريح سّموم وّموجة برد</p>	<p>232هـ 846م</p>	<p>.2</p>
<p>المصدر نفسه، ج 11، ص 209.</p>	<p>هبت ريح شديد وسموم لم يعهد مثلها فاتصل ذلك نيفاً وخمسين يوماً وشمل ذلك البصرة والكوفة وبغداد وواسد والآهواز، وقتلت المارة والقوافل ثم مضت إلى همدان وركدت عليها عشرين يوماً، فأحرقت الزرع ثم مضت إلى الموصل فخرجت عليهم من سنجر، فأهلكت ما مر به ثم ركدت في الموصل فنعت الناس من الانتشار وعطلت الأسواق وزلزلت هرّاً وأمطرت مطراً شديداً</p>	<p>ريح سّموم</p>	<p>234هـ 848م</p>	<p>.3</p>

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

حتى سقطت الدور				
ال المصدر نفسه، ج 11، ص 270؛ ابن عمار، المصادر السابق، ج 2، ص 92.	خرجت ريح كثيرة من بلاد الترك فمرت بمرى فقتلت بشراً كثيراً بالزكام ثم سارت إلى نيسابور والى الري أصاب أهل سامراء ومدينة السلام حمى وسعال وزكام فقتلت بشراً كثيراً وأشار المتطيبون بالحجامة	رياح باردة	240هـ 855م	.4
ابن الأثير، المصادر السابق، ج 6، ص 247.	كان في تلك السنة برد شديد أهلك الأشجار والثمار والحنطة والشعير وطالب الناس بالخروج على الغلات التي هلكت فاشتد عليهم الأمر.	برد شديد	260هـ 875م	.5
ابن الحوزي، المصادر السابق، ج 12 ص 378.	هبت ريح عاصفة في البصرة، فقلعت كثيرة من النخل وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس.	رياح عاصفة	285هـ 898م	.6
ابن الجوزي، المصادر السابق، ج 13 ص 106؛ ابن الأثير، المصادر السابق، ج 6، ص 416.	هبت ريح صفراء فمات لشدة حرها جماعة.	رياح حارة	297هـ 911م	.7
ابن العماد، المصادر السابق، ج 2، ص 268.	اشتد برد الهواء في كانون الأول فتلف أكثر النخل ببغداد وسوانده وجمدت الخلجان والآبار ثم جمدت دجلة حتى عبر الدواب	رياح باردة	314هـ 927م	.8

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

عليها.				
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 43.	هبت ريح شديد ببغداد تحمل رملا أحمر.	رياح شديدة	317هـ 930م/	.9
ابن العماد، المصدر السابق، ج 2، ص 268	هبت ريح من الغرب وحملت رملا فامتلأت منه أسواق بغداد في الجتبين وسطحها ومتازلها	رياح رملية	318هـ 931م/	.10
السيوطى، المصدر السابق، ص 275.	هبت ريح بالعراق شديد السموم لم يعهد مثلها احرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت ومنعت الناس من المعاش في الاسواق زمن المشي في الطرق وأهلكت خلقا كثير	ريح شديد مرتين في نفس السنة	334هـ 946م/	.11
ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 14، ص 329.	كثرا الرياح والعواصف وجاءت بفم الصلح ريح شبها بالتنين حتى خرقت دجلة حتى ذكر أنها بانت أرضها من ممر الريح وهدمت قطعة من المسجد الجامع، وأهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن الكبيرة. المملوءة بالأمتدة واحتملت زورقا منحدرا فيه دواب وعدة سفن وطرحت ذلك في أرض جوحي.	رياح وعواصف شديدة ريح وسموم شديد	378هـ 989م/	.12

الجدول رقم 09: يمثل موجات الرياح القوية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال معطيات الجدول أعلاه يتضح أن:

- تعرضت العراق لهبوب العديد من موجات الرياح والتي بلغ عددها اثنا عشر موجة، اختلفت في صفاتها حيث أن أغلب الموجات التي سجلت عرفت بشدتها، لكن لم تحدد إذا ما كانت باردة أو حارة، في حين ورد ذكر البعض من هذه الرياح بأوصاف دقيقة.
- شملت هذه الرياح العراق، بغداد، البصرة والموصل، لكن كانت بغداد أكثر عرضة حيث سجل حدوث أربعة موجات في بغداد، وسجلت أربعة موجات في العراق ككل والتي تعتبر بغداد من ضمنها باعتبارها جزء من العراق.

لم تحدد المدة التي استغرقها هبوب هذه الرياح، ماعدا الرياح التي هبت سنة 234هـ/848م والتي دامت مدتتها أكثر من شهر، كما تعرضت بعض السنوات لهبوب موجات للرياح مرتين، كسنة 334هـ وسنة 378هـ.

لم تقل مخاطر هبوب الرياح سواء الباردة أو الحارة وموسمات الحر والبرد عن مخاطر الحوادث المناخية سابقة الذكر، فقد تسببت الرياح التي هبت خلال سنة 323هـ في أضرار للزرع فارتفعت أسعار السلع الرئيسية حتى بلغ كر الحنطة مائة وعشرون ديناراً¹. وتسببت الرياح العظيمة التي هبت في نصبيين سنة 214هـ / 830م بقلع الشجر ،² وأدى هبوب ريح السمو في معظم الأحيان لحرق المحاصيل والأشجار والنخيل، حيث هبت ريح في العراق شديدة السمو ولم يعهد مثلها سنة 232هـ / 847م أحرقت زرع الكوفة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوماً، واتصلت بهمذان وأحرقت الزرع واتصلت بالموصى وسنجران

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص350؛ مسكونيه، المصدر السابق، ج5، ص181-187.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص255.

وأهلكت خلقاً كثيراً،¹ واقتلت من نهر الحسن بالبصرة 500 نخلة أو أكثر ومن نهر معقل مائة نخلة.²

هبت ريح بالعراق شديد السموم لم يعهد مثلها سنة 234 هـ/849 م احرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجر، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرق وأهلكت خلقاً كثيراً،³ وقلعت الريح كثيراً من النخل سنة 289 هـ/902 م،⁴ وأهلك البرد الشديد الأشجار والثمار والحنطة والشعير سنة 260 هـ/874 م،⁵ كما اشتد برد الهواء سنة 314 هـ/927 م فتلف أكثر النخل ببغداد وسواندها وجمدت الخلجان والآبار ثم جمدت دجلة حتى عبر الدواب عليها.⁶

نلاحظ مما سبق تضرر النخيل جراء هبوب الرياح فقد انتشر غرس النخيل ببغداد والبصرة والكوفة والسوداد، فكثرت البساتين والأجنحة وأثمرت الثمر العجيب لكثره المياه وطبيتها،⁷ والتي كان يعتمد عليها في الأكل والصناعات الغذائية والتجارات؛ فتلفها وتأثرها بالكوارث الطبيعية لم يؤثر عليها كغلة تستخدم للأكل فقط.

تضررت الحيوانات جراء حدوث الكوارث الطبيعية، فقد احرقت المواشي بسبب ريح سوم هبت في سنوات 232 هـ/944 م،⁸ كما كثرت الرياح والعواصف سنة

¹ - ابن العماني، المصدر السابق، ص 275

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12، ص 378.

³ - السيوطي، المصدر السابق، ص 275. المنظم، المصدر السابق، ج 11 ص 209.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 416.

⁵ - المصدر نفسه، ج 6، ص 247.

⁶ - الحنفي أبو الفلاح، المصدر السابق، ج 2، ص 268.

⁷ - الحميري، المصدر السابق، ص 112.

⁸ - ابن العماني، المصدر السابق، ص 275.

⁹ - السيوطي، المصدر السابق، ص 275.

سنة 378هـ/1989م وجاءت بفم الصلح ريح شُبَهَت بالتين حتى خرفت دجلة فذكر أنها "بانت أرضها من ممر الريح... وغرقت كثيراً من السفن الكبيرة، المملوءة بالأمتعة واحتملت زورقاً منحدراً فيه دواب وعدة سفن...".¹

عاني التجار من أهوال البحر ومخاطره من رياح شديدة وعواصف وأعاصير، خاصة الرحلة إلى بحار الشرق، حيث كانت تخرج من ميناء سيراف والموانئ الكبيرة المحملة بالسلع والبضائع والرجال، متوجهين إلى الهند والصين فتتعرض للأعاصير والعواصف الشديدة، فيفرق بعضها خاصة السفن الغير مجهزة بالآلات التي تعين على تحديد الخطوط الملاحية.²

2- الآفات الزراعية والوبائية.

أ- الآفات الزراعية والقوارض:

الآفة: هي عرض يفسد ما يصيبه³، من عاهة أو مرض أو قحط، كما عرفت بأنها نوع نوع من المضايقة يحدثها شخص أو حيوان، ويقال "حَلَّتِ الآفةُ بِالزَّرْعِ": أي حدث ما يُفسدُ الزَّرْعَ مِنْ دُودٍ أو حَشَرَاتٍ وَغَيْرِهَا من الحيوانات الضارة وتعتبر الحشرات من أخطر أنواع الآفات؛⁴ وبالتالي فالآفات الزراعية هي مختلف العوامل الحياتية التي تقلل أو تضرر بالإنتاج بالإنتاج الزراعي، والسؤال الذي يطرح نفسه، متى يكون الحيوان آفة؟ يعتبر وجود الحيوان آفة إذا تواجد في مكان غير مناسب أو بأعداد كبيرة في منطقة ما.

¹ ابن الجوزي، المصدر السابق، 14ج، ص329.

² لمياء بنت عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص237.

³ بن المناوي عبد الرؤوف (ت952هـ/1031م): التوفيق على مهامات التعريف، تح عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، مصر، 1990، ص57.

⁴ حمود بن درويش بن سالم الحسني: مبيدات الآفات الزراعية وقوانينها. وزارة الزراعة والثروة السمكية، سلطنة عمان، 2012، ص23.

هجمات الحشرات والقوارض:

تعرضت الدولة العباسية للعديد من هجمات الحشرات والقوارض التي تركت آثاراً وخيمة على الجانب الزراعي خاصة، فظهورها يعني حدوث خراب إذ ارتبط حجم الخسائر التي خلفتها بعدد تلك الحيوانات ومدة بقاءها، في الجدول التالي رصد لأهم الآفات الزراعية التي أضرت بالمنطقة :

الترتيب	السنة الميلادية والسنوية	نوع الكارثة	الرقة الجغرافية	المصدر
.1	206هـ 821م	جراد	وقع الجراد واليرقان.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 149.
.2	222هـ 736م	الفئران	ظهر بهذه السنة من الفأر مالم يحط به الإحصاء وأتى على غلات الناس ثم تقانى بوقوع الموت فيه.	المصدر نفسه، ج 11، ص 73.
.3	240هـ 854م	الجراد	وقع الجراد بالبصرة فأصاب الناس ومات منهم ألف وثلاثمائة انسان ما بين رجل ومرأة.	المصدر نفسه، ج 11، ص 270.
.4	304هـ 917م	حيوان الزبزب	خافت العامة ببغداد من حيوان اسمه الزبزب.	ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 800؛ ابن

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 395.					
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 218؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 17.	ظهر الجراد في بغداد فأضر بالغلال والشجر.	جراد	311 هـ 923/	.5	
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 378؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 110.	ظهر جراد كثير في هذه السنة.	الجراد	327 هـ 939/	.6	
الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 335؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 6.	وفي من الجراد الشيء الكثير، فغلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب،	جراد	331 هـ 942/	.7	
ابن الجوزي،	حشود من القمل في الزرع حتى يئس	حشود من	334 هـ	.8	

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

المصدر السابق، ج 14، ص 48.	الناس على غلاتهم الأتضفانى، سدى ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، المصدر السابق، ص 149.	العمل في الزرع أسراب طيور صغيرة	945/	
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 247.	ظهر بسواحل العراق جراد كثير، أقام أياما وأثر في الغلات آثارا قبيحة، وكذلك ظهر بالأهواز وديار الموصل، والجزيرة والشام، وسائر النواحي ففعل بها ما فعله بالعراق.	أسراب جراد	342هـ 954/	.9
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 98؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 222.	ظهر جراد كثير في حزيران فأتى على الغلات الصيفية والأثمار، وأضر بالشجر والثمار.	جراد	344هـ 956/	.10
ابن الجوزي، المصدر	ظهر في آخر نيسان وأيار جراد أتلف الغلات الصيفية والثمار ببغداد وأتلف	جراد	347هـ 959/	.11

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

السابق، ج 14، ص 114.	من الغلات الشتوية بديار مصر شيئاً عظيماً، واجتاحت الرطاب والمطابخ.				
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 264؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 237.	ظهر جراد عظيم فأكل ما كان قد نبت من الخضراوات وغيرها فاشتد الأمر على الناس.	جراد عظيم	348هـ 960م	12	
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 205.	ظهر جراد صغار فنسفتها الريح فصارت دجلة مفروشة.	أسراب الجراد	360هـ 970م	13	

الجدول رقم 10: يمثل هجمات الحشرات والقوارض في الدولة العباسية خلال الفترة 198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال المعطيات الواردة في الجدول أعلاه:

اتضح أن أكثر الآفات الزراعية حدوثاً هي هجوم أسراب الجراد، ولعل هذا ما يفسر اهتمام المؤرخين المسلمين بتصنيف كتب اختصت بذكر حشرة الجراد ، إذ ذكرت تسمياتها وأنواعها ومراحل حياتها وأضرارها، ومن أهم هذه المؤلفات كتاب النبات "الدينوري" حيث نجد فيه باباً في صفة الجراد ودورة حياته.¹

¹ - الدينوري أبي حنيفة بن أحمد بن داود (ت 282هـ): كتاب النبات، ترجمة برنهارد لفين، شتاينز بقيسبادن، 1974، ج 3، ص 53.

ولأنه ليس من الممكن التنبؤ بوقوعها كثيراً ما خرج الأمر عن السيطرة، إذ تكرر حدوثها ثلاثة عشرة مرة فتنتج عن ذلك آثاراً وخيمة خاصة على الزراعة، فالجراد يطير بالنهار فإذا أمسى بمكان لا يدع فيه تلك الليلة أخضر ولا أبيض إلا قضمها، وما زاد الأمر سوءاً أنه يأكل الفرع ويترك الأصل وإذا وقع على عود سمه بلعابه فلم ينبت أصله،¹ والمعلوم عنه شراحته في الأكل وقدرته على التمييز بين الأعشاب السامة والصالحة للأكل.

يعتبر الجراد من أشد أنواع الحشرات فتكاً بالمحاصيل الزراعية التي يهاجمها في الحقول، ولا توجد حشرة أخرى تمااثلها في درجة الخسائر الاقتصادية والبيئية التي تتسبب عنها، في المناطق التي تتعرض لها من خلال مهاجمة أسرابه المزروعات وكل نبات في صورة غارات وبائية فيتركها أعواضاً جافة خالية من الأوراق والثمار، حيث تصل مسافة طيران السرب إلى أكثر من 2200 كم بدون توقف، وتتراوح سرعة السرب إلى 19 كم/ساعة تبغا لسرعة الريح،² كما سجلت المصادر ظهور أسراب من الطيور والقمل والجردان والتي لم تتكرر كثيراً، حيث وقعت كل منها مرة واحدة فقط.

الازم اهتمام المسلمين بالزراعة إيجاد حلول لهذه الآفات الزراعية، إذ تحدثوا عن طرقهم الميكانيكية مثل مصائد الفئران والقوارض، كما استخدمو المبيدات الحشرية الكيماوية في صورة طعوم أو سوائل ترش أو غازات بواسطة التدخين والتي كانت ذات فاعلية محدودة، ومن بين المواد التي استعملت برادة الحديد، ولمكافحة القمل قال المسلمون "إن المسافر يتقد قلادة من الصوف ملطخة بالزئبق المقتول فإنه لا يتولد في ثوبه قمل أصلاً"، أما مواد

¹-الدينوري، المصدر السابق، ج 3، ص 65.

²- محمد صبري محسوب و محمد إبراهيم أرباب، المرجع السابق، ص 189.

التبيخير فهي مواد كيمائية طاردة طيارة سريعة التبخر أحياناً تكون سمية لكن كثيراً ما تكون غير سمية إذ أنها تستخدم ضد الحيوانات الواضعة للبيض والماسة كالبعوض.¹

يؤدي هجوم الحشرات وخاصة الجراد إلى تلف المحاصيل الحقلية والخضروات مما ينعكس سلباً على إنتاج فظورها يعني حدوث خراب، إذ ارتبط حجم الخسائر التي خلفتها بعدد تلك الحيوانات ومدة بقاءها وكذا سرعة تطبيق الإجراءات للقضاء عليها، إذ اقترن ذكر ظهور أسراب الجراد بتلف الغلات والشجر مثلاً حدث سنة 311هـ/924م،² كما تكرر ظهوره بسود العراق سنة 342هـ/954م ، بأعداد كبيرة حيث أقام أياماً وأشهر في الغلات آثاراً قبيحة، وكذلك ظهر بالأهواز وديار الموصل، والجزيرة والشام، وسائل النواحي ففعل بها ما فعله بالعراق،³ كما أتى على الغلات الصيفية والأثمان، وأضر بالشجر والثمار سنة 344هـ فاشتد الغلاء وعدمت الأقواف.⁴

أثَلَّتِ الغلات الصيفية والثمار ببغداد سنة 347هـ لنفس السبب ،⁵ وفي سنة 348هـ ظهر جراد عظيم فأكل ما كان قد نبت من الخضروات وغيرها فاشتد الأمر على الناس، بعد أن انقطعت الأمطار فغلت الأسعار وخرج الناس يتسقون بما سقوا،⁶ ظهر من الفأر مالم يحط به الإحصاء سنة 222هـ/837م وأتى على غلات الناس،⁷ كما ظهرت حشود من

¹-علي جمعان الشكيل: المبيدات الحشرية في الحضارة الإسلامية، مجلة الفيصل، الع 267، 1999، ص 92-93.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 17.

³- المصدر نفسه، ج 7، ص 247.

⁴- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 98.

⁵-المصدر نفسه، ج 14، ص 114.

⁶- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 264.

⁷- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 73.

القمل سنة 334هـ في الزرع حتى يئس الناس على غلاتهم،¹ وكان الفلاح مكتوف الأيدي اتجاه هذه الآفة، فلا نسمع عن مكافحة فعلية له.²

لم يكن للفلاحين وسيلة لمكافحة الجراد والأوبئة التي تهدد مزارعهم عدا بعض الطرق البسيطة التي لم تكن نافعة في كثير من الأحيان لذلك كان البلاء كبيراً، حيث استعملوا بعض الوسائل كالطبول والأبواق، ولبعد الطيور - خاصة العصافير - كان الفلاح يعلق بعض الطيور المخيفة كالغراب وغيرها، كما كان الفلاحون يستعملون الأطفال لإزالة الطيور وببعادها عن الزرع.³

ب- الأوبئة

انتشر في الدولة العباسية الكثير من الأمراض المعدية والأوبئة، قبل التطرق لحوليات حدوث الوباء لابد أولاً من الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للوباء ومن ثم الأسباب المؤدية لظهوره؛ فالوباء: لغة كل مرض عام (يَمْتَدُ أو يَقْصُرُ)⁴، وجمع القصور أوباء، وجمع المدود أوبئة، وقد وَبَتْ الأرض تَوْبَةً إِذَا كثُرَ مرضها وكذلك وَبَتْ تَوْبَةً وَبَاءَةً فهـي وَبَيْةً وَوَبِيَةً على فعلة وفعالية وأوباءً أيضاً فهي مَوْبُوَةً وَاسْتَوْبَاتُ الأرض.⁵

¹ المصدر نفسه، ج 14، ص 48.

² عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995، ص 71.

³ عواد مجید العوضي، المرجع السابق، 271.

⁴ ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 189.

⁵ الجوهري أبي ناصل إسماعيل بن حامد (ت 398هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة محمد محمد تامر وأخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009، ج 1، ص 79. ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 189.

أما اصطلاحاً: فهي الأمراض التي تصيب أناس كثراً في بلد واحد وفي زمان واحد، ونادراً ما ينجو من الموت من يصاب بها، كما تعرف بأنها تفشي لمرض بأسلوب غير متوقع يستدعي الاستفار.¹

يتبيّن أن الوباء لا يحدث صدفة وإنما هو ناتج لاجتماع عوامل اجتماعية وسياسية مع عوامل طبيعية، فقد تعددت العلل المفسرة لظهور الوباء بين مختلف المؤلفات والمصنفات سواء تلك التي كان الوباء موضوعها الأساسي وحتى تلك التي تطرقت إليها ضمن جملة المواضيع الفقهية والطبية والتاريخية.

ورد في القرآن الكريم أن بعض الأمراض كانت ترسل على أقوام من الأمم السابقة كعقوبة لهم على تكذيبهم للرسل وكفرهم بالله تعالى، لقوله تعالى عن قوم فرعون { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ }²، والمقصود بالطوفان في هذه الآية "الوباء" حسب ما أورده المفسرون³ وبالتالي فقد فسر ظهور الوباء كعقاب للأقوام على كفرهم وظلمهم أي أنه يأتي كعقاب إلهي وذهبت المصنفات الفقهية نفس المنحى في تفسير حدوثها.

في حين أرجعتها المصنفات الطبية لأسباب طبيعية وأخرى بشرية إضافة لقبول الجسم وتهيئه لقبول المرض والعدوى، حيث ارجع التميي ظهور وانتشار الوباء لفساد الهواء؛ حيث أنه ربط ظهور الوباء بنوعية الهواء وهذا دليل على إدراكه لمدى مساهمة الهواء في توفير حياة خالية من الأمراض، وقد عبر عن ذلك بقوله: "فلاشتراك جميع الناس في استنشاقه

¹ - محمد صبري و محمد إبراهيم الأرباب، المرجع السابق، ص 195.

² - سورة الأعراف، الآية 133.

³ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (310هـ/224هـ): تفسير الطبرى جامع البيان عن تأويل القرآن، تحرير محمود محمد شاكر، مراجعة: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت)، ج 13، ص 52-53.

يؤدي لعموم المرض في ذلك الموضع أو في أكثر من موضع¹ ويضيف لذلك الأندلسي قوله "إذا اتصف الهواء بالصفة الوبائية أفسد الحياة بتعفن الروح الذي في القلب لشدة مخالطته ومجاورته له"² ويربط ابن النفيسي فساده بأسباب أرضية أو سماوية كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في الملاحم.³

تأثر هواء العراق بملامسته للجثث المتعفنة عقب حدوث الكوارث الطبيعية خاصة الفيضانات والزلزال، ويكون ذلك لما تخلفه تلك الكوارث من جثث متناثرة يصعب دفها لكثرتها أو بقائها تحت الأنقاض مما يساهم في فساد الهواء فتتأثر بذلك الحالة الصحية، وقد أوردت المصادر عبارات دالة عن انتشار الجثث عقب حدوث الكوارث الطبيعية؛ والتي أثرت حتمياً على جودة الهواء وساهمت وبالتالي في انتشار العدوى وذلك لاشتراك الناس جمياً في استنشاق الهواء فبفساده يعم المرض في ذلك الموضع أو ينتقل لمواقع أخرى.⁴

من تلك العبارات "تركوا دفن الموتى لكثرتهم"⁵، "عجز الحفارين عن دفن موتاهم"⁶ يموت في كل يوم قرابة ألف نفس⁶ أو "حتى كان لا يدفن أحد أحداً بل يتربون على الطرقات فتأكلهم الكلاب"⁷، "كثر الموت على الطرقات"⁸، وبالتالي ينتقل الوباء من خلال

¹- التميمي المقدسي محمد بن احمد (ق4هـ): مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء، تح يحيى الشعار، معهد المخطوطات العربية، ط1، القاهرة، 1999، ص54.

²- الأندلسي ابن زهر أبي مروان عبد الملك (ت557هـ): كتاب الأغذية، وضع حواشيه محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص143.

³- ابن النفيسي علاء الدين ابن حزم القرشي (ت687هـ): الموجز في الطب، مكتبة ديلكتروم، مصر، (د.ت)، ص10.

⁴- أبي العلاء أبو مروان (ت525هـ/1130م): كتاب الأغذية، تح أكبيرايتون غارنيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1991، ص13.

⁵- ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص201.

⁶- المصدر نفسه ج11، ص213.

⁷- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص19؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص217.

⁸- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص19.

الهواء المار بجيف الأموات خاصة المجنومين والمصابين بالطاعون، والمثال عن ذلك زلزال سنة (347هـ/958م)¹ ببغداد والذي تبعه حدوث "موت الفجأة" في السنة المولالية،² وزلزال سنة (376هـ/986م) الذي مات بسببه خلق كثير و تبعه وباء عظيم في السنة المولالية³.

كما ساهم تلوث الماء في ظهور وانتشار الأوبئة، حيث أدى تزامن حدوث الكوارث من فيضانات وسيول مع إهمال أعمال الصيانة وعدم تهيئة قنوات الصرف إلى تشكل البرك والمياه الراكدة التي كانت بعد انحسارها سببا في ظهور الأوبئة، حيث أنها أصبحت كمرتع للجراثيم والحشرات الحاملة للأمراض فقد أكد لنا ابن الفقيه انتشار الذباب والبراغيث بكثرة في بغداد والعراق،⁴ فالبراغيث تعمل على نقل الطاعون من القوارض الميتة، ثم تهاجم جسم الإنسان لتنفذ منه.

إضافة لما تخلفه المدود العظيمة وفيضانات دجلة من مستنقعات وبطائق بسبب تراجع مقومات النشاط الاروائي، فأدى ذلك في كثير من الأحيان إلى غرق بغداد حيث تكرر حدوث الفيضانات خلال هذه الفترة.⁵

فبالنظر إلى خارطة الموارد المائية في العراق بدقة نلاحظ تلك الشبكة التي تؤلفها الجداول والترع المتفرعة عن نهري دجلة والفرات، والتي تجري في جميع مسالك البلاد ودروبها، فيعتمد عليها في الشرب والسقي وبالتالي فأي ضرر يعرض لماء دجلة والفرات أو مياه أحد تلك الجداول سيضر حتميا بأهالي المنطقة،⁶ لأن الماء يتأثر بما يخالطه

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص119.

² - المصدر نفسه، ج14، ص220.

³ - ابن كثير ، المصدر السابق، ج 11، ص305.

⁴ - الهمداني أبي بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه (ت290هـ) : مختصر تاريخ البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص 2015.

⁵ - ابن الجوزي: المصدر السابق، ج14، ص 235-254.

⁶ - اليعقوبي، المصدر السابق، ص44.43.

وبالكيفيات التي تغلب عليه،¹ ونظراً للتأثير المتبادل بين الهواء والماء والتربة، يؤدي تلوث أحد هذه العناصر إلى تلوث العنصر الآخر، حيث أن التبخر يعمل على نقل الميكروبات والجراثيم المتواجدة في الماء إلى الهواء.²

كما أدى إلقاء الجيف النافقه بعد حدوث الكوارث في الأنهر إلى تلوثها مثماً حدث سنة (941هـ/329م) حين طرحت المواشي في نهر الدجلة أعقاب وقوع الموت في المواشي فكثرت الحمى ووجع المفاصل؛³ وبالتالي تنتقل تلك الأمراض إلى الإنسان عن طريق الشرب أو تناول ما سقي بها، فالماء الفاسد يغير القيمة الغذائية للأغذية.

كما رُبِطَ ظهور الوباء بالقحط الشديد والجفاف الغير المحدود المؤدي لظهور الغلاء وصعوبة الحصول على الغذاء، ما يجعل الناس تأكل الجيف لشدة الجوع واستحالة الحصول على الغذاء،⁴ فقد ارتبطت أزمات الغلاء والمجاعات في بعض الأحيان بالأوبئة الفتاكه والأمراض المعدية نتيجة الأطعمة والأشربة رئيسة النوعية وغير المستساغة أو لقلة كمية الأطعمة المتناوله حيث تضعف مناعتهم أمام الأمراض، فتظهر الأوبئة التي ترافق عادة الفقر والبؤس.⁵

ربط ابن خلدون ظهور الوباء بمعطيات ديموغرافية والتي عبر عنها بمصطلح "كثرة العمران" بقوله "وقوع الوباء سببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثره ما يخالفه من العفون والرطوبات الفاسدة...". مركزاً على ضرورة ترك مساحات بين الأبنية ليتسنى للهواء

¹ ابن سينا أبي علي حسن (ت 468هـ): القانون في الطب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ج 1، ص 134.

² عصام فكون: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مطبعة الكويت، الع 3، المجلد 2، 1971، ص 37.

³ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 11، ص 197.

⁴ حياة ناصر الحاجي: الماجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامي 694-695هـ/1294-1295م، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، الع 7، 1984، ص 150.

⁵ المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد (ت 845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ت)، ص 76. آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر عبد الهادي عبلة، دار قتبة، 1985، ص 396.

الفاسد أن يتغير مضيفاً أن حدوث الوباء حتمية تاريخية أي أنه يرافق الدولة في آخر أيامها.¹

فتلاصق العمران يجعل تراكم الأوساخ أمراً منطقياً نظراً لغياب الفراغات الفاصلة بين المنازل وموقع العمل وبقية الأنشطة الضرورية للحياة الاجتماعية بما يجعل نقل العدوى يتم بصورة سريعة، ومصطلح كثرة العمران يقترب في تقديرنا من مصطلح الزحف العمراني الراهن وهو النمو غير المنسق أي التوسع للمجتمع بدون النظر إلى عواقب التوسع ، وباعتبار بغداد عاصمة الخلافة العباسية فقد كانت أكثر المناطق تعرضاً للأوبئة مقارنة مع بقية المدن وذلك لكتافة السكان بها وكثرة الأنشطة الاقتصادية، ويوضح ذلك من خلال الروايات الواردة في المصادر حيث أن أغلبها تذكر حدوث الوباء في المدن الكبيرة. فيما يلي سرد لسنوات ظهور وانتشار الأوبئة التي اعترضت الدولة العباسية والتي نقلتها لنا أهم المصادر التاريخية.

الترتيب	السنة الهجرية/ السنة الميلادية	نوع الوباء	الآثار الاقتصادية.	المصدر
1.	240هـ / 854م	حمى وسعال	أصاب أهل سامراء و مدينة السلام حمى وسعال وزكام فقتلت بشرًا كثيرة وأشار المتطيبون بالحجامة.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 270.
2.	241هـ / 855م	وباء الدواب والابقار.	وقع الوباء فنفقت الدواب والابقار.	الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 201. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 248.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 153.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

3	871هـ/م 258	وباء شديد.	ه وقع في الناس وباء شديد في بغداد وسامراء وواسط وغيرها من البلاد، وحصل للناس في بغداد داء اسمه الفقاع	الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 495.
4	910هـ/م 258	وباء الفقاع ووباء شديد ببغداد وسامراء وواسط وغيرها من البلاد، وحصل للناس ببغداد داء يقال له الفقاع.	وقع في الناس وباء شديد ببغداد وسامراء وواسط وغيرها من البلاد، وحصل للناس في بغداد داء اسمه الفقاع	ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 541؛ الأصفهانى، المصدر السابق، ص 137
5	912هـ/م 300	داء الكلب والذئاب	كثرت الأمراض والعلل والعنف ببغداد في الناس وكلبت الكلاب والذئاب في الباذية وكانت تطلب الناس والدواب والبهائم فإذا عضت انسان أهلكته.	ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 13، ص 133؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 778.
6	913هـ/م 301	طواين حنين والماشرا	كثر وباء عظيم نوع سموه حنين ونوع سموه الماشرا فأما الحنين كانت سليمة وأما الماشرا فكانت طاعون.	الطبرى، ج 10، ص 147. ابن كثير، ج 14، ص 784.
7	972هـ/م 324	فناه عظيم	وقع ببغداد غلاء عظيم وفناه كثير، بحيث عدم الخبز منها خمسة ايام ومات من اهل	ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 96.

	<p>البلد خلق كثير واكثر ذلك كان ضعفاء وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بهم ويحمل على الجنازة الواحدة اثنين من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة ومات من أصبهان حوالي مائتي الف انسان.</p>			
<p>الجوزي، ابن المصدر السابق، ج 13، ص 374.</p>	<p>وقع وباء في البقر وظهر في الناس الجرب وبثور.</p>	<p>وباء البقر داء الجرب والبثور</p>	<p>974هـ/326م</p>	<p>8.</p>
<p>الأثير، ابن المصدر السابق، ج 7، ص 158.</p>	<p>كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى الناس في ربيع الاول فسقوا مطرا قليلا لم يجر منه ميزاب ثم اشتد الغلاء والوباء وكثير الموت حتى كان يدفن الجماعة في القبر الواحد ولا يغسلون ولا يصلى عليهم، ورخص العقار ببغداد والأثاث حيث بيع ما ثمنه دينار بدرهم.</p>	<p>وقع الموت بين المواشي والوباء بين الناس</p>	<p>941هـ/329م</p>	<p>9.</p>

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

الجوزي، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 27.	غلت الأسعار حتى أكلوا الكلاب ووقع الوباء، ووافي من الجراد والأعرابي الأسود أمر عظيم حتى بيع خمسين رطلا بدرهم، فكان في ذلك معونة للفقراء لشدة الغلاء.	وضع الوباء	943هـ/331م	.10
الجوزي، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 94؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 219.	كان بخرسان والجبل وباء عظيم هلك فيه خلق كثير لا يحصون كثرة.	أمراض حميات. اعجاع حلق. علة مركبة من الدم والصفراء. طاعون.	954هـ/343م	.11
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 250.	علة مركبة من الدم والصفراء فشملت الناس فهلك جميع من في الدار... كانت بقية العلة قد طرأت على الأهواز وبغداد وواسط والبصرة، واقترن بها هناك وباء حتى كان يموت كل يوم ألف نفس.	داء مركب من دم وصفراء	955هـ/344م	.12
الجوزي، ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 15، ص 222.	علة مركبة ومات خلق كثير.	طاعون ماشري	957هـ/346م	.13

ج 14، ص 109؛ ابن الاثير، المصدر السابق، ج 7، ص 250.				
الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 388.	كثر موت الفجأة بالطاعون فجلس أحد القضاة بسواده في الجامع ليحكم فمات.	طاعون وجدري	959هـ/959م	.14
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 314.	عرض الناس داء الماشري، فمات به خلف كثير فجأة.	داء الماشري	968هـ/968م	.15
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 317؛ ابن كثير، ج 15، ص 426.	وباء فهلاك من الناس خلق كثير.	حميات حادة	986هـ/986م	.16
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 427.	ووقع مع الغلاء وباء عظيم.	وباء	987هـ/987م	.17
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 329.	غلا السعر، وعدم الأقوات وظهور الموت والأغلال في محرم.	وباء	988هـ/988م	.18

الجدول رقم 11: يمثل الأوبئة والأمراض التي ظهرت وانتشرت في خلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - إعداد الباحثة -.

من خلال المعطيات الواردة أعلاه:

- يتضح أن وقوع الوباء ظاهرة مألوفة لدى العباسين وذلك لتكرار حدوثها خلال فترات متقاربة ومتتالية في كثير من الأحيان.
- أطلق المؤرخون تارة لفظ "الوباء" دون تحديد نوعه، في حين أنهم سمو بعض الأمراض كالجدري، الطاعون... بأسمائها، وربما يرجع ذلك لوجود بعض الأنواع من الأمراض غير معروفة عندهم لجهلهم بها ولما تخلفه من آثار وخيمة وتسبيبها في موت الكثريين، أو لقلة وقوعها أطلق عليها اسم "وباء". في حين وجدت أمراض أخرى معروفة والتي تكرر حدوثها عدة مرات "كالطاعون"¹ فمن أكثر الأوبئة التي عانا منها سكان المنطقة

¹- **الطاعون:** لغة نوع من الوباء، وهو عند أهل الطب ورم رديء قتال يخرج معه تهاب شديد مؤلم جداً يتجاوز المقدار في ذلك ويصير ما حوله في الأكثر أسود وأخضر ويحول أمره إلى التقرح سريعاً وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع في الابط وخلف الأذن والأرببة وفي اللحوم الرخوة؛ ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، زاد الميعاد في هدي خير العباد، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة لرسالة، ط 3، (د.ت)، ج 4، ص 34-35؛ فرق الباحثون بين الطاعون والوباء، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون، لأن الوباء أشمل وأعم، وقد يكون مجموعة من الأمراض المتشابهة الأعراض ليست طواعين بالضرورة، لكنها سوف تكون في هذه الحالة خطراً على المجتمع؛ ابن حجر العسقلاني الحافظ أحمد بن على (ت 852هـ)؛ بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، (د.ت)، ص 103؛ جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث بخصوص الطواعين وحدوثها إذ أكد أنها من أكثر الأوبئة المسببة للموت بقوله، "فناه أمتى بالطعن والطاعون"؛ الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت)، ج 2، ص 310؛ فقالت السيدة عائشة الطعن (الطعن بالرماح) عرفناه بما الطاعون؟ فقال رسول الله "غدة كغدة البعير تخرج من المراق والآباط"؛ ابن القيم، المصدر السابق، ص 35؛ وقال في حديث آخر الطاعون شهادة لأمتى ووخر أعدائكم بالجن غدة كغدة البعير تخرج من الآباط والمراق من مات منه مات شهيداً ومن أقام به كمرابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفأر في الزحف" كما قال عليه الصلاة والسلام "الطاعون شهادة

هي الطواعين والتي تكرر وقوعها خمس مرات، قد يفسر ذلك لتوفر الأسباب المؤدية لحدوثه والتي تميزت بامتدادها الزمني والتقارب، حيث كانت أكثر الأوبئة وقوعا خلال القرن الرابع للهجرة خاصة، وبالتالي كان حدوث الطواعين ظاهرة مألوفة، تختلف في شدة تأثيرها وفقا لفترة وقوعها ربيعا أو شتاءا ومدتها ومعظمها لم تكن طواعين شاملة وأغلب ما تكون في منطقة دون أخرى.

كانت العدوى هي الطريقة الوحيدة لانتشاره، وهنا يأتي دور الأفراد والمجتمع في وقفها، فقد كانت العادات السيئة للإنسان العراقي سببا في العدوى، حيث تنتشر الأوبئة بدرجات متفاوتة وفقا لمدى تقدم سبل الوقاية والعلاج والقضاء على ناقلات الوباء مثل القوارض والذباب والناموس، تكون العدوى بالانتقال مباشرة من المريض إلى آخر بالاتصال المباشر أو عن طريق المكوث في مكان واحد أو عن طريق حوائج المريض والملابس والفرش، حيث سلم بهذه النظرية ابن سينا والرازي وابن الخطيب وأبدعها ابن الخطاطمة مفصلا حين شدد على هذه الجزئيات الدقيقة وأكده على طريقة الانتقال حين قال "بعد تجربة طويلة فإن العدوى تنتج

والمطعون شهيد"؛ الماركفورى أبي العلي محمد عبد الرحمن: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، مر عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ج 4، ص 171، ومن أقوال الصحابة بخصوصه، أن معاذ بن حنبل قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول "ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمى أو كالحرز يأخذ بمرأق الرجل يستشهد الله به أنفسهم ويزكي بها أعمالهم اللهم إذا كنت تعلم أن معاذ بن حنبل سمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام "فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر فأصابهم الطاعون. الهيثمي، مصدر سابق، ج 2، ص 311؛ فالظاهر أن الأطباء لم يدركوا منه إلا الأثر الظاهر فجعلوه نفس الطاعون.

عن تماس مباشر مع شخص مصاب بمرض واد" كما أكد ابن الخطيب أن وجود العدو تأكّد بالتجربة والبحث والملاحظة والشهادات الموثوقة.¹

انتشار الأمراض يستوجب كذلك توفر نوع من الاستعداد البنّوي، حيث يقول ابن سينا ليس كل سبب يصل إلى البدن يفعل فيه؛ بل قد يحتاج مع ذلك إلى أمور ثلاثة إلى قوّة من قوّة البدن الاستعداديّة، وتمكن من ملاقة أحدهما لآخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل

منه²

يعتبر مرض "الحميات"، ثاني الأمراض المعدية التي أدت إلى هلاك سكان العراق والتي تحدث نتيجة عفونة الأُخْلَاط،³ وفي الغالب كانت الحميّات ناتجة للوباء والطاعون أو مكملة لها، إذ كانت تعتبر المرض الثاني الأكثر انتشاراً بعد الطاعون والوباء، ويعتبر بالمعنى الطبي ليس مرضًا واحدًا بل عدة أمراض فيروسية معدية تنتقل عن طريق الجهاز التنفسي للإنسان، وتؤدي بدورها إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم، وقد تؤدي إلى الوفاة حسب شدتها، ظهرت كذلك "العلة المركبة من الدم والصفراء" و"الجذري" والتي اعتُبرت هي الأخرى من الأمراض سريعة الانتشار.⁴

كان لتفشي الأوبئة أثر بالغ على النشاط الزراعي في الدولة العباسية، حيث أنها تحدث اضطراباً في الانتاج الزراعي وذلك بتأثير الأيدي العاملة التي كان مصيرها إما الموت أو

¹-المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، العرب وعلم الأوبئة، مجلة التعريب، مج 07، الع 13، 1997، ص 41.

²-ابن سينا، القانون في الطب، المصدر السابق، ص 80

³- المجوسي(ت400هـ): مخطوطة كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي)، مكتبة الجامعة الأمريكية، لبنان، (د.ت)، ج 1، ص 331.

⁴- خالد حربى: علم الأوبئة في الحضارة الإسلامية وأثره في مكافحة جائحة كورونا، منشورات سوتيميديا، 2022، تونس، ص 151-153.

الهجرة وترك الأراضي، كما أن الخوف من العدوى جعل الكثير من الفلاحين يعزفون عن العمل في الحقول والتنقل بين القرى مما عمق حالة الركود الزراعي أثناء انتشار الأوبئة. ومما أدى في كثير من الأحيان لارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية، رغم أن المصادر لم تفصل في ذلك عادة بعض الإشارات مثلاً حدث سنة 367هـ/1977م حين ظهرت الحميات فهناك خلق كثير ووقع مطر كثير فغلت الأسعار¹، كما عدلت الأقواف وغلت الأسعار وظهر المرض في محرم سنة 368هـ/1978م، وبيعت الكارة الدقيق بستين درهماً².

أصيبت الحيوانات³ كذلك بالأوبئة، لا سيما الماشية والخيول والتي كانت تعتبر جزءاً من الاقتصاد العراقي، ولإصابة الثروة الحيوانية في العراق بها نتج عنه كذلك إصابة السكان بالأوبئة.

من ضمن الأمراض الوبائية التي تسببت في إنهاك الحياة الاقتصادية للعراق تلك الأمراض التي أصابت الحيوانات لا سيما الماشية والخيول باعتبارها جزء من الاقتصاد العراقي، حيث نفقت الدواياب سنة 241هـ/856م⁴، وأشارت المصادر لكثرة الأمراض والعلل والعنف ببغداد في الناس سنة 300هـ/913م، حيث كلبت الكلاب والذئاب في البدية فإذا عضت إنسان أهلكته⁵، ووقع وباء في البقر 326هـ/938م¹.

¹- ابن كثير، المصدر السابق، 15، ص426.

²- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص329.

³- عادل محمد علي: حدائق الحيوانات في بغداد، مجلة المورد، الع 4، المج 8، 1979، ص663. طه حسين عبد العال حسين، الرمراجع السابق، ص310.

⁴- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج، 11 ص284. محمد سعد اسماعيل: الأوبئة والظواهر الفلكية وأثرها في العراق في ضوء كتاب المنظم لابن الجوزي 334هـ-945م/574هـ-1178م، المرجع السابق، ص113.

⁵- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص133.

تأثرت الصناعات التي تعتمد على مواد خام حيوانية (الجلود، الأصوف، الألبان واللحوم..) بما أصاب هذه الثروة من أوبئة أدت لموتها، وبالتالي قلة أو ندرة موادها الخام في كثير من الأحيان ، فقد تكرر وقوع الأوبئة الحيوانية خمس مرات.²

أشار إخوان الصفا إلى أن من الصنائع ما هو الموضوع فيها بأحد الأجسام الحيوانية من اللحم والعظم والجلد والشعر والصوف والقز كصناعة القصابين والشوائين والطباخين والأساكفة³ والدバغين⁴. وبالتالي فقد ساهمت الثروة الحيوانية في العديد من الصناعات الجلدية والنسيجية والغذائية، وتأثرها بالمرض أو الموت يؤثر سلبيا على هذه الصناعات.

اعتنى الكثير من أهالي القرى بتربية وانتاج الأبقار والأغنام⁵ والتي تركز وجودها في مناطق عديدة كسواحل البصرة وسواحل واسط وسواحل بغداد،⁶ كما شكلت جلود الابل والخيول مادة أساسية في هذا النوع من الصناعات،⁷ إضافة لذلك استخدمو جلد الحمير والخيول والماعز والزراف والفيلة ⁸ في صناعة الأحذية وسرور للبغال والحمير والهواوج للابل.⁹

¹ المصدر نفسه، ج 13، ص 374.

² - انظر المبحث الثاني، الفصل الثاني، ص 150-164.

³ - اخوان الصفا، المصدر السابق، ج 1، ص 281-283.

⁴ - علي جمعان الشكيل: صناعة الأصباغ في الحضارة الاسلامية، مجلة آفاق الثقافة والترااث، السنة 8، الع 32، 2001، ص 147.

⁵ - الجاحظ، الحيوان، المصدر السابق، ج 5، ص 476، 482.

⁶ - صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: ريادة العرب في مجال علم الحيوان، مجلة تراث، الع 251، 2020، ص 30.

⁷ - محمد زين العابدين: عناية البيطرة العربية بالخيل والابل، مجلة تراث، الع 251، 2020، ص 38.

⁸ - عبد الحميد جمال الفراي وآخرون: دراسات حضارية في التاريخ الاسلامي (الصناعة -الطب- الحياة العلمية)، دار التعليم الجامعي، 2021، ص 15.

⁹ - علي كاظم عبد الله، المرجع السابق، ص 52.

يؤدي نقص المواد الأولية الجلدية لزيادة سعر الجلود، فأسعار النعال مثلاً كانت تُقيّم وفقاً لجودته ومادة صنعه وذلك للعلاقة الوثيقة بين المادة الخام من جلد وصناعة الأحذية، فكلما توفّرت المادة الأولية كلما كان سعره في متّاول المشتري والعكس، خاصة وأنّ الأحذية من المواد المهمة في حياة الإنسان، ويُوفّر هذا النوع من الصناعات فرص عمل للكثيرين، أمّا بالنسبة لتجارة الأحذية فلم تقتصر على الوسط المحلي، بل عملت الخلافة على تصدير "الخفاف الطائفية" خاصة من البصرة التي اشتهرت بتصدير النعال، كما صدرت بغداد "النعال السنديّة" التي حملها الوفود المجهزين من بغداد؛¹ فالنعال هي الأخرى اعتبرت من ضمن السلع التجاريّة التي شكل مصدر دخل لخزينة الخلافة من التجارة الخارجيّة، وقد يتراجع هذا الدور بتراجُع صناعتها، كما تأثّرت الصناعات الغذائيّة بالأمراض الحيوانيّة، وذلك لما توفّره من منتجات غذائيّة من ألبان ولحوم....².

يقودنا التقاوّت في الآثار الناتجة عن الوباء وعدد الضحايا إلى تفسير مفاده أنّ ضعف الدولة في كثير من الأحيان كان يفّاقم ويزيّد من الكارثة الوبائيّة، فإذا كانت الدولة قوية يؤثّر هذا بطبيعة الحال على التعامل مع الكارثة بشكل يخفّ من غلوّها، فخلال فترات الاستقرار السياسي يتمكّن السكان من التغلّب على الآفات السماويّة أو حتى تلطيف حدتها وتقليل وقوع تكرارها وذلك لما تبذل الدولة من جهود للسيطرة عليها.

قامت الخلافة العباسية بعدة تدابير لمواجهة أو التخفيف من خطر الأوبئة والتي كانت تعكس مدى حرص الخلفاء على توفير الرعاية الصحّية للجميع دون استثناء، ومن هذه التدابير:

¹ عبد الحميد جمال الفراني وآخرون ، المرجع السابق، ص35. مهـى سعيد حميد، المرجع السابق، ص

² عفيفي علي غازي: رؤية الرحالة للطب البيطري، عند بدو الجزيرة، مجلة تراث، الع 251، 2020، 2020، ص26

- الحجر الصحي:

انطلاقاً من حرص الإسلام على الصحة العامة فقد سنّ الإسلام مبدأ الحجر الصحي، أي عزل المريض الذي قد ينتقل منه المرض عن طريق العدو، والذي لا يرجى شفاؤه عن الناس، ورخص للناس من عدم السلام عليه أو الاختلاط به،¹ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "اجعل بينك وبين المجنون قدر رمح أو رمحين" وقال "وفر من المجنون كما تفر من الأسد".²

اعتبر الحجر الصحي كإجراء أولي لمواجهة الأوبئة والأمراض، فإذا وقعت الأوبئة يحجر على المرضى ببقائهم في أرض الوباء، ومنع خروجهم منها حتى لا ينتقل إلى إقليم آخر عن طريق العدو، وألا يدخل الأصحاء إلى الأرض الموبوءة فيصيبهم المرض.³

- إقامة البيمارستانات⁴: أنشأ الخلفاء العديد منها في بغداد وغيرها من الأمصار، وعملوا على تطويرها، وهي نوعان، البيمارستان الثابت؛ فالثابت مكان بناء ثابتًا في جهة من الجهات لا ينتقل منها، كان الخلفاء يبالغون في عنايتهم باختيار المكان الصحي والملائم

¹- شرين سليم حمودي: الحياة الطبية في العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ / 750م-847م، مجلة تشرين، الع 43، 2021، ص76. مهى سعيد حميد: الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي، المرجع السابق، ص90.

²- البخاري محمد بن إسماعيل (ت256هـ): صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغدادي، دار ابن كثير، لبنان، ط3، 1987، ج7، ص146.

³- راجح أولادضياف: تراث المسلمين في مكافحة الأوبئة بالشرق الإسلامي والأندلس دراسة تاريخية خلال الفترة 5-14هـ / 8-11م، مجلة دراسات، المجلد 13، الع 2، 2022، ص111.

⁴- البيمارستان: الأصل اللغوي لكلمة بيمرستان (فتح الراء وسكون السين) فارسي، وهي مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب و(ستان) بمعنى مكان أو دار، فهي إذا لعل المرضى. ابن أبي أصيبيعة أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت668هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1965، ج1، ص45.

الذي يصلح لإقامتها، وعليه كانت لهم سياسة طبية مرسومة يتبعونها في إنشائها، فقد عرفوا أثر المناخ والموقع في الناحية الصحية، ولاختيار موقعها كانوا يعلقون في كل ناحية من نواحي المدينة التي يرغبون في إنشاء البيمارستانات فيها قطع لحم على أن تتعذر التي لم تتغير، ولم تفسد سريعاً موقع ملائم لبناء البيمارستان.¹

ومن أشهر البيمارستانات التي شيدت خلال العصر العباسي، المارستان الصاعدي عرف أيضاً باسم العتيق، شيده المعتصم بالله (289-892هـ/279-902م)، المارستان المقدري الذي شيده الخليفة المقتدر بالله (320-908هـ/295-932م)، لم يقتصر تأسيسها على الخلفاء، بل شمل الأمراء أيضاً والوزراء والأطباء والأغنياء، فقد نسب إلى بدر غلام المعتصم تشييده المارستان الذي يقع في محلة المخرم في مدينة بغداد، وبني على بن عيسى سنة 302هـ/913 مارستان، وشيدت والدة المقتدر مارستانها في سوق يحيى على نهر دجلة سنة 306هـ/918 م تطوعاً من أموالها الخاصة وسمى باسم مارستان السيدة.²

أما النوع الثاني فهو البيمارستانات المتنقلة؛ وهي التي تنقل من مكان إلى آخر، بحسب ظروف الأمراض والأوبئة أو حوادث الزلازل و الفيضانات للمحافظة على سلامة وصحة المجتمع، وهي عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى، والمواد من أدوات، وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة، وكل ما يعين على ترقية الحال على المرضى، حيث كان ينتقل من بلد إلى آخر إلى البلدان الخالية من البيمارستانات الثابتة

¹ - ابن القطبي جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار للطبعة والنشر، لبنان، (د.ت)، ص 272.

² - عبد الحسين مهدي رحيم: الخدمات العامة في بغداد 400-656هـ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2013، ص 295-296.

والتي يظهر بها وباء، ويعتبر علي بن عيسى الجراح وزير الخليفة المقتدر هو أول من أوجد هذا النوع من البيمارستانات بإشارة من سنان بن قرة سنة 335هـ رئيس أطباء بغداد.¹

كانت الدولة تلعب دوراً كبيراً في أوقات انتشار الأوبئة وتقشى الأمراض المعدية، بتقديم الخدمات الصحية وتسخيرها للمرضى من الفقراء والمساكين، فقد كان الخلفاء يأمرؤون بتوزيع الأدوية والأشربة والأموال على الفقراء، ويأمرؤون الأطباء بمراعاتهم وحسن معاملتهم، والذين ساهموا بدورهم في تقديم خدمات طبية عامة بتوجيه من الدولة وشرافتها أو طوعاً وبمبادرة ذاتية خدمة مجتمعهم².

- الحرص على تطبيق تعاليم النظافة والوقاية:

اقضت الوقاية الصحية آنذاك الاهتمام بجوانب عديدة تتعلق بالصحة العامة والاهتمام بنظافة البيئة والطرق والأسواق والحمامات ومصادر المياه ومراقبتها، فضلاً عن الاهتمام بالنظافة الشخصية، ويأتي الاهتمام بهذه الأمور لتأكيد الدين الإسلامي عليها وحثه على القيام بها.

وعن اهتمام الدولة العباسية بهذا الجانب على سبيل المثال، فقد أصدر المنقى (329-333هـ/944-944م) أمراً منع بموجبه أصحاب الحمامات من إجراء مياه الحمامات القدرة إلى النهر، لما تحدثه تلك المياه من تلوث مياهه التي ينبع بها العامة، وألزمهم أن يحرروا آباراً عندها لتجتمع المياه فيها، وأمر الصيادين بعدم تنظيف الأسماك على شواطئ النهر

¹- ابن أبي أصيبيعة، المصدر السابق، ج1، ص221. عيسى أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، 2008، ص12.

²- عبد الحسين مهدي رحيم، المرجع السابق، ص305؛ خضر جاسم محمد الدوري ومؤيد عيدان كاطع: النشاط السياسي والاجتماعي للأطباء في العراق خلال العصر العباسى (132-656هـ/749-1258م)، مجلة التربية والعلم، الع5، 1987، ص47-51.

وخصص لهم مكاناً، ولا بد أن يكون هناك اهتمام أصحاب الحمامات بالنظافة وتصريف المياه الآسنة والقدرة لكتلة عددها¹.

ويبرز في هذا المقام دور المحتسب أيضاً، فالحفاظ على البيئة من أهداف الحسبة في ضمن إطارها العام بالحفاظ على الجماعة المسلمة، من خلال اتخاذها للتدابير اللازمة لحمايتها، وينطلق ذلك من مفاهيم عقائدية وإيمانية تعتبر الإضرار بالبيئة منكراً من المنكرات،² حيث كان المحتسب يراقب نظافة الطرق ويعمل إلقاء القاذورات والأوساخ فيها، ويرجع ذلك لأنها ممر الناس ووسيلة قضاء مصالحهم ومكان اجتماعهم، فإن ملئت بالأوساخ والنجاسات كانت سبباً للمرض ويسهل انتقاله لكثرة المارين، كما كان المحتسب يمنع إخراج مجرى الأوساخ من المنازل إلى الطرق، ويأمر الناس بسدتها لمنع النجاسة عن الناس.³

أما في موضوع تلوث الهواء، فقد عرف المسلمون تلوث الهواء وعرفوا الأضرار الناتجة عنه، فتحدث الكثير من الأطباء والمؤرخين عن فساد الهواء باسم تغيير الهواء، فكان على المحتسب أن يمنع أسبابه، حيث يأمر أصحاب الصناعات التي تتطلب استخدام النار وخروج الدخان كالخبازين، أن يجعلوا للدخان منافس واسعة عالية في سقوف الأفران، يخرج الدخان منها حتى لا يتضرر الناس بدخانها.⁴

كما يأمر المحتسب الخباز أن ينظف التنور بقطعة قماش نظيفة قبل أن يبدأ الخبز، ان ينظف أوعية الماء ويفطها، وينظف المعاجن وما يحمل عليه الخبز، ويعمل المحتسب

¹ عبد الحسين مهدي رحيم، المرجع السابق، ص 299.

² عبد الرحمن نصر الهاشمي التتر، المرجع السابق، ص 118. الحسبة

³ الشيزري عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الطبرى (ت 590هـ): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، موسوعة الجامع الكبير، (د.د.ن)، (د.ت)، ص 13.

⁴ المصدر نفسه، ص 21.

أيضاً على عملية بيع الحليب فهناك تعليمات صارمة فيما يتعلق بنظافتها ونظافة الأدوات المستعملة لما لها من دور في انتشار الكثير من الأمراض الفتاكه ونقلها¹.

3- الكوارث الجيولوجية والكونية.

أ- الزلزال

الزَّلْزَلُ لغة: هي تحريك الشيء، وقد زَلَّ اللَّهُ الْأَرْضُ زَلْزَلًا أي حَرَكَتْ حَرَكَةً شديدةً، وقيل الزَّلْزَلُ التحذير والتخويف، وقيل الزَّلَازِلُ الشدائِدُ والزَّلَازِلُ الأَهْوَالُ،² ومن مرادفات الزَّلْزَلُ "الرَّجْفَةُ" حيث يقال رجفت الأرض رجفاً اضطربت، والأرض ترجم أي تتحرك حركة شديدة،³ وفي التنزيل العزيز قوله تعالى {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}،⁴ حيث ورد حدوث الزلزال بهذا التعبير في العديد من المصادر، فذكر أنه "سنة 299هـ/1119م تعرضت الكوفة لرجمة عظيمة".⁵

ومن المصطلحات الواردة في المصادر العربية والتي عبرت عن حدوث الزلزال "الرَّجَةُ"، وهي التَّحْرِيكُ وَالْتَّحَرُّكُ وَالْاهْتَازُ⁶، فذكر السيوطي حدوث زلزال ببغداد ارتجت له

¹- صهيب محمد ناصر الخطيب: اهتمام خلفاء بنى العباس بالطب والأطباء منذ تأسيس بغداد حتى القرن الرابع هجري، المجلة المحكمة، الع 25، السنة 11، مج 3، (د.ت)، ص 522.

²- ابن منظور، المصدر السابق، ج 11، ص 307-308.

³- المصدر نفسه، ج 9، ص 113.

⁴- سورة النازعات، الآية 6.

⁵- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): كشف الصلة عن وصف الزلزلة، المكتبة الأزهرية، مصر، رقم المخطوطة 45، ص 31.

⁶- الرازي، المصدر السابق، ص 206.

الأرض،¹ كما يصطلح عليها مصطلح "الهزة" وهي رجفة أو رعشة تصيب الأرض وما عليها.²

حاول الإنسان منذ القديم تقديم تفسيرات لحدوث الزلزال ليهتدى إلى تلك القوة الخفية التي تأثر على مختلف مجالات حياته، ما جعل الآراء والتفسيرات تتعدد وتختلف بين تفسيرات علمية اعتمدتها فريق من علماء الفيزياء والجغرافيون والمؤرخون وذلك بناءاً على معارف علمية، وتفسيرات دينية قدمها فريق من الفقهاء وأخرى خرافية ذهب إليها خاصة العامة من الناس.

فنظراً لغياب أسس علمية انتشرت التفسيرات الخرافية بين العامة؛ فربط بعضهم حدوثها بوجود حيوان ضخم تحت الأرض وبأن هذا الحيوان هو الذي يحركها عندما يقوم بحركات خاصة، ونوع هذا الحيوان يختلف من بلد لآخر على حسب طبيعة البيئة السائدة،³ كما نصت الأسطورة على أن تحت الأرض ثوراً والثور على صخرة وأن له أربع قوائم وأربعون

¹-السيوطى، المصدر السابق، ص 31.

²- وهي نتيجة طبيعية لتحرك الأرض أو القشرة الأرضية فإذا ما تحركت هذه القشرة بقدر أكبر مما هو معتاد فان السرعة تزداد مما ينتج عنها اصطدام الصخور مولدة الزلزلة كذلك اذا تغير اتجاه حركة الأرض ينتج عن ذلك زلزال أيضاً اذا تحركت الصخور على سطح فالق من جانب آخر ينتج عن ذلك الزلزال واذا تحركت الصخور على سطح فالق بعيداً عن الصخور التي تجاورها، تبدأ الصخور القابعة فوق الصخور الهاابطة في إعادة ترتيب موقعها محدثة مجموعة من الزلزال -التابع- التي تلي حدوث الزلزلة الرئيسية .البيومي إسماعيل الشربى: تاريخ الزلزال في مصر من الفتح الإسلامي إلى مجيء العثمانين، مجلة كلية الآداب، المنصورة، العدد 26 ، 2000 ، ص 534.

³- عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا الطبيعية أشكال سطح الأرض، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، 1990، ص 220.

قرنا وأربعين سناً، رأسه بالشرق وذبيه بالغرب ومسيرة ما بين قرن وقرن من قرونه خمسون ألف سنة وشاع بين العامة أن الثور إذا حرك رأسه حدثت الزلزال.¹

تناول سراج الدين أبو حفص (ت 861هـ) شرح أسباب الزلزال فقال "خلق الله تعالى جبلًا يقال له قاف محيط بالعالم السفلي وعروقه متصلة بالصخرة التي عليها الأرض، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان عليه السلام حيث² قال الله تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ قَالَ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}،³ فإن أراد الله أن يزلزلها أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ذلك تحرك مكان دون آخر.⁴

أرجع بعض المفسرين والفقهاء تلك الظاهرة لتأديب الخالق للخلق بما ارتكبوه من معاصي وخاصة معصية الزنا وتقشي الظلم وكثرة مظاهر الشرك، وقد تصدى الشيخ ابن تيمية لهذه الأساطير ونفها مقرأً أن حدوث الزلزلة من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف فالزلزال من الآيات التي يرسلها الله تعالى إلى عباده ليخوفهم ويحذرهم بها من شديد عقابه وأليم عذابه؛ وذلك إذا حادوا عما شرعه لهم فلم يأتمنوا بأوامره وينتهوا بنواهيه⁵ لقوله تعالى {وَمَا تُرْسِلُ بِالْأَيَّاتِ إِلَّا تَحْوِيْفًا}،¹ وتكون قوة هذه الزلزال على قدر ذنوبهم فإن كثرت وعظم جرمها اشتدت عليهم هذه الزلزال وهذه الرجفات.²

¹- محمد بن محمد محمود: الزلزال والبراكين في جزيرة العرب وتراثهم، مجلة الدارة، مج 14، الع 1، 1988، ص 50.

²- ابن الوردي زين الدين سراج الدين (ت 861هـ): جزيرة العجائب وفريدة الغرائب، ترجمة أنسور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، (د.ت)، ص 285.

³- سورة لقمان الآية 16.

⁴- ابن الوردي، جزيرة العجائب، المصدر السابق، ص 385.

⁵- عمرو عبد المنعم: الزلزال أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها، دار الصحابة للتراث، مصر، ط 1، 1993، ص 7.

اختلفت ما قدمه الجغرافيون والمؤرخون من تفسيرات تماماً عما ذكر سابقاً، إذ أرجع أخوان الصفا حدوثها إلى " تلك الأهوية والكهوف والمغارات المتواجدة في جوف الأرض والجبال والتي لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، فتبقي تلك المياه محبوسة، وإذا حمي باطن الأرض وجوف تلك الجبال، سخن تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخاراً فارتفعت مكاناً أوسع، فإن كانت الأرض كثيرة الخلخل تحملت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ، وإذا كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصيفاً منعها من الخروج وبقيت محتبسة تتموج في تلك الأهوية لطلب الخروج، وربما انشقت الأرض في موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسفت مكانتها ويسمع لها دوي وهذه هي الزلزلة"³ وأضاف ابن سينا ما يميز أكثر الأماكن تعرضها لحدوثها بقوله " وأكثر ما تكون الزلزلة في بلاد متخللة غور الأرض متكاثفة وجهها أو مغمورة الوجه بالماء".⁴

ولا يختلف عن ذلك ما أورده ابن حيان بخصوص علل حدوثها، حيث أرجعها إلى "استبطان رياح في بطون الأرض إما لكونها من باطن الأرض وانحصارها وقلة وجود المنافذ لخروجها، فإذا تراوحت وكثرة طلبت المخرج فزحم بعضها فانزعج لها ذلك المكان، وبكثرة حركتها وبكثرة مادتها وتواصلها تكون زياقتها وعظم حركتها ودواها، والدليل لأنها إذا كثرت ودامت حفرت لها الآبار فتبطل الزلزال وتقل..."⁵

¹- سورة الإسراء، الآية 59.

²- عمرو عبد المنعم، المرجع السابق، ص 8

³- أخوان الصفا (حوالي 373هـ): رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، مركز النشر مركز الإعلام الإسلامي، 1405، ج 2، ص 97.

⁴- ابن رشد الحفيظ أبي الوليد (ت 595هـ): تلخيص الآثار العلوية، تحرير جمال الدين العلوى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ط 1، ص 125.

⁵- جابر بن حيان (ت 815هـ): مختار رسائل جابر بن حيان، تصحیح: ب کراوس، مکتبة الخانجی، (د.ت)، ص 25.

حدوث الزلزال إذن يعود لعوامل باطنية المنشأ، وتسهّل حدوثها طبيعة القشرة الأرضية فكلما كانت القشرة الأرضية هشة وضعيفة سهل حدوثها وكانت آثارها مدمرة؛ أي أن العوامل الباطنية للكرة الأرضية هي المسؤولة عن حدوثها اضطرابات يتعرض لها باطن الأرض.

بالاطلاع على آراء علماء الطبيعة والجغرافيون العرب في تعلياتهم لأسباب حدوثها نكاد نجزم اتفاقهم بخصوص ذلك حيث ذهب كل من ابن رشد (1195هـ/1198م)¹ والقزويني (ت682هـ/1283م)²، نفس المنحى في تفسيرهم لحدوثها، حيث أرجعوها إلى احتباس الأهوية والأدخنة ومحاولة خروجها هي التي تحدث الزلزال، وإذا ما تأملنا آراء العرب في هذا المجال فإننا نجد فيها قبولاً مباشراً لآراء أرسطو (ت322ق.م)³، فآراءهم كانت امتداداً لآراء من سبقوهم مع بعض الإضافات.

عانت الخلافة العباسية من خطر حدوث الزلزال، فقد رصدت لنا المصادر التاريخية سنوات حدوثها وما خلفته من نتائج، في الجدول التالي رصد كرونولوجي لمعظم الزلزال التي حلت بأقاليم الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م):

الترتيب	السنة الميلادية	السنة الهجرية	الرقة الجغرافية	آثارها الاقتصادية	المصدر
.1	242	855هـ	الري وخراسان	زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بقوس وأعمالها والري وخراسان ونيسابور ...	تاریخ السیوطی، الخفاء، المصدر السابق، ص 276.

¹ - جابر بن حيان، المصدر السابق، ص 125.

² - القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة ولاية بافاريا، (د.ت)، ص 206.

³ - عبد الله يوسف الغنيم: أسباب الزلزال وأحداثها في التراث العربي (دراسة جغرافية)، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 35، ج 4، 1984، ص 180.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

		وتقعـت الجـبال وتشقـقت الـأرض بـقدر ما يـدخل الـرجل فيـ الشـق.			
نفسه، المصدر ص 276.	عمت الـزلـازـلـ الـدـنـيـاـ فـأـخـربـتـ الـمـدـنـ وـالـقـلـاعـ وـالـقـنـاطـرـ.	/	857هـ/245 م	.2	
ابنـ كـثـيرـ،ـ المـصـدرـ الـسـابـقـ،ـ جـ 14ـ،ـ صـ 541ـ.ـ السـيـوطـيـ،ـ كـشـفـ الـزـلـزلـةـ،ـ صـ 19ـ.	زـلـزلـةـ شـدـيدـةـ وـهـدـةـ عـظـيمـةـ تـهـدـمـتـ بـسـبـبـ ذـلـكـ دـورـ كـثـيرـ وـمـاتـ مـنـ النـاسـ نـحـوـ مـنـ عـشـرـينـ الفـ .	الـعـرـاقـ	871هـ/258 م	.3	
نفسه، المصدر ص 298.	زـلـزلـةـ بـغـدـادـ زـلـزلـةـ عـظـيمـةـ دـامـتـ أـيـامـاـ،ـ وـفـيـهاـ هـبـطـ رـيحـ عـظـيمـةـ بـالـبـصـرـةـ قـلـعـتـ عـامـةـ نـخـلـهاـ .	الـعـرـاقـ	878هـ/264 م	.4	
ابـنـ الـأـثـيرـ،ـ المـصـدرـ الـسـابـقـ،ـ جـ 6ـ،ـ صـ 416ـ.	زـلـزلـتـ بـغـدـادـ عـدـةـ مـرـاتـ فـتـضـرـعـ أـهـلـهـاـ فـيـ الـمـسـجـدـ فـكـشـفـ عـنـهـمـ .	بـغـدـادـ	289هـ/900 م	.5	
ابـنـ كـثـيرـ،ـ المـصـدرـ الـسـابـقـ،ـ جـ 14ـ،ـ صـ 715ـ.					
ابـنـ الـأـثـيرـ،ـ المـصـدرـ الـسـابـقـ،ـ جـ 7ـ،ـ صـ 176ـ.	زـلـزلـةـ فـيـ خـرـاسـانـ فـخـربـتـ قـرـىـ كـثـيرـ.ـ وـمـاتـ تـحـتـ الـهـدـمـ عـالـمـ عـظـيمـ وـكـانـتـ عـظـيمـةـ جـداـ .	خـرـاسـانـ	هـ 331ـ/ـ 942ـمـ	.6	
عمـادـ الـدـيـنـ الـاصـفـهـانـيـ،ـ أـبـيـ حـامـدـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـدـ	زـلـزلـتـ الـأـرـضـ ثـلـاثـ مـرـاتـ،ـ ثـمـ فـيـ سـنـةـ أـبـعـدـ وـأـرـبـعـينـ		950هـ/339 م	.7	

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

<p>597هـ: البستان الجامع لجميع تواریخ أهل الزمان، ته: عمر عبد السلام تدمري، المکتبة العصریة، لبنان، 2002 ص 239.</p>	<p>مرتين في شهر واحد، في سنة سبع وأربعين مرتين في شهر واحد.</p>			
<p>السيوطی، المصدر السابق، ص 316.</p> <p>الديار بکری، المصدر السابق ، ج 2، ص 354.</p>	<p>كان بالري ونواحيها ولولة عظيمة مات فيها خلق كثير.</p>	<p>الري</p>	<p>346هـ/ 957م</p>	<p>.8</p>
<p>ابن الجوزی، المصدر السابق، ج 14، ص 114.</p> <p>تاريخ السيوطی، المصدر الخفاء، السابق، ص 316.</p>	<p>كانت زلزلة عظيمة في نيسان وكانت زلزال عظيما في حلوان وبلدان الجبل فقتل خلقا كثيرا وأخربت أربعين يوما.</p>	<p>بغداد</p>	<p>347هـ/ 958م</p>	<p>.9</p>
<p>ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 380.</p> <p>ابن كثير، ج 15، ص 382.</p>	<p>كان بالموصل زلزلة شديدة تهادم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس ، وكا في العراق غلاء شديد جلا لشنته أكثر أهله.</p>	<p>بغداد</p>	<p>367هـ/ 973م</p>	<p>.10</p>
<p>ابن الأثير، المصدر</p>	<p>في هذه السنة كانت زلزلة</p>	<p>بغداد</p>	<p>368هـ/ 973م</p>	<p>.11</p>

السابق، ج 7، ص 383.	شديدة وكان أغلبها في العراق.	العراق		
الأصفهاني، البستان المدرج، ص 263	جاءت زلزال وأهوية مؤذية	/	369 هـ / 974 م	.12
ابن كثير، المدرج السابق، 15، ص 426	كانت زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس.	بغداد الموصل	984 هـ / 376 م	.13
ابن الجوزي، المدرج السابق، ج 12، ص 317				
ابن الأثير، ج 7، ص 428				

الجدول رقم 12: يمثل موجات الزلزال التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال الفترة (198- 391 هـ / 813- 991 م) -إعداد الباحثة-.

بناءاً على معطيات الجدول أعلاه:

سجلت المصادر حدوث ثلاثة عشر حادثة زلزال تفاوتت واحتلت في مدة حدوثها وتكرارها وكذا الآثار الناجمة عنها، والتي تعلقت بدرجة وشدة الهزة أو الموجة، فترواحت شدة هذه الهزات بين خفيفة ضعيفة ومهولة ما يرسم لنا حجم الكارثة خاصة في حال غياب تحديد دقيق للخسائر وأعداد الهاكين، كما يتبيّن أنها لم تكن لتهأ لتأمين أهل العراق من خطرها عبر مختلف الفترات.

ساهم كل من موقع العراق في نطاق الأقاليم الزلزالية النشطة؛ وذلك لوقوعه ضمن دول المنطقة العربية التي اشتهرت بتاريخها الزلزالي وكذلك حوض البحر الأحمر وحوض البحر الأحمر وأطراف الجزيرة العربية، وكذا طبيعة تضاريسه في تكرار حدوث الزلزال فقد ارتبط حدوث الزلزال وتكرارها بمناطق الضعف وعدم الاستقرار من القشرة الأرضية.¹

اختلفت مدة الزلزلة من مكان لآخر فبعض المناطق مكث بها الاضطراب أسبوعاً أو كانت على شكل هزات ارتدادية كما حدث سنة 367هـ/1973م، ومنها من لم تحدد المصادر شدتها، قد يرجع ذلك لهولها أي لعدم القدرة على تقدير شدتها أو لضعفها.

شملت الزلزلة وأثارها في بعض المرات العاصمة بغداد فقط إلا أنه في العديد من المرات شملت جميع أقاليم العراق، وقد يصل تأثيرها حتى إلى عمق البحر وذلك راجع لشدة الزلزلة أو الهزة، كما يرجع إلى الامتداد الجغرافي والترابط بين مختلف أقاليم الخلافة العباسية.

كان للزلزال أثر واضح على الزراعة والحياة الاقتصادية ، إذ تسببت في تدمير البنية التحتية الزراعية وإحداث خسائر كبيرة في الأراضي والقرى، فقد كانت الزلزال تؤدي إلى تشقق الأرض وانسداد قنوات الري أو تحويل محاري الانهار، مما يعرض الحقول إما للجفاف أو للغرق و يؤثر مباشرة على الانتاج الزراعي، كما أن إنهيار السدود والجسور نتيجة الاهتزازات الأرضية كان يعرقل عملية نقل المياه إلى المزارع، ويقطع سبل المواصلات بين مناطق الانتاج والأسواق.

إضافة إلى ذلك تسببت الزلزال في نزوح السكان من المناطق المتضررة مما أدى إلى نقص اليدادي العاملة الزراعية وكما كان لهلاك الناس مساهمت كبيرة في تراجع الانتاج

¹ شاهر جمال آغا: الزلزال حقيقتها وأثارها، عالم المعرفة، 1995، ص 177. وينظر: محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص 17.

الزراعي، وقد انعكس هذا على وفرة المحاصيل وارتفاع أسعار المواد الغذائية كان بالموصى زلزلة شديدة سنة 376هـ/1986م تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس، وكان في العراق غلاء شديد جلاً لشدة أكثر الناس¹.

ب- ظاهرة المد والجزر:

صنفت ظاهرة المد والجزر ضمن الكوارث الجيولوجية وذلك لتدخل كل من عامل الأرض والقمر والشمس في حدوثها، فالمد² لغة هو السيل، أكده سبط ابن الجوزي أن المد والجزر من آيات الله تعالى، وأنه من آثار قدرته في العالم لأنه كل مالا يوجد له قياس في الوجود فهو فعل إلهي يستدل به على عظمة الباري سبحانه وقدرته، وحتى تفسير حدوث المد والجزر لم يسلم من تلك الأفكار الخرافية حيث أرجع حدوثه إلى أن الله وضع للبحر ملكاً فإن وضع رجله فيه فاض وإذا رفعها عنه غاص.³

يتكرر حدوث هذه الظاهرة يومياً بشكل منتظم فقد تكرر مرتين باليوم أو مرة واحدة إلا أن ارتفاع المدود القوية وما يخلفه من آثار على جميع الأصعدة يعد كارثة، فقد رصدت لنا المصادر التاريخية ضمن ما نقلته من أحداث الكوارث تكرار حدوثها، ففي سنة

¹- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 428.

²- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصاحب تاج اللغة وصاحب العربية، تتح أحمد عبد الغفور عطار، 1990، ط 4، ج 2، ص 537.

³- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 2، ص 127. سائر بحثه جي: ظاهرة مد وجزر البحار في التراث العلمي العربي، مؤسسة هنداوي، 2022، ص 102.

367هـ/977م ارتفعت المدود القوية بمدينة سامراء¹، كما تكرر حدوثها سنة 379هـ/990م إلا أن الأهالي لم يكون لهم علم بحال المدود ولا هي عندهم من المأثور والمعهود.²

هذا مسیر القوافل التجارية أيضاً تلك الأخطار التي تواجههم في البحر، منها ضحالة المياه عند رأس الخليج بسبب كثرة الرواسب المتراكمة أمام الموانئ، وهذه من أشد المخاطر التي واجهت سفن ملاحي الخليج العربي عند البصرة والأبلة، حيث يخشى عليها أن تتحطم إذا اقتربت منه،³ ويدرك أنه من رقة تلك المواقع يسافر منه أربعون مرکباً ويرجع واحد فقط، ولذلك وضعت الخلافة الاحتياطات الالزمة كافة لحماية السفن العابرة في هذا الاتجاه، حيث وضعت الخشبات وبني عليها مربق به عامل يسمى بالناذور، مهمته إيقاد المربق لإرشاد السفن.⁴

وكذلك من الأخطار الطبيعية الأمواج البحرية في منطقة الدردور الواقعة في بداية الخليج وهي عبارة عن ثلات جبال في البحر، وتوجد في تلك المنطقة دوامات وأمواج يتخوف رجال البحر إذا ما اشرفوا عليها، فإذا اغفل الملاحون عنها ودخلتها مراكبهم انكسرت وغرقت بمن فيها.⁵

¹ سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج 14 ، ص 253.

² الروذراوي ظهير الدين أبي شجاع محمد بن الحسين (ت 488هـ): ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج 3، ص 169.

³ الاصطخري، المصدر السابق، ص 32.

⁴ مهند الدعجة: التراث البحري بالخليج العربي في العصر العباسي الثاني (232هـ-656هـ/848-1258م) سفن أقليم البحرين نموذجاً، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 48، العدد 4، 2021، ص 568.

⁵ الإدريسي محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني الشريف (من علماء القرن 6هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج 1، ص 164.

من الصعوبات الطبيعية التي تواجه الملاحة أيضاً تغيير الأنهار الملاحية لجريها قرب ساحل الخليج العربي، وما يحدث في بعض جهات تلك الأنهار من تيارات مائية عنيفة نتيجة لالتقائهما بالخليج العربي، وقد عملت السلطات الرسمية على تذليل تلك الصعوبات.¹

ت- ظهور وانقضاض الكواكب:

من أخطر الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها أرض الخلافة العباسية هي ظاهرة انقضاض الكواكب التي تسببت في إحداث الرعب في أوساط العامة والخاصة، إضافة إلى ما تخلف من آثار مدمرة ، كان الاعتقاد السائد أن نزول الكواكب والنجوم إلى الأرض علامة من علامات الآخرة، وبأنها هلاك وإنذار من الله تعالى للخلق.²

عندما نقرأ مصطلح "كوكب" أو "نجم" في مصادر التاريخ الوسيط، لا ينبغي أن نعتقد أنه يعني أو يقصد به ما تعنيه الكلمة اليوم، ففي تراثنا العربي لم يفرقوا بين الكوكب والنجم و يأتي الفرق من إضافة قيد للنجم أو للكوكب، فإذا أضيف (سيار) صار (النجم السيار) بمعنى الكوكب بالمعنى المعاصر، وإذا أضيف منقض صار الكوكب أو النجم شهابا فنقول (كوكب منقض) أو نجم منقض، وهكذا بالنسبة للمذنب فإذا أضيفت للنجم أو الكوكب ذنبا أو ذئابة أو ذيلا صار مذنبا بالمعنى المعاصر، وفي حقيقة الأمر نحن نستطيع أن نميز في كثير من الأحيان المذنب بين الظواهر المسجلة إما من اسمه مباشرة وفي أحيان قليلة من خلال الوصف الوارد عنه في القرائن المرتبطة في النص.³

¹- لمياء بنت عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 235 .

²- ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعاافري (ت 213هـ): السيرة النبوية، تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 3، 1990، ج 1، ص 233.

³- عبد الأمير المؤمن: الظواهر الكونية الغربية قراءة تراثية المذنبات والنيازك والشهاب والنجوم المتقجرة، الدار الثقافية للنشر، (د.ت)، ص 87.

فقد أطلق العرب قديماً على تلك البقع من النور التي تظهر في السماء ليلاً "كوكباً" وأحياناً "نجوماً" أو "أجراماً"؛ حيث لم يفرقوا بينها ولم يعلموا أن الفروق بينها طفيفة. حيث أثارت حركة هذه الأجسام الكونية خيالهم، فلاحظوا أن بعض "النجوم" تتحرك حركة يومية أسرع ومتفردة عن بقية مجموعات النجوم الأخرى التي كانت تتحرك جماعات بالنسبة إلى القطب، فجرى تمييزها أحياناً بـ"كوكب متحرك" مع بقاء استخدام تعبير نجم للإشارة إليهم، كما أطلق العرب اسم "النجوم" على ما نسميه نحن اليوم "الشهب".¹

وكدليل على عدم التفريق بين مختلف تلك الأجسام الكونية ما ورد في المصادر من عبارات، "وفي تلك الليلة بعينها انقضت الكواكب" والمقصود هنا بالكواكب ليس الكوكب بالمعنى المتعارف عليه وإنما انقضاض الشهب، تعرف هذه الظاهرة بـ«الزخ الشهبي» الذي يحدث عند مرور الأرض خلال مدار أحد المذنبات،² حيث يتذبذب كثير من الدقائق الصغيرة المنتشرة على طول مدار المذنب إلى الأرض فتخترق غلافها الجوي وتحترق فيه مخلفة وراءها خطوطاً لامعة كثيرة تظهر كأنها أمطار من شهب قادمة من نقطة واحدة من السماء.³

¹- طريف سردت: أخطاء المفاهيم الفلكية عند العرب، الحوار المتمدن، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات، الع 3946- 19/12/2012، ص 02:22.

²- المذنبات أطلق المؤرخون العرب أكثر من اسم للمذنب ولم يكن هناك اسم متفق عليه فيما بينهم، فأحياناً يسمى نجماً أو كوكباً أو ذا ذنب وأحياناً نجماً أو كوكباً ذا نجمة. واختلاف التسمية بين نجم وكوكب يوضح بلا شك عدم وضوح ماهية المذنب بالنسبة إليهم فهو نجم أو كوكب؟ وفي العموم أن العرب فرقوا بين النجوم والكواكب فسموا الأولى كواكب ثابتة والثانية كواكب متحيرة. حسين بن علي الطرابلسي: اسهامات مؤرخي الإسلام في علم الفلك الحديث، مجلة الفيصل، الع 274، السنة 23، 1999، ص 101.

³- المرجع نفسه، ص 102.

اعتبر حدوث مثل هذه الظواهر من الأمور الخارجة عن الطبيعة والتي رصدت حدوثها المصادر التاريخية، فقد تكرر حدوثها عدة مرات مخلفةً إلى جانب الآثار النفسية آثاراً اقتصادية و عمرانية، يمثل الجدول التالي أحداث ظهور وانقضاض الكواكب التي تعرضت لها مختلف أقاليم الخلافة العباسية :

الترتيب	السنة الميلادية/السنة الهجرية	الرقة	ظهور أو انقضاض للكوكب	المصدر
.1	834هـ/222م	العراق	كوكب وله شبه الذنب	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 73؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 37.
.2	852هـ/237م	/	ظهر شيء دقيق مستطيل عريض الوسط.	السيوطني، المصدر السابق، 275
.3	900هـ/287م		طلع كوكب بذؤابة	المصدر نفسه، ص 295.
.4	902هـ/289م	/	نزل من السماء نجوم كثيرة	ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 715.
.5	905هـ/292م	/	طلع كوكب الذنب	ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 425.
.6	907هـ/294م	/	طلع كوكب الذنب	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 50.
.7	912هـ/299م	/	ثلاث كواكب مذنبة.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 470.
.8	303هـ/	/	ظهر كوكب بذنب.	المصدر نفسه، ج 13، ص 154.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

9. .9	922هـ/310	/	ظهر كوكب له ذنب طوله ذرعان انقض كوكب بذنب	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص210؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص845.
10. .10	923هـ/311	/	ظهر كوكب عظيم له شعاع ساطع وفيه شرر عظيم.	الاصفهاني عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد (ت597هـ) : البستان الجامع لجميع تواریخ أهل الزمان، تتح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، لبنان، 2002، ص219.
11. .11	927هـ/315	/	انقض كوكب عظيم له ضوء شديد.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص260.
12. .12	935هـ/323	/	انقضت كواكب في أول الليل الى آخره انقضاضا مسرفا.	المصدر نفسه، ج13، ص350.
13. .13	942هـ/330	/	ظهر كوكب بذنب	المصدر نفسه، ج14، ص19
14. .14	948هـ/336	/	ظهر كوكب مذنب	ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص225.
15. .15	970هـ/359	العراق	انقض كوكب عظيم أضاءت له الدنيا في وسمع انقضاضه صوت كالرعد	ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص321.
16. .16	972هـ/361	/	انقض كوكب عظيم له دوي كالرعد	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص210؛

ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 335.					
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 237.	طلع كوكب المؤابة	/	975هـ/364	.17	
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 358.	الكوكب ذو المؤابة المعروفة بالحرية	/	976هـ/365	.18	
الascusاني، البستان الجامع، المصدر السابق، ص 262.	انقض كوكب وصف بأنه عظيم أضاءت له الدنيا.	جميع الأقاليم	984هـ/373	.19	
الascusاني، المصدر السابق، ص 269.	كوكب ذو مؤابة	المشرق	990هـ/379	.20	

جدول رقم 13: يمثل أحداث ظهور وانقضاض الكواكب التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال ما تقدم تبين أن:

حدوث الكوارث الكونية إضافة إلى ما تحمله من إثارة تحمل معاني فكرية وعلمية حقيقة لا مجرد مادة سماوية.

تكرر ظهور وانقضاض الكواكب عشرين مرة خلال فترة الدراسة مخلفاً العديد من الآثار خاصة الاقتصادية والبشرية، حيث عبرت المصادر عن ذلك بالعديد من العبارات مصورة حالة الذعر والخوف التي أصابت الأهالي "وسمع في انقضاضه صوت كالرعد الشديد فهال ذلك الناس وارتجعوا له"، "فهال الناس ذلك وعظم عليهم"، "ثم جعل كل وقت يرمي بالشرر".

لم تحدد المصادر في الكثير من الأحيان مكان انقضاض الكوكب وسقوطه في حين قدمت أوصافا دقيقة لشكله وحجمه وامتداده، كما حددت ما اتصل به من ذنب وضوء أو نار.

وقوع الصواعق واحتلال الحرائق

من أكثر الكوارث المدمرة التي أصابت دولة الخلافة العباسية هي الصواعق¹ حيث توال حدوثها خلال فترة الدراسة وهذا ما سنوضحه خلال الجدول التالي

الرتب	السنة الميلادية	السنة الهجرية	الرقعة الجغرافية	المصدر
.1	953 ميلادية	341 هـ	/	ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 215.
.2	963 ميلادية	372 هـ	بغداد	الأصفهاني، البستان الجامع، المصدر السابق، ص 274.
.3	973 ميلادية	392 هـ	بغداد	المصدر نفسه، ص 274.
.4	991 ميلادية	813 هـ	بغداد	المصدر نفسه، ص 274.

جدول رقم 14: يمثل الصواعق التي حدثت في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ- 991هـ/ 813م) -إعداد الباحثة-.

¹-تعرف الصاعقة بأنها: رياح سحابية مشتعلة، وربما طفت هذه الصواعق فتستحيل أجساماً أرضية بحسب المزاج الذي يكون فيها، وإذا أرادت صاعقة أن تصعد، تقدمتها في كثرة الامر ريح. جيرار جهامي: موسوعة مصطلحات ابن سينا، مكتبة لبنان ، 2004، ص 616.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

لم تكن الصواعق من الكوارث الطبيعية المألوفة التي تعرضت لها الدولة العباسية حيث تكرر وقوعها أربعة مرات على امتداد أربعة قرون.

إضافة إلى ظاهرة وقوع الصواعق كثيراً ما اشتعلت الحرائق وفي الجدول التالي رصد للحرائق التي ذكرتها المصادر:

الترتيب	السنة الميلادية وال سنة الهجرية	الرقة الجغرافية	الآثار الاقتصادية.	المصدر
.1	832هـ/ 217م	البصرة	وقع حريق عظيم بالبصرة	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 4.
.2	225هـ / 839م	الكرخ	احترقت الكرخ، فأسرعت النار إلى الأسواق فوهب المعتصم للتجار وأصحاب العقار خمسة آلاف ألف درهم.	ابن عمار، المصدر السابق، ج 3، ص 114.
.3	241هـ / 855م	سامراء	وقع في سامراء حريق احترق فيه ألف وثلاثمائة حانوت.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص 286.
.4	866هـ/ 252م	باب الجسر / بغداد	أحرق العامة والغوغاء للتجار متاع كثيرة حيث ضربت الحوانيت بالنار	الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 359.
.5	257هـ / 870م	الأبلة	ظهر صاحب الزنج بالأبلة وأحرقها وقتل من الناس في ثلاثة أيام ثلاثين ألفاً.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12، ص 123.
.6	269هـ /	السوق	أصحاب الموقف أضرموا	الطبرى، المصدر

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

السابق، ج9، ص633.	النار بالسوق، فاتصلت أكثر السوق فجأة عنها أهلها.	العظيمة	882م	
ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص425.	وقع الحرائق ببغداد بباب الطلاق من الجانب الشرقي إلى طرق الصفاريين، فاحتراق ألف دكان مملوقة متابعاً للتجار.	باب الطلاق / بغداد	292هـ / 904م	.7
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص155.	وقع حريق في سوق النجارين ببغداد فاحتراق السوق	بغداد	303هـ / 915م	.8
ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص792.				
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص490.				
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص189. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، 506	وقع حريق بالكرخ في الباقلائين هلك فيه خلق كثير.	سوق الباقلين	307هـ / 919م	.9
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، 255.	وقع في شهر ربيع الأول حريق كثيف بباب الشام وفي سوق نصر، وفي الحذائين بالكرخ وبين القنطرة الجديدة ومات خلق	الكرخ	309هـ / 921م	.10

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

		كثير.			
11.	926هـ/314م	دار السلطان	وقع حريق في نهر طابق فاحترق فيه ألف دار وألف دكان، وقع حريق في دار السلطان فاحترقت دور النساء.	المصدر نفسه، ج 13، ص 255.	
12.	927هـ/315م	الرصافة	وقع حريق في الرصافة، وصف الجوهرى، ومربيعة الحسري، وفي الحطابين في بباب الشعير.	المصدر نفسه، ج 13، ص 262.	
13.	935هـ/323م	سوق البازار	وقع حريق عظيم في الكرخ من طرف البازارين فذهبت فيه أموال كثيرة للتجارة.	المصدر نفسه، ج 13، ص 349.	
14.	930هـ/330م	الكرخ	ثار العامة والجند في بغداد وأحرقوا ونهبوا وأخذوا الناس ليلاً ونهاراً.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 160. الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 331.	
15.	941هـ/348م	الكرخ	اتصلت الفتن بين الشيعة والسنن وقتل بينهم خلق كثير ووقع حريق كثير في باب الطاق.	ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 14، ص 118.	
16.	959هـ/359م	سوق الثلاثاء / بغداد	وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء فاحترق جماعة من النساء والرجال	ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 7، ص 323	

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

	ووقع الحريق ايضا في أربع موانع في الجانب الغربي فيها ايضا.			
17	972هـ/362م	الكرخ بغداد	احتراق الكرخ حريقا عظيما وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا، فثار به العامة والاتراك، وكان عده من احترق فيه سبعة عشر ألف انسان وثلاثمائة دكان.	المصدر نفسه، ج 7، ص 336.
18	974هـ/364م	بغداد	أوقع العيارين حريقا بالخشببين من باب الشعير، فأحرق أكثر هذا السوق، وما يليها من سوق الجزارين واصحاب الحصر وصف البواري، فهلك شيء كثير من هذه الأسواق من الأموال.	ابن الجوزي، المننظم، 14، 235
19	981هـ/371م	الكرخ بغداد	وقع حريق بالكرخ في حد درب القرطيس الى بعض البازارين من الجانبين وأتى على الاساكفة والحدائين واحترق فيه جماعة من الناس وبقى لهيبه اسبوعا.	ابن الجوزي، 14، 281 ابن الأثير، ج 7، ص 400.
20	990هـ/380م	بغداد	وقع حريق عظيم نهارا في نهر الدجاج وواضعه،	ابن الجوزي، 14، 433

ابن الأثير، ج 7، ص 447.	فذهب من عقار الناس وأموالهم الشيء الكثير. ثار العيارون ووقعت الفتنة بين السنة والشيعة وكثير القتل بينهم وزلت الطاعة، وأحرق عدة محل ونهبت الأموال وأخربت المساكن، وذام ذلك عدة شهور إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد.			
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11، ص 263.	ووقيعت حرب شديدة بين العامة بغداد وقتل فيها جماعة واحتراق في البلد الكبير.	بغداد	994هـ/384م	21

جدول رقم 14: يمثل اشتعال الحرائق في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ- 391هـ/991م) -إعداد الباحثة-.

تكرر حدوث الحرائق واحد وعشرين مرة، والملاحظ تكرار حدوثها ببغداد وسوق الكرخ خاصة، ما قد يثير التساؤل هل هي بفعل أسباب طبيعية أو بشرية؟ فتركز حدوثها في العاصمة بغداد بالضبط وبسوق الكرخ يدل على أن حدوثها بفعل فاعل والذي تكرر خاصة خلال القرن الرابع هجري تلك الفترة التي عرفت العديد من الاضطرابات السياسية والثورات الانفصالية والتي تركزت في العاصمة وهاجمت المناطق التجارية.

تأثرت الصناعات كذلك بالحرائق التي نشببت في أسواق الخلافة وخاصة تلك التي اتسع نطاقها فشملت جميع أرجاء السوق، فانعكس ذلك سلباً على العاملين في الأسواق بما فيهم "الحرفيين"، مما أدى إلى غلق الأسواق وتوقف حركة البيع والشراء وعدم حصول الأهالي على احتياجاتهم.

ومن الحرائق التي حدثت في دروب الصناع، حريق سوق النجارين سنة (303هـ/915م)¹، وحريق بسوق البقالين بالكرخ سنة (307هـ/919م)²، وفي العام نفسه وقعت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام والاساكفة، ونشبت النار فيها واحترق السوق بما فيه³، وتضرر الاساكفة والحدائين جراء حريق الكرخ سنة (371هـ/981م) فاحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهيبه أسبوعاً.⁴

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 792.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 189. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، 506

³ المصدر نفسه، ج 6، 506.

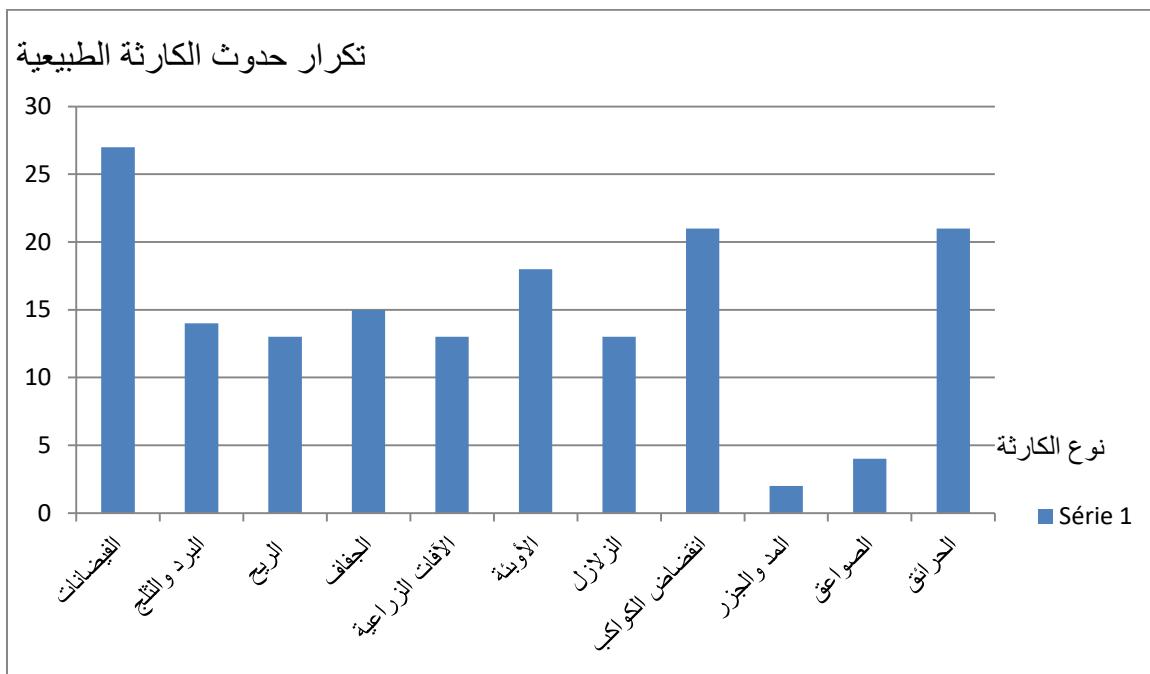
⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 281.

وخلاصة القول في هذا الفصل:

تعتبر الكوارث الطبيعية من أهم الأزمات التي تعرضت لها الخلافة العباسية والتي اختلفت أنواعها وفترات حدوثها، فبناء على ما ورد في المباحث الخاصة بالكوارث الطبيعية توضح الأعمدة البيانية مرات تكرارها:

نوع الكارثة الطبيعية	الفيضانات	الرياح	البرد والثلج	البرد والثلج	الجفاف	الآفات الزراعية	الزلزال	الآوبئة	الاكتاف الكواكب	الصواعق	الحرائق
تكرار حدوثها	27	12	13	14	13	18	13	20	2	4	21

جدول رقم 16: يمثل أعداد الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الخلافة العباسية العباسية خلال الفترة (198-391هـ / 991-813م) -إعداد الباحثة-.



الشكل رقم 04: يمثل تكرار حدوث الكوارث الطبيعية في الدولة العباسية خلال الفترة (198-391هـ / 991-813م) -إعداد الباحثة-.

بلغ عدد الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال فترة الدراسة "162" كارثة تعدد أنواعها وختلف زمان حدوثها، وأسبابها ونتائجها، لكنها اشتركت في كونها "فجائية" وخارجية عن نطاق سيطرة الأفراد فصعب السيطرة عليها في كثير من الأحيان.

شكلت حوادث السيول والفيضانات جزءاً أساسياً من الواقع المناخي حيث أنها كانت أكثر الكوارث وقوعاً، وهذا يعود بالدرجة الأولى لنهرى دجلة والفرات اللذان شكلا إلى جانب أفضالهما خطراً يهدد المناطق الواقعة على ضفافهما إذ تكرر فيضانهما 27 مرة حسب ما أوردته مختلف المصادر.

تعرضت الخلافة لخطر اشتعال الحرائق 23 مرة والتي أرجعت لأسباب بشرية وطبيعية، كما اجتاحت الأوبئة الخلافة العباسية 19 مرة، حيث ارتبطت بعدها عوامل ساهمت في ظهورها وانتشارها فمست القوى البشرية والحيوانات.

سجلت المصادر تكرار حوادث انقضاض الكواكب والنجوم 20 مرة ، رغم بعض المبالغة في وصفها إلا أن هذا يدل على اهتمام الأهالي والمؤرخين بمراقبة حركتها لاعتبارات عديدة، منها تسهيل تحديد الوقت ومعرفة الشهور والفصول خاصة في ضل الاهتمام المتزايد بعلم الفلك خلال العصر العباسى¹.

تكرر كذلك حدوث القحط والجفاف، سقوط البرد والثلج، هبوب رياح شديدة القوة، كما انتشرت العديد من الحشرات الضارة؛ التي كانت تستهدف القطاع الفلاحي بصفة خاصة لكن تأثيراتها لمست الجوانب الأخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

سجلت المصادر حدوث الصواعق 4 مرات وظاهرة المد وجزر 3 مرات، وهي بذلك سجلت أدنى تكرار.

¹ - كريمة محمد الفاهمي: علم الفلك في العصر الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص 10.

الفصل الرابع: النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعة

المبحث الأول: التأثير المزدوج للأزمات السياسية والطبيعية على الاقتصاد العباسي.

لم تأثر الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية كل منها بشكل منفصل بل تداخلت نتائجها بشكل جعل الدولة عاجزة تدريجياً عن إصلاح أي منها، فالدولة التي أنهكتها الصراع الداخلي لم تعد قادرة على إصلاح السدود وشبكات الري، بينما زادت الكوارث من حدة الأزمات السياسية عبر إضعاف الموارد المالية وإشعال التوترات الاجتماعية، وقد انعكس هذا التدهور على الحركة التجارية التي فقدت سلامتها طرقها وأمان معابرها، فانخفضت ايرادات الأسواق وتراجعت الصناعات والحرف، ومع نهاية العصر العباسي أصبحت سلطة الخلافة شكلية في كثير من المناطق، وتوزع النفوذ بين قوى إقليمية كانت أكثر قدرة على إدارة مواردها المحلية من الحكومة المركزية نفسها.

زادت الكوارث الطبيعية إذن من هشاشة الدولة العباسية سياسياً، فالجماعات ووالانهيار الزراعي وماعنته الخلافة من أزمات مالية خلق جواً مناسباً لحركات السخط الاجتماعي، وهذا السخط غذى الثورات خاصة منها التي استهدفت طبقة الفلاحين وال العامة، فمن الأمور التي عقبت حدوث الكوارث الطبيعية وقوع الكثير من الثورات التي تطالب بتوفير الموارد الأساسية، والمطالبة بدفع المرتبات التي تتأخر مع حدوث أزمات اقتصادية تجعل الدولة غير قادرة على دفع المرتبات، فقد شهد العصر البوبي ثورات عديدة عقب كل كارثة طبيعية، ففي عام (983هـ/ 1983م) حدثت ثورة بسبب تعرض العراق لقحط والجفاف، ومات عدد كبير من الفقراء مما ترتب عن ذلك خروج سكان تلك المواقع وكسروا منابر الجموع، ولم تتوقف تلك الثورة عند ذلك الحد بل هجموا على الزوارق التي كانت تنقل البضائع في نهر دجلة والفرات، ولم تتوقف أحداث الشغب إلا بعد وصول صمصام الدولة البوبي (379هـ- 988هـ/ 1998م) ووعدهم بتلبية مطالبهم.¹

¹ أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ج 3، ص 85.

أضفت الاضطرابات السياسية قدرة السلطة على مواجهة الكوارث الطبيعية، فانهيار الادارة المركزية وانشغال الحكام جعل التدخل للتخفيف من حدة الكوارث الطبيعية وانفراط ما يمكن انفراطه بطيئاً أو معدوماً في بعض المرات.

تزامن في كثير من الاحيان حدوث الاضطرابات السياسية مع وقوع كوارث طبيعية، مما جعل الوضع يزداد سوءاً وتعقيداً، فقد أدت الصراعات السياسية داخل البلاط العباسي والصراع المستمر بين الخليفة والقادة العسكريين إلى انتشار الفوضى وتراجع الاستقرار الاجتماعي، فأصبحت المناطق البعيدة عن عاصمة الخلافة أكثر عرضة لسيطرة قوى محلية متنافرة، ما جعل السكان يعيشون حالة من الترقب والخوف نتيجة غياب الأمن وما زاد الوضع سوءاً هو تزامن ذلك على كوارث طبيعية في ظل عدم قدرة السلطة على تقديم مساعدات أو ايجاد حلول للوضع المزري فوجد أفراد الطبقة العامة من الهجرة حلاً ينقض حياتهم.

تأثر عدد السكان في بلاد العراق بما لحقها من اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية، فقد تناقص عدد السكان بصورة مخيفة، حيث قيل لعهد الدولة البويمي (367هـ-372هـ) "إن أهل بغداد قد قلوا كثيراً بسبب الطاعون، وما وقع بينهم من الفتن بسبب الروافض، (الشيعة) والسنّة، وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج الشر بين الناس".¹

ذكر ابن حوقل أن معظم مناطق بغداد قد تدهورت وتناقص سكانها، وحيث أقواله، كان تانقص السكان سمة بارزة، فالمنازل في بعض القرى بقيت خاوية ولم يبقى سوى القراء الذين لا يستطيعون الهجرة.²

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 301.

² - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 216-220.

الفصل الرابع:

النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعية

أدى تزامن الكوارث الطبيعية والاضطرابات السياسية في ارتفاع الأسعار، مما تعرضت له الخلافة من موجات غلاء لم يرتبط في أغلب المرات بأحد العاملين طبيعياً وسياسياً - وهذا ما سنوضحه في الجدول التالي:

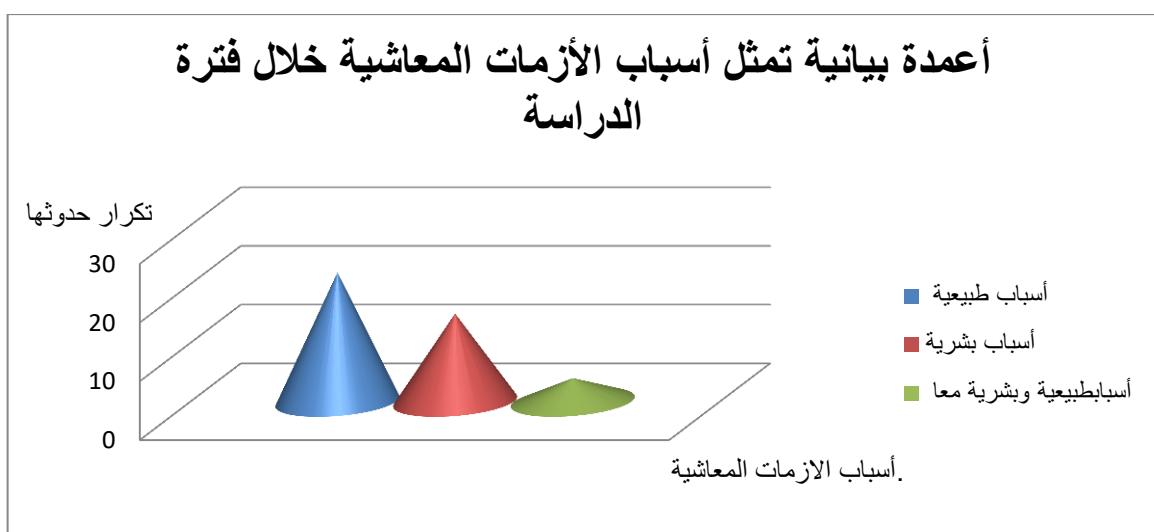
السنة الهجرية والميلادية	العامل الطبيعية	العامل البشرية	التهميش
820هـ / 205م	X		الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 596؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 455.
821هـ / 206م	X		ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 467؛ ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 9، ص 194.
822هـ / 207م	X		الطبرى، المصدر السابق، ج 8، ص 596؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 470.
865هـ / 251م	X		المصدر نفسه، ج 6، ص 168؛ السيوطي، المصدر السابق، ص 285.
873هـ / 260م	X		ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 12، ص 38.
879هـ / 266م	X		ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 247.
882هـ / 269م	X		السيوطى، المصدر السابق، ص 342.
885هـ / 272م	X		ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 290.
897هـ / 284م	X		المصدر نفسه، ج 6، ص 321.
909هـ / 297م	X		المصدر نفسه، ج 13، ص 93؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 757.
919هـ / 307م	X		مسكويه، المصدر السابق، ج 5، ص 42.
920هـ / 308م	X		السيوطى، المصدر السابق، ص 302؛ ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 13، ص 194.
921هـ / 309م	X		الصولي، المصدر السابق، ص 225.

الفصل الرابع:

ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 350.	X	X	934هـ/323م
المصدر نفسه، ج 13، ص 357؛ ابن كثير، المصدر السابق، 15، 96.	X		935هـ/324م
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 158؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 06.		X	940هـ/329م
الذهبى، المصدر السابق، ج 24، ص 70؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 20.	X	X	941هـ/330م
المصدر نفسه، ج 14، ص 27.		X	942هـ/331م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 34.		X	943هـ/332م
الذهبى، المصدر السابق، ج 25، ص 21.	X		944هـ/333م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 46. مسكويه، المصدر السابق، ج 5، ص 279.	X	X	954هـ/334م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 54.		X	955هـ/335م
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 265.		X	955هـ/344م
المصدر نفسه، ج 7، ص 264. ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 237.		X	959هـ/348م
ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 267.		X	960هـ/349م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 236.	X		984هـ/364م
ابن كثير، المصدر السابق، 15، ص 426		X	977هـ/367م.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 329		X	978هـ/368م
ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 416. شذرات الذهب .80/3	X	X	983هـ/373م
الدوادارى، المصدر السابق، ج 6، ص 213		X	984هـ/374م

ابن الأثير، ج 7، ص 428.		X	م 986 هـ / 376
المصدر نفسه، ج 7، ص 432		X	م 987 هـ / 377
المصدر نفسه، ج 7، ص 458.	X		م 991 هـ / 382

الجدول رقم 17: يحدد أسباب الأزمات المعاشرة التي تعرضت لها الخلافة خلال فترة الدراسة -إعداد الباحثة-.



الشكل رقم 05 : بمثل أسباب الأزمات المعاشرة التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال ما تم عرضه في الجدول والأعمدة البيانية يتبين أن:

- عدد الأزمات المعاشرة الواقعة بسبب الكوارث الطبيعية هو 19 أزمة، والأزمات الناتجة لأسباب بشرية هو 15 أزمة، واجتمعت الأسباب الطبيعية والبشرية لحدث 4 أزمات، وبالتالي فالعوامل الطبيعية كانت أكثر مساهمة في ارتفاع الأسعار ومن ثم حدوث المجاعات.

تميزت الدولة العباسية في أوج قوتها بنظام اقتصادي متكامل يقوم على ترابط وثيق بين الزراعة والصناعة والتجارة، فالقطاع الزراعي كان يوفر المواد الخام والصادرات الأساسية مثل الحبوب والتمور والقطن، بينما كانت المدن العباسية الكبرى كبغداد وسامراء والبصرة مراكز لصناعات مزدهرة كالغزل والنسيج والدباغة وصناعة السفن، وقد ساهم هذا التكامل في دعم التجارة الداخلية هبّر أسواق واسعة وشبكات نقل نهرية وبرية متطرفة، كما أمنت التجارة الدولية الواردات المالية عبر الرسوم الجمركية وضرائب السلع العابرة.

بدأ هذا الترابط الاقتصادي يتعرض للإختلال مع تزايد الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وتدهور البنية الزراعية، فقد أدى خراب شبكات الري ونقص الانتاج الزراعي إلى فقدان المواد الخام، مما انعكس على الصناعات المرتبطة بها، كما أثرت فوضى الأمن وتقلص هيبة الدولة المركزية على التجارة حيث تعطلت طرق القوافل وتراجعت حركة الأسواق، وبالتالي فإن انهيار أحد مكونات الاقتصاد العباسي كان ينعكس مباشرة على بقية المكونات، فتسلاط الأزمة من الزراعة إلى الصناعة إلى التجارة، وتراجع التكامل الاقتصادي مع مرور الزمن من نظام متعدد إلى اقتصادي يواجه الجمود والانكماس مما ساهم في ضعف الدولة وتراجع اقتصادها.

ترتبط الزراعة والصناعة علاقة تكاملية تبادلية أي أن تطور الصناعة مرتبط بقوة وقدرة الزراعة على توفير خامات كافية وبجودة عالية فينتج عن ذلك توسيع صناعي مرتبط بالقطاع الزراعي، وتقوم الصناعة بتوفير وسائل الحرش والسبقي التي تجعل العملية الزراعية أكثر انتجاً،

توفر الصناعة للتجارة منتجات ذات جودة عالية جذبت التجار، حيث ساهم التكامل والجودة والوفرة في المنتجات الصناعية في تشكيل نشاط تجاري واسع داخلياً وخارجياً، كان هذا النشاط يتأثر بتأثير الصناعات التي تعد أساس المبادلات وال العلاقات التجارية، فأي ندرة أو نقص في الجودة أو التكامل يؤدي على تعطيل مصالح التجار والصناع على حد سواء، وهذا ما حدث في كثير من الأحيان جراء ما تعرضت له الخلافة من اضطرابات سياسية

وكوارث طبيعية، كما ساهمت التجارة في توفير العديد من المواد الخام التي تدخل في العديد من الصناعات وأي عارض أو ظروف كان من شأنها أن تعرقل حركة التجار كانت تعرقل وصول المواد الخام وبالتالي تأثر على الصناع.

المبحث الثاني: مساهمة السلطة العباسية في إدارة الأزمات الاقتصادية.

لعبت السلطة العباسية دوراً محورياً في مواجهة الأزمات الاقتصادية التي واجهت الدولة، وذلك من خلال تبنيها جملة من الاجراءات التنظيمية والمالية التي كان لها مساهمة في التخفيف من حدة الوضع.

مساهمة السلطة العباسية في اصلاح منشآت الري وتطوير المجال الزراعي:

ساهم الخلفاء والأمراء في اصلاح المشاريع الاروائية لضمان تدفق واردات الخارج وسلامتها من أضرار الفيضانات، ومن هذه الاجراءات:

- نصب المقاييس لمناسيب مياه الأنهار:

نالت أرض السواد¹ حظاً وافرا من العناية في عهد العباسين حيث عنيت بالمراقبة الشديدة والمتابعة الدقيقة والإشراف المباشر على أعمال الري والزراعة بها ، كما اهتم الخلفاء بإقامة وتطوير وصيانة المشاريع الاروائية وتطهير ومراقبة السدود والأنهار والجداول؛ ومما يؤشر للاهتمام الواضح بأعمال الري هو "المقياس" الذي نصب على ضفتي نهر دجلة

¹- أرض السواد: هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات وقيل هي سميت بذلك الاسم لأن العرب حين جاؤوا نظروا إلى مثل الليل في النخل والشجرة والماء فسموه سوادا، وقال أبو عبيد " كان الأصمعي يتأنى في سواد العراق إنما سمي به للكثرة وأما أنا فأحسبه سمي بالسواد للخضرة التي في النخيل والشجر والزرع، لأن العرب قد ألحق لون الخضرة بالسواد فتوضع أحدهما موضع الآخر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، 272ص؛ الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، ترجمة احسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص332.

لمراقبة وتسجيل منسوب المياه في مختلف المواسم، بالأخص في فترة الفيضانات، وكذلك المقاييس التي نصب على نهر الفرات قرب مدينة الأنبار وعلى نهر ديالي¹، بلغ طول المقياس الذي نصب على دجلة من جانبيها خمس وعشرون ذرعاً، على كل ذرع علامة مدورة وعلى كل خمس ذرع علامة مربعة، مكتوب عليها بحديدة علامة الأذرع حتى يعرف بها قيمة الزيادات² (أنظر الملحق رقم 05، ص 385)، نقلت لنا المصادر مقاييس بعض الفيضانات³، فالدولة كانت تقوم بالرقابة الفعالة على جميع شؤون الموارد المائية لضمان الاستغلال الأمثل لها.

- حفر الأنهر والقنوات⁴ المائية:

بهدف إيصال الماء إلى أكبر مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة عمل العباسيون على حفر نهيرات وقنوات مائية من مجاري نهري دجلة والفرات وروافدهما شكلت بذلك شبكة إروائية تختنق أكثر بلاد العراق، وهذا ما جعل الري بها ريا دائماً، كما ساهمت الأمطار

¹- حميد رشيد رفيق، إدارة المشاريع الاروائية في العصر العباسي. وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدها دائرة العلوم الصرفية والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999، ص 96.

²- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 45.

³- انتهت زيادة دجلة سنة 237 هـ احدي وعشرين ذرعاً وثلث. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 72. وبلغت الزيادة سنة 310 هـ ثمانية عشر ذرعاً ونصف، وورد أنه انبثق بواسط سبعة عشر بثقا أكثرها ألف ذراع، وأصغرها مائة ذراع، الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 227. و زادت الدجلة بـ 12 ذرعاً في فيضان سنة 315 هـ، ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 13، ص 315. كما بلغت زيادة القرات اثني عشر ذرعاً وثلاثين سنة 316 هـ، المصدر نفسه، ج 13، ص 273. وبلغت الزيادة في ماء دجلة سنة 328 هـ تسعه عشر ذرعاً، والفرات 11 ذرعاً المصدر نفسه ج 13، ص 383. أما في سنة 329 هـ الفرات زادت 11 ذرعاً. المصدر نفسه، ج 13، ص 403.

⁴- القناة: هي آبار تحفر تحت الأرض، ويخرق بعضها إلى بعض حتى تظهر على وجه الأرض كالنهر. الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 91.

والآبار والعيون في توفير الماء اللازم للسقي في المناطق البعيدة على الأنهر، تكررت مساهمة الخلفاء العباسيين في ترميم أو إقامة مشاريع إروائية جديدة خاصة بعد ما خربت.

وجه قاضي القضاة "أبو يوسف" نظره إلى أهمية حفر القنوات لترقية الزراعة وتطهير الترع والمحافظة عليها ومراقبة توزيع الماء بين أصحاب الأرضي،¹ وضرورة إسناد ذلك لعدد كبير من الأشخاص المختصين لبناء وصيانة ومراقبة أنظمة الري،² لذا ليس عجباً أن نجد أن الإشراف على الموارد المائية وصيانتها قد توزع على عدد من الدواوين العباسية، منها "ديوان الخراج" فبالإضافة إلى أعماله الكثيرة الأخرى كان مسؤولاً على الإنفاق على الموارد المائية وما يتصل بها من سدود وقناطر بوصفها القلب النابض لعملية الإرواء وأساس إدامة عملية الري، ومنها أيضاً "ديوان الأكرة" الذي كان يشرف على بناء وإصلاح الترع والجسور وشئون الري عامه،³ و"ديوان الماء" الذي كان يحتفظ فيه بما يملكه كل شخص من الماء وما يباع وما يشتري منه وطرق الري ووسائله في كل منطقة.⁴

حفر الخليفة المتوكل (247-232هـ/861-847م) النهر المعروف بالجعفري، وانفق عليه مبالغ ضخمة،⁵ عقد الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/892-870م) سنة

¹-أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت182): الخراج، دار المعرفة، لبنان، 1979، ص.94.

²-الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت255هـ): التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأmenteة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، مكتبة الخانجي، مصر، ط، 3، 1994، ص.62.

³-حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص318؛ خيون مطير راهي: مشاريع الري في العهد العباسى وعلاقتها بمشاريع الري الحديث، الجامعة المستنصرية، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسى، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999، ص.80.

⁴-الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (387هـ): مفتاح العلوم، ترجمة إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989، ص.94.

⁵-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص.212.

267هـ/880م القناطر على الأنهر النابعة من "نهر جطي"، الواقع في شرق دجلة إزاء نهر يعرف باليهودي، الأمر الذي سهل إيصال مياه هذا النهر إلى الأراضي القريبة من دجلة من جهة الشرق لريها، أقدم أيضاً على توسيع نهر جطي بقرب البصرة لإغلاق منافذ وصول الزنج إلى معسكر جيشه القريب من النهر، وفي نفس الوقت سهلت هذه التوسيعة مع القناطر المعقودة على النهر تزويد الأراضي القريبة من هذا النهر بكمية وفيرة من المياه اللازمة لسقي أشجارها ومحاصيلها.¹

لم تكن لثورة الزنج سلبيات فقط، إنما كان لها إيجابيات، فما قام به الموفق من اصلاحات إروائية كان لكسر نشاط الزنج، حيث أمر بإصلاح طرق ومسالك دجلة، وحفر آبار للماء في القرية الجعفرية التي كانت مقاماً لعسكره أياماً وليلات طويلة في حرب الزنج، فتزود الناس من المياه واتسع العيش عليهم ودوابهم، وتدخلت هذه الآبار المحدثة مزارع القرية وحقولها فروتتها وزكت ثمارها.²

أمر المعتصم (289-279هـ/892-892م) بقلع صخرة كانت في فوهة نهر الدجيل تعيق دخول الماء فيه، وكلف ذلك أكثر من أربعة آلاف دينار تمت جبائتها من أصحاب الاقطاعات والضياع المنتفعه من مياه النهر،³ واعتنى معز الدولة بحفر القنوات والأنهار وتطهيرها من الرواسب التي تعيق جريان الماء فيها، فقد حفر صدر نهر الخالص لكي يسهل جريان الماء فيه، حيث جمع له المهندسون وعملوا له تعلية على الأرضي التي يمر بها بلغت عدة أذرع "وداس الجميع بالفيلة دوساً كثيراً حتى قوى واشتد وصلب وتلبد".⁴

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 564.

² - الطبرى، المصدر السابق، ج 9، ص 561.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 46.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 240.

تدهورت الشؤون الزراعية ووسائل الري حتى مجيء عضد الدولة سنة (367هـ/ 977م) الذي قام ببعض الاصلاحات تداركاً للأوضاع المتردية في البلاد، ولاسيما اصلاح نظام الري بعد أن تعطل الكثير من الأنهرار بسبب انسداد مجاريها ولم تصل مياهها إلى بغداد فشرب الناس المياه الثقيلة، وتکلفوا الذهاب إلى نهر دجلة لنقل الماء منه، فأمر بحفر عمدانها واصلاح نواطمها وأعاد بناء القنطر المتهمة، التي على نهر عيسى والخندق، وفي سنة 370هـ/ 979م أمر عضد الدولة إعمار القنطرتين العتيقة والجديدة المقامتين على نهر الصراة، بعد أن سقطتا نتيجة زيادة نهر الفرات، وأنفق عليهما كثيراً من الأموال وأحکم بنائهما.¹

سد البثوق:

أشرفت السلطة العباسية على سد البثوق لتدارك ما آلت إليه مشاريع الري والواقع الزراعي من تردي، ففي سنة 327هـ/ 938م انفق الرازي (322-329هـ/ 934-940م) من ماله الخاص لأجل سد البثوق الذي كان في نهر عيسى، والذي أثر على منسوب الماء فيه، وكلف راغب الخادم بالإشراف على هذه المهمة وتمكن من إتمام هذه المهمة بعمل متواصل دام ما يزيد على خمسين يوماً.²

تولى المتقى بالله (333-329هـ/ 944-940م) الإشراف بنفسه على سد بثوق النهروان وأصلاحه سنة 333هـ/ 944م وبوشر العمل فيه حتى اكتمل وصلى عليه، وعلى الرغم من الجهد والأموال التي بذلت، فإن العاملين لم يتمكنوا من السيطرة على البثوق، فلما انصرف

¹ - زبيدي محمد حسين: العراق في العصر البويمي التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية 334هـ- 447هـ/ 1058-945م، دار النهضة العربية، مصر، 1970، ص 117.

² - الصولي، أخبار الرازي، ص 137-138.

الجند والعاملين عليه انهدم السكر وانفتح البثق، وعادت المياه تتدفق على الأراضي الزراعية فغمرتها مرة أخرى¹.

وفي نفس السنة خرج أمير الأمراء توزون إلى بثق نهر عيسى، ومعه عدد من قادته وانفق من ماله الخاص لسد، وعلى الرغم مما بذله من جهد ومال، وقيامه على ذلك أياماً لم يتم العمل لعدم كفاية الأموال، فاجتهد للحصول عليها ولكنه لم يتمكن، فتدفق الماء بقوة فجرف ما تم إنجازه من الجدار وهدمه².

أخذ معز الدولة البوبي (334هـ-356هـ) على نفسه قسماً أن يسد البثوق فقال: "وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة ألا أقدم شيئاً على ذلك (أي البثوق) ولو أنفقت فيه جميع ما أملك"³ وقد بُرِّ بعده، ففي سنة 335هـ/946م سد بثق نهر رفيل (نهر عيسى)، ونهر الروبانية فأصبحت بغداد فيما يروي "يعمها الرخاء وبيع الخبز كل عشرين رطل بدرهم، فأحب الناس حكم معز الدولة وأحبوا شخصيته"، غير أن بثوقاً أخرى حدثت ورافقتها خلاء جديد للأراضي مما أدى لترك الزراعة وهجرة السكان من مناطق كانت أعمراً المناطق بيد الخلافة⁴.

محاولة تحقيق الاستقرار المالي من خلال ضبط الأسعار والحد من غش العملة:

قامت الدولة العباسية بالعديد من الإجراءات لوضع حد لارتفاع الأسعار بهدف تلبية حاجيات الأفراد والحد من سخط العامة وانخفاضاتهم الناتجة عن الغلاء، ومن هذه الإجراءات:

¹ - المصدر نفسه، ص 225.

² - الصولي، المصدر السابق، ص 278.

³ - الطبرى، المصدر السابق، ج 11، ص 362.

⁴ - أحمد سوسة، فيضانات بغداد عبر العصور، المرجع السابق، ج 1، ص 295.

تسعير¹ المواد الغذائية، بعد أن ضجت العامة من الغلاء سنة 308/920م وكسروا المنابر فأمر الخليفة المقىدر

١- التسعيـر لغة: من السـعـر بالكسر، وهو الذي يقوم عليه الشـم وجمعـه أسـعـار وقد أـسـعـرـوا وسـعـرـوا بمعنى واحد: "اتفـقـوا عـلـى سـعـرـ" ، والـتسـعـير "تقـدـير السـعـرـ" ابن منـظـورـ، المـصـدـرـ السـابـقـ، جـ4ـ، صـ365ـ. سـعـرـتـ الشـيـءـ تـسـعـيـرـاـ جـعـلـتـ لـهـ سـعـرـاـ مـعـلـومـاـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـ؛ـ الفـيـوـمـيـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ الـمـقـرـيـ (تـ770ـهـ)،ـ الـمـصـبـاحـ الـمـنـيـرـ فـيـ غـرـبـ الـشـرـحـ الـكـبـيرـ لـلـرـافـعـيـ،ـ تـحـقـيقـ:ـ عـبـدـ الـعـظـيمـ الشـتـاـويـ،ـ دـارـ الـعـلـمـ،ـ مـصـرـ،ـ طـ2ـ،ـ (دـ.ـتـ)،ـ صـ277ـ.ـ تـدـخـلـتـ السـلـطـةـ الـعـبـاسـيـةـ فـيـ تـحـدـيدـ أـسـعـارـ الـمـوـادـ الـغـذـائـيـةـ الـأـسـاسـيـةـ وـذـلـكـ لـمـنـعـ الـارـتـقـاعـ الـمـسـتـمـرـ لـلـأـسـعـارـ،ـ رـغـمـ حـرـمـتـهـ اـسـتـنـادـاـ إـلـىـ اـمـتـاعـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ عـنـ التـسـعـيرـ عـنـدـمـاـ طـلـبـ مـنـهـ ذـلـكـ لـغـلـاءـ السـعـرـ،ـ وـقـوـلـهـ:ـ إـنـ اللـهـ هـوـ الـقـابـضـ الـبـاسـطـ الـرـزـاقـ الـمـسـعـرـ،ـ وـإـنـيـ لـأـرـجـوـاـ أـلـقـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـلـاـ يـطـلـبـنـيـ أـحـدـ بـلـمـةـ ظـلـمـتـهـ إـيـاهـ فـيـ دـمـ وـلـاـ مـالـ؛ـ التـرـمـيـذـيـ مـحـمـدـ بـنـ عـيـسـىـ بـنـ أـسـوـةـ (تـ279ـهـ):ـ سـنـنـ التـرـمـيـذـيـ،ـ تـحـقـيقـ:ـ أـحـمـدـ مـحـمـدـ شـاـكـرـ،ـ شـرـكـةـ مـكـتـبـةـ وـمـطـبـعـةـ مـصـطـفـىـ بـابـاـ الـحـلـبـيـ،ـ مـصـرـ،ـ 1975ـ،ـ جـ2ـ،ـ صـ741ـ؛ـ ذـهـبـ الـفـقـهـاءـ إـلـىـ عـدـمـ جـواـزـ التـسـعـيرـ حـالـ السـعـةـ إـنـ لـمـ يـكـنـ فـيـ بـيـعـهـ ضـرـرـ عـلـىـ عـامـةـ النـاسـ وـكـانـ الـبـيـعـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـمـعـتـادـ.ـ بـنـ قـدـامـةـ الـمـقـدـسـيـ الـجـمـاعـيـلـيـ الـدـمـشـقـيـ الـصـالـحـيـ الـحـنـبـلـيـ.ـ الـقـرـطـبـيـ أـبـوـ عـمـرـ يـوـسـفـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ (تـ620ـهـ):ـ الـكـافـيـ فـيـ فـقـهـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ الـمـالـكـيـ،ـ تـحـقـيقـ:ـ مـحـمـودـ مـحـمـدـ الـمـورـيـتـانـيـ،ـ مـكـتـبـةـ الـرـيـاضـ الـحـدـيـثـ،ـ الـرـيـاضـ،ـ (دـ.ـتـ)،ـ جـ2ـ،ـ صـ730ـ.ـ بـنـ قـدـامـةـ الـمـقـدـسـيـ الـجـمـاعـيـلـيـ الـدـمـشـقـيـ الـصـالـحـيـ الـحـنـبـلـيـ.ـ الـقـرـطـبـيـ أـبـوـ عـمـرـ يـوـسـفـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ (تـ620ـهـ):ـ الـمـعـنـيـ،ـ تـحـقـيقـ:ـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـبـدـ الـمـحـسـنـ الـتـرـكـيـ،ـ دـارـ عـالـمـ الـكـتـبـ،ـ الـرـيـاضـ،ـ طـ3ـ،ـ 1997ـ،ـ جـ4ـ،ـ صـ164ـ.ـ عـبـرـ اـبـنـ قـيـمـ عـنـ ذـلـكـ بـقـوـلـهـ:ـ "فـإـذـاـ كـانـ النـاسـ يـبـيـعـونـ سـلـعـهـمـ عـلـىـ وـجـهـ الـمـعـرـوفـ مـنـ غـيرـ ظـلـمـ،ـ وـقـدـ اـرـتـقـعـ السـعـرـ إـمـاـ لـقـلـةـ الشـيـءـ،ـ إـمـاـ لـكـثـرـةـ الـخـلـقـ فـهـذـاـ إـلـىـ اللـهـ،ـ فـإـلـزـامـهـ بـالـبـيـعـ بـقـيـمةـ مـعـيـنـةـ اـكـرـاهـ بـغـيـرـ حـقـ".ـ اـبـنـ قـيـمـ الـجـوـزـيـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ بـنـ اـبـيـ بـكـرـ بـنـ أـيـوبـ (تـ751ـهـ):ـ الـطـرـقـ الـحـكـيـمـ فـيـ السـيـاسـةـ الـشـرـعـيـةـ،ـ تـحـ:ـ نـاـيـفـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ،ـ دـارـ عـالـمـ الـفـوـائـدـ لـلـنـشـرـ وـالـتـوزـيـعـ،ـ (دـ.ـتـ)،ـ صـ198ـ.ـ اـتـقـقـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ تـحـرـيمـ التـسـعـيرـ عـلـىـ أـهـلـ السـوـقـ إـنـ لـمـ يـكـنـ فـيـ بـيـعـهـ ضـرـرـ عـلـىـ عـامـةـ النـاسـ،ـ وـكـانـ الـبـيـعـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـمـعـتـادـ.ـ وـذـلـكـ فـيـ حـالـاتـ مـحـدـدـةـ:ـ كـالـأـزـمـاتـ وـالـمـجـاعـاتـ وـالـاضـطـرـارـ إـلـىـ طـعـامـ الـغـيـرـ وـالـاحـتـكـارـ وـالـحـصـرـ،ـ وـقـدـ وـصـفـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ عـمـلـيـةـ التـسـعـيرـ بـأـنـهـ صـيـانـةـ لـحـقـوقـ الـمـسـلـمـينـ فـقـالـ:ـ "إـنـ مـصـلـحـةـ النـاسـ إـنـ لـمـ تـتـمـ إـلـاـ بـالـتـسـعـيرـ سـعـرـ عـلـيـهـمـ تـسـعـيرـ عـدـلـ لـاـ وـكـسـ فـيـهـ وـلـاـ شـطـطـ،ـ إـنـدـفـعـتـ حـاجـتـهـمـ وـتـمـتـ مـصـلـحـتـهـمـ بـدـونـهـ لـمـ يـفـعـلـ"،ـ فـمـثـلاـ إـذـاـ اـحـتـاجـ النـاسـ لـصـنـاعـةـ مـاـ كـالـفـلـاحـةـ أـوـ الـخـيـاطـةـ أـوـ مـاـ شـابـهـ ذـلـكـ،ـ إـنـ لـوـلـيـ الـأـمـرـ (ـالـمـحـتـسـبـ)ـ أـنـ يـجـبـ أـهـلـ هـذـهـ الصـنـاعـةـ عـلـىـ مـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ النـاسـ مـنـ صـنـاعـتـهـمـ،ـ وـيـقـدـرـ لـهـمـ أـجـرـةـ الـمـثـلـ،ـ وـلـاـ يـحـقـ لـلـصـانـعـ الـمـطـالـبـ بـأـكـثـرـ مـنـ ذـلـ،ـ حـيـثـ تـعـيـنـ عـلـيـهـ الـعـمـلـ وـهـذـاـ

(295-932هـ/908-1932م) بخض سعر الدقيق حيث نقص في كل كر خمسة دنانير، فاشتد الأمر على الناس فرفعت الدولة التسعير وعادت الأسعار إلى الانخفاض،¹ وفي عام 935هـ شغب العامة لغلاء الأسعار وتحاربوا مع الجندي، حاولت الدولة معالجة الأمر عن طريق التسعير، فسُعِرَتْ المكواكب من الدقيق بثلاثة دراهم للرقة بهم فما نفع ذلك، فسمحت أن يتعامل الناس بالغليظ من الدرهم أي الرديئة،² في شهر رمضان من سنة 983هـ/373 زادت الأسعار زيادة مفرطة وضج الناس وكسروا منابر الجامع، فُسُعِرَ الخبز كل ثمانية أرطال بدرهم، وألزم الجميع بهذا السعر ثم تناقصت الأسعار في ذي الحجة.³

يبين هنا دور المحتسب، فمن واجبه أن يمنع الاحتكار، وإن يجبر من احتكر شيئاً من قوت المسلمين أن يبيعه، مع مراعات الأوقات والأصناف، حيث لا يجب عليه إلا في الأصناف التي قال العلماء بعدم جواز الاحتكار فيها كاللحم والفاكهه وغيرها، وأما من حيث الأوقات فإن الاحتكار يحسب بحسب الوقت؛ حيث يكون محظوظاً كوقت الماجاعة والجدب وفي هذا الوقت يكون التحرير عاماً، وقد يشمل لا يشمله في وقت السعة، وأما في باقي الأوقات خاصة وقت توفر السلع والبدائل فيرجع للحكم الأصلي بالكرامة في بعض الإباحة في البعض، فعلى المحتسب أن يراعي ذلك كله،⁴ فلا بد أن يكون لديه علم بما يوجد في

هو التسعير الواجب. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الصري (ت 459هـ): الحاوي الكبير، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ج 5، ص 409؛ ابن تيمية نقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (728هـ): الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 22.

¹ - الطبرى، تاريخ الرسل والملوك ، المصدر السابق، ج 11، ص 216.

² - الصولى، المصدر السابق، ص 71.

³ - ابن الجوزى، المصدر السابق، ج 14، ص 302.

⁴ - ابن الإخوة محمد ابراهيم شمس الدين (ت 729هـ): معلم القرابة في طلب الحسبة، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، (د.ت)، ص 74-75.

البلد من طعام ومقداره، ومكان تخزينه حتى يتمكن من معرفة المحتكر، ومعرفة إذا ما حدث شح في الطعام وهل هو سبب نقص فعلي في المؤونة أم بسبب احتكار أحد التجار.¹

كثيراً ما عملت الدولة على تسهيل نقل المواد الغذائية وتوفيرها خاصة من المناطق التي لم تعاني من الغلاء والمجاعات، فأثناء الصراع بين الخليفة المستعين بالله والجند الأتراك سنة 251هـ/865م، بعث أبو أحمد بن المتكى إلى بغداد خمس سفن محملة بالدقيق والمواد الغذائية،² وفي سنة 324هـ/935م وجه الحسن بن عبد الله الحمداني بمائة كر دقيقاً لتفرق بسامراء وبغداد على الأشراف والضعفاء، كما وصلت من الموصل سفن بها سلع فانخفض السعر.³

تقلد أبو عبد الله البريدي وزارة المتقى بالله سنة 329هـ/940م فقبض زمام الأمور وتعسف فهرب جماعة من الأتراك من واسط وبغداد إلى الموصل، وفي أثناء صعودهم أغرقوا زوارق الدقيق التي كانت منحدرة نحو بغداد،⁴ طلب الخليفة المقتدر بالله من الأمير ناصر الدولة الحمداني سنة 330هـ/941م أن يرسل دقيقاً إلى بغداد بسبب ارتفاع الأسعار فلما وصلت السفن صلح السعر.⁵

¹- عبد الرحمن نصر هاشم التتر: ولاية الحسبة في العهد العباسى ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة (132-656هـ/750-1258م)، رسالة ماجister، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015، ص 68.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 174.

³- الصولي، المصدر السابق، ص 76.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص 201.

⁵- المصدر نفسه، ص 225-226.

استجد ابن شيراز سنة 334هـ / 945 م بناصر الدولة أن يحمل إليه المال والطعام مقابل أن يرد الإمارة إليه، فحمل إليه دقيقا وسفاتج بخمسين ألف درهم،¹ في سنة 377هـ / 987 م ارتفعت الأسعار فحملت الأقوات إلى بغداد من بلاد فارس وجميع البلدان²

كما اعتمدت الخلافة في توفير الغذاء أثناء الأزمات الغذائية على الغلات التي كانت ترسل من مختلف الأقاليم إلى جانب أموال الخراج كما استغلت الغلات التي كان يرسلها الضامنين، فقد كان عقد الضمان يتضمن إرسال غلات عينية إلى جانب الأموال، على سبيل المثال لا الحصر أن الفضل بن سهل وزير المأمون باع من غلات السوداد لتجار بغداد،³ كما قام الوزير ابن الفرات ببيع ثلاثين ألف كر من غلات السوداد للتجار وطالبهم بتعجيل دفع المال في ثلاثة أيام،⁴ .

منعت الدولة سك النقود المزيفة وترويجها وحظرت أمر إصدارها بها، وبذلك منعت أي شخص من أن ينشأ دار ضرب للعملة، وكانت تعاقب كل من يخالف هذا القرار، ففي سنة (229هـ / 940 م) عوقب شخص لاتخاده دار لضرب الدرهم المزيفة، فضرب وحمل على جمل وشهر به في جانبي بغداد.⁵

كانت السلطة العباسية لا تقبل العملة المزيفة في الجبايات المختلفة، وكانت تعيد سك ما وجد منها في بيت المال من جديد، وفق المعايير الرسمية فضلاً عن مراقبة المزيفين

¹ - ابن مسكوني، المصدر السابق، ج6، ص112.

² - مسكوني، المصدر السابق، ج7، ص165.

³ - الجهشياري، المصدر السابق، ص319.

⁴ - الصابي، الوزراء، المصدر السابق، ص237.

⁵ - الصولي، المصدر السابق، ص148.

والمرجعين للعملة المزيفة، وذلك بالاعتماد على من لهم القدرة على الكشف عن النقود المزيفة، اعتمدت كذلك على المحاسب.¹

الإنذار الشديد بالوعظ والتخييف وايضاح التعليمات وبيان ما ينكره الإسلام من الغش والزيف في المسكوكات وغيرها من المعاملات.²

رسال أوامر وتحذيرات لأصحاب الرأي؛ حيث ورد في عهد من الخليفة المطیع إلى الأمير ناصر الدولة الحمداني سنة 366هـ/976م: "إلى ولاة العيار بتصفيه عين الدرهم والدينار من كل خبث وتخليصها من كل غش ودنس، وضربيها على الامام (العيار) الذي يضرب عليه العين والورق بمدينة السلام، ومنع التجار الذين يوردون الذهب والفضة إلى دور الضرب من تجاوز ذلك وتعديه، وعقوبة من يخالف بما يوجبه جرمها ويقتضيه".³

وجاء في عهد الطائع بالله إلى الأمير البوهيي فخر الدولة سنة 366هـ/976م "إلى والي العيار بتخليص عين الدينار والدرهم ليكونا مصروبين على البراءة من الغش والتهذيب من اللبس وبحراسته السكك أن تتناولها الأيدي المدغلة..".⁴

الضرب والتشهير وهي من العقوبات البدنية التي أوقعها ولاة الأمر عند قبض المزيف الذي لم تردعه الإجراءات السابقة، ونقل الصولي أخبار عن رجل عوقب بالضرب سنة 328هـ/936م لارتكابه جريمة زيف العملة.⁵

¹ - ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي ، أسرار دور الضرب، المرجع السابق، ص 1237.

² - الزهراوي، زيف النقود، المرجع السابق، ص 90.

³ - القلقشندی، المصدر السابق، ج 10، ص 41.

⁴ - ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الونك العربي، الع 11، (د.ت)، ص 1235.

⁵ - الصولي، المصدر السابق، ص 148.

وقد يصاحب الضرب حلق الرأس والتشهير بالمزيف، ذكر ذلك ابن العربي وقال: "أنه يحمل المزيف على دابة وينادى بصوت عالي: هذا جزء من يقطع الدرام" ¹، كما تم تطبيق حكم القتل، حيث أن الدولة الإسلامية لم تطبقه إلا بعد فشل جميع الإجراءات السابقة، ومن أمثلة ذلك أن معز الدولة البويمي أمر بقتل رجل من الأهواز لضربه مسکوكات رديئة. ²

حرص السلطة على إدارة الأزمات المالية

لجأت السلطة في كثير من الأحيان لإيجاد حلول للأزمات المالية التي تعرضت لها الخلافة وكثراً ما عمل الخلفاء على خلق نوع من الموازنة بين الإيرادات والنفقات وذلك بتتابع مجموعة من التدابير والإجراءات ذات الطبيعة الاقتصادية من بينها:

• اللجوء لبيت مال الخاصة:

اعتبر بيت مال الخاصة ³ بمثابة الخزينة الاحتياطية للدولة التي تدخل فيها الأموال الفائضة عن حاجة الدولة في سنوات الرخاء لتسخدم في أوقات الأزمات وسنوات العجز المالي، كانت الدولة تلجأ في أوقات الأزمات المالية لبيت مال الخاصة، إلا أن هذه الحالات تعد قليلة وفي السنوات التي لا يتوفر فيها احتياطي مالي كاف لأسباب أدت لانقطاع أو

¹- ابن العربي، المصدر السابق، ج 3، ص 25.

²- ضيف الله يحيى الزهراني: زيف النقود الإسلامية، المرجع السابق، ص 93.

³- بيت مال الخاصة: هو بيت مال الخليفة؛ شكل مؤسسة مستقل بذاتها لها موردها ومصروفاتها وعن الأموال التي تحمل إليه هي: الأموال المختلفة التي يتركها الآباء لأبنائهم ، مال الضياع الخاصة بالخلفاء، وبعض أموال المصادرات، بعض أموال الجزية، كان الخلفاء ينفقون من مال بيت المال الخاصة على الحج، وفي تجهيز الحملات الحربية التي توجه على الحدود... كما كان يستعان بها لسد بعض النفقات إذا قلت إيرادات بين المال العام. عبد الله جمعان سعيد السعدي: النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية والمقارنة بالأنظمة الوضعية الحديثة 132هـ- 747م، 232هـ- 749م، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1989، ص 382.

تراجع وارداته،¹ فمثلاً عندما ضاقت الأمور في عهد المقتدر (320-295هـ/908-932م) بسبب مطالبة القواد والجنود بأموالهم وأرزاقهم وحدث شغب بينهم اضطر المقتدر إلى إخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لإنها الأزمة.²

- بيع أملاك الدولة:

لجأت السلطة في بعض الأحيان لبيع الضياع والعقارات وما في الخزائن من النفائس والأمتعة الثمينة والهدايا، وبيع آنية الذهب والفضة، أو كسرها وسكلها نقود،³ وبعد التدهور الكبير الذي حصل في العصر العباسي الثاني وما بعده ونتيجة للتدخلات الأجنبية في شؤون الحكم ومن ثم سيطرتها على مقدرات الدولة الاقتصادية؛ اضطر الخلفاء إلى بيع أملاكهم الخاصة بل وحتى ملابسهم في بعض الأحيان، فقد باع المقتدر بالله (295-320هـ/908-932م) الأماكن العامة من الضياع والمستغلات التي كان قد أقطعها للناس، واضطر لإخراج الكسوة وغيرها من الخزائن وذلك بعد أن عجز عن دفع مال البيعة،⁴ وفي سنة 319هـ/931م اشتدت الضائقة المالية وكثرت النفقات فاضطر الوزير الحسن بن القاسم إلى بيع ضياع بمبلغ (500) ألف دينار واستلف جزءاً من أموال الخراج لسنة 320هـ/932م قبل افتتاحها.⁵

ونتيجة لاستمرار الأزمة المالية إلى عهد القاهر (320-322هـ/932-934م) فقد اضطر إلى بيع العديد من الضياع الخاصة وبعض الأماكن الأخرى، كما باع وزير ابن مقلة أحد مقرات الوزارة وبعض الأماكن والضياع السلطانية لإيفاء مستحقات التجار من الديون.⁶

¹ سليم أبو طالب: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الإشعاع، 1999، ص 323.

² نايف محمد شبيب المتيوتي: إجراءات الدولة الإسلامية في معالجة الأزمات المالية في العصر العباسي، المكتبة الشاملة الذهبية، (د.ت)، ص 5.

³ كراسبة حسين فلاح: المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين) ، جامعة مؤتة، 1992، ص 78.

⁴ مسكوني، المصدر السابق، ج 5، ص 264.

⁵ المصدر نفسه، ج 5، ص 307.

⁶ نايف محمد شبيب المتيوتي، المرجع السابق، ص 6.

• بقيت أموال الضياع السلطانية تسد العجز المالي في خزينة الدولة، إلى أن استولى الأمير البويري معز الدولة على أمور الدولة ومايتها، واستولى على بيت مال الخاصة وأملاك الخليفة العباسي، وباستلهه على بيت مال الخاصة والضياع السلطانية، حرمت الدولة مصدراً من مصادر إيراداتها الذي كان يقدم لها المساعدة المالية في أوقات الأزمات المالية.¹

• اعتماد سياسة المصادر:

لم يشهد العصر العباسي الأول ظاهرة المصادرات إلا بصورة متفرقة ولأسباب سياسية وشخصية، كان الهدف منها الحيلولة دون وقوع الفساد، وجمع العمال والموظفين الأموال بطرق غير مشروعة وضمان حقوق بيت المال والمجتمع.²

توسيع الخلفاء العباسيين في سياسة المصادرات خاصة خلال العصر العباسي الثاني؛ وذلك لسد الاحتياجات المالية المتزايدة، فقد تطورت هذه المصادرات من حيث الأسباب والدوافع والمظاهر ولم تقتصر أسبابها على العوامل السياسية والشخصية، فأضيئت إليها الأسباب المالية التي جاءت نتيجة العجز في بيت المال، لم تكن المصادر العائدة لهذه الأسباب منتشرة خلال العصر العباسي الأول نظراً للوضع المستقر لبيت المال في تلك الفترة، عدا بعض الفترات التي عانت من الأزمات المالية.³

¹ - نايف محمد شبيب المتنوبي، المرجع السابق، ص 7.

² - محمد حسين حميد: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، دار ومكتبة عدنان، العراق، 2015، ص 22.

³ - محمد تركي محمد شنطاوي: المصادرات في العصر العباسي 132-334هـ / 750-945م، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1994، ص 46.

وفرت المصادرات في كثير من الأحيان لبيت المال دخلاً مالياً خاصةً خلال الأزمات حيث لجأت الدولة إليها كأسلوب لسحب الأموال من الأهالي، وتغطية العجز في بيت المال وسد النفقات المتربعة¹، إلا أنها تركت أثراً سلبياً على الأوضاع الاقتصادية.²

- الاقتراض: لابد من الإشارة إلى أن الاقتراض كان آخر الحلول التي لجأت إليها السلطة العباسية لمواجهة الأزمات أي كان يسبق عملية الاقتراض إجراءات عدة كبيع الضياع السلطانية والأملاك العامة، وغيرها من الإجراءات سابقة الذكر لجأت الدولة لهذا الإجراء أول مرة في أعقاب الفتنة بين الأمين والمأمون وحصول الضائقة المالية سنة (198هـ/813م) وذلك لدفع رواتب الجند، فاقترض المأمون من التجار والصرافين والموسوريين عشرة ملايين درهم.³

ثم تالت القروض كلما مرت الدولة بأزمة مالية، لكن يجب الاعتراف أن مسألة الاقتراض وإن كانت حلاً مؤقتاً للأزمات؛ كانت من أخطر الإجراءات التي اتخذتها الدولة العباسية لأنها افقدت هيبة الدولة، كما أنها في كثير من الأحيان لم يكن لديها ما تسد به هذه النفقات، مما أدى إلى انعدام الثقة بين الناس والسلطة، فقد لجا الوزير ابن الفرات أشأه وزارته الأولى (296-299هـ/908-911م) إلى الجهاد لحل الضائقة المالية التي واجهت الدولة آنذاك، إذ طلب من جهذ الأحواز "يوسف بن فنحاس" أن يقرضه الأموال كم أجل دفع رواتب موظفي بعض الدواوين، وقد لبى الجهذ طلبه ومده بالمال اللازم لها.⁴ جهود الخلفاء لحماية السوق وتوفير سبل الأمن والأمان في الطرق التجارية البرية والبحرية وطرق الحج:

¹- المرجع نفسه، ص 252.

²- انظر المبحث 03، الفصل 04، ص 334-339.

³- اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، المصدر السابق، ص 107.

⁴- الصابي، المصدر السابق، ص 198.

يعد السوق مركزاً لاستقطاب التجارة ، إذ يعد العنصر الأساسي في رخاء المدينة، وازدهارها الاقتصادي ورفاهها الاجتماعي، ومن هنا كان الاهتمام بالسوق أمراً ضرورياً لإظهاره بالشكل اللائق بمكانة المدينة من النواحي الجمالية والتنظيمية.¹

ركزت السلطة العباسية على عمارة الأسواق وترميمها ورصد المبالغ الضرورية لتهيئتها وترميمها؛ حتى قيل عن بعض الأسواق أنها أسواق عامرة، وإلى جانب الإدارة المحلية كانت هناك مبادرات أصحاب المصالح والدكاكين في الاعتناء بالأسواق، كما اهتمت الدولة بصغار الباعة الذين كانوا يفترشون الأرض لعرض سلعهم وبضائعهم ولعدم قدرتهم على استئجار الحوانيت في الأسواق، فقد كانوا أكثر المتضررين مما تعرض له السوق من نهب.²

لا يمكن أن نهمل في هذا المقام المجهودات المبذولة من طرف الخلفاء العباسيين لوضع حد لهؤلاء المتربدين وخلق وسط آمن، مما أدى لانسياب التجارات مع مختلف دول العالم، ما جعلها تحتل المركز الأول في التجارة الدولية أنداك رغم ما عاشته من اضطرابات سياسية.

قام محمد بن الفضل بن ماهان في عهد المعتصم (833-218هـ/842م) بالسير في سبعين سفينه إلى ميد الهند فقتل منهم خلقاً كثيراً، وافتتح منطقة فالي ورجع إلى سند، وقام المتوكل (232-247هـ/861-847م) بمكافحة خطر القرصنة في المحيط الهندي من

¹ إلهام هاني نعمة: الأسواق في المشرق الإسلامي والنشاط الاقتصادي والتجاري من العصر العباسي إلى العزو المغولي (132هـ-656هـ/749م-1258م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2017، ص 43.

² المرجع نفسه، ص 42.

خلال إرسال حملة بقيادة ابراهيم بن هشام إلى مدينة شرسب، وهي إحدى المدن الساحلية في السند للاستلاء عليها، ولتأمين الطريق البحري إلى الهند¹.

ومن جهود الدولة العباسية أيضاً أنه تم إنشاء مجموعة من الخشبات بالقرب من ميناء عدن، وذلك لتحذير السفن من ضحالة الماء في تلك المنطقة وخصوصاً في وقت الجزر، وتم استغلال هذه الخشبة أيضاً في مراقبة حركة السفن التجارية ورصد سفن القراصنة لتنبيه السفن منها².

قام أهل البصرة سنة 300هـ / 912م بتوجيه حملة لضرب قراصنة البحرين الذين كانوا يشكلون خطراً على الطريق التجاري ما بين العراق والصين، إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق النصر عليهم³، ويعود ذلك لقوة القراصنة في تلك الفترة، وثانيهما قلة خبرة أهل البصرة في التعامل مع مثل هذه القوة من القراصنة، وتكشف هذه الحادثة مدى ضجر أهل البصرة الذين يعتمدون بشكل كبير على التجارة البحرية مع مختلف البلدان، ولهم علاقات تجارية وثيقة مع كثير من الموانئ، ومن جهة أخرى تُبرز هذه الحادثة غياب دور الدولة خلال هذه الفترة والاكتفاء بالسماح لأهل البصرة في الخروج لمقاومتهم، مما يبيّن مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العباسية مقارنة بالدور الذي لعبته في العصر العباسي الأول وذلك لانشغالها بمكافحة ثورة الزنج والقرامطة⁴.

نتيجة النشاط التجاري الخارجي حرصت الدولة على توفير الحماية الازمة للتجار فشيدوا الفنادق والخانات التي تخدم هذا النشاط، وهو ما أكدته ابن حوقل بقوله أنه وجد:

¹ - اليقoubi، تاريخ اليقoubi، المصدر السابق، ج 2، ص 316.

² - الرشيدی بدر دحیم عبد الله: أثر القرصنة في العلاقات التجارية بين موانئ الخليج العربي وشرق آسيا، مجلة وقائع تاریخیة، الع 21، 2014، ص 62.

³ - طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرون الوسطى دراسة سياسية حضارية 1-789هـ / 1368م ، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1980، ص 203.

⁴ - الرشيدی بدر دحیم عبد الله، المرجع السابق، ص 63.

خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات... للبيع والشراء فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارات، وكل فندق منها لا يضاهى أكابر الأسواق ذوي جنسه ويسكن هذه الفنادق أهل السيارات ممن في ذلك الطريق من التجارة وأهل البضائع الكبار والأموال الغزار ولغير المياسر فنادق وخانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصناعات.¹

كان بالموصل فنادق وخانات للتجار الذين يتذدونها محطة من محطات الراحة، أو الذين جاؤوا من بلد آخر لمدة معلومة يزاولون التجارة ثم يعودون إلى بلادهم، حيث وصف المقدسي ذلك بقوله : "بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء كبير الاسم، قديم الرسم حسن الأسواق والفنادق".²

و لتسهيل سبل التجارة أقاموا الآبار والمحطات في الطرق القوافل، وأنشأوا المنابر في الثغور وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من غارات لصوص البحار، وكان لذلك أثر بعيد في نشاط التجارة الداخلية والخارجية.³

كانت هناك محطات تأمينية لحراسة طرق التجارة النهرية، أشار إليها ابن رستة في سياق حديثه عن الطريق من بغداد إلى البصرة، بقوله "وبالحوانيت أصحاب السيارة، والماصر من قبل السلطان"،⁴ ففي هذه الحوانيت قوم يحرسون هذه الطرق وكان في كل حانوت خمسة رجال، وهي شبيهة ببيت النحل وليس لها شبابيك، وهذا إن دل فإنه يدل على يقظة الحكومة وحرصها في المحافظة على الأمن، وحرصها على تشجيع العمليات التجارية والعمل على تأمينها وتشجيعها، هذا إضافة إلى بيوت من القصب في الأماكن اليابسة

¹ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص228-229.

² - المقدسي، المصدر السابق، ص138.

³ - عبد الحكيم غنتاب الكعبي: العوامل المؤثرة في نمو وتطور تجارة البصرة من القرن 1-5هـ/ 9-19م، مجلة دراسات البصرة، العدد 19، السنة 10، 2015، ص174.

⁴ - ابن رستة، المصدر السابق، ج7، ص161.

الموجودة بين الممرات المائية في البطائح، يكون فيها حراس لضمان سلامة المواصلات ومن فيها، وما تحمله من سلع ومنتجات.¹

كما عملت الحكومات المتتالية في الخلافة العباسية على تأديب الأعراب الذين قد تسول لهم أنفسهم العبث بحرية التجارة وانتقال التجار، مثال ذلك إرسال قوات عسكرية سنة 230هـ/845م إلى أعراببني سليم عندما أفسدوا أسواق الحجاز لتأديبهم ومحاربة المعتصم أعراببني شيبان لنفس السبب.²

كان للمحتسب مساهمة فعالة في مراقبة السفن التجارية لضمان السير الحسن لرحلة التجارية، حيث يراقب المراكب قبل شحنها وله أن يتصدى لربابينها ورؤسائهما، يقول الماوردي: "للمنتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه ويحاف من غرقها وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الرياح"، وللمنتسب نواب يلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة،³ كما شدد ابن الإخوة على دور المنتسب في ذلك بقوله: "يؤخذ على أصحاب السفن والمراكب ألا يحملوها فوق العادة خوف الغرق، وكذلك يمنعهم من السير وقت هبوب الرياح واحتداها...".⁴

كان تأمين طريق الحج من جملة اهتمامات السلطة وذلك لما كان بدره الحج من منافع مادية إلى جانب كونه من الشعائر الدينية، فرغم مشاركة الخلفاء العباسيين الذين جاءوا بعد هارون الرشيد (193-170هـ/809-786م) في تقديم بعض الأعمال المختلفة في سبيل خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها، إلا أن هذه الجهود لم تكن من الضخامة والكثرة بحيث تقارن بما قدم في الفترة الأولى من حكم الخلفاء العباسيين، فمن قدم خدمات لطريق الحج

¹ -الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المصدر السابق، ص 166.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 81.

³ - الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 337.

⁴ - ابن الإخوة، المصدر السابق، ص 230.

بعد هارون الرشيد ابنه المأمون (813-198هـ/833م)، حيث قام بوضع قياس للطريق الكوفي منذ خروجه من بغداد حتى انتهائه بمكة المكرمة، حيث يقول البيروني: "وقد وجه المأمون من ذرع الطريق فوجده بالأميال (810) ميلا".¹

لاشك أن المأمون (813-198هـ/833م) أهداف من هذا القياس، يرغب من خلالها تقديم خدمات لهذا الطريق، ولا نستبعد بهذا أنه جدد المنارات والأعلام التي تساعد المسافرين على السير عبر الطريق بدقة، ويبدو أنه قد رأى فيما قدمه سابقه من الخلفاء من خدمات للطريق كافية ل القيام بحاجات المسافرين عبره، خاصة وأننا نجد أن له اهتمامات في العمل الخيري الذي يصب في مصلحة الحجاج، ومن ذلك ما كان يأمر به أمراء الحج من تقديم خدمات كل سنة للحجاج في نواحي عديدة من مكة.²

أمر الخليفة المتوكل على الله (247-847هـ/861م) في سنة 240هـ بإضاءة طريق الحج العراقي بالشمع وكان الركب يحمل من وقود الزيت فينيره بإضاءة الشمع،³ كما قام بعده إنجازات عمرانية حيث حفر ثلاثة آبار وفي الطريق بين مكة والمدينة قام بحفر خمسين بئرا في السقيا، فخرج ماؤها عنديا، مما أفاد السالكين لهذا الطريق وأبعد عنهم خطر العطش الذي كانوا يتعرضون إليه.⁴

عرف عهد المقتدر بالله (320-908هـ/932م) بكثرة نفقاته على طريق الحج والمدينتين المقدستين مكة والمدينة، حيث كان ينفق ما يقارب 315000 دينار سنويا في هذا الجانب، ورغم أن المصادر لم تزودنا بالأعمال الدقيقة التي قام بها هذا الخليفة في طريق

¹ ريم بنت فهد السابح: جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها (132-749هـ/1258م)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، العدد 2، المجلد 11، 2017، ص 830.

² سليمان عبد الغني مالكي ، المرجع السابق، ص 241

³ المرجع نفسه، ص 17.

⁴ ريم بنت فهد السابح، المرجع السابق، ص 380.

الحج العراقية إلا أن نقشا أثريا، عثر عليها يشير إلى وجود إصلاحات حدثت في عهده لطريق الحج الكوفي.¹

ومن الملاحظ أن الخدمات توقفت بعد هذه السنة فلم تذكر كتب التاريخ أن الخدمات قدمت للحجاج سوى ما قام به عضد الدولة سنة 369هـ/1980م من إصلاح طريق الحج العراقي، وتقديم الأعطيات للأعراب القاطنين فيه وطلب إعادة حفر الآبار من أجل سقيا الحجاج، ولعل السبب الرئيسي هو ضعف الخلفاء العباسيين وتقى الدولة وانقسامها، بالإضافة إلى ثورة الزنج وظهور حركات القرامطة التي هددت طريق الحج²، يذكر ابن مسکویه في هذا الصدد: "ورفعت الجباية عن قواقل الحجيج وزال ما كان يجري عليهم من القبائح وجذب العسف، وأقيمت لهم السوقى في مناهل الطريق وحفرت الآبار واستففيست الينابيع".³

لم تقف الجهود المبذولة والعناء في طريق الحج على الخلفاء بل أسهمت نساء البيت العباسي في توفير الخدمات وتقديم بعض الأعمال الخيرية منه: السيدة زبيدة ابنة أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد، حيث حجت سنة 208هـ/824م وأمرت بحفر الآبار وبناء البرك على طول طريق الحج لتجمع مياه الأمطار في هذه البرك من أجل الاستفادة منها في سقي الحجاج، حيث يصف ابن الجبير عظم أعمال السيدة زبيدة على طريق الحج فيقول: "وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة بنت جعفر أبي المنصور زوج هارون الرشيد وابنة عمّه، انتدبت ذلك مدة حياتها فأبقيت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفدى الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولو لا آثارها الكريمة في

¹ - سعد الراشد: درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (دراسة حضارية أثرية)، ط1، دار الوطن، الرياض، 1993، ص57.

² - سليمان عبد الغني مالكي، المرجع السابق، ص17.

³ - مسکویه، المصدر السابق، ج 6، ص 457.

ذلك لما سلكت هذا الطريق والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها" (أنظر الملحق رقم 07، ص 387)¹ وتأتي خالصة (خادمة الخيزران) الشخصية الثانية بعد زبيدة في عمارة طريق الحج ومن أعمالها أنها عملت قباب وخزانات للماء في كل محطة.²

¹ ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614هـ): رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة ولمناسك المعروفة برحمة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، 1979، ص 185.

² ريم بنت فهد السابح، المرجع السابق، ص 845.

الخاتمة

الخاتمة:

• في سياق البحث في الإشكالية المحورية حول أي العاملين كان أشد تأثيرا في صياغة الوضع الاقتصادي للدولة العباسية، تبدو ضرورة فهم طبيعة المؤثرات خطوة أساسية لفك التشابك بين آثارها، فالعوامل السياسية لم تكن مجرد أحداث ظرفية؛ بل كانت قوة موجهة للبنية الاقتصادية تتحكم في استقرار الدولة وقدرتها على إدارة مواردها وتشييظ حركة التجارة ووحدة السوق، وفي المقابل شكلت الكوارث الطبيعية عنصرا مفاجئا وغير متوقع يستهدف النشاط الاقتصادي القائم على الزراعة ويربك بقية الأنشطة الاقتصادية كما يؤدي لارتفاع الأسعار، ومن خلال التفاعل بين هاذين البعدين -الانساني متمثلا في السلطة وإدارتها والطبيعي ممثلا في البيئة وتقلباتها- اتضح أن الاقتصاد العباسي كان يدخل مرحلة هشاشة كلما تراكمت الأزمات وتشابكت آثارها، بينما يستعيد قوته كلما وجد الاستقرار السياسي وتوفرت إدارة رشيدة قادرة على مواجهة التحديات الطبيعية، ومن هذا يتبيّن أن صياغة الخريطة الاقتصادية العباسية لم تكن وليدة عامل واحد بل ثمرة تقاطع قوى سياسية وطبيعية ساهمت بدرجات متفاوتة في صعوده وتراجعه.

• باستقراء ما تعرضت له الخلافة العباسية من اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية وما خلفته من آثار اقتصادية، يظهر أن الاضطرابات السياسية كانت العامل الأكثر تأثيرا وعمقا في إضعاف البنية الاقتصادية؛ ذلك أنها شكلت الإطار العام الذي تضاعفت داخله آثار الكوارث الطبيعية، فالعجز عن بسط الأمن وضعف الإدارة المركزية وتفكك سلطة الدولة على الأقاليم كلها عوامل جعلت المجتمع والاقتصاد العباسي أكثر هشاشة أمام الأزمات البيئية، وبمعنى آخر فإن الكوارث الطبيعية لم تكن لتفرز تداعيات خطيرة لولا غياب آليات الدولة القادر على احتوائها والتحفيظ من نتائجها، ومن هنا يمكن القول أن الأزمة الاقتصادية العباسية كانت في جوهرها أزمة سياسية أولا، ثم بيئية في سياق متآزم أصلا إذ إنَّ السياسة الضعيفة جعلت كل كارثة طبيعية تحول إلى أزمة اقتصادية شاملة.

- يرجع ترجيح تأثير العامل السياسي على العامل الطبيعي في تشكيل الواقع الاقتصادي للدولة العباسية إلى أن الاقتصاد في تلك الفترة كان يعتمد اعتماداً كبيراً على قوة الدولة وقدرتها التنظيمية، فحين كانت السلطة المركزية قوية استطاعت مواجهة الفيضانات والأوبئة وإصلاح شبكات الري، فظل الانتاج مستقراً والأسواق نشطة، أما عندما تفككت السلطة وتعددت مراكز النفوذ، وغابت الإدارة الفعالة وضعفت البنية التحتية الزراعية والتجارية، فتحولت الكوارث الطبيعية من أحداث عابرة إلى أزمات شاملة تهدد الاستقرار المالي والنشاط الاقتصادي، وهذا فإن ضعف الدولة هو الذي سمح للعوامل الطبيعية بأن تتطور من ظواهر ظرفية إلى عوامل هدامة أفقدت الاقتصاد العباسي توازنه ومكامن قوته.
- شهدت الخلافة العباسية اضطرابات سياسية متكررة نتيجة مجموعة من العوامل المتشابكة أبرزها ضعف السلطة وسيطرة العناصر الأجنبية على الخلافة، ظهور حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية وسياسية ودينية...، تدهور الجهاز الإداري نتيجة الفساد والصراع على المناصب العليا، كما ساهم الصراع على المناطق الحدودية بين الخلافة العباسية والأمبراطورية البيزنطية في إرباك الاستقرار السياسي.
- اعتبرت قضية ولادة العهد والسيطرة على مؤسسة الخلافة من أبرز القضايا التي أحدثت الشقاق والصراع بين أفراد البيت العباسي، وذلك لغياب نظام موحد لتعيين ولد العهد، فعادة ما خضع ذلك لاعتبارات شخصية وعصبية (النسب والأصل)، وما زاد الأمر سوءاً تدخل الأطراف الخارجية من وزراء وأمهات الخلفاء وعناصر مسلطة في تأجيج الصراع، فترجعت مكانة ولادة العهد لدى الخلفاء العباسيين حتى غاب أثرها ولم يعد لها دور في تعيين الخليفة، إذ كان ذلك التراجع نتيجة تسلط الأتراك ومن بعدهم بني بويه على الحياة السياسية في الدولة، انعكست هذه الفوضى بطريقة مباشرة على الجانب الاقتصادي فتحولت الدولة مواردها من البناء الاقتصادي إلى صراعات السلطة؛ إذ استنزفت الخزينة العامة وموارد الدولة في دفع الجيوش لمواجهة النزاعات الداخلية القائمة خاصة بين الأخوة، كما ارتفعت النفقات

العسكرية على حساب المشاريع الانتاجية والزراعية، فولاية العهد إذن لم تكن مجرد نزاع سياسي على الحكم، بل كانت سبباً أساسياً في ضعف الأداء الاقتصادي للدولة العباسية

• شكلت الحركات الاجتماعية أحد طرق التعبير لدى العامة عن رفضهم لما يعيشونه من أوضاع مضطربة، والأذى الذي يتعرضون إليه من طرف رجال السلطة والمسؤولين أو من أفراد العامة أنفسهم، فقد ساهم التناقض في المصالح والتباين الظاهري لظهور صراع بين أفراد الطبقتين الخاصة والعامة أو الصراع بين الفئات المكونة للطبقة الواحدة، فحركة أفراد العامة ليس عفوية إنما هي وليدة للظروف المحيطة بها؛ فلابد لأي فرد في إطار اجتماعي أن يتحرك سلباً أو إيجاباً، ساخطاً أو راضٍ، انعكس هذا السخط على الاستقرار السياسي للخلافة، إذ أدت الحركات الاجتماعية إلى تعطيل الانتاج خاصية الزراعة، إذ اضطر الفلاحون لترك أراضيهم نتيجة ما لاقوه من معاملة سيئة من الجباة وما طبق عليهم من أنظمة زراعية تعسفية مما أدى لإهمال الأرض وانخفاض الانتاج الزراعي الذي أثر بدوره على بقية الأنشطة الاقتصادية؛ من هنا يبرز مدى ارتباط الاستقرار الاقتصادي بالاستقرار الاجتماعي وضرورة إدارة أفراد الطبقة العامة والنظر في احتياجاتهم ومتطلباتهم.

• تأثرت الإدارة خلال العصر العباسى بالأحداث السياسية المضطربة، ومن جهة أخرى أدى الفساد الإداري إلى خلق واقع سياسى مضطرب، حيث أنه أصبح داء يصعب استئصاله وذلك لتفرع وتدريج الجهاز الإداري وتعدد هيئاته والعاملين فيه، فقد كانت العلاقة بين مختلف أفراده علاقة ارتباط وتأثير؛ فتوريث المنصب وانتشار الرشوة والوشایة وتعيين غير الأكفاء وغياب الجدية في تسيير المناصب الإدارية الحساسة، جعل الإدارة العباسية تعيش حالة من الاضطراب، فقد استغل العمال سلطتهم لتحقيق مصالح شخصية سواء من خلال فرض ضرائب بشكل تعسفي على الفلاحين والحرفيين، أو عن طريق استقطاع جزء من الإيرادات دون توريدتها إلى الخزينة العامة، ونتيجة لذلك تراجع الانتاج الزراعي والصناعي إذ شعر الفلاحون والحرفيون بالإحباط، كما أدى الفساد لضعف الرقابة على الأسواق وحركة التجارة.

- تراوحت العلاقات العباسية البيزنطية بين السلم وال الحرب، إلا أن العداء كان هو السمة الغالبة، وقد أثر هذا الصراع الحدودي على استقرار الخلافة السياسي فرغم ما أبدته السلطة العباسية من أداء حسن وما حققته من انتصارات، إلا أنها تأثرت بالتوتر الحاصل في مناطق التخوم، فتشتتت بذلك جهود الخلافة ومواردها المالية والبشرية.
- أسلبت الاضطرابات السياسية التي شهدتها الخلافة العباسية في الإضرار المباشر بالنشاط الفلاحي، فقد أدت النزاعات الداخلية إلى حالة من عدم الأمان في الأقاليم الزراعية، ما دفع الكثير من الفلاحين إلى ترك أراضهم هرباً من أعمال العنف والاضطهاد الجبائي، كما تسبب تفكك السلطة المركزية في توسيع النظام الاقطاعي الذي أدى إلى إنهاء الفلاحين وتراجع قدراتهم على الإنتاج والاستثمار في الأرض.
- أثرت الفتن السياسية على صيانة شبكات الري والبنية الزراعية الأساسية التي كانت تتطلب إشرافاً مستمراً من الدولة، فأدى إهمالها إلى انخفاض مردودية الأراضي، ومع استمرار الاضطرابات تراجع المخزون الزراعي وارتفعت الأسعار ما أخل بالتوازن الاقتصادي والاجتماعي وأفقد الدولة أحد مصادر قوتها المالية.
- أدت الاضطرابات السياسية التي عصفت بالدولة العباسية خاصة خلال فترات ضعف السلطة المركزية إلى تدهور واضح في قطاع الصناعات الذي كان بعد من ركائز الاقتصاد في العصر العباسي، فقد أثرت النزاعات المتكررة على استقرار الأمن في الأسواق التي كانت مركز النشاط الصناعي مما أعاقد حركة العمال والحرفيين، كما أدى تعدد مراكز النفوذ في فرض ضرائب غير منتظمة ومبالغ فيها على أصحاب الحرف فدفه ذلك بالكثير منهم إلى ترك مهنيهم أو الهجرة إلى مناطق أكثر أماناً.
- انعكس تراجع النشاط الزراعي والتجاري على الصناعات التي كانت تعتمد على المواد الخام والطرق التجارية المنتظمة لتصريف منتجاتها، مع تقلص الطلب الداخلي والخارجي فقد أثرت الصناعات العباسية زخمها الذي عرفته في عصور الاستقرار والازدهار وتراجع دورها في

دعم الدخل العام للدولة مما ساهم في زيادة أعباء الأزمة الاقتصادية التي رافقت فترات الاضطرابات السياسية.

- تراجعت موارد بيت المال بسبب ما عانته الخلافة من اضطرابات، فأحدث ذلك خلل واضح في توازن الجباية والنفقات بشكل فاق قدرة الدولة على احداث التوازن، حيث قلت الجباية وزادت بالمقابل النفقات فاضطررت السلطة إلى اجراءات مالية أدت لتذمر اجتماعي واسع.
- تأثرت العملة بما تعرضت له الخلافة من فوضى سياسية وتدخل العناصر الأجنبية في الحكم؛ مما أدى للتراخي في الإشراف على دور الضرب، ومن ثم تدهور جودة وعيار الإصدار النقدي واختلاف سعر تصريفه، فاختلت بذلك وظائف النقود العباسية وأصبح لا يأتمن بها للتعامل في بعض الأحيان خاصة خلال فترات الاضطراب
- كانت الأسواق من أكثر المرافق العامة عرضة لأحداث الفوضى والاضطرابات السياسية؛ باعتبارها مركز لجتماع التجار والصناع وال العامة، حيث استغلها المعارضون لبث أفكارهم وارباك استقرار الدولة، مما أدى لتكرار حوادث اشتعال النار في الأسواق وتعطل نشاطها، فانعكس ذلك على التجارة والأسعار والصناعات.
- تسببت النزاعات التي تعرضت لها الخلافة في اضعاف الأمن في الطرق التجارية البرية والنهيرية مما أدى لتعطيل انتقال السلع بين الاقاليم ، فضعف لذلك الدور الحيوي للمدن التجارية، كما أدى انتشار قطع الطرق وتنامي سلطة القوى المحلية إلى فرض إتاوات ورسوم غير شرعية على القوافل التجارية، مما زاد تكاليف التبادل التجاري وأفقد التجارة العباسية تنافيتها، وتغيرت وجهة السفن لموانئ أكثر أمن، وكان لهذا أثره الواضح على ما كانت توجه الخلافة من سلع للتصدير وما تستورده من منتجات من شأنها أن تساهم في تلبية احتياجات الأفراد وأن توفر مواد أولية للعديد من الصناعات،

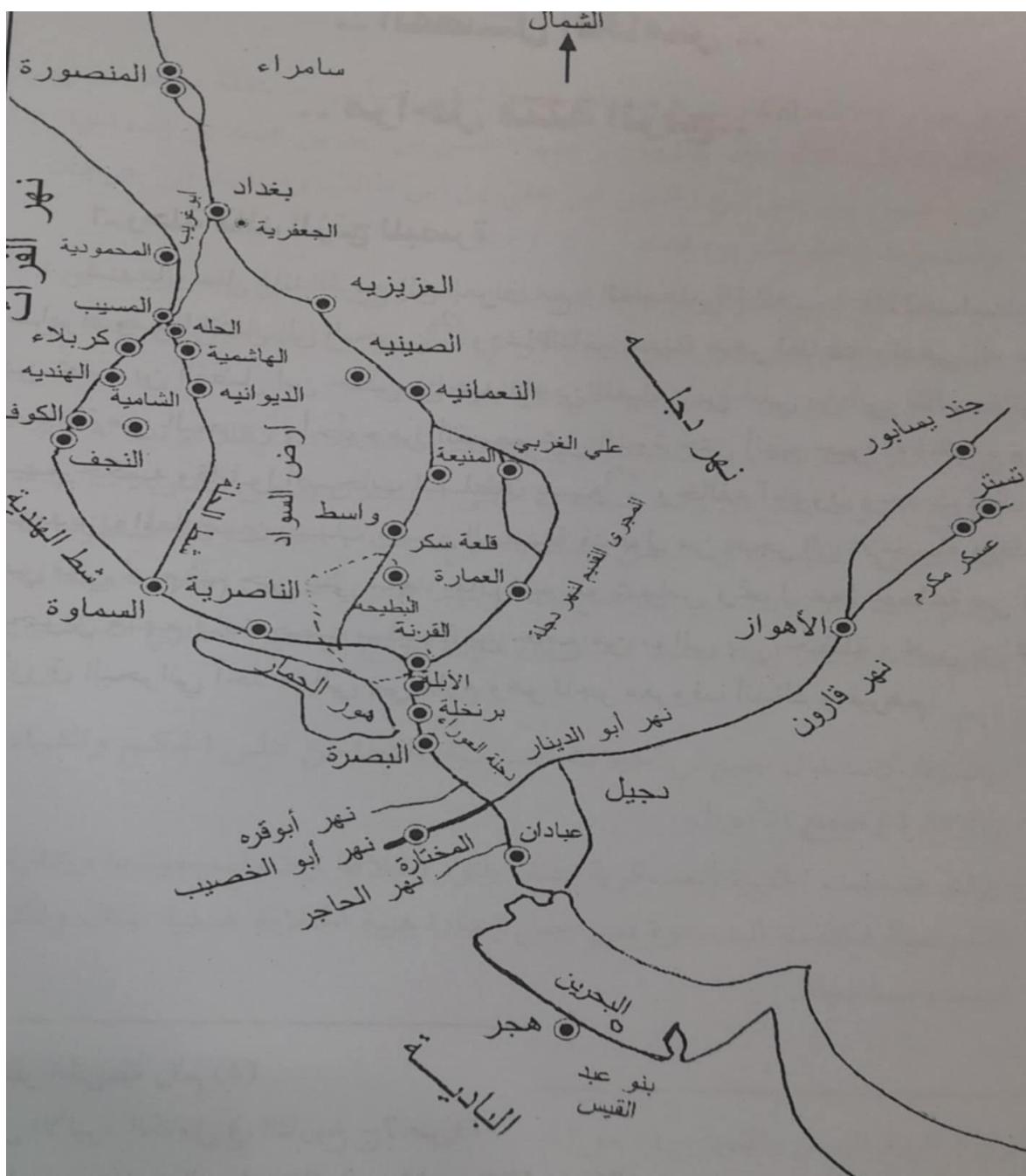
- تأثر تراجع الانتاج الزراعي والصناعي بسبب الفتن والاضطرابات في وفرة السلع داخل الأسواق، فشهدت الاسعار تقلبات حادة وعمّ الركود في العديد من المهن، ومع تقلص حركة التبادل التجاري الخارجي فقدت الدولة جزءاً مهماً من مواردها التمويلية، وتراجعت مكانتها كهمزة وصل في الشبكة التجارية الدولية التي ازدهرت في عصور الاستقرار الاولى.
- تعتبر علاقة عدم الاستقرار السياسي بالنمو الاقتصادي علاقة متبادلة وليس ذات اتجاه واحد، فمن جهة تؤدي الاضطرابات السياسية إلى أضرار تمس عناصر الانتاج (الانسان، المواد الأولية، الأرض، الأسواق...)، وفي الاتجاه العكسي فإن التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع تؤدي إلى حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية تؤثر على الاستقرار السياسي؛ وثورة الزنج وحركات الشطار والعيارين... خير مثال على ذلك.
- كانت الكوارث الطبيعية جزء لا يتجزأ من الأحداث التي عاشتها الدولة العباسية، والتي تتواترت بين كوارث مناخية ارتبطت بعناصر المناخ من تساقط ودرجة حرارة؛ فأي تغيير بالزيادة أو النقصان مسّ هادين العاملين أدى لحدوث كارثة، وتمثل النوع الثاني من هذه الكوارث في الآفات الزراعية ووبائية التي مسّت الأرض والإنسان والحيوان على السواء، و تعرضت الدولة كذلك لکوارث جيولوجية وكونية والتي اتصفت في الغالب بطابعها التخريبي، حيث أن بعضها شمل أقاليم محددة في حين بعضها الآخر مسّ أقاليم واسعة.
- ساهمت الكوارث الطبيعية في تدهور الزراعة خلال فترات مختلفة من العصر العباسي، فقد أدت الفيضانات إلى إغراق مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتلف المحاصيل الزراعية، كما تسبب الجفاف في مواسم أخرى في نقص المياه وركود الانتاج، وإلى جانب ذلك أدت الأوبئة وانتشار الآفات الزراعية خاصة الجراد إلى القضاء على كميات كبيرة من الغلال ما خلف نقصاً في المواد الغذائية وارتفاعاً في الأسعار، وبذلك تأثر النشاط الفلاحي الذي كان يشكل العمود الفقري للاقتصاد العباسي، وانخفضت العائدات الجبائية واصابت المجاعة والفقر العديد من المناطق مما ساهم في إضعاف الدولة واقتصادها.

- امتد تأثير الكوارث الطبيعية إلى النشاط الصناعي الذي كان يعتمد بشكل وثيق على المواد الزراعية والأسواق التجارية، فتقلص الانتاج وتعطلت الكثير من الورش، كما أضرت هذه الكوارث بحياة الأفراد فمنهم من مات أو هاجر أو ترك الحرفة فانخفض عدد العمال والحرفيين الأمر الذي أثر على دورة الانتاج ورفع كلفة العمل، كما أدت لتراجع الطلب على المنتجات الصناعية فعم الركود في الأسواق وتضرر أصحاب محلات الورشات الصغرى على وجه الخصوص.
- ألحقت الكوارث الطبيعية ضرراً بالغاً بحركة التجارة في الدولة العباسية، إذ أدت إلى نقص السلع التجارية وتراجع حجم الصادرات ما حداً من نشاط الأسواق الداخلية والخارجية على السواء، كما أثرت الكوارث الطبيعية وخاصة الأوبئة على القوى العاملة في الموانئ وطرق القوافل مما أدى لعرقلة عمليات المقل والتبادل التجاري،
- انعكس ما آلت إليه الزراعة والصناعة والتجارة جراء الكوارث الطبيعية على الوضع المالي للخلافة؛ لأن تراجع الانتاج والتجارة يعني انخفاضاً في مداخيل بيت المال خاصة الخارج وعائدات الضرائب والمكوس المرتبطة بالأسواق، وللتخفيف من وطء الكوارث ازدادت أعباء الدولة في الإنفاق على الإغاثة ومواجهة أضرار الكوارث.
- قام الخلفاء العباسيين وكل من له القدرة على تقديم المساعدة ببعض الاجراءات والتدابير لمواجهة أو التخفيف من حدة الأضرار التي خلفتها الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية، حيث أثبتت هذه التدابير نجاعتها في بعض الأحيان، في حين لم يصمد بعضها طويلاً ولم تتحقق أهدافها المرجوة، وذلك لاختلاف سياسة وأهداف أفراد السلطة.
- كان للتقلبات الطبيعية مثل الفيضانات والجفاف والأوبئة تأثير مباشر على الاقتصاد العباسي، لكنها غالباً ما كانت تصبح أكثر خطورة بسبب الاضطرابات السياسية المستمرة، فعندما كانت الدولة تواجه صراعات داخلية أو انقلابات كان ضعف الإدارة المركزية يمنع التعامل الفعال مع الكوارث مثل إصلاح شبكات الري أو توفير الغذاء للمناطق المتضررة،

وبالمقابل كنت الكوارث الطبيعية تزيد من حدة الأزمات السياسي؛ إذ تؤدي إلى نقص الغذاء، ارتفاع الأسعار وتزايد الاحتجاجات الشعبية مما يضعف سلطة الحكومة ويشعل المزيد من الصراعات الداخلية، ولهذا كان كل عامل يعزز الآخر فتصبح الأزمة الاقتصادية شاملة

الملاحق

الملحق رقم (01) أماكن حدوث اضطرابات الزنج: ¹



¹ - جميل محمد أبو الندى: الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2012، ص 40.

الملحق رقم (02): خريطة توضح الحدود بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية.¹



¹ - حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1987، ص150.

الملحق رقم (03): خريطة توضح مجرى نهري دجلة والفرات وما يتشعب منها من

أنهار¹.



¹ - المستر جي. دي أنكنسن: الري في العراق ومصر، مطبعة الحكومة، بغداد، 1942، ص.8.

الملحق رقم (04): أسعار الصرف في العراق خلا القرن الرابع هجري¹.

المصدر	عدد الدراعم في الدينار	السنة
قدامة - ص ١٤٤، الصابي من ٣٦ وص ٢٢٧	١٥/١٤	حوالى نهاية القرن الثالث ٩١٢/٥ ٣٠٠ م
الترخسي - نشوارج ٨ ص ٢٦	١٥	٩١٤/٥ ٣٠٢ م
الصابي - وزير ص ٨٠ - ١	١٥	٩١٩/٥ ٣٠٧ م
مسكوبه - ج ١ ص ٧١	٢/١٤	٩٢٢/٥ ٣١٠ م
الصابي - ص ٨٩	١١	٩٢٤/٥ ٣١٢ م
مسكوبه - ج ١ ص ١٤٦	١٢	٩٢٧/٥ ٣١٥ م
قدامة - المراج ص ٢٣٩	١٥	٩٢٧/٥ ٣١٥ م
مسكوبه - ج ١ ص ١٦٥	١٦	٩٢٧/٥ ٣١٥ م
٤.٥.٠ - ج ١ ص ٢٧٣ - ٤	١٤	٩٣٣/٥ ٣٢١ م
{ مسکوبه - ج ٢ ص ١٣١	١٠	٩٤١/٥ ٣٢٠ م
{ ابن الأثير - ج ٨ ص ٢٨٨ - ٩	١٣	٩٤١/٥ ٣٢٠ م (للدينار الابريزي)
الصولي - أخبار الراضي ص ٢٣٤	١١	٩٤٢/٥ ٣٣١ م
مسكوبه - ج ٢ ص ٥٤	١٥	٩٤٣/٥ ٣٣٢ م
ابن الجوزي - المتنظم ج ٨ ص ٣١	١٤	٩٥٦/٥ ٣٤٥ م
ابن حوقل - ص ٢١٨	١٥	٩٦٨/٥ ٣٥٨ م
الهمداني (الكملة) ص ٢٥٩	١٤	٩٧٥/٥ ٣٦٤ م
الصابي - التاريخ ص ٣٩٥	٢٠	٩٩٩/٥ ٣٩٠ م
الصابي - ص ٤٦٨	٢٥	١٠٠١/٥ ٣٩٢ م (للدينار الصابي)
الصابي - ص ٤٨٤	٤٠	١٠٠٢/٥ ٣٩٣ م (للدينار القاساني)

¹ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 245.

الملحق رقم (05): مقاييس نهر دجلة في مدينة السلام بطول 25 ذراعاً سنة 292هـ/906م

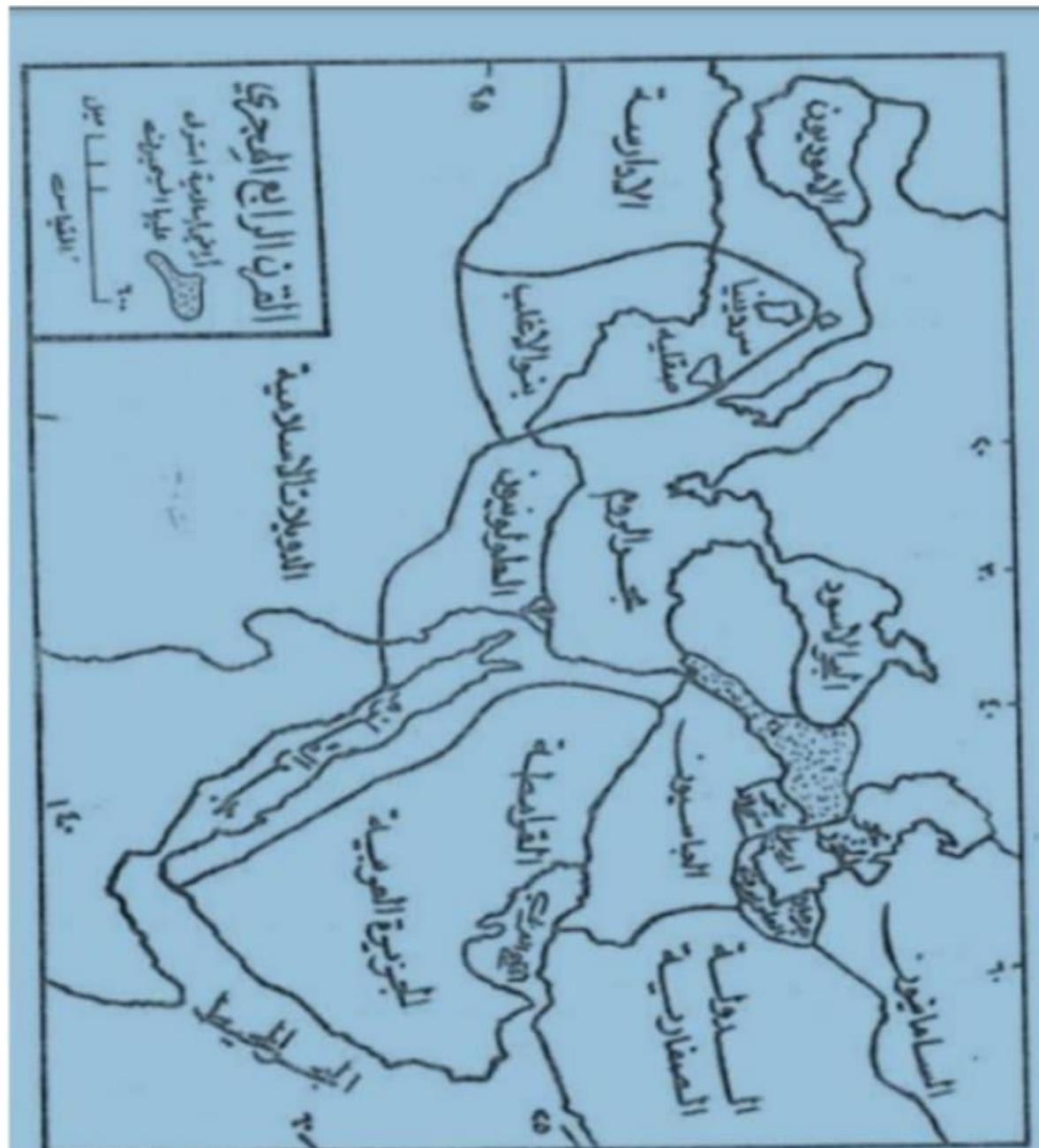
حسب المعلومات التي أوردها ابن الجوزي في كتاب المنتظم.¹

٢٥	
٢٤	
٢٣	
٢٢	
٢١	
٢٠	
١٩	
١٨	
١٧	
١٦	
١٥	
١٤	
١٣	
١٢	
١١	
١٠	
٩	
٨	
٧	
٦	
٥	
٤	
٣	
٢	
١	

¹ سهيلة مزيان حسن : مقاييس المياه في العصر العباسى ، دراسات وي آثار الوطن العربي ، الع 11 ، ص 841

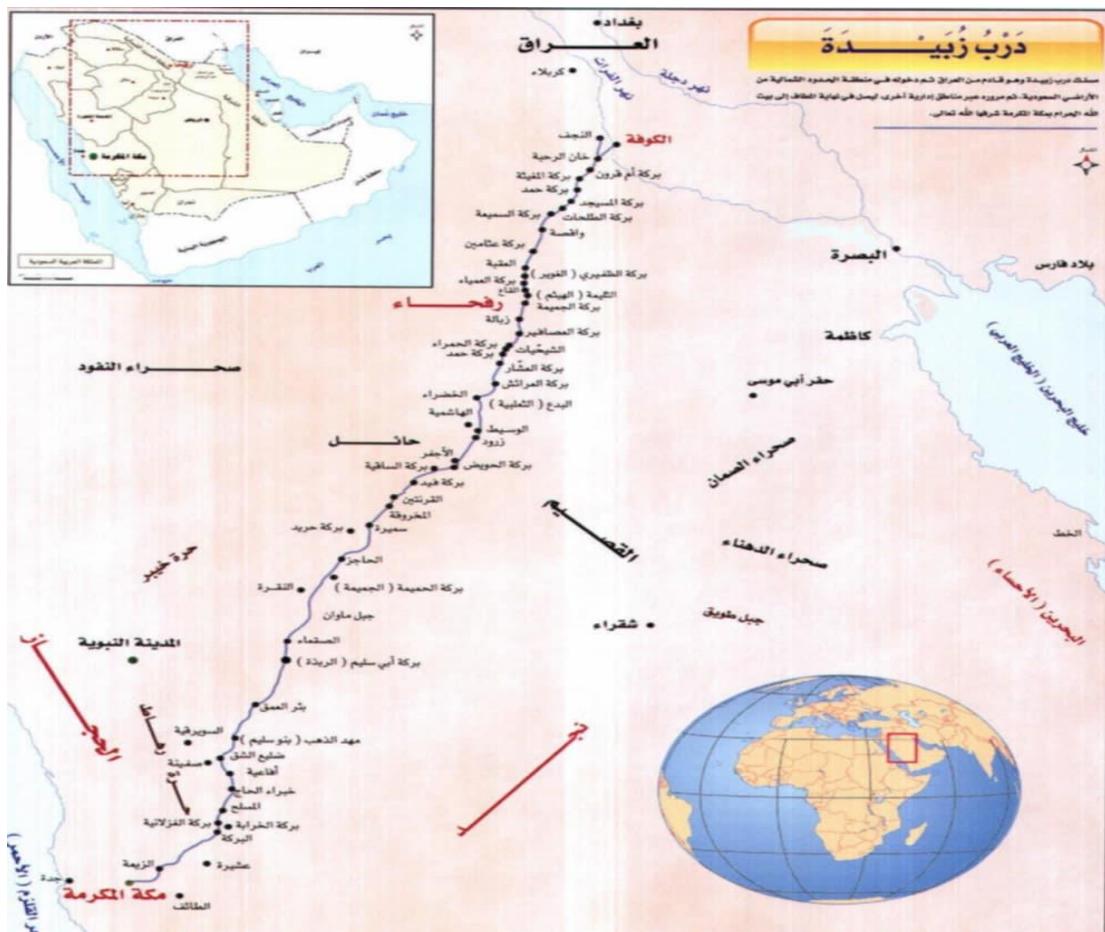
الملحق رقم (06): خريطة تبين النطاق الجغرافي للدولة الاسلامية خلال القرن الرابع

1. هجري.



¹ فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية السقوط والانهيار، ص 251.

الملحق رقم (07): مسلك درب زينة.^١



¹ - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: *أطلس الحج والعمرة "تأريخاً وفقها"*، مطبعة العبيكان، الرياض، 2010، ص 101.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات

1- **السيوطني** عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): كشف الصلة عن وصف الزلة، المكتبة الأزهرية، مصر، رقم المخطوطة 45.

2- **المجوسي** علي بن العباس (ت 400هـ): مخطوطة كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي)، مكتبة الجامعة الأمريكية، لبنان، (د.ت).

ثانياً: المصادر

1- **الأبيشيهي** شهاب الدين (ت 850هـ): المستطرف في كل فن مستطرف، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، لبنان، 1992.

2- **ابن أبي أصيحة** أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت 866هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحرير: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1965.

3- **ابن الأثير** محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت 630هـ): الكامل في التاريخ، تحرير: أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).

4- **ابن الإخوة** محمد ابراهيم شمس الدين (ت 729هـ): معالم القربة في طلب الحسبة، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2001.

5- **ابن الجوزي** أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ): المنظم في تاريخ الملوك والأمم، تحرير: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).

6- (ـ،ـ)، مناقب بغداد، تحرير: محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، 1907.

- 7- ابن الزبير أبي الحسن أحمد بن القاضي الرشيد (ق55هـ): الذخائر والتحف، تحرير: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، الكويت، 1959.
- 8- ابن الساعي تاج الدين أبي طالب على بن أنجب (ت674هـ): نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والآمام، تحرير: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.).
- 9- ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (709هـ): الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت.).
- 10- ابن العربي غريغوريوس أبي الفرج بن هارون الطبيب الملطي (ت785هـ): تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.
- 11- ابن العراق لقمان بن محمد (علماء القرن الـ10هـ): معدن الجواهر بتاريخ البصر والجزائر، تحرير: محمد حميد الله، معهد البحوث الإسلامية آباد، 1973.
- 12- ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت543هـ): أحكام القرآن، تحرير: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012.
- 13- ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنفيي الدمشقي (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحرير: محمود الأناؤوط، دار ابن كثير، لبنان، طـ1، 1988.
- 14- ابن العمرياني محمد بن علي بن محمد (ت580هـ): الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحرير قاسم السامرائي، الآفاق العربية، مصر، طـ1، 1999.
- 15- ابن الفراء أبي علي الحسين بن محمد (ت458هـ) : رسائل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحرير: صلاح الدين المنجد، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة، 1947.
- 16- ابن الفقيه أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت340هـ): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1884.

- 17- ابن الكريوش عبد الملك بن محمد (ت575هـ): الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح عبد الله العامدي، اصدارات عمادة الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، 2008.
- 18- ابن النفيسي علاء الدين ابن حزم القرشي (ت 687هـ)، الموجز في الطب، مكتبة ديلكروم، مصر، (د.ت).
- 19- ابن الوردي زين الدين عمر بن مطفر(ت749هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996.
- 20- ابن الوردي سراج الدين (ت 861هـ): جزيرة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، (د.ت).
- 21- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت728هـ): الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987.
- 22- (ــ)، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 23- ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت614هـ): رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة ولمناسك المعروف برحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، 1979.
- 24- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي (ت367هـ): صورة الأرض، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1928.
- 25- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي (ت808هـ): العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعلم والبرير ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، (د.ت).
- 26- ابن رسته أبي علي أحمد بن عمر(ت300هـ): الأعلاق النفيضة، مطبعة بريل، ليدن، 1891.

- 27- ابن رشد الحفيد أبي الوليد(ت595هـ): *تلخيص الآثار العلوية*، تح: جمال الدين العلوى، دار الغرب الإسلامى، لبنان، 1994.
- 28- ابن سينا أبي علي الحسين بن علي (ت468هـ): *القانون في الطب*، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
- 29- (-)، *الشفاء الإلهيات*، مر: ابراهيم مذكر، تح: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطباع الأميرية، 1960.
- 30- ابن القسطى جمال الدين علي بن يوسف (ت646هـ): *أخبار العلماء بأخبار الحكماء*، دار الآثار للطبعة والنشر، لبنان، (د.ت).
- 31- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم(213هـ - 276هـ): *المعارف* ، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.ت).
- 32- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أثيوب (ت751هـ): *الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية*، تح: نايف بن محمد بن أحمد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت).
- 33- (-)، *أحكام أهل الذمة*، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 34- (-)، *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، دار الأرقام، لبنان، 2016.
- 35- (-)، *زاد الميعاد في هدي خير العباد*، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة لرسالة، ط3، (د.ت).
- 36- ابن كثير ابو الفدا الحافظ (ت774هـ): *البداية والنهاية*، مكتبة المعارف، لبنان، 1991.
- 37- ابن مماتي أبو المكارم الأسعد بن المذهب (ت577هـ): *قوانين الدواوين*، تح: عزيز سوريان عطية، مطبعة مصر، 1934.

- 38- ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت 213هـ): *السيرة النبوية*، تعلق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1990.
- 39- ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي قيس الكسدي (ق 4هـ): *الفلاحة النبطية*، تح: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ت.).
- 40- الأبهيسي شهاب الدين أحمد (ت 850هـ): *المستطرف في كل فن مستطرف*، المطبعة العامرة المليجية، ط1، 1911.
- 41- الغزالى أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ): *فضائح الباطنية*، تح: عبد الرحمن بدوى، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، (د.ت.).
- 42- (-,-)، *إحياء علوم الدين*، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت.).
- 43- أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت 414هـ): *البصائر والذخائر*، دار الكتب العلمية، لبنان، 2014.
- 44- (-,-)، *الامتناع والمؤانسة*، تصحيح: أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، 1953.
- 45- أبو شجاع محمد بن الحسين: *ذيل كتاب تجارب الأمم*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت.).
- 46- أبي العلاء أبو مروان بن (ت 525هـ/1130م): *كتاب الأغذية*، تح أكيرياتون غارنيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1991.
- 47- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ): *الخارج*، دار المعرفة، لبنان، 1979.
- 48- أبي الفدا عماد الدين اسماعيل (ت 730هـ): *المختصر في تاريخ البشر*، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر، (د.ت.).
- 49- البغدادي ابن حمدون أبو المعالي بهاء الدين (ت 562هـ): *التنكرة الحمدونية*، معهد الأنماء العربي، 1983.

- 50- **البغدادي التميمي عبد القاهر بن طاهر بن محمد** (ت 429هـ): *الفرق بين الفرق، محمد علي الصبيحي وأولاده*، 2005.
- 51- **البغدادي الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب** (ت 463هـ)، *تاريخ بغداد*، تحرير عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004.
- 52- **اخوان الصفا** (حوالي 373هـ)، *رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا*، مركز النشر مركز الاعلام الإسلامي، 1405.
- 53- **الإدريسي محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني** (من علماء القرن 6هـ): *نرفة المشتاق في اختراق الآفاق*، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- 54- **الأربيلي عبد الرحمن سبط قفيتو** (ت 717هـ): *خلاصة الذهب المسبوك*، مكتبة المثلثي، بغداد، (د.ت).
- 55- **الأزدي جمال الدين أبو الحسن على بن منصور** (ت 613هـ): *أخبار الدول المنقطعة*، تحرير: عصام مصطفى هزامية وأخرون، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- 56- **الاصطخري أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي** (ت 346هـ): *المسالك والممالك*، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1927.
- 57- **الأصفهاني أبو عبد الله حمزة الحسن** (ت 360هـ): *سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام*، دار مكتبة الحياة، 1961.
- 58- **الأصفهاني أبي حامد محمد بن محمد** (ت 597هـ): *البستان الجامع لجميع تواریخ أهل الزمان*، تحرير: عمر عبد السلام التدميري، المكتبة العصرية، لبنان، 2002.
- 59- **الأصفهاني علي بن الحسين أبو الفرج** (ت 356هـ): *الأغاني*، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1994.

- 60- **الأندلسي** ابن زهر أبي مروان عبد الملك (ت557هـ)، كتاب الأغذية، وضع حواشيه: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 61- **البلذري** أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ.
- 62- **البلخي** أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت366هـ): البدء والتاريخ، تعلق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- 63- **بن خياط** أبي عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفوري (ت240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحرير: اكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، 1985.
- 64- **بن قدامة المقدسي الجماعيلي** الدمشقي الصالحي الحنفي القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت620هـ): الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحرير: محمود محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).
- 65- (-)، **المغني**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1997.
- 66- **البيروني** أبي الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ): الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحرير: پرویز انکایی، مرکز پژوهشی میراث مکتوب، تهران ، ایران، 2001.
- 67- **الترمذی** محمد بن عیسی بن أسوة (ت279هـ): سنن الترمذی، تحرير: أحمد محمد شاکر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابا الحلبی، مصر، 1975.
- 68- **التمیمی** ابی حاتم محمد بن حیان ابی احمد (ت354هـ): السیرة النبویة وآخبار الخلفاء، تحریر سعد کریم الفقی، دار ابن خلدون، الاسکندریة، (د.ت).
- 69- **التمیمی المقدسی** محمد بن احمد (ق4هـ)، مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الوباء، تحرير: یحيی الشعاعر، معهد المخطوطات العربية، ط1، القاهرة، 1999.

- 70- التميمي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 1037هـ): الفرق بين الفرق، محمد علي الصبيحي وأولاده، 2005
- 71- التنوخي القاضي أبي علي المحسن بن علي بن محمد (384هـ): نشور المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحرير: مصطفى حسين عبد الهادي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.).
- 72- الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت 429هـ): لطائف المعارف، (د.م.ن)، (د.ت.).
- 73- جابر بن حيان (ت 815هـ): مختار رسائل جابر بن حيان، تصحیح ب کراوس، مكتبة الخانجي، (د.ت.).
- 74- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت 255هـ): التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، مكتبة الخانجي، مصر، ط 3، 1994.
- 75- (ـ،ـ)، البخلاء، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.
- 76- (ـ،ـ)، البيان والتبيين المطبعة العلمية، مصر، 1893.
- 77- (ـ،ـ)، الحيوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 1424هـ.
- 78- (ـ،ـ)، رسائل الجاحظ، تحرير: عبد السلام محمد الهارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت.).
- 79- الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ): الوزراء والكتاب، تحرير: محمد السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الألباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط 1، (د.ت.).
- 80- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت.).
- 81- (ـ،ـ)، المشترك وضعاً والمترافق صقعاً، عالم الكتب، ط 3، 1986.

- 82- **الحريري** أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري (ت516هـ): مقامات الحريري، مكتبة جامعة زيورخ، المانيا، 1818.
- 83- **الحميري** محمد بن عبد المنعم(ت900هـ): الروض المغطار في خبر الأقطار، تحر: احسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.
- 84- **الحنفي** علي بن محمد الرحباني السمناني (ت499هـ): روضة القضاة وطريق النجاة الناظم للشرع والمقيم للدين، تحر: أحمد فريد المزیدي، دار الكتب العلمية، (د.ت.).
- 85- **الخوارزمي** محمد بن أحمد بن يوسف (387هـ)، مفتاح العلوم، تحر: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989.
- 86- **الدوداري** أبي بكر بن عبد الله بن أبيك (ت736هـ): كنز الدرر وجامع الغرر الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، تحر: دوروثيا كراقولكي، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، بيروت، 1996.
- 87- **الديار** بكري حسين بن محمد بن الحسن(ت966هـ): تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت.).
- 88- **الدينوري** أبي حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ)، كتاب النبات، تحر: برنهارد لقين، شتاينز بقىسبادن، 1974.
- 89- **الدينوري** أبي حنيفة أحمد بن داود (282هـ): الأخبار الطوال، تحر: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د.ت.).
- 90- **الذهبي** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحر: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1990.
- 91- **الرازي** محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت660هـ): مختار الصحاح، الكويت، (د.ت.).

- 92- **الروذراري** ظهير الدين أبي شجاع محمد بن الحسين (ت 488هـ): ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
- 93- **سهراب**، عجائب الدنيا السبع إلى نهاية العمارة، تص: هانس فون مريك، مطبعة ادولف، 1929.
- 94- **السيوطني** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط 3، 2013.
- 95- **الشابستي** أبي الحسن علي بن محمد (ت 388هـ): الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، لبنان، لبنان، 1986.
- 96- **شمس الدين** محمد بن أبي الفتح الباعلي أبو عبيد الله (ت 709هـ): المطلع على ألفاظ المقنع، تح: محمود الارناؤوط وآخرون، مكتبة السوادي للتوزيع، السعودية، 2003.
- 97- **الشهرستاني** أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548هـ)، الملل والنحل، تح: عبد الأمير على منها، وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، لبنان، (د.ت).
- 98- **الشيزري** عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوى الطبرى (ت 590هـ): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، موسوعة الجامع الكبير، (د.د.ن)، (د.ت).
- 99- **الصابي** أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الحراني (ت 384هـ / 994م): المختار في رسائل الصابي (رسائل الصابي)، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الكتب المصرية، دار النهضة، بيروت، (د.ت).
- 100- **الصابي** أبي الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم (ت 448هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (د.ت).
- 101- **الصفدي** صلاح الدين خليل (ت 764هـ)، الوفي بالوفيات، دار صادر، بيروت، ط 2، (د.ت).

- 102-**الصولي** أبي بكر محمد بن يحيى (ت336هـ): *أخبار الراضي* بالله والمتقي لله، دار المسيرة، بيروت،
- 103-(-)، *أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجت الأثري*، المكتبة العربية، بغداد، (د.ت.) .
- 104-**الطبرى** أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): *تفسير الطبرى* جامع البيان عن تأويل القرآن، تحرير: محمود محمد شاكر، مراجعة: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت.) .
- 105-(-)، *تاريخ الرسل والملوك*، تحرير: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت.) .
- 106-**بن المناوي** عبد الرؤوف (ت952هـ)، *التوقيف على مهمات التعريف*، تحرير: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، مصر، 1990.
- 107-**أبو عبيد القاسم** بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ): *الأموال*، تحرير: محمود عمارة، دار الشروق، ط1، 1989.
- 108-**ابن حجر العسقلاني** الحافظ أحمد بن علي (ت852هـ): *بذل الماعون في فضل الطاعون*، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، (د.ت.) .
- 109-**الفيومي** أحمد بن محمد بن علي المقرى (ت770هـ)، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي*، تحقيق: عبد العظيم الشتاوى، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت.) .
- 110-**قدامة بن جعفر** (ت948هـ): *الخراج وصناعة الكتابة*، تحرير: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.
- 111-**القلقشندى** أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ): *صبح الاعشى في صناعة إلشاد*، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012.

- 112-(-)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراح، عالم الكتب، (د.ت).
- 113- القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة ولاية بافاريا، (د.ت).
- 114- الكتببي محمد بن شاكر (764هـ): فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 115- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989.
- 116-(-)، الحاوي الكبير، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
- 117-(-)، قوانين الوزارة وسياسة المالك، تح: رضوان السيد، دار الطاعنة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979.
- 118- مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح: عمر السعدي، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، (د.ت).
- 119- مجهول: تاريخ الراوي المجهول، تعليق: الأب البيير أبونا، مطبعة شفيق، بغداد، 1986.
- 120- المسعودي أبي الحسن بن علي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، ج4، (د.ت).
- 121-(-)، التبيه والاشراف، تص: عبد الله اسماعيل الصادق، مكتبة المثنى، بغداد، 1938.
- 122- مسکویه أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت461هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسورى حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

- 123-**المقدسي** أبو عبد الله محمد ابن احمد البشاري (ت381هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن المحروسة، بربيل، 1906، ط2، (د.ت).
- 124-**المقريري** أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين (ت845هـ): اغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2007.
- 125-(-)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ت).
- 126-(-)، رسائله، تح: رمضان البدرى، دار الحديث، القاهرة، 1998.
- 127-**المقفع** عبد الله ابن (ت142هـ): آثار ابن المقفع، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 128-**المكي** عبد الملك بن حسن بن عبد الملك الشافعى العاصمى (ت1111هـ): سبط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوال، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998.
- 129-**النويرى** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ)، نهاية الارب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحبى، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 130-**الهمذانى** أبي بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه (ت290هـ) : مختصر تاريخ البلدان، دار احياء التراث العربى، بيروت، 1988.
- 131-**الهمذانى** أبي محمد الحسن بن أحمد (ت345هـ تقريبا): الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تح: أحمد فؤاد باشا، مطبعة الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009.
- 132- **الهيثمى** شهاب الدين بن حجر (ت974هـ): حواشى الشروانى على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الفكر، (د.ت).

133-**الهيثمي** نور الدين علي بن أبي بكر (ت780هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت).

134-**الواقدي** محمد بن عمر بن واقد (207هـ): المغازي، ترجمة: جونس ماردين، عالم الكتب، (د.ت).

135-**اليافعي** أبي السعادات عبد الله بن سعد (768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.

136-**اليعقوبي** أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (284هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط6، 1995.

137-(-)، البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحضرية، النجف، 1918.

138-(-)، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليه في كل عصر، ترجمة عبد الرحمن الشقير، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 2019.

139-**اليعمرى** الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (734هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ترجمة محمد العيد الخضراوى، دار ابن كثير، المدينة المنورة، (د.ت).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة.

1-آ.آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، ترجمة: جاسم سكبان، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق، ط1، 2016.

2-(-)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتبة، 1985.

3-**إبراهيم العدوى**: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة، مصر، (د.ت).

- 4-أبو اليسر رشيد كهوس: محاضرات في سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، المنهل، 2013.
- 5-أحمد ابراهيم الشريف وحسن أحمد محمود: العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، القاهرة، (د.ت).
- 6-أحمد الخطيمي: الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية 656هـ/1258م، مكتبة عبد الحميد شومان العامة، عمان، 2008.
- 7-أحمد أمين: ظهر الاسلام، هنداوي، القاهرة، 2012.
- 8-أحمد سوسة: تطور الري في العراق، منشورات مجلة المعلم الجديد، (د.ت).
- 9-(-،-)، رى سامراء في عهد الخلافة العباسية، مطبعة المعارف، بغداد، 1948.
- 10-(-،-)، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1962.
- 11-(-،-)، فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب البغدادية، 1963.
- 12-أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، (د.ت).
- 13-أحمد علبي: ثورة الزنج وقادتها علي بن محمد، دار الفراتي، بيروت، ط3، 2007.
- 14-أحمد فتحي سليمان: المسكون عنه في التاريخ، الفكر والثقافة العامة، (د.ت).
- 15-أحمد فريد الرفاعي: عصر المؤمنون، مؤسسة هنداوي، 2013.
- 16-آدم متر: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الاسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت).
- 17-أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكتشوف، لبنان، 1955.
- 18-إسمت غنيم: الامبراطورية البيزنطية وكرسيت الاسلامية، دار المعرفة، مصر، 1987.

- 19- **أمانى صالح**: الشرعية بين فقه الخلافة وواقعها، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مصر، ط1، 2007.
- 20- **أمل محي الديم كردي**: دور النساء في الخلافة العباسية، اليازوري، 2014.
- 21- **أمينة بيطار**: تاريخ العصر العباسى، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، (د.ت).
- 22- **أنور أحمد خان البغدادي**: الحرف والصناعات في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013.
- 23- **بدرى محمد فهد**: العامة ببغداد في القرن الخامس هجري، مطبعة الارشاد، بغداد، 1967.
- 24- **برنارد لويس**: أصول الاسماعلية بحث تأريخي في نشأة الخلافة الفاطمية، تر: خليل أحمد جلو وأخرون، تقديم عبد العزيز الدوري، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2007.
- 25- **بشار حسين العجل**: الخراج والضريبة المعاصرة في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 26- **بندي جوزي**: الحركات الفكرية في الاسلام، جمعية الصدقة الفلسطينية، ط2، 1981.
- 27- **بوشعيب الساوي**: الرحلة والنarrative دراسة في انتاج النص الرحي، الرحاب للنشر، 2016.
- 28- **تقي الدين عارف الدوري**: عصر إمرة الامراء في العراق دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، مطبعة اسعد، بغداد، 1975.

- 29- جاسم آوجي: العلاقات السياسية والثقافية بين الدولة العباسية والدولة لبيزنطية في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ)، كلية الآداب قسم التاريخ ، جامعة اسطنبول، (د.ت).
- 30- جمال كبة، و طالب عزيز: الحقيقة معلم الحضارة الاسلامية، دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع، ط1، (د.ت).
- 31- جميل محمد أبو الندى: الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2012،
- 32- جميل نخلة المدور: تاريخ العراق في عصر العباسيين المسمى حضارة الإسلام في دار الإسلام، دار الآفاق العربية، ط1، 2003.
- 33- جورجي زيدان: تاريخ التمدن، مؤسسة هنداوي، مصر ،2012.
- 34- حسام الدين السامرائي: المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247هـ-334هـ/865م-945م) ، دار الفكر العربي، ط2، (د.ت).
- 35- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، ط14، ص1996.
- 36- حسن منيمنة: تاريخ الدولة البوهيمية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي -مقاطعة فارس- 334هـ-447هـ/945م-1055م ، الدار الجامعية، 1987.
- 37- حسين المصري: تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982.
- 38- حسين بن سعدون: البصرة ذات الوشاحين (التاريخ والسياسة والثقافة) 2500 ق.- 1491م، مكتبة مدبولي، مصر ، 2006.
- 39- حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، 1997

- 40- **حمدان عبد المجيد الكبيسي**: *أسواق بغداد حتى بداية العصر البوبي*، وزارة الثقافة والفنون، العراق، (د.ت).
- 41- (-)، *أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية*، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، 1988.
- 42- (-)، *عصر الخليفة المقتدر بالله*، مطبعة النعمان، النجف، 1974.
- 43- **حمود بن درويش بن سالم الحسني**: *مبادرات الآفات الزراعية وقوانيتها*، وزارة الزراعة والثروة السمكية، سلطنة عمان، 2012.
- 44- **خالد حربى**: *علم الأوبئة في الحضارة الإسلامية وأثره في مكافحة جائحة كورونا*، منشورات سوتيميديا، 2022، تونس.
- 45- **خولة عيسى صالح**: *الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية*، بيت الحكمة، بغداد، 2001.
- 46- **راشد البراوي**: *في الاقتصاد الإسلامي*، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة، 1986.
- 47- **روبرت ماك آدمز**: *أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهو ديالي*، تر: صالح أحمد العلي وأخرون، ، المجمع العلمي العراقي، 1984.
- 48- **زبيدي محمد حسين**: *العراق في العصر البوبي التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية 334هـ-447هـ / 945-1058م*، دار النهضة العربية، مصر، 1970.
- 49- **سالم محمد أحمد عبد العزيز**: *إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس*، دار الكتب العلمية، 2004.
- 50- **سائر بصمة جي**: *ظاهرة مد وجزر البحار في التراث العلمي العربي*، مؤسسة هنداوي، 2022.

- 51- سعد الراشد: درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (دراسة حضارية أثرية)، دار الوطن، الرياض، ط1، 1993.
- 52- سليم أبو طالب سليم: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الاعشاع، 1999.
- 53- سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدولة العباسية والفارطمية والأموية في الأندلس، مكتبة التوبة، (د.ت).
- 54- سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان، 2009.
- 55- سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (132هـ-1256هـ/749م-749هـ)، المنهل، (د.ت).
- 56- سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الناشر تهامة، جدة، ط1، 1981.
- 57- سيف المقابلبي: التواصل السياسي والحضاري بين عمان وبلاد فارس من ظهور الإسلام حتى القرن 7هـ/13م، دار الرافدين، 2024.
- 58- شاكر خصبال: العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مطبعة شقيق، بغداد، 1973.
- 59- شاهر جمال آغا: الزلازل حقيقتها وأثارها، عالم المعرفة، 1995.
- 60- شرفي عبد المجيد: الفرقة الهاشمية في الإسلام بحث في تكوين السنوية الإسلامية ونشأة الفرق الهاشمية وسيادتها واستمرارها، مركز النشر الجامعي، 1999.
- 61- شمس الدين ابراهيم شرسى أحمد بن عبد المؤمن: شرح مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
- 62- شوقي عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41هـ/904م-1498هـ)، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

- 63- صابر عبده ابازيد: مناهج أهل السنة في الرد على الشيعة القدريّة عرض تحليل نقدي، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
- 64- صالح أحمد العلي: خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986.
- 65- (-)، محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعرفة، بغداد، 1955.
- 66- صالح الحمارنة: بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسى الأول، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
- 67- صباح الشيخلي: الاصناف والمهن في العصر العباسى نشأتها وتطورها، بيت الوراق، ط1، 2010.
- 68- صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الراضي، ايران، ط1، 1417هـ.
- 69- ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيف النقد الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، مكة المكرمة، 1993.
- 70- طرخان ابراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.
- 71- طه حسين: مع المتنبي، هنداوي، 2001.
- 72- عادل محي الدين الألوسي: الرأي العام في القرن الثالث هجري، (198هـ - 295هـ/813-907م)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1987.
- 73- عاطف منصور محمد رمضان: النقد الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008.
- 74- عامر محمد نزار جعلوط: فقه الموارد العامة لبيت المال، تق: سامر مظهر قنطوجي، دار أبي الفدا للنشر، 2012.

- 75- عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام إلى آخر العهد العثماني، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1959.
- 76- عبد الأمير المؤمن: الظواهر الكونية الغربية قراءة تراثية المذنبات والنيازك والشهب والنجوم المتفجرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، مصر، 2002.
- 77- عبد الحميد جمال الفراني وآخرون: دراسات حضارية في التاريخ الاسلامي الصناعة-الطب- الحياة العلمية، (د.ت).
- 78- عبد الحميد سعيد: خليفة الله ظل الله في الأرض دراسة في أصول الاستبداد السياسي وأدواته، دار نقوش عربية، تونس، 2021.
- 79- عبد الحسين علي أحمد: بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول 132-232هـ، الجامعة الأردنية، الأردن، 1992.
- 80- عبد الحسين مهدي رحيم: الخدمات العامة في بغداد 400-656هـ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2013.
- 81- عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1، لبنان، (د.ت).
- 82- (-)، النظم الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
- 83- (-)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995.
- 84- (-)، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطبع والنشر ، بغداد، 1945.
- 85- عبد العزيز حميد: المسكوكات المزيفة في العصر العباسي، كلية الآداب، جامعة بغداد، (د.ت).

- 86- عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا الطبيعية أشكال سطح الأرض، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، 1990.
- 87- عبد الفتاح فتحي: المسلمين في العصر العباسي (132هـ- 656هـ/ 749- 1258)، دار الهانى للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.
- 88- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1999.
- 89- عطية القوصي: تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث هجري، الجمعية
- 90- عفاف عبد الحفيظ محمد رحمة: الكتاب في العصر العباسي الأول دراسة في النظم والثقافة والمجتمع (132هـ- 247هـ/ 861م- 749م)، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر، السودان، دار آريثيريا للنشر والتوزيع، ط1، 2021.
- 91- علي سيد اسماعيل: أحكام النقود المزيفة في الاقتصاد الإسلامي والقانون، دار التعليم الجامعي، 2019.
- 92- عماد علو: القوى البحرية والتجارية في الوطن العربي خلال العصور الإسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017.
- 93- عمر رضا كحاله: العلوم العملية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية بدمشق، سوريا، 1972.
- 94- عمرو عبد المنعم: الزلازل أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها، دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1993.
- 95- عواد مجید العوضي: الزراعة 15هـ - 656هـ/ 1258م- 636م، حضارة العراق، دار الجيل، لبنان، (د.ت).

- 96- عويس حمادة سعد : الحجاز والكوارث الطبيعية في زمن الاشراف العلوين (358هـ)
- 923هـ- 969م- 1517م)، العربي للنشر والتوزيع، مصر ، 2024.
- 97- عيسى أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، 2008.
- 98- غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث هجري الممارسات والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ، ط1، 1994.
- 99- فادي حسين عقيلان: إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية والغير طبيعية، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- 100- فاروق عمر فوزي: الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط، الشروق ، 2000.
- 101- (-)، الجيش والسياسة في العصر الاموي ومطلع العصر العباسي 41هـ/ 334هـ/ 956م دراسة تاريخه، دار المجدلاوي للنشر ، 2005.
- 102- (-)، الخلافة العباسية -السقوط والانهيار - ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2003.
- 103- فازليف: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهاي شعيرة، مر: فؤاد حسين علي ، دار الفكر العربي ، (د.ت).
- 104- فتحي حسن ملکاوي: مشروعات بحثية في التراث التربوي الإسلامي، المعهد العالمي الإسلامي للبحوث ، 2018.
- 105- فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري الكتاب الأول في الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها ، الدار القومية للطباعة النشر ، (د.ت).
- 106- فريال داود المختار: المنسوجات العرقية الإسلامية من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة العباسية ببغداد، دار الحرية، بغداد ، 1977.

- 107- **فكري وليد**: دم الخلفاء النهايات الدامية لخلفاء المسلمين، الرواق للنشر والتوزيع، 2017.
- 108- **فلاح جمال معروف وآخرون**: جغرافية العراق الطبيعية والسكانية والاقتصادية، دار مجلة للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- 109- **فهمي سعد**: العامة في بغداد دراسة في القرنين الثالث والرابع هجري دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1993.
- 110- **فؤاد خليل**: الاقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1996.
- 111- **فيليب حتي**: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1951.
- 112- **قصي طارق**: العيارون والشطار في العصر العباسي، مطبعة الواعظ علوم أهل البيت، ط1، 2013.
- 113- **كارل بروكلمان**: تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: نبيه أمين فارس وآخرون، دار العلم للملائين، ط5، (د.ت).
- 114- **الكريوي ابراهيم سلمان**: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1989.
- 115- **كريمة محمد الفاهمي**: علم الفلك في العصر الاسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- 116- **كساسية حسين فلاح**: المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين) ، جامعة مؤتة، 1992.
- 117- **الماركفوري أبي العلي محمد عبد الرحمن (ت1353هـ)**: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذى، مر عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

- 118- **مجيد تحسين حميد**: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع هجري، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر ،2015، ط.1.
- 119- **محمد الخضري بك**: الدولة العباسية محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، دار الأرقام بن أبي الأرقام، لبنان، 2016.
- 120-(-)، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، مطبعة الاستقامة، ط.4،1934.
- 121- **محمد تحسين حميد**: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، دار ومكتبة عدنان، العراق، 2015.
- 122- **محمد جمال الدين سرور** : تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس هجري، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
- 123- **محمد رجب النجار**: الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، 1981.
- 124- **محمد سهيل طقوش**: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط.7، 2013، لبنان
- 125- **محمد صبري محسوب و محمد ابراهيم أرباب**: الأخطار والكوارث الطبيعية (الحدث والمواجهة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988.
- 126- **محمد ضياء الدين الرئيس**: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعرف، مصر، ط3، 1969.
- 127- **محمد طه حسن الحسين**: التنظيم المالي للدولة منذ صدر الإسلام حتى سقوط الدولة العثمانية، المركز العربي للأبحاث، 2017
- 128- **محمد عبد الصاحب الكعبي**: المسئولية المدنية عن اضرار الكوارث الطبيعية (دراسة مقارنة)، دار التعليم الجامعي، العراق، 2020.

- 129- محمد عقل: الدولة العباسية في عهد المتوكل على الله (232هـ-247هـ / 847م-861م)، أي كتب، لندن، 2019.
- 130- محمد فياض العزي: النزاع بين قادة الجيش الأتراك والخلافة العباسية في ظل الفوضى العسكرية (247هـ-334هـ / 861م-945م)، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017.
- 131- محمد كرد علي: الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1943.
- 132- (-)، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1913.
- 133- محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ / 950م (العهدان البوبي والسلجوقي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980.
- 134- محمد نجمان ياسين: أرض الصوافي الأرض الخاصة بالدولة في الإسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العهد الأموي دراسة في الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 135- محمد نجيب أبو طالب: الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تقديم الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، (د.ت).
- 136- محمود اسماعيل: سسيولوجيا الفكر الإسلامي طور التكوين، سينا للنشر، ط4، 2000.
- 137- (-)، المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.
- 138- (-)، سسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، سينا للنشر، القاهرة، ط3، 2000.
- 139- (-)، مذاهب إسلامية في الميزان رؤية معاصرة، دار القلم، بيروت، (د.ت).
- 140- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي -الدولة العباسية الجزء الثاني-، المكتب الإسلامي، ط6، 2000.

- 141- محمود غناوي الزهيري: الأدب في ظل بنى بويه، مطبعة الأمانة، مصر، 1949.
- 142- مصطفى شاكر: دولة بنى العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973.
- 143- مكملين شترك: خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، تر: خالد اسماعيل علي، المجمع العلمي العراقي، 1986.
- 144- موريس لومبار: الاسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5 هـ (8-11م)، تر: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 2003.
- 145- موفق سالم النوري: العامة والسلطة في بغداد، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع ، 2003.
- 146- (---)، العلاقات العباسية البيزنطية 132-247هـ 750-861 م دراسة سياسية حضارية، وزارة الثقافة والعلم دار الشؤون الثقافية العامة، 1992.
- 147- ناجي عبد الجبار: الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، مركز اسكندرية للكتب، مصر، 2003.
- 148- نادية حسني صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول (دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله)، المكتبة الفيصلية، لبنان، 1985.
- 149- نادية محمد مصطفى: في الذاكرة التاريخية للأمم تحولات وآمالات حضارية معاصرة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، (د.ت).
- 150- ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، (د.ت).
- 151- نايف محمد شبيب المتيوتي: اجراءات الدولة الاسلامية في معالجة الأزمات المالية في العصر العباسي، المكتبة الشاملة الذهبية، (د.ت).
- 152- النقشبendi ناصر الدين محمود: الدينار العراقي في المتحف العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953.

153-نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب العربي، دار الكتاب المصري، 1987.

154-هاميلتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، تر: احسان عباس وآخرون، دار العلم للملائين، ط3، لبنان، 1979.

155-وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد التسلط البويعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1991.

156-يعقوب ليسنر: خطط بغداد في العهود الإسلامية الأولى، تر: صالح أحمد العلي، ، المجمع العلمي العراقي، (د.ت).

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية

1. Jassim K AL Khaled: the climate of Iraq bulletin of the college of arts and sience، vol 11، 1957.
2. Julius Wellhausen: Arab Wars with the Byzantines in the Umayyad Period ‘Arab-Byzantine Relations in Early Islamic Times Aldershot and Burlington, vol 8 ،Ashgate, 2004.
3. Marius Canard: Les relations politiques et sociales entre Byzance et les Arabes، Dumbarton Oaks Papers, 1964.
4. Michael Bonner, Arabie Violence and Holy War. Studies in the Jihad *and* the Arab-Byzantine Frontier. New Haven, Connecticut, American Oriental Society, 1996.
5. Claude cahen L'évolution de l'iqtâ du IXe au XIIIe siècle : contribution à une histoire comparée des sociétés médiévales annales، 1953.
6. Abderaham N poliak :la féodalité islamique ‘editions geuthner، 1936.
7. Lookkegaard: islamique taxation in the islamic period ‘branner ogkorch ،1950.

- خامساً: المذكرات.
- أحلام بنت حمود بن مبارك: نظام ولادة العهد في العصر العباسي الأول (132هـ - 750م - 861هـ)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، عمان، (د.ت).
 - أحلام يوسف: الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق (132هـ - 447هـ / 749م - 1055م)، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ، جامعة 08ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2018.
 - أسماء محمد السيد علي: الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي الثاني "عصر نفوذ الأتراك" (232هـ-334هـ / 946م - 1258م)، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، 2019.
 - إلهام هاني نعمة: الأسواق في المشرق الإسلامي والنشاط الاقتصادي والتجاري من العصر العباسي إلى الغزو المغولي (132هـ - 656هـ / 749م - 847م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2011.
 - البندري بنت عبد العزيز خضر: نكبات الوزراء في العراق وآثارها على الأوضاع العامة في العراق إبان العصر العباسي الثاني 232هـ-656هـ / 847م - 1258، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، 2015 .
 - توفيق سلطان اليوزبكي: الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (132هـ-447هـ)، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس القاهرة، مطبعة الارشاد، بغداد، 1970.
 - حسن بن علي بن عون ذوي الحارثي الشريف: الرقابة الادارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة 132هـ حتى سنة 247هـ / 749م - 861م، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1993.

- 8- دارين سليم محي الدين جوهر: المحن والنكبات السياسية للكتاب والوزراء في العصرين العباسي الأول والثاني (132هـ-334هـ/749م-945م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار الإسلامية، 2007.
- 9- رامز محمد هاشم تمراز : تدخل القادة العسكريين في العمل السياسي وأثره على الخلافة العباسية (232هـ-334هـ/847م-945م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2020.
- 10- رحمة نابتي: النظام الضريبي بين الفكر المالي المعاصر والفكر المالي الإسلامي – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، قسم علوم التسيير، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2013-2014.
- 11- روند خالد : الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي 132هـ-334هـ/946م-749م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2018.
- 12- رويدة رفقة: نمو طبقة الكتاب وتطور رسوم الكتابة الديوانية حتى أوائل القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، 1981.
- 13- زينب مهدي رؤوف: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في إثراء بيت المال خلال العصر العباسي، رسالة ماجستير، مجلس معهد التاريخ العربي والتراجم العلمي للدراسات العليا، 2022.
- 14- سنا بورغيدة: القرامطة بين المنطقات الاقتصادية والطموحات السياسية، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2019-2020 .
- 15- سوزان حسين ياغي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى 334هـ/946م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001.

- 16- صفاء حسن أحمد عوض الله: دور التجارة في إثراء الحركة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني المقومات والاسهامات(232-847هـ/1256م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أم درمان، السودان، 2012.
- 17- ضيف الله يحيى الزهراني: النفقات وادارتها في الدولة العباسية 132 هـ-334 هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1404هـ.
- 18- طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرون الوسطى - دراسة سياسية حضارية - 622هـ-1368م ، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1980.
- 19- طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي: المسكوكات العباسية حتى منتصف القرن الخامس هجري، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.
- 20- طه حسين عبد العال حسين: الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس إبان العصر البوبي والسلجوقي (334هـ-590هـ/946م-1193م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2010.
- 21- عبد الرحمن نصر هاشم التتر: ولادة الحسبة في العهد العباسى ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة (132-750هـ/1256م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015.
- 22- عبد اللطيف عبد الراوى: المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت)،
- 23- عبد الله جمعان سعيد السعدي: النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية والمقارنة بالأنظمة الوضعية الحديثة 132 هـ-232هـ/749م-847م، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1989.

- 24- علي كاظم عبد الله: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في اثراء بيت المال خلال العصر العباسي (132هـ-334هـ / 750م-946م)، رسالة ماجستير ، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية التابع لجامعة الدول العربية، بغداد، 2022.
- 25- عماد عبد الكريم أحمد خلوف: آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية (247هـ-334هـ / 861م-945م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت، (د.ت).
- 26- فاطمة سعيد خليفة محمد: حركة الزنج وآثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الدولة العباسية (255هـ-270هـ / 883م-870م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2009.
- 27- فرات حمدان عبد المجيد الكبيسي: الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب تجارب الأمم لمسكويه (295هـ-369هـ / 907م-979م)، أطروحة دكتوراه، مجلس كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، 2002.
- 28- فهد مطر المطيري: التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني (247هـ-334هـ)، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد والمصارف، جامعة اليرموك، 2015/2016.
- 29- فؤاد طوهارة: السياسة المالية في الدولة العباسية 132هـ-232هـ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 1945 قالمة، الجزائر، 2016-2017.
- 30- لطفي بن فرج: الأسرى في العلاقات العباسية- البيزنطية من قيام الدولة البيزنطية إلى واقعة ملاذكرد (132هـ-463هـ / 1071م-750م)، شهادة الكفاءة المهنية، قسم التاريخ، جامعة تونس، 1993.
- 31- محمد تركي محمد شنطاوي: المصادرات في العصر العباسي 132-334هـ / 750-945م، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1994.

- 32- محمد حمزة محمد صلاح: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009.
- 33- محمد محمد عبد المحسن أحمد: الموارد المائية في العراق واثرها الاقتصادي خلال العصر العباسي الأول (132هـ-232هـ / 847م-750م)، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2019.
- 34- مساعد بن مساعد محمد الصوفي: العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ-334هـ)، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، 2008.
- 35- مصطفى التوايتي: الأدباء والمفكرين وعلاقتهم بالسلطة في العهد البويمي، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 1995.
- 36- هيثم محمد السادس: المحن والأزمات الاقتصادية في العراق خلال العصورين البويمي والسلجوقي (334هـ-6590هـ / 1193م-946م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، قسم التاريخ والآثار المصرية، 2018.
- خامساً: الدوريات.
- 1- (،)، المبيدات الحشرية في الحضارة الإسلامية، مجلة الفيصل، الع 267، 1999.
- 2- (،)، المعاملات التجارية وتحديات القرصنة في موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي بين القرنين الثاني والسابع هجري الثامن الثالث عشر ميلادي، مجلة وقائع تاريخية، الع 38، 2023.
- 3- (،)، نقود الدولة البويمية 334-447هجري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 75، (د.ت).

- 4-(-)، الحياة الاقتصادية (التجارية) في الخليج العربي للفترة من القرن الثالث إلى التاسع هجري، مجلة الجامعة العراقية، الع 45، (د.ت).
- 5-(-)، أهل الحرف والصنائع في بغداد في العصر البوبي، المنارة، المجلد 22، الع 1، 2016.
- 6-(-)، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع 1، 1959.
- 7- إحسان صدقي العمد: الخبز في الحضارة العربية الإسلامية، حوليات كلية الأدب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الع 76، السنة 12، 1996.
- 8- أحمد اسماعيل الجبوري: الخراج في الموصل والجزيرة في العصر العباسي 132هـ-749م، دراسات موصلية، الع 25، 2009.
- 9- أحمد خضير رميس: الأحوال الاقتصادية والموارد المالية في عهد الخليفة المعتصم بالله (227هـ-745م)، مجلة ديالي، الع 24، 2014.
- 10- أسماء محمد عبد اللطيف شحاته: تحصينات مدينة عمورة ومواجهاتها الحربية في العصر العباسي الأول (132-232هـ)، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، الع 27، 2021.
- 11- آمال محمد حسن وصفي علي محمد عبد الله: القرامطة والفاطميين بين الحقيقة والتاريخ خلال القرنين الثالث والرابع هجريين/ التاسع والعشر ميلاديين، مجلة البحث، المجلد 3، الع 9، 2023.
- 12- آمنت محمود عودة الذيبات: دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232هـ-334هـ)، مجلة البحث التاريخية، الع 1، المجلد 6، 2022.
- 13- إيمان سليم كاظم حسين: التنظيمات المالية في العصر العباسي (132هـ-566هـ) / 749م-1170م، مجلة التراث العلمي العربي، الع 47، 2020.

- 14- إيمان محمود عرفة: دينار نادر باسم صاحب الزنج ضرب المدينة المختارة سنة 259هـ، مجلة كلية الآثار، الع 27، 2024.
- 15- أيوب مشايرية ورaby أولاد ضياف: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الاول (132هـ-232هـ/747م-847م)، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الع 1، المج 35، 2021.
- 16- بشار قويدر: قضية ولادة العهد في الخلافة العباسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة الجزائر، الع 5، 1993.
- 17- البيومي إسماعيل الشربيني: تاريخ الزلزال في مصر من الفتح الإسلامي إلى مجيء العثمانيين، مجلة كلية الآداب، المنصورة، الع 26 ، 2000.
- 18- جاسم صكبان علي: دراسات في تاريخ الإقطاع في العصور الإسلامية، مجلة التراث العلمي العربي، الع 4، 2015.
- 19- جمال رداحي: دور الإقطاع في ظهور الحركات الاجتماعية في الخلافة الإسلامية، مداريات تاريخية ، مج 2، الع 6 ، 2020.
- 20- جواد كاظم نصر الله وانتصار عدنان العواد: معوقات الحج الى بيت الله الحرام في العصور الإسلامية، مجلة كلية التربية، الع 28، (د.ت).
- 21- حسين أمين: العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد، مجلة التراث العربي، مطبعة المعارف، بغداد الع 2، السنة 1963.
- 22- حسين بن علي الطراطسي: اسهامات مؤرخي الإسلام في علم الفلك الحديث، مجلة الفيصل، الع 274، السنة 23، 1999.
- 23- حميد رشيد رفيق: إدارة المشاريع الاروائية في العصر العباسي. وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدها دائرة العلوم الصرفية والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999.

- 24- حميد نشأت اسماعيل: رى سواد العراق في العصر العباسى، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسى، التي عقدها دائرة العلوم الصرفه والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999.
- 25- حميدة صالح دلي: أجهزة التبريد في العصر العباسى (الدهنج انموذجا)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، كلية التربية، 2017.
- 26- حياة ناصر الحاجي: المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامي 694-1294هـ / 1295-1324م، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، الع 7، 1984.
- 27- خالد بن خضير بن عليان الحربي: فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسى (132هـ - 656هـ)، مجلة المعهد العالى للدراسات النوعية، المجلد 4 ، 2024
- 28- خضر جاسم محمد الدوري ومؤيد عيدان كاطع: النشاط السياسي والاجتماعي للأطباء في العراق خلال العصر العباسى (132-1356هـ / 749-1258م)، مجلة التربية والعلم، الع 5، 1987.
- 29- خليل حسن الزركاني: الصناعة في بغداد للفترة (334هـ/935م - 555هـ/1160م)، مجلة التراث العلمي العربي، الع 1، 2015.
- 30- خليل سارة : العيارون والشطار في العصر العباسى (نشأتهم ومبادئهم)، اشغال الملتقى الدولى الخامس حول الحركات الاجتماعية في العالم العربى، 10-12 ابريل 2008.
- 31- خيون مطير راهي: مشاريع الري في العهد العباسى وعلاقتها بمشاريع الري الحديث، الجامعة المستنصرية، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسى، التي عقدها دائرة العلوم الصرفه والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999.

- 32- رائد محمد حامد: تأثير الفيضانات على السجون بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 13، 2013.
- 33- الرشيدyi بدر دحيم عبد الله: أثر القرصنة في العلاقات التجارية بين موانئ الخليج العربي وشرق آسيا، مجلة وقائع تاريخية، الع 21، 2014.
- 34- رياض أحمد وسعد رمضان الجبوري: العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع في العصر العباسي الأول (132-247هـ/750-862م)، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، الع 10، المج 3، 2023.
- 35- ريم بنت فهد السابح: جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها (132-656هـ/749-1258م)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، الع 2، المج 11، 2017.
- 36- سالار الديزيyi علي خضر: مناخ العراق من كتب الجغرافيين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، الع 1، 2018.
- 37- سرى ممتاز عبد الله: علاقة آل سهل بالخلافة العباسية 198هـ-218هـ/813-932م، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، الع 39، 2020.
- 38- سفيان ياسين ابراهيم: القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي (132هـ-656هـ/749م-1258م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، الع 2، المج 11، 2016.
- 39- سليمان عبد الغني مالكي: طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد، مجلة الدارة، الع 2، السنة 7، (د.ت).
- 40- سهيل تركي عنتر: المعاملات المالية وأثرها على الواقع الاقتصادي في العصر العباسي الثاني في القرن الخامس والسادس الهجريين، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، الع 69، 2022.

- 41- سوسن بهجت يونس: الأسواق في المشرق الإسلامي (العراق بلاد فارس بلاد ما وراء النهرين) من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العهد البويمي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، الع 42، 2015.
- 42- صباح ابراهيم الشيخلي: الخلافة العباسية و موقفها من المطامع البيزنطية نظرة في الدوافع والأسباب، مجلة المورد، جامعة بغداد، الع 4، 2005.
- 43- صبيح نوري خلف: خلع الخلفاء العباسيين السلطانية للأمراء البويميين (334هـ-447هـ)، مجلة دراسات ايرانية، الع 8، (د.ت).
- 44- صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: ريادة العرب في مجال علم الحيوان، مجلة تراث، الع 251، 2020.
- 45- صهيب محمد ناصر الخطيب: اهتمام خلفاء بنى العباس بالطب والأطباء منذ تأسيس بغداد حتى القرن الرابع هجري، المجلة المحكمة، الع 25، السنة 11، مج 3، (د.ت).
- 46- طريف سردست: أخطاء المفاهيم الفلكية عند العرب، الحوار المتمدن، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراجم واللغات، الع 3946- 3947 / 12 / 19- 02:22.
- 47- طورخان: الاقطاع الإسلامي أصوله وتطوره دراسة مقارنة. المجلة التاريخية المصري، الع 6، المج 6، 1957.
- 48- عادل محمد علي: حدائق الحيوانات في بغداد، مجلة المورد، الع 4، المج 8، 1979.
- 49- عالية أحمد عبد الحميد شعبان: نظام الإلقاء في العصرین الأموي والعباسي الأول ((41هـ-847م/661هـ)، مجلة التاريخ والمستقبل، الع 73، جامعة المينا، 2023).
- 50- عامر عجاج حميد: القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، الع 6، مج 9، 2019.
- 51- عباس كريم الخفاجي: الموارد المالية وأهميتها في العملية الاقتصادية الإسلامية، مجلة جامعة بابل، الع 1، المج 17، 2009.

- 52 عبد الباسط مصطفى مجید الرفاعي: طرق التجارة والتبادل السمعي من خلال الواردات وال الصادرات في العصر العباسي الاول، مجلة آداب الفراهيدي، سامراء، قسم التاريخ، الع2، السنة 1، (د.ت).
- 53 عبد الحكيم غنّتاب الكعبي: العوامل المؤثرة في نمو وتطور تجارة البصرة من القرن 1-9هـ/7-10، مجلة دراسات البصرة، الع19، السنة 2015، 10.
- 54 عبد الرضا طه سرحان: دور الحضارة العربية الاسلامية في تطور أساليب الزراعة والري في العراق، جامعة القادسية، أساليب الانتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الاسلامية، بحوث أقيمت في المؤتمر الثالث الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، الأردن، 2000.
- 55 عبد العزيز الدوري: نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج20، 1970.
- 56 عبد الكريم عز الدين ومنال محمد مطر: دراسة عن جغرافية وسكان منطقة البطيخة جنوب العراق، مجلة التراث العربي، الع2، 2015.
- 57 عبد الله يوسف الغنيم: أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي (دراسة جغرافية)، مجلة المجمع العلمي العراقي، المج 35، 1984.
- 58 عصام فكون: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مطبعة الكويت، الع3، المجلد 2، 1979.
- 59 عطية القوصي: البحرين وتجارة الدولة العباسية، مركز عيسى الثقافي، مج14، الع27، (د.ت).
- 60 عفيفي علي غازي: رؤية الرحالة لطب البيطري، عند بدو الجزيرة، ، مجلة تراث، الع 251، 2020.

- 61- علاء كامل صالح العيساوي: الوشاية بالعلويين وأتباعهم في العصر العباسى (132هـ / 746م)، بأقلام باحثينا نصنع الحياة، ، المؤتمر العلمي الخامس لكلية التربية العلوم الإنسانية، أبحاث التاريخ، 13، 14، 2012 أفريل.
- 62- علي جمعان الشكيل: صناعة الأصياغ في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة 8، الع 32، 2001.
- 63- علي منصور نصر: العيارون والشطار في العصر العباسى، مجلة المؤرخ العربى، الع 6، 1998.
- 64- عمار لبید ابراهيم: الايرادات المالية لخزينة (بيت المال) في العهد العباسى الأول، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، الع 51، 2015.
- 65- فاروق عمر فوزي: الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخریب الفارسي في السياسة العباسية، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع 32، 1982.
- 66- فايزه عبد الرحمن حجازي: تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسى (139هـ-335هـ / 757م-946م)، مؤتة للبحوث والدراسات الع 6، المج 21، 2006.
- 67- قاسم خضير كاظم الطالبي وآخرون: الوزير علي ابن الفرات (ت 312هـ) ودوره السياسي والإداري، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 3، العدد 8، سنة 2023.
- 68- لطيفة صلاح عبد الهادي علي: المصادرات في العصر البوبي (334هـ / 945م-1055م)، سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، الع 4، 2022.
- 69- لمياء بنت عبد الرحمن عثمان الصالح: أثر نشأة بغداد على نمو النشاط التجارى في موانئ الخليج العربي حتى نهاية العصر العباسى الاول (145هـ-232هـ / 762م-848م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الع 21، شوال 1437هـ.

- 70 مازن صباح عبد الامير الأعرجي : الاقطاع العسكري وأثره على الأوضاع الاقتصادية في العراق بالعصر السلجوفي (447هـ-590هـ)، مجلة آداب المستنصرية، كلية التربية، قسم التاريخ، 2013.
- 71 مثنى عباس عواد وعمر أحمد سعيد: الأصناف والحرف في بغداد (دراسة في نشأتهم وتكوينهم حتى نهاية العصر البويري 1447هـ-1055م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، الع 26، 2019.
- 72 محمد بن محمد محمود: الزلازل والبراكين في جزيرة العرب وتراثهم، مجلة الدارة، الع 1، 1988.
- 73 محمد زين العابدين: عناية البيطرة العربية بالخيل والإبل، مجلة تراث، الع 251، 2020.
- 74 محمد سعد اسماعيل: الأوبئة والظواهر الفلكية وأثرها في العراق في ضوء كتاب المنتظم لابن الجوزي 334هـ-945م / 1178م-574هـ، مجلة وقائع تاريخية، 2020.
- 75 محمد صالح بوعافية: الاستقرار السياسي، قراءة في المفهوم والغايات، مجلة دفاتر السياسة والقانون، الع 15، 2016.
- 76 محمد عبد المعطي محمد خرم: سنوات الإزلاف والنقل وأثرها على الأوضاع الاقتصادية في العصر العباسي (132هـ-749م) / (1258م-656هـ)، مجلة قطاع اللغة العربية والشعب المناظرة لها، الع 15، 2021.
- 77 محمد فتحي محمد عبد الجليل: أهم المصادرات في عهد الخليفة المتوكل على الله 232هـ-247هـ / 846م-861م، مجلة الدراسات الإنسانية والادبية، الع 26، 2022.
- 78 محمد فهد مشكلي: العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية في عصر الرسالة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، الع 20، 2016.

- 79- محمد قويسم: إمرة الأمراء العباسية (324هـ-334هـ/935م-945م) وأول محاولة تجديد داخلية، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجزائر، الع20، 2015.
- 80- محمد نصر عبد الرحمن: اشكالية الهوية لدى البوهين، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، الع44، 2006.
- 81- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: العرب وعلم الأوبئة، مجلة التعريب، الع13، مج7، 1997.
- 82- مريم علي الكندي ونجيب بن خيرة: ملامح الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس في الخليج العربي 366هـ-731هـ/1330م-977م، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الع2، المح17، 2020.
- 83- مليحة رحمة الله: الملابس في العراق خلال العصور العباسية، المجلة التاريخية المصرية، الع13، المح13، (د.ت).
- 84- منى يعقوب عباس والدرويش جاسم ياسين محمد: السياسة المالية للخليفة المستعين بالله العباسي (248-252هـ 862-866م)، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج 47، ع2، 2022.
- 85- مهند الدعجة: التراث البحري بالخليج العربي في العصر العباسي الثاني (232هـ-656هـ/848م-1258م) سفن إقليم البحرين نموذجا، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الع4، المح48، 2021.
- 86- مهى سعيد حميد: الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي" مجلة دراسات موصلية، المؤلف، العدد 22 ، 2011.
- 87- ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي وسهيلاة مزيان حسن: الحج في العراق عبر التاريخ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، الع 70، 2019.

- 88- ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الوكن العربي، الع 11، (د.ت).
- 89- نجيب خروفه: من مشاريع الري في العصر العباسى، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسى، عقدها دار العلوم الصرفه والتطبيقية، 17 مارس 1997، منشورات المجمع العراقي، 1999.
- 90- نقولا زيادة: الأسواق الإسلامية، مجلة المقتطف، ج 1، 1943.
- 91- نواف عبد العزيز الجhma: درب زبيدة من واقع رحلة ابن جبير، مجلة بحوث الشرق الأوسط، الع 63، السنة 47، 2021.
- 92- هاني أبو الرب: البرامكة ودورهم في الحياة العامة في الدولة العباسية قبل نكبتهم، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الع 30، 2013.
- 93- هدى محمد سعيد سndi: الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسين خلال العصر العباسى الأول (132هـ-232هـ/847م-749م)، مجلة المؤرخ العربي، الع 30، 2022.
- 94- هنية بنهوس نصر عبد ربه: خفارة الحج خلال طريق الحج الكوفي إلى مكة المكرمة، مجلة الدراسات الأدبية والانسانية، الع 26، 2022.
- 95- هيلة بنت محمد بن علي القصير: النشاط التجارى وأبعاده الاقتصادية في ميناء سيراف خلال العصر العباسى 132هـ-232هـ/846م-749م، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم، مج 7، الع 3، 2014.
- 96- يعقوب صروف وفارس نمر: استخراج المعادن، مجلة المقتطف، بيروت، مج 1، الع 3، 1972.

- 97- يوسف كاظم جغيل الشمري وميثاق كاظم هادي الخفاجي: السعاية والوشایة عند القهرمانات في بغداد ابان العصر العباسى (247هـ 590هـ / 861م، 1193م)، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، الع 10، 2020.
- سادسا: **المعاجم والموسوعات والقواميس.**
- 1- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين (ت 711هـ): لسان العرب، نشر أدب الحوزة، 1405هـ.
- 2- أحمد شرباصي، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل، 1981.
- 3- الأزهري محمد بن أحمد (ت 370هـ): تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).
- 4- بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان، ص 208.
- 5- الجوهرى أبي ناصل إسماعيل بن حامد (ت 398هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009.
- 6- الجوهرى إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، 1990.
- 7- جيرار جهامي: موسوعة مصطلحات ابن سينا، مكتبة لبنان ، 2004.
- 8- الزبيدي مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، 1888.
- 9- شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري (977-1069هـ)، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تص: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر ، ط 1، 1952.
- 10- الفيروزآبادى مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817)، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008.

- 11- الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقرى (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعى، تحقيق: عبد العظيم الشتاوى، دار المعرف، مصر، ط2، (د.ت).
- 12- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، ط4، 2005.
- 13- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

الفهرس العامة

فهرس الجداول:

الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
47-46	يوضح صلة ولی العهد بالخليفة العباسی خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - إعداد الباحثة-	01
51-49	يوضح أسباب موت الخلفاء العباسيين وفترة خلافتهم خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - اعداد الباحثة-	02
114-101	يوضح العمليات الحربية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية العباسی خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - اعداد الباحثة-	03
113	يوضح عدد الحملات بين الطرفين (ال Abbasی والبيزنطي) خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - إعداد الباحثة-	04
215-212	يمثل أوزان الدينار خلال الفترة (198هـ- 381هـ / 814م- 991م) اعتماداً على كتاب الدينار الإسلامي في المتحف العراقي - الدينار الأموي وال Abbasی - "لناصر السيد محمود النقشبendi".	05
262-255	يمثل حوادث الفيضانات والسيول في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - إعداد الباحثة-	06
273-270	حوادث سقوط الثلج والبرد بأحجام كبيرة خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - إعداد الباحثة-	07
278-275	يمثل سنوات تأخر الأمطار وحدوث الجفاف في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - إعداد الباحثة-	08
287-284	يمثل موجات الرياح القوية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ- 391هـ / 813م- 991م) - إعداد الباحثة-	09

294-291	يمثل هجمات الحشرات والقوارض في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	10
306-302	يمثل الأوبئة والأمراض التي ظهرت وانتشرت في خلافة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	11
324-321	يمثل موجات الزلازل التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	12
332-330	يمثل أحداث ظهور وانقضاض الكواكب التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	13
333	يمثل الصواعق التي حدثت في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	14
338-334	يمثل اشتعال الحرائق في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	15
340	يمثل أعداد الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	16
347-345	يحدد أسباب الأزمات المعيشية التي تعرضت لها الخلافة خلال فترة الدراسة. ص 230.	17

فهرس الاشكال:

رقم الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
52	أعمدة بيانية توضح فترة خلافة الخلفاء العباسيين خلال الفترة (198هـ-391هـ/813م-991م). -إعداد الباحثة- ص57.	01
114	منحي الحملات العسكرية العباسية والبيزنطية على مناطق التخوم خلال الفترة (198هـ-391هـ/813م-991م). - اعداد الباحثة- ص121.	02
340	يمثل تكرار حدوث الكوارث الطبيعية في الدولة العباسية خلال (198هـ-391هـ/813م-991م). -إعداد الباحثة- 185.	03
347	بمثل أسباب الأزمات المعيشية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ-391هـ/813م-991م). -إعداد الباحثة- ص230.	04

فهرس المحتويات:

الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
	الإهداء
أ - ر	مقدمة
119 - 22	الفصل الأول: أسباب الاضطرابات السياسية في الدولة العباسية
56 - 23	المبحث الأول: الصراع حول السلطة والسيطرة على مؤسسة الخلافة
47 - 22	1. نظام ولادة العهد و استئثار العناصر الأجنبية بالسلطة
56 - 48	2. نهاية الخلفاء العباسيين.
78 - 57	المبحث الثاني: ظهور حركات اجتماعية ذات ابعاد اقتصادية وسياسية ودينية
58 - 57	1. طبقات المجتمع العابسي.
58- 59	2. حركات اجتماعية ذات ابعاد اقتصادية
61 - 59	أ. ثورة الزنج
68 - 62	ب. الشطار والعيارين
72 - 68	ت. ثورة القرامطة:
74 - 72	ث. ثورة الزط
77-74	3. انتفاضات العامة ضد السلطة ورجال الدولة
78	4. انتفاضات ذات طابع ديني
97 - 78	المبحث الثالث: الفساد الاداري والنزاع حول المناصب الادارية والسياسية.
84 - 81	1. توريث المناصب

88 -84	2. تعيين الأشخاص غير الأكفاء
91 -88	3. انتشار الرشوة
93 -92	4. تضمين المناصب
97 -93	5. إحاكة المكائد والوشایات
118 -97	المبحث الرابع: الصراع على المناطق الحدودية
120 -120	الفصل الثاني: النتائج الاقتصادية لاضطرابات السياسية.
138 -121	البحث الأول: تراجع النشاط الزراعي نتيجة الفتن والحروب.
124 -121	1. مساعدة العوامل البشرية في تراجع مقومات النشاط الاروائي،
138 -124	2. تطبيق أنظمة زراعية تعسفية
135 -125	أ- القطاع العسكري
138 -136	ب- نظام الإلقاء
153-138	المبحث الثاني: تراجع العديد من الصناعات.
217 -153	المبحث الثالث: اختلال التوازن المالي.
.163 -153	أ- ارتفاع الأسعار وحدوث المجاعات:
181 -163	ب-سوء الأنظمة المالية المتبعه في تقدير الموارد وجمعها
190 -182	ت-سوء الإدارة المالية.
205 -190	ث-فرض ضرائب جديدة.
217 -205	ج- تزييف النقود.
245 -217	المبحث الرابع: اضطراب حركة التجارة والأسواق
228-217	أ- حرق وتدمير الأسواق
245-229	ب- قطع الطرق التجارية البرية والبحرية وطريق الحج.
341 -247	الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وأثارها الاقتصادية

290 -248	المبحث الأول الكوارث المناخية.
252-248	1. المناخ في أقاليم الخلافة العباسية.
270-252	2. الفيضانات والسيول.
274 -270	3. تساقط البرد والثلج
283-274	4. انحباس الأمطار وحدوث الجفاف
290-284	5. هبوب رياح قوية
317-291	المبحث الثاني: الآفات الزراعية والوبائية.
297 -291	1. هجمات الحشرات والقوار
317-297	2. الأوبئة
339 -317	المبحث الثالث: الكوارث الجيولوجية والكونية.
328 -317	1. الزلزال
328 -326	2. ظاهرة المد والجزر
333 -328	3. ظهور وانقضاض الكواكب.
339 -333	4. وقوع الصواعق واشتعال الحرائق
284 -341	الفصل الرابع: النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعية
349 -343	المبحث الأول: التأثير المزدوج للأزمات السياسية والطبيعية على المجتمع والاقتصاد العباسي.
370 -349	المبحث الثاني: مساهمة السلطة العباسية في إدارة الأزمات الاقتصادية.
379 -371	الخاتمة.
387 -381	الملاحق.
433 -389	قائمة المصادر والمراجع.
419 -435	الفهارس العامة.

فهرس المحتويات

436- 435	فهرس الجداول
437	فهرس الأشكال
	الملخص .

ملخص

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة للتعرف على أثر الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية على الدولة العباسية من خلافة المأمون إلى خلافة الطائع لله 198هـ-381هـ/ 814م - 991م، حيث هدد هاذين العاملين الاستقرار الاقتصادي للدول باعتبارهما جزء على يتجزأ من سيرورة حياة الشعوب والأمم، وتكمّن أهمية هذه الدراسة بكونها تطرقت لجموعة التحديات التي واجهت هذا الجانب، فهي بذلك تختلف عن الأبحاث التي اهتمت بدراسة الجانب الاقتصادي للدولة العباسية.

أثبتت هذه الدراسة وجود علاقة سلبية وعلاقة طردية بين الفوضى السياسية والكوارث الطبيعية والفشل والتراجع الاقتصادي، فمن الطبيعي أن الفوضى واللااستقرار تعطل اسباب الأمن والنظام، وتشل وسائل الكسب والارتزاق وتضيق على الأفراد أشد التضييق بحيث يتذرع عليهم طلب الرزق.

الكلمات المفتاحية:

الاضطرابات السياسية، الفتنة، كوارث طبيعية، دولة عباسية، اقتصاد.

Abstract:

This study aims to identify the impact of political unrest and natural disasters on the Abbasid state from the Caliphate of Al-Ma'mun to the Caliphate of Al-Ta'i Allah 198 AH-381 AH/814 AD-991 AD, as these two factors threatened the economic stability of countries as they are an integral part of the life of peoples and nations, and the importance of this study lies in the fact that it addressed a group of challenges that faced this aspect, thus differing from the research that focused on studying the economic aspect of the Abbasid state.

The study proved the existence of a causal relationship and a direct relationship between political chaos, natural disasters, failure and economic decline, as it is natural that chaos and instability disrupt the causes of security and order, paralyze the means of earning and livelihood, and severely restrict individuals to the point that they cannot seek a livelihood.

Keywords: Political unrest, sedition, natural disasters, Abbasid state, economy.

Résumé:

Cette étude a pour objectif d'identifier l'impact des troubles politiques et des catastrophes naturelles sur l'État abbasside du califat d'Al-Ma'mun au califat d'Al-Ta'i Allah 198 AH-381 AH/814 AD-991 AD, car ces deux facteurs ont menacé la stabilité économique des pays car ils font partie intégrante de la vie des peuples et des nations. L'importance de cette étude réside dans le fait qu'elle a abordé un ensemble de défis auxquels cet aspect était confronté, et elle diffère donc de la recherche qui s'est concentrée sur l'étude de l'aspect économique de l'État abbasside.

L'étude a démontré l'existence d'une relation causale et directe entre le chaos politique, les catastrophes naturelles et l'échec et le déclin économiques. Il est naturel que le chaos et l'instabilité perturbent les causes de la sécurité et de l'ordre, paralysent les moyens de subsistance et restreignent considérablement les individus au point qu'il leur devient difficile de gagner leur vie.

Mots-clés Troubles politiques, situation, catastrophes naturelles, État abbasside, économie.